كلهم)

رواية

الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٠

الكتاب : (كلهم

المؤلف : إبراهيم ناصف

تدقيق لغوي : هدير محمود

تصميم الغلاف : محمد دربالة

رقم إيداع : ٧٩٢٤ - ٢٠١٩

ترقيم دولي : ٨ - ٦ - ٨٥٦٢٣ - ٩٧٧ - ٩٧٨



دار مسار للنشر و التوزيع



01020439639



massar.pub1@gmail.com



ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

إبراهيم ناصف

(كلهم



أقسم أنني ميت
فلا تدركون بأنني حيًّا؛ لأنني أتكلم
كُلنا نتكلم
فهل هذا يعني أننا جميعًا أحياء!
مرحبًا بالأموات
في عالم الأموات.

شغف شغف شغف شغف شغف، شَغب.

«إهداء خاص»

قلب الإنسان - سواء رجلاً أو اِمرأة - لا يسكنه
شخصًا بمفرده
نعم أنت، وأنتِ أيضًا
هذه لكما.

التنهيدة الأولى

تُأخذ هذه التنهيدة على مرتين، فما ستراه الآن يحتاج إلى أخذ أنفاس كثيرة.

«١»

The laughs are high, The smell of the food is Wonderful

- الضحكات تعلو، ورائحة الطعام رائعة -

* * *

بدأ يسير في طرقة منزله الطويلة التي تؤدي إلى ما تسمى بالصالة، يسير بعينيه بين جدران شقته، يتأمل أثاثها وما بها من أشياء تتحدث بطريقتها الخاصة، باحثًا عنها، لكنها لم تكنْ هناك كعادتها تجلس أمام التلفاز لتشاهد تلك الأشياء التي يعادل عدد حلقاتها أكثر من ثلاثة أشهر، أي عمرٍ طويل أمام التلفاز، شيء سخيف حقًا.

قطع بحثه صوت ضحكاتها العالية مِمَّا جعله يثبت مكانه دون أن يهتز، لقد صعق رغم إنَّه لم يكنْ هناك برقًا داخل شقته، الصوت يعلو شيئًا فشيئًا، الضحكات تتوالى، ولكن ما صدمه حقًا هو موقع قدوم صوتها، فقد كان قادم من هناك في تلك الغرفة -غرفة طهي الطعام- ألم يجدًا مكانًا آخر غير ذلك ليفعلَّان به هذا

الشيء، المطبخ!!
بدأ يتجه ناحية تلك الغرفة بعين قلقة محاولًا أن يكسر تجمده بأن يهتز قليلًا، خطواته البطيئة لم تكنْ تدرك سوى الحرص والحذر حتَّى يستطع إدراك الحقيقة، الطرقة الطويلة مجددًا، يتمنى لأول مرةٍ أن تطول أكثر بكثيرٍ مِمَّا هي عليه، فهو لا يريد الوصول، لا يريد أن يرى ما هناك ويخدع بها بعد كل هذا الكم من الإخلاص له، رائحة الطعام الرائعة تزعجه في هذا الوقت، معالم عقله تتشاجر على أن تجعله يدرك ما سيراه الآن، لا يفهم شيئًا، يتمنى فقط بأن لا يسمع صوتًا آخر بجانبها، يتمنى أن تكون قد جُنت على أن يصدُق ما خُلق في عقله الآن، الضحكات تعلو، الصوت يتحدث ويصدمه مجمدًا جسده مرة أخرى:
- يا حبيبي صدقني، أنت عارف كويس إنه بيتأخر في الشغل، تعالى بقى، أنا موحشتكش ولا إيه!!
لقد تحقق ما تمناه منذ قليل ولم يسمع صوتًا آخر غيرها، فأنت لا تسمع من يتحدث داخل الهاتف.
تحركت قدماه راكضةً إلى غرفة نومه، السرعة التي يسير بها تجعلك تُدهش من تجمده
الذي كان عليه، اِنعقاد حاجبيه واتساع عينه يعلنان عن حدة وغضب لم يظهران من قبل
«هكذا تكون الحقيقة، تُشعرك بالحقيقة».

الآن أصبح في غرفة نومه، الغرفة التي أصبح يكره أن يكون فيها، فهي غرفة «تلاقي الأجساد» لا غير ذلك.
اِتجه نحو حافظة الملابس ملقيًا كل ما بها، كل شيء أصبح على الأرض، كل شيء سيصبح على الأرض بعد قليل، فقد سمعت صوته، الآن أدركت بأنه قد أتى.
- اِقفل دلوقتي بسرعة، هكلمك بعدين.
لقد وجد ما كان يبحث عنه، إنه «صانع الموت»، قام بشحنه كاملًا بالرصاصات الصغيرة التي تنهي أرواحًا عاشت طويلًا، لقد أصبح السلاح مستعدًا لصنع الدماء.
اِتجهت بسرعة في جزء من غرفة الطعام وأحضرت ما يجعل الشيء الكامل قطعًا صغيرة، لم تكنْ تتوقع أن تستخدم السكين في شيء غير الطعام، كالطعنات وسيل الدماء مثلًا.
عودة ثانيةً للطرقة الطويلة، الأصابع تحتضن بالمسدس اِحتضانًا أوشك أن يشعل مقبضه، رائحة الطعام لم تكنْ تناسب هذا الوضع بداخله، رائحة الطعام رائعة بما يكفي لجعلك تجلس لتأكل وتشاهد هذا الحفل، نصل السكين حزينا علي اِتساخه الأحمر الذي سيسقط فيه بعد لحظات، الآن قد اِقتربت أيضًا من الطرقة الطويلة، السكين يعلن اِستعداده بالطعن، دخان الفوهة الخفيف سيتصاعد بعد قليل، ثوانٍ قليلة ويتقابل النصفين، ثوانٍ ويحتضن الهيكل المعدني للمسدس بحواف السكين الحادة.

«الموت هو الحقيقة الحقيقية الوحيدة في هذا العالم».
والآن
يتقابلان.
- فليبدأ الحفل -

«٢»

(PSYCHIATRY)

-ACUTE WARD-

(الصحة النفسية)

-قسم الحالات الحادة-

* * *

(غرفة ١٧)

لم تنسَ يومًا حديثًا بينه منذ أن عرفته، فهي تتذكر ملامحه العابثة التي جعلتها تعشقه، عيناه الضاحكاتان دائمًا رغم وجود ذلك البئر الممتلئ بالدموع داخل أعماق قرنيته، غضبه الخارج عن إرادته، طفولته المختبئة خلف ظهر نضجه الكهل، حديثه لها دائمًا بأن تظل طفلة كما هي، فهو لا يريدها راشدة أو ناضجة؛ لأنَّه يتأكد تمامًا أن حُزن الإنسان يبدأ حينما يولد نضجه، ورغم عيشه ناضجًا طوال حياته إلَّا أنه ظل يتمني أن يفقد عقله ولو لوقت قصير حتَّى يستطيع فقط أن يخلق اِبتسامتها.

لكنها قررت أن تنهي كل ذلك متحدثة إلى تلك الأوراق التي

أخفتها عن أولئك الذين يتابعونها هنا، تقرأ ما بها ثمَّ تضع معظمها بجانبها بقوة وتحدث معظمها الآخر بفقدان عقلٍ تام:
- أنا عايز أجيبلك الورد اللي في العالم كله تحت رجلك، مش عشان أهديهولك، لأ، عشان أثبتلك بس إنك أجمل وردة في العالم ده.
وضعت كُل تلك الأوراق القديمة أمامها على الأرض بعد أن أدركت جيدًا إنها لم تكنْ لتكون في مكانٍ سوى هنا على الأرض وفي هذه الغرفة، ثمَّ أكملت حديثها بجنون وبكاء متدرج بسبب ما قرأته في تلك الورقة تحديدًا:
- كدب، كدب، كدددب، كل حاجة كانت كدب، كلامه كان كدب، بس هو أكيد كان غصب عنه، أيوه هو كان بيحبني، لأ، مش غصب عنه، أيوه، هو كدب عليا، وعوده كانت أكبر كدبة في حياتي، حتَّى الورق ده، عمره ما كان حقيقة ولا بجد، كله كدب، كدببببب.
الذكريات الآن تتطاير قطعًا صغيرة بعد أن ظلت في أحضانها كل يوم، الأعوام الكثيرة تمحي في لحظات، أصبح تقطيع الأوراق سهلًا بعد أن كانت تخشى أن تفقد واحدة منه، إلى أن أتى من قرر أن يزيل وجود هذه الأوراق وأثرها تمامًا من هذا الكون الصغير.
اِندفع باب الغرفة البيضاء بقوة فور سماع صوت صراخها، معلنًا دخول الطبيب برفقة اِثنين من ممرضاته والتي اِتجهت كل منهما بسرعة نحو صاحبة الذكريات الممزقة -الكاذبة - حاولت

أحداهما أن تمسك بها اِستعدادًا للحقن وأخذت الأخرى تجمع ببقايا الأوراق وتعرضها على الطبيب لتخرج من عينيه نظرة حادة إلى الممرضة جعلت عينها تحتضن ببياض هذه الأرض التي تراها -أنت- الآن، لقد أدركت كل شيء من نظرته، أخبرتها عينه دون أن يتحرك فمه عن كيفية دخول هذه الأوراق -الأشياء عمتًا- إلى هنا.

اِتجه بسرعة نحو من تسكن هذه الغرفة بعد أن أعطته الممرضة ما سيمر بجسدها بعد قليل، الأخرى تحاول تثبيتها، فجسدها لم يكف عن الحركة منذ أن رأت ما سيتعمق بها الآن، قدميها تمحو كل ما هو متسخ في الأرض، لون وجهها الذي يشبه لون تلك الغرفة يتحول إلى ما يخرج منك حينما يأذيك نصل سكين ما.

الآن قد جاء موعد الحقن.

- ابعدوا عني، صدقوني كل ده كدب، هو نفسه كدب، أنا مش مجنونة صدقوني، أنا مش مجنونة عشان تعملوا فيا كدا، أنتوا كمان كدابين، ابعدوا عني، أنا عايزة حبيبي، حبيبي مبيكدبش عليا، ابعدوااا عنيييي.

* * *

(غرفة رقم ٧٧)

- بجد!! مفاجأة إيه!! أوعي تقول إنك مش هتقولي دلوقتي، والله أعيط!!

قالتها ذات الرداء الأبيض الخاص بمرضي هذا المشفي، ليرد مبتسمًا وهو يتأمل وجهها في هدوء:

- لأ متخافيش، هقولك دلوقت.

انطلقت سعادتها راكضة كطفلة صغيرة تركض نحو دميتها لتحملها وتلقيها بين أحضانها، لترد بعين لامعة:

- طب يلا بقى قول بسرعة.

قالتها وكأنها قد نست كم يكون عُمرها، فهي دائمًا تعشق كونها طفلة لا تكبر منذ انتقالها من عالم الرحم إلى عالم الأرض، ترعبها تجاعيد الشيخوخة الكثيرة، وكيف يتحول الإنسان إلى شخصًا آخر بمرور عمره، لا تتصور نفسها صاحبة العصا الخشبية التي يمتلكها كبار السن في هذه المرحلة من العمر، الفزع بالنسبة لها يتمثل في ظهور بعض الخصلات البيضاء بين شعرها، لذا فتجدها دائمًا تحتضن بدميتها التي تراها -أنت- معها الآن، ورغم كل ذلك،

لم تستطع أن تحيا طفلة في حياتها يومًا واحدا، بل كانت بمثابة رجلا مع الجميع، ذلك فقط لأن قبح الجميع لم يضع لها اختيار أخر، فلو كانت أخرجت هذه الطفلة من خلف قضبانها، لقتلت برائتها في ثوان.

- ماشي يا ستي، بصراحة كدا أنا قررت أغير اسمك، هسميكِ اسم جديد، وهبطل اندهلك باسمك القديم ده.

عقدت حاجبيها لما سمعته منه الآن، لتبدأ حينها في السير بطريق الحزن «القفش»:

- هتسميني اسم جديد!! وكمان هتبطل تندهلي باسمي القديم؟ ليه هو أنا اسمي وحش، بطلت تحبه يعني!!

اقترب منها محدقًا في عينها، ثمَّ قال مؤكدًا:

- اللي يقول علي اسمك وحش ده يبقى مبيفهمش، ده غير إني بحبه جدًا وأنتِ عارفة، بيحسسني إنك ملكة في نفسك كدا، بس بكل بساطة أنا أناني فيكِ أوي، وعايز أندهلك باسم محدش يقوله غيري، هي دي الفكرة.

تغيرت ملامح وجهها وكأنها لم تسمع ما يزعجها في حديثه منذ قليل لتكمل بكل سعادة بعد ارتفاع صوت التصفيق بأصابعها:

- الله، حلو أوي ده، يعني مفيش حد هيندهلي بالاسم اللي أنت سميتهولي واللي أنت هتندهلي بيه دلوقتي غيرك أنت، وإن اسمي القديم مش وحش زي ما أنت قولت، قصدي زي ما أنا

فكرت يعني، صح؟؟
ليرد على حديثها شاردًا في عيناها الواسعاتين التي يعشقها:
- صح يا ست البنات.
استمرت في حديثها الذي زاد عليه بعض الخجل والتوتر من كلماته:
- طب يلا، قولي بقى إيه هو الاسم الجديد ؟
أخذ أنفاسه بارتياحية، ثمَّ قال بثقة في الاسم الذي اختاره لها:
- جميلة، أنا مش شايف إن اسمك ممكن يكون حاجة غير ده، خصوصًا إن جمالك.
وما أن كاد يكمل حديثه حتَّى بدأ صوت الباب يعلن عن قدوم أحدهم إلى الداخل، مِمَّا جعل صاحبة - ٧٧ - تنتفض من مكانها وكأنه الخوف هو الذي سيفتح باب غرفتها ويدخلها وليس إنسانًا مثلها، مكملة حديثها مع -اللاشيء- حيث هي وحدها في غرفتها، لا يوجد أحدًا، سواها:
- امشي أنت دلوقتي، وبعدين نكمل كلامنا، يلا بسرعة أنا مش عايزة حد يشوفك في الدنيا دي، أي حد مهما كان، يلا بسرعة، هتوحشني.
قالتها وهي تحدق إلى الهواء وكأن أحدًا ما جسد أمامها، ثمَّ جلست على سريرها بوضعيتها المعتادة دائمًا، تستند بظهرها علي وجه الفراش المعدني مع انثناء ركبتيها مثلما يفعل بعض الأطفال

الذين لا يستطيعون الاسترباع، حاضنةً دميتها التي لا تفرقها أبدًا، ثمَّ يفتح الباب.
دخلت الممرضة بوجه ظهرت عليه علامات الاستغراب، وبعين متسعة تبحث عن شيئًا ما في أرجاء الغرفة، ثمَّ قالت صارخة:
- أنت قولتي إيه!! سمعتك بتكلمي حد وبتقوليله هتوحشني، هو كان فيه حد معاكِ هنا؟!
وبسرعة أقدام سارق محترف ألقت بردها عليها هاربةً بوجهها منها:
- حد !! لأ طبعًا، حد مين!! هو أنتوا بتسمحوا لحد يدخل هنا أصلّا، ده حتَّى البيبان. بتئسروها، مش بس بتقفلوها.
وسريعًا ما أنهت حديثها بتلك الجملة التي قالتها وهي تنظر من بعيد إلى شرفتها وكأنها تطمئن علي من قفذ من ذلك الشباك هاربًا، لم تكنْ تدرك جيدًا إنه كان محصنًا بالقضبان الحديدية التي لا يستطيع اجتيازها سوى بعض الحشرات الطائرة، لتستكمل حديثها بشرود:
- أظن إنك جاية عشان الحقنة، مش كدا؟
لترد الممرضة وهي تضغط علي شفتيها مع الاستمتاع بتناول العلكة داخل فمها:
- أه يا ختي كدا.
استمرت ذات الرداء الأبيض في تأمل شباك غرفتها وهي تفكر في

من كان يجلس معها -اللاشيء - لترد على الممرضة بعد أن رفعت ذراع ثوبها الأبيض إلى الأعلى:

- وأنا جاهزة.

جميلة جاهزة في أي وقت ومش هتتأخر.

مش هتتأخر أبدًا.

* * *

(غرفة رقم ٧٠)

- مش مصدقاني!! هكدب عليكِ يعني ولا إيه؟

قالها بشغف وهو يحاول إثبات صدق حديثه، لترد في محاولة لتزيد من غيظه:

- مقولتش كدا، بس بردوا مش مصدقاك، أنا مش عارفة أصلًا أنت إزاي بتكدب واسمك مش وش كدب خالص.

ارتفع صوته قليلًا ونفذ صبره، ليكمل بغضبٍ:

- طب أعمل إيه يعني عشان أثبتلك إني حلمت بيكِ فعلًا؟

ردت وكأنها عادت عشر سنوات إلى الوراء لتصبح طفلة، لقد شعرت بأنها من الممكن أن تفوز عليه كلما زادت من غيظه فيخبرها كيف رآها في منامه:

- تحكيلي الحلم فورًا.

نظر لعينها في تكبر مصطنع ثمَّ قال ليغيظها هو الآن:

- سامحيني معلش، بس مينفعش أحكيهولك خالص.

ردت بهمسة حزن:

- ليه مينفعش؟

استمر في طريقته التي كانت تزيد من غضبها ليقول بابتسامة سخيفة وكأنه يلهو مع طفل ما:

- عشان مش عايزك تتغري في نفسك.

انعقد حاجبيها وازدادت حدة وجهها، ثمَّ ردت بغضب:

- هتغر في نفسي إزاي يعني؟!

استكمل ببرود وهو يغير وضعياته من لحظة لأخرى في سعادة ولهو:

- يعني هتثقي في نفسك، وأنا مش عايزك تثقي في نفسك، عارفة ليه!

لتقول وهي تضربه بقبضة امتلئ الرفق بها:

- ليه يا رذل؟؟

صمت قليلًا وهو يسافر في عيناها شاردًا، ثمَّ قال بصوت تغيرت نبرته إلى الجدية:

- عشان بحبك، بحبك أوي.

قطع حديثه دخول ممرضته الخاصة باندفاع، قائلة وكأنها ارتدت ثوب أمه التي سوف تعاقبه؛ لأنه يتحدث بالهاتف إلى فتاة ما بالليل:

- أنت بتكلم مين!

قالتها وهي تبحث بعينها في أنحاء الغرفة البيضاء وكأنها تبحث عن فأر هارب من قطٍ جائع لا تريده أن يأكله، بل تريد أن تقتله

هي وتشبع غريزة القتل بداخلها، ليرد هو بيقين شديد لما يقول:
- إيه ده !! أنتِ إزاي مش شايفاها، طب إزاي بس أنتِ ممرضة وأنتِ أصلًا نظرك ضعيف وعايزة تكشفي، ما هي قاعدة قدامك أهي؟!
تعجبت من ابتسامته الحقيقية وطريقة حديثه الجادة والواثقة ثمَّ نظرت بسرعة إلى تلك الزاوية التي تقابل اتجاه أصبعه الذي أشار به على من يتحدث عنها ولكنها لم تجد سوى سريره أمامها، مِمَّا جعلها تشعر بأنه قد ضعُف بصرها بالفعل كما أخبرها.
- ها؟ شوفتيها! شوفتي لسة زي ما هي إزاي، أجمل حاجة جت الدنيا دي، هي دُنيتي، طول عمرها جميلة، وعمري ما ندمت إني قولت عليها جميلة أبدًا.
بدأت بسرعةٍ كبيرة في تجاهل هذا الحديث الذي من الممكن أن يجعلها تسكن غرفة بجواره في هذا المبني الكئيب، ثمَّ أخذت تضع الإبرة في مكانها الصحيح من هذه الحقنة اليومية التي يأخذها هو كل يوم في ذلك الوقت، متجهة نحوه في أبعد زاوية في الغرفة لتحقنه أسفل كتفه بقليل أثناء جلوسه على أرض تلك الغرفة، لقد تعود على هذه الوضيعة على الأرض منذ أن ألقوه هنا، لم يذق فراشه بقدر ما تذوق سقيع الأرض، لذا فتجده دائمًا لا يتحرك من مكانه هذا، بالإضافة إنه لم يسمح لنفسه مرة أن يتوقف عن الإشارة إلى من تحدث عنها منذ لحظات، لكن الجميع

لا يراه دائمًا يشير إلى شيء سوى سريره فقط، بينما كان يراها هو جيدًا، تلك التي كانت تلون حياته دائمًا بدون توقف.

تلك التي، كانت.

دُنياه.

دُنياه المرسومة.

* * *

(غرفة رقم ٧)

وُضع على باب الغرفة من الخارج ورقة مربعة بيضاء كُتب
عليها.
«لا يُسمح بالدخول إلي تلك الغرفة إلا للطبيب المعالج ورئيس
الممرضين المتخصص
بمتابعة الحالة،
مُنعت الزيارة نهائيًّا».
Access to this room is permitted only to the »
treating physician and the head of the specialized
,nurses to follow up the case
«.The visit was permanently banned

*   *   *

التنهيدة الثانية

يوجد بأدمغتنا عقول، وتسكن بعقولنا ذكريات عديدة، منها ما يجعل عيناك لامعتان مثل نجوم الليل، ومنها ما يجعلك ترى تلك النجوم منطفئة.

فبماذا سيتذكر عقلك؟

«لأقابلك في بداية جديدة يا صديقي»
هُنا في هذه الأوراق بين يديك تكون البداية الجديدة، عندما يتغير مسار الأرض عن وضعها الطبيعي، عندما يُصبح الليل، ويُعتم النهار، وتسقط الأمطار غاضبة لما سيحدث هُنا، عندما تنظر إلى مرآتك فلا تجد نفسك أمامك، بل تجد وجهًا مشوهًا يعلو جسدًا متعبًا من السير طوال طريقاً ممتلئ بقطع الزجاج الصغيرة - جسدًا منهكًا من السير عاري القدمين - البداية الجديدة هُنا ربما تكون نهايتك وربما تكون بداية حياتك، الأمر يعود على ما سوف يختاره عقلك، ومع ذلك سألقي لك بنصيحة صغيرة، إن أردت بعدها أن تكمل قراءة هذه الأوراق فتحمل - معرفة المعرفة - وإذا أردت أن تغلقها مهديًا إياها إلى أحد أصدقائك - الذي تكرهه فقط - فعليه هو تحمل ذلك، وكأن لا شيء قد حدث بالنسبة لك.
- هُنا لن يحدث سوى بعضًا من الإظهار فقط، إظهار كُل ما بك -
هُنا لن تكون «صديقي» ستكون - أنت -
أنت فقط.
الآن ألقيت بنصيحتّى أمامك، دعونا إذًا نرى ذلك الذي سنراه جميعًا شيئًا واحدًا وليس مختلفًا في عين كل شخص، ما سنراه في هذه الغرفة.

كانت بيضاء بطريقةٍ مُبالغ بها، لا يوجد أثر لونًا آخر بجانب الأبيض، طُرزت الستائر بالرسومات البيضاء على القماش الأبيض الذي لا يظهر ما وراءه، أحيانًا كنت أرى الشمس تتشاجر خلف تلك الستائر لعدم استطاعتها دخول تلك الغرفة، أعتقد أن هذا وصفًا كافيًا لغرفتي، فأنا لا أريدك أن تعرف أكثر من ذلك عنها - عني - لكنني لن أبخل عليك بالمزيد يا - أنت - فإليك شيئًا آخر عني.

أعشق تلك اللحظة التي أستطيع الكتابة فيها رغمًا عن تلك الإصابة التي تعلو كتفي في ذراعي الأيسر، تلك الإصابة التي تبقت لي من كل هذا الثراء الذي كنت أعيش فيه، ومع ذلك فأنا ما زالت أعشق نفسي التي هي في علاقة حميمة مع قلمي، فأعظم العلاقات التي رأيتها في حياتي، هي تلك العلاقة بين كاتب مجنون وقلم لا ينقص حبره بسبب جنون ذلك الكاتب، ولهذا فأنا أعشق خروج حروفي قبل أن يأتي الألم سائرًا على قدميه ليضحي من أجلي ويهدي لي بعض الألم الصغير منه، لذا فأنا أكتب لك الآن في هذه اللحظة قبل موعد آلمي، لا تتعجب -أنت- من استطاعتي أن أكتب الآن رغم كل ما أمر به، فالأوراق تأتي إليّ بطريقة خاصة.

أعرف إنك لم تفهم شيئًا مِمَّا قرأت، فما أمامك الآن قد يكون مجرد خرافات لا قيمة لها، أو من الممكن أن تكون مذكرات شابًا فارغ الوقت، أو رجلًا أوشكت الحياه أن تنهيه من هذه الكرة فأتت به

إلى هنا، هكذا قد يكون ما تشعر به الآن، ولكن من الممكن أن تكون أنت نفسك تعرف من أكون أنا، فوضعي ومنصبي في هذه الحياة يجعلانك تعرف من أكون بمجرد لمحك لاسمي - ورغم كرهي الشديد لتلك الشهرة الكبيرة - إلا أن طبيعة عملي كان لها رأي آخر، المفاجأة هُنا هي أنني لن أسمح بلحظةٍ واحدة قد يفكر بها عقلك الكبير في اسمي الصغير جدًا، أرأيت من قبل قارئ ما يبحث عن سارد رواية يقرأها هذا القارئ؟ أعتقد بأنك لم ترَ، لذلك ابتسم، فأنت ستجرب ذلك بنفسك هنا في هذا العالم، سنلعب سويا لعبة لا يدرك حجم سخافتها سوى صانعها -أنا- لعبة خطرة لصق فوق وجهها ذاك التحذير الأحمر:

لا يمارسها إلا من هم «+ ١٠٠».

لعبة كان قانونها الوحيد: «دفن العقل حيًّا» و «إحياء الجنون أبديًّا».

هنا، ستتجرد كل الأسرار من ثيابها.

- ابتسامة لك -

سأكون مجهولًا أمامك رغم أنك ستراني بوضوح، سأكون سخيفًا طوال حديثي معك في هذه الأوراق، ليس لأنني سخيفًا حقًا، فأنا لم أكنْ هكذا يومًا واحدًا، بل لأنني لن أدعك تعرفني حتَّى من حروفي وكلماتي، لن أسمح لطريقة سردي وأسلوبي بأن تكشف جزءًا صغيرًا من شخصيتي.

«وليس هناك طريقة أنجح من أن تكون سخيفًا لكي تخفي حزنك عن العالم».
لكن هذا لا يجعلك تعتقد بأنني مراهقًا صغيرًا يُدعى المأساة والحُزن كل يوم في غرفته، ففي بعض الأحيان أكون سخيفًا بالفعل.
- لنبتسم معًا -
سأكون مثل بعض الشخصيات التي عشقها الجميع عشقًا لا يوصف، فسأكون في بداية التسعينات مثل مثلًا «Dr . Hannibal lecter»
الشخصية التي آداها العبقري الأصلع «Anthony hopikens»
وهي شخصية ذلك الطبيب النفسي اللامع أو بمعنى أدق، آكل لحوم البشر، أو سأكون مثل El « joker» في فترة الألفينات الحديثة.
الشخصية التي أحبها الكثير دون أن يرونها، وهكذا تكون السخافة بعينها، يحبونه لكي يبدون يحبونه فقط أمام الجميع، وكأن القانون سيعاقبهم إذا لم يفعلوا ذلك، الأهم أنني دائمًا ما أرفع القبعة لتلك الشخصية لكونه معترفًا بإجرامه دائمًا - معترفًا بحقيقته - الشخصية التي قدمها الراحل الصغير «Heath Ledger»
سأكون عام ألفين مثل شخصية «Patrick bateman»» في «American Psycho» وشخصية «Norman Bates» في «psycho»عام ١٩٦٠.

سأكون مجسدًا أمامك في كل وقت، سأكون أمامك عندما تدير رأسك لتنظر بالخلف، ستراني أنت في كل زمنٍ مُختلف بثوبٍ مختلفٍ تمامًا عن الآخر، حتَّى أنني من الممكن أنَّ أكون امرأة في بعض الأحيان، ذلك إذا لم أكن رجلًا.

- ابتسامة أخرى وأخيرة من أجلي -

ستراني طفلًا هادئًا شقيًّا.

ستظهر رائحتَّى في كل مكانٍ تذهب إليه وتجلس فيه.

سأكون - أنت -

سأكون - نفسك - لا غير ذلك

ومع ذلك لا داعي للخوف الذي جاء إلى عينك الآن.

هيا أخبرني، ماذا ستفعل إذا قابلت نفسك أثناء سيرك بالطريق؟

- إذا قابلتني -

* * *

أجابت (ورد شعبان) على هاتفها في الساعة الواحدة ظهرًا، قائلة بخوف من المتصل:

- أيوه يا خالد، أنت فين؟

- أنا فين!!

قالها (خالد عبد الله) باستغراب وكأنها لا تعرف تمامًا أي شيء عن الأمر أو كيف يبدو، ليكمل في غضبٍ:

- أنا بقالي أكتر من ساعة واقف قدام المكان يا ورد، كل الناس

تقريبًا حضرت وأنا لسه واقف بره مستنيكِ، لو مش هتيجي عرفيني بدل الوقفة دي.
صمتت لوهلة صغيرة لتلقي في أذنيه ما ستقوله الآن مترددة:
- أنا آسفة يا خالد، والله غصب عني، مقدرتش.
- آسفة!! أنتِ مش جاية فعلًا!!
قالها وكأنه لم يتوقع ذلك الرد بعد كل هذا التأخير، فقد كان يأمل عكس ذلك، ليستكمل في استعجاب:
- مش هتقدري تستأذني من شغلك كام ساعة عشان تبقى جنبي في يوم زي ده، أنتِ شايفة إن شغلك أهم مني؟!
لترد بصوت حزين كشف عن حقيقة مشاعرها، فقد كانت تريد أن تكون معه حقًا، لتقول بيأس:
- والله أبدًا، بس المستشفي انهارده مليانة حالات كتير ومحتاجينا هنا، ولو مشيت انهارده بالذات مش هرجع شغلي تاني.
هدئ صوته وهو يكمل بخفوت وبرود:
- ورديتك خلصت بقالها ساعة يا ورد، وأنتِ قولتيلي إمبارح إنك مش هتروحي الصيدلية انهارده بعد المستشفى وهتبقى معايا، عمتا، خليكِ في شغلك بس لعلمك.
اقترب منه أحد المنظمين المسئولين عن الموعد والمكان قائلًا بطريقة رسمية:
- لو سمحت حضرتك أستاذ خالد عبد الله، الصحفي بجريدة

«الحقيقة عندنا».
أنزل (خالد) هاتفه قليلًا خالقًا وجهها مبتسمًا في ثوان، ثمَّ قال بنبرة أخرى غير التي كانت في الهاتف منذ قليل:
- أيوه أنا يا فندم، فيه مشكلة؟!
- لا يا فندم أنا بس بقول لحضرتك إن الإيفنت هيبدأ كمان ربع ساعة ولازم حضرتك تكون موجود جوه دلوقتي.
ابتسم له بوجه منطفئ، ثمَّ قال ناهيًا الحديث معه:
- حاضر تمام، دقايق وهكون موجود، اِتفضل أنت وأنا هحصلك.
أعاد هاتفه مرة أخرى ليحتضن أذنيه، قائلًا بعد أن ارتدي وجه البؤس وبدل صوته إلى النبرة الكئيبة معها:
- أيوه، ورد ؟!
أنزل الهاتف بسرعة ثمَّ نظر له باستعجاب ليجدها قد أنهت الاتصال بينهما منذ لحظات قليلة، أي منذ أن جاءه الموظف تحديدًا.
- ماشي يا ورد.
قالها وهو يغلق هاتفه بعصبية ليتجه بعدها داخل ذلك المكان الفخم، بينما قد لحق (ورد) ذلك الغضب الشديد لانتهاء بطاريتها أثناء حديثه معه.
- إيه يا ورد مالك؟ في حاجة ولا إيه!!
قالتها إحدى الممرضات من صديقاتها بالمشفى عندما وجدت

حالة (ورد) ساءت بهذه الطريقة، لترد عليها بغضب كبير قائلة:
- موبايلي فصل وأنا بكلم خالد، زمانه افتكر دلوقتي إني انشغلت عنه وقصدت أقفل معاه
لترد الممرضة بعدم وعي وفهم لشخصية (خالد)، قائلة بصوت بارد:
- طب اهدي بس، هو أكيد هيفهم إنه مش بايدك وأنتِ فهميه لما ترجعوا البيت وهو أكيد هيقدر ده.
لترد (ورد) مخرجة بعض مِمَّا بداخلها من خنقة وتعب في أنفاسها الطويلة، قائلة بانعقاد حاجبيها بحزن لإدراكها شخصيته جيدًا:
- مفتكرش، ده كفاية إني سايباه لوحده في يوم زي ده.

* * *

- إزاي بس!! إزاي أسيبك لوحدك يا صادق؟
قالتها (نور سعد) بقدر كل ما يكون بها من حنان تعودت أن تجعله يشعر به دائمًا، ليرد (صادق عليّ) بطريقته التي لم تكنْ طبعه من البداية، بل صنعها مؤخرًا خاصة معها، قائلًا وهو يخفي آلمه وهاربًا من حبها له بالاستخفاف:
- إيه ! لسة بتخافي عليا، ما أنا بقت كويس خلاص يا أستاذة.
رفع كفه في وجهها ليمنعها من الرد الذي يعرفه جيدًا، ليقول بعد أن حفظ طباعها:
- قبل ما تنطقي بكلمة واحدة ، أنا آسف، نسيت إن حضرتك

مبتحبيش حد يقولك أستاذة عشان أنتِ مدرسة فرنساوي وكدا.
ضربت كتفه الضخم بكفها الصغير قائلة:
- أه، مبحبش حد يقولي يا أستاذة، لما أبقى مدرسة تاريخ ابقى قولي كدا براحتك.
ليرد بعد أن أدرك أنه سيدخل في شجار مضحك تعود عليه دائمًا، قائلًا بنفس طريقتها في التمسك بالمعتقدات:
- ومالهم مدرسين التاريخ يا هانم، مش دول النبغة بردوا ولا إيه!!
ظهرت ابتسامتها ثمَّ قالت بمرح:
- الله !! طبعًا نبغة، وأنا كمان أبغي نقوم ندخل دلوقتي عشان منتاخرش على الإيفنت لو سمحت، ممكن ؟
اختفت ملامحه السعيدة بعد جملتها الأخيرة، ثمَّ غير مسار الحديث عن وضعه قائلًا بفقدان أمل:
- هو إحنا لازم نحضر!! يعني أنتِ شايفة إن ده فيه حاجة كويسة ليا!! هتقدر يعني؟
لم تكنْ هي من ردت على هذه السؤال، بل كان لسانها دون شعور منها، لتقول بسرعة دون تفكير:
- بص يا حبيبي.
نظر لها معاقبًا إياها على تلقيبه بهذه الكلمة وكأنها قد سارت على كرامته بحذائها، لتكمل حديثها مصححة ما فعلت بوجهٍ

بائس:
- قصدي يا صادق، أنا معاك في إن أي مرة كان بيجيلك فيها دعوة على حفلات زي دي علشان تتكرم، كانت بتبقى متاجرة من الناس اللي عاملين الحفلات دي، لكن لما شوفت اسم اللي عامل الحفلة دي واتاكدت بنفسي، يخليني أقولك دلوقتي إن المرة دي غير كل مرة.
انعقد حاجبيه مستعجبًا، قائلًا بفضول:
- ليه، هو مين اللي عاملها؟!

* * *

- الدكتور (ياقوت صادق) واحد من أشهر دكاترة الطب النفسي في مصر.
ألقى (نادر سلامة) هذه الجملة بتلك الطريقة التي ما أن تسمعها - أنت - حتَّى تدرك بأن صاحبها لا يعرف كيف يكون طريق «الحديث الجاد» فقد اِتخذ هذا الشاب طريق المزاح الدائم حتَّى في لحظات العقلانية والمنطق.
- دكتور نفسي مرة واحدة، وأنت من امتى بتعرف شخصيات مهمة زي دي.
قالتها «فتاة الأوسكار» في كل شيء بكلماتها التي تجعله يصمت دائمًا، أعرفك على بطلتي المفضلة يا - أنت - وستعلم بنفسك كيف ولما أطلقت على (أميرة إبراهيم) لقب «فتاة الأوسكار» ستدرك

فيما بعد حقيقة أن هذه الفتاة كانت هي الأفضل بالنسبة لي.
- هو أنتِ امتى هتبطلي ترمي بنزين من بؤك، امتى دماغك هتفرق عن كابوت العربية دي بقى!
قالها (نادر) بوجه مغلق بعد أن شعر ببعض الحرج من طريقتها التي تتعامل بها معه دائمًا، لتستكمل (أميرة) بكل جرأة:
- لما حضرتك تنزل منها ومتركبهاش ولا تشوفني تاني أبدًا.
ضغط على شفتيه في سخرية، ثمَّ قال بعد أن أدرك أنه لا مفر من طريقتها فلا بد من العودة إلى المزاح:
- بكره صراحتك.
لترد بسرعة دون تفكير، قائلة بقوة وثقة:
- وأنا بعشقها، قولي بقى، إيه حكاية الدكتور ده؟ وليه جايبني أحضر له حفلة انهارده؟
غير وضعيته داخل السيارة لينظر لها جيدًا، ثمَّ قال بجدية:
- هو مش حضرتك بترقصي باليه بردوا! أهو ده بقى اللي ممكن يوصلك للي أنتِ عايزاه.
حركت رأسها فجأو باستعجاب، ثمَّ قالت بتأمل من عينها في وجهه وتأمل من عقلها في حديثه:
- يوصلني، ليه يعني، يطلع مين ده؟

* * *

امتلئ المكان الفخم بالكثير من الشخصيات الهامة في المجتمع،

أصحاب البنوك والشركات الكبري، كبار الفنانين في مختلف المجالات، التغطية الإعلامية في أرقى مستوياتها، جُهزت المنضدة الطويلة فوق منصة مرتفعة عن الأرض، يجلس أمامها ثلاثة مقاعد راقية وفارغة، يحيط المنصة الكثير من اللوح المرسومة لشخصيات مرموقة ومعروفة، ومناظر طبيعية كثيرة، بجانب اللوحات العبثية والمجنونة لأشياء خيالية وأشخاص يرتدون اللا شيء.

فقد كان هناك شمسًا تبكي لأنها تعيش حياتها محترقة وتضيء بنيرانها كوكبًا كاملًا دون مقابل، وبحرًا يقفذ بأمواجه بقوة ليستطيع الخروج إلى البر وتجربة الحياه خارج الشاطئ، سيندم على فعلته إذا نجح في الخروج، كانت هناك لوحات استطاع البشر من خلالها أن يلمسوا سحب السماء ونجومها، لقد كانوا يشعرون بزرقتها بعد أن أصبح لهم القدرة على الطير، كان هناك بشرا يطيرون، لا يستطيعون فعل أي شيئًا سوى الطير دون أجنحة، لا يستطيعون الخداع ولا يقدرون على صناعة البكاء بإتقان، كان هناك حبا صادق، ووعدًا تمَّ الوفاء به، وإخلاصًا لم يرتدِ ثوب الخيانة مرة.

ولكن كان كل ذلك على اللوحات المرسومة فقط، كل ذلك كان بالألوان.

عودة إلى التجمع الأكبر من الصحفيين والإعلاميين حول رجلٍ وقور يسير في الطريق الخمسين من عمره.

«لو سمحت، ممكن تقولنا إيه الفايدة اللي هتعود على حضرتك من حفل ضخم زي ده ؟».
«طب هل حضرتك هتصرح بأي قرارات مفاجئة انهارده؟».
«وليه كل الشخصيات المهمة جدًا دي موجودة في الحفل انهارده؟».
لم يجد من خرجت له هذه الأسئلة فرصة صغيرة ليرد على سؤال واحد منها، ليرد موقفًا الأسئلة عن التزايد بصوت وقور ثابت:
- اهدوا يا جماعة، متستعجلوش أوي كدا، كل حاجة هتعرفوها كمان دقايق، متخلونيش بقى أحرق المفاجأة اللي مجهزها للناس من وقت كبير، عن إذنكم.
«ابتسم يا - أنت - إنها لحظة لقاء القارئ ببطل الرواية».
- لو سمحت، طب سؤال أخير يا فندم! يا دكتور!!
- يا دكتور ياقوت!!
المقاعد الثلاثة -الفارغة- قد امتلئت بمحتوياتها الآن، على اليمين السكرتير الخاص للدكتور (ياقوت صادق) بينما جلس في اليسار إحدى أعضاء حقوق الإنسان، الجميع يجلس على مقاعده ناظرًا للطبيب المرموق منتظرًا المفاجأة، بينما كان هو يبحث بعينه وسط الحضور عن أحدا ما يريد رؤيته، كانت ملامحه قلقة أثناء بحثه في تلك اللحظة، عينه تتنقل ببطء في كل مقعدًا ليجد أي نتيجة لبحثه، وفجأة.

قطع بحثه جلوس زوجته أمامه في الصف الأول من الحضور، لم يكنْ هذا ما يريد أن يجده، لكنه مضطر أن يوقف البحث عمَّا يريد بسبب ظهورها.
ابتسم الطبيب إلى زوجته ابتسامة شابًا من رجلٍ في عمر الخمسين، ثمَّ اقترب من سكرتيره الخاص على اليمين، هامسًا له وهو يحدق في الحضور بحرص وبحث حذر:
- أكرم، أنت متأكد إنهم هنا؟ وإنهم جم أصلًا ولا لأ؟
ليرد مساعده مؤكدًا:
- طبعًا متأكد يا دكتور، أنا شوفتهم كلهم بنفسي، وكمان كان فيه أكتر من منظم مسئول بس إنه يتابعهم، متقلقش، هما دلوقتي قدام حضرتك وسامعينك كويس أوي.
استمر الطبيب في الهمس قائلًا دون أن تطمئن حبات القلق داخل منه:
- طب وعملت إيه في موضوع كاميرات المراقبة؟
أخفض (أكرم) من صوته ثمَّ قال بحذرٍ:
- اطمن ياريس، رجالتنا هناك دلوقتي بيخلصوا كل حاجة، وعلى بليل بالكتير حياتهم كلها هتبقى قدام السينارسيت بتاعنا عشان يعرف يشتغل.
نظر الطبيب إلى مساعده في محاولة لاطمئنان نفسه، ثمَّ قال بعد أن أخذ أنفاسه عائدًا إلى وضعيته مستندًا على مقعده:

- تمام، يلا نبدأ الحفلة.

*　*　*

ظلام دامس مغلق العينين.
لا مفر.
لا مهرب من المراقبة.
سيجدونك حتَّى وإن عدت إلى رحم أمك.
اقتحم بعض الملثَّمون منزل (أميرة) الفخم الذي لم يتواجد أحدًا به في هذا الوقت سوى الظلام والعتمة، مِمَّا سهل عليهم وضع كاميرات المراقبة الصغيرة في أركان البيت الواسعة والكبيرة، إن كنت لا تستطيع رؤية قطيع النمل إلا نادرًا، فلن تستطيع رؤية هذه الكاميرات ولو بدأت في صناعة مكبرات تيلسكوبية جديدة وضخمة.
بدأ الملثَّمون في وضع الكاميرات في كل ركن من أركان المنزل، التناثر هو الوظيفة القائمة بجهد في هذه اللحظة، في مكتب والدها، الصالة وركن الاستقبال، المطبخ والحمام، غرف النوم كلها احتضنتها الكاميرات والمسجلات الصوتية، وكان الاهتمام الأكبر خاصةً بغرفة (أميرة).
ما زالت الوظيفة قائمة من قبل الأخرون داخل منزل (صادق) الكاميرات والمسجلات الصوتية مرة أخرى، الطابق بالأسفل حيث الصالة والمطبخ وبعض الغرف، والأعلى حيث غرف النوم وغرفة

(صادق) التي نالت الاهتمام الأكبر من الكاميرات، المكان أصبح ممتلئًا بالكاميرات، لم يعد (صادق) بمفرده بعد هذه اللحظة، سيحيا ويتنفس وسيدرك ذلك من سيشاهدونه بالشاشات، أصغر شيء يقوم به شخصُ ما سيرى ويسمع من الآن، الآن قد أصبح منزل (خالد) جاهزًا للمشاهدة، كل شيء يحدث به سيدق طبال الأذن وسيصنع لمعة منيرة بالأعين، غرفة الزوجين سيكون بها ثالث بعد اليوم، البيوت الثلاثة أصبحت جاهزة للتواجد على الشاشات الصغيرة في غرف التحكم المُظلمة.

«ما أعظم أن يكون الجميع تحت موضع نظرك أنت، ما أعظم أن ترى الحقَّائق المُخبأه».

نصيحة لك يا من لا تفهم أي شيء مِمَّا تقرأه -أنت- الآن، سأهمس لك بشيء يجب عليك أن تفعله بسرعة، في ذلك التوقيت الحالي الذي يتحدث فيه معك شخصًا مختلًا مثلي، تفقد غرفتك جيدًا، تفقد حيطانها وأثاثها، فربما، نعم، أحسنت جيدًا، ذلك الذي خطر ببالك الآن، هذا فقط إن كانت حياتك تتطلب أن أراقبك إيها القارئ، حينها كُن جاهزًا بأن ترى حياتك هذه في تلك السطور السوداء، ملابسك وأدواتك، مشاجراتك الدائمة مع أسرتك لاختلاف أزمنة عقولكم، مكالماتك الهاتفية مع ممن تلقبهم بالمقربون لك والذي لا تعرف أنت كم يكون عددهم، سترى غرفتك وما تفعله داخل منها كل مساء، وتيقن جيدًا بأنني أعرفه الآن قبل أن

أراقبك، وبأنه ليس سرك الذي لا يعرفه أحدًا غيرك، ربما لا يعرفه سوانا فقط -نحن الاثنان- أتمنى أن لا تخف من حديثي هذا إيها القارئ، أنا لا أفشي أسرار قرائي، بطريقة واضحة، أفشيها ولكن دون أن أفضح حياتهم، ولكن إذا زارك الرعب حقًا فتخيل الآن بأنني قد أمسكت بيدك لأطمئنك قليلًا، أو لأسير بك إلى غرف التحكم المظلمة، حيث حياتك على الشاشات الصغيرة.

- ابتسامة لك -

* * *

- والآن مع كلمة الإستاذة بحقوق الإنسان، الدكتورة (أماني محمود)

قالها (أكرم) ليقدم الجميع التحية المقدسة لمن سيتحدث بعض قليل، متحدثة الآن صاحبة المبادئ الإنسانية المحفوظة.

- في البداية حابة إني أقول إن شرف كبير ليا إني موجودة انهارده وسط عدد هائل من الشخصيات المهمة في المجتمع، بشكر جدًا الدكتور (ياقوت صادق) إنه سمحلي بالفرصة العظيمة دي، أكيد حضراتكم كلكم مستنيين تعرفوا أنا هنا ليه أو ليه الحفلة دي اتعملت من الأساس.

- ما تخلصي بقى يا حجة، ده إيه اليوم اللي مش راضي يخلص ده يا ربي!

قالتها (أميرة) بصوتٍ منخفض بعد أن بدأ يزورها الملل والخنقة،

ليرد (نادر) قائلًا:
- ما تهدي يا بنتي شوية بقى، دلوقتي الدكتور ياقوت يتكلم ونشوف الحكاية إيه!!
لترد عليه وكأنه تحول فجأة إلى طفلًا رضيع في عينها:
- بس يا بابا، بس ونبي، كمل فرجة يا حبيبي وأنت ساكت.
رد بالصمت وبوجه سعيد لأنها لقبته ب «حبيبي» تجاهل الإهانة والسخرية ولم يهتم سوى بهذه الكلمة، أقسم بأن هذه الشخصية سترهقني طوال الأحداث كثيرًا.
- ولإن الإنسان يستحق الاهتمام الكافي والمتابعة الجيدة لجعل حياته أفضل وأرقى.
استكملت صاحبة المبادئ حديثها، ليقول الطبيب بهمس وبوجه مل من سماع هذه التسجيلات الأُسطوانية:
- كفاية كلام بقى، ما تقولها يا أكرم إنها هتاخد القرشين وخلاص.
استكملت بسعادة وكأنها أحبت صوتها بالميكروفون، لتستكمل بصوت مثلج:
- قرر الدكتور ياقوت صاحب شركات (قوت) للدعايا والإعلان بإنه يكرم بعض المواهب الشابة اللي مقدرتش تكمل مسيرتها الفنية في مصر، ده غير المفاجأة اللي هو محضرهالهم انهارده، واللي هسيبه بقى يقولهالكم هو بنفسه، شكرًا ليكم.
شكرها الطبيب بوجه لم يصدق أنها تبرعت بالمايك من أجله،

في حين ما ارتفعت التحية المقدسة أكثر من اللازم عندما استعد الطبيب للحديث، فصديق الجميع سيتحدث الآن:

- أحب أشكر الدكتورة أماني محمود على كل الكلام اللي قالته دلوقتي في حق الشباب والمجتمع، وأحب أشكر كل الحضور على تلبية دعوة انهارده للحفل اللي أنا شايف إنه مهم جدًا بالنسبالي، وده لأن الموضوع اللي أنا عايز أتكلم فيه اِنهارده شاغلني جدًا بقاله فترة، زي ما كلنا عارفين إن إحنا أصبحنا وفي وقت قصير جدًا في عصر تقدم هائل في كل شيء، سواء في التكنولوجيا أو العمل أو التعليم أو حتَّى الفقر والمرض والكلام، بالذات الكلام ده، بقى فيه تقدم هائل جدًا بين كل الأفراد، المهم وعشان مطولش عليكم أكتر من كدا خصوصًا إني مبحبش المقدمات الروتينية، فنسبة لكل التطور الكبير في كل الحاجات دي، فأنا اِنهارده وبعد ما تمَّ الانتهاء من بناء شركتي الجديدة (قوت) قررت فتح باب التوظيف في الشركة دي، للشباب فقط.

جلست كلمته الأخيرة في نفوس بعض الحضور جلسةً لوحظ بها الدهشة والصدمة لما يحدث، حتَّى خروج هذه التحية المقدسة بعد انتهاء الحديث دومًا لم تتواجد هذه المرة، حفلًا ضخمًا مثل هذا لم يتواجد فيه سوى أصحاب الخصلات البيضاء وضعاف الركض والجهد في العمل ويصرح الطبيب بهذا القرار الغريب!! كيف!

«لم يستطع الحضور رؤية الخمسة الجالسين بينهم بعين جيدة، لم يستطعْ أحدهم رؤية أصحاب المستقبل بالنسبة لهم أو أصحاب الأسرار بالنسبة للطبيب».

بدأ يرى الطبيب نظرات البؤس في أعين بعض الحضور الكبار في السن، مِمَّا جعله يبتسم لقراره الذي صرح به الآن، فهو لا يريد أكثر من ذلك، استمر في خلق ما يشعرون به الآن قائلًا بثقة:

- مش هيكون فيه بني آدم واحد خبرة أو من الناس الكبار اللي زي حالاتنا دول، لأ، الشركة محتاجة أكتر من ٣٠٠٠ موظف عشان تطلع بالشكل اللي أنا عايزه، عشان كدا ال ٣٠٠٠ دول هيكونوا شباب وبس، وده كان أول قرار في حفلتنا اِنهارده.

ارتفعت التحية إجبارًا من أجل ذلك الطبيب، ولكن لم يقم الجميع بوظيفة التصفيق، فالبعض تقاعدت أيديهم عن وظيفتها في هذه اللحظة بعد سماع هذه الكلمات المحبطة بالنسبة لهم، فحضور هذا الحفل، لم يعد بالنفع على أي منهم، ولكن لا يتشابه القطيع دومًا في لون الفراء، فقد ظهر فجأة أثناء تحية الطبيب أحد موظفينه الكبار الذي وقف على أصابع قدمه هاتفًا باسمه وهو يصرخ بقوة ليُحَيِّي الطبيب، مِمَّا جعل الدكتور (ياقوت) يقاطعه مبتسمًا:

- أنا بقول شباب بس ياعم عليّ، متتعبش صوتك وريح.

جلس الرجل القديم في حرجٍ بينما خرجت ضحكات الجميع بقوة

لتهدأ بعد ذلك سريعًا استماعًا لما تبقى من المفاجآت:
- أكيد حضراتكم بتسألوا دلوقتي الشركة دي هتقدم إيه أو هتصنع إيه، وهتصدر ولا تستورد ولا حتَّى هتبقى دعايا وإعلان بردوا زي غيرها ولا إيه بالظبط، أحب أقولكم، إنها مش هتبقى ولا أي حاجة من دول، متستغربوش أوي كدا واهدوا، زي مانتوا عارفين كويس أوي إن معظم الحضور اِنهارده مخرجين وممثلين وراقصين ورسامين كبار زي زوجتي العزيزة (قوت إسماعيل) اللي شرفتني وزينت المكان كله برسوماتها اللي أنتوا شايفينها دي.
ابتسمت (قوت) له بخجلٍ واضح وبوجه ما زالت قوة إنارته واضحة رغم الخمسة وأربعون عاما، ثمَّ ظلت تحدق له بحب وعشق وهي تتأمل نجاحاته وقراراته المفاجأة التي لا يشغل باله بنتيجة مغامراته بها.
- عشان كدا قررت، إن الشركة دي، تكون شركة فنية فقط، الشركة دي هتكون بالظبط زي رحم الأم، هي اللي هتطلع كل فنان في البلد دي، وهتظهر كل موهبة هنا، وزي ما قولت، الشباب وبس.
- شوفت بقى إني كان عندي حق إنك تيجي؟
قالتها (نور) إلى (صادق) الذي لم يكن منتبهًا لشيء سوى حديث ذلك الطبيب، ليرد بكلمات لم تأكل اليوم سوى طعام الشك:
- يارب بس كل ده ميكنش وراه حاجة تانية غير إنه يكون مهتم بالمواهب فعلًا، انعقد حاجبيها بشدة، ثمَّ قالت باستعجاب:

- حاجة تانية زي إيه؟!!
ظل يحدق إلى الطبيب بعين تفكر دون أن ينظر لها، ليقول وهو يأخذ أنفاسه:
- معرفش، بس مسيرنا نفهم كل حاجة.
أكمل (أكرم) السكرتير الخاص بالطبيب الحديث قائلًا:
- ودلوقتي الدكتور ياقوت قرر يكرم بعض الشباب الموهبين واللي هيكونوا أحد مديرين الشركة دي، وعلى فكرة دي تالت مفاجأة اِنهارده، لإنهم بردوا ميعرفوش إن تمَّ اختيارهم لإدارة الشركة غير دلوقتي.
ظل (خالد) يستمع لكل ما يقال الآن في استغراب كبير وعدم تصديق ينتابه دوما لكونه صحفيًّا يفكر في كل الأمور بكل الطرق، ناظرًا في هاتفه أكثر من مرة منتظرًا اتصال لن يأتي من زوجته.
- الأستاذ خالد عبد الله، الصحفي بجريدة «الحقيقة عندنا» اتفضل يا أستاذ خالد.
انتفض جسد (خالد) مستعجًبا ثمَّ اتجه نحو المنصة ليتم تكريمه من الدكتور (ياقوت) ناسيًا استغرابه وإنكاره للأمور التي سمعها من الطبيب، لقد ترك عدم تصديقه لما قيل جالسًا مكانه على المقعد، فالجوائز أحيانًا تمحو ما نفكر فيه من تشكيك بالنتائج.
وصل إلى المنصة ليستلم جائزته.
- مبروك يا خالد، أنت هتكون رئيس مجلس إدارة الشركة، واثق

فيك.
قالها الدكتور (ياقوت) بابتسامة قوية، ف(خالد) بالنسبة له من أفضل الاختيارات في هذه اللعبة، أقصد في هذه الشركة.
- اللاعب الرياضي والبطل العداء صاحب الميداليات، صادق عليّ.
لقد نسى ألمه فور سماع اِسمه، بل ربما قد شعر بأن قدماه قد فقدت ألمها تمامًا، فقد أصبح هناك من يقدر موهبته.
وقف (صادق) متجهًا نحو المنصة متعرجًا على قدميه ليستلم جائزته في فرحة كبرى ظهرت في عينه وعين (نور) التي وقفت علي أصابعها وهي تقوم بالتصفيق الحار والمساندة التي اعتادت أن تخلقها منذ أن عرفت (صادق) بينما دُهشت (أميرة إبراهيم) فور سماعها اسم (صادق) باحثة عنه بين المقاعد لتتأكد من صحة الاسم ومعرفتها به.
وبعد ثوان، أدركت الحقيقة التي جعلت عيناها تتسع من صدمتها، إنه هو بالفعل!
خرج (صادق) في فرحة كبيرة جعلته ينسى كل ما مر به، جعلته ينسى آلمه الذي أصبح يسير به دائمًا، حينها تمنت (أميرة) أن تنشق الأرض في هذه اللحظة لتحتسي جسدها دون أن تعيده للحياة مرة أخرى، لقد توسلت للوقت داخل نفسها أن ينتهي بسرعة وينهي هذا الحفل معه حتَّى ترحل من هُنا.
- راقصة البالية.. أميرة إبراهيم.

لم تسمع اسمها جيدًا أول مرة بسبب شرودها في (صادق) إلى أن أعادها (نادر) إلى انتباهها مرة أخرى، ثمَّ أخبرها بالإسراع في استلام الجائزة، وبأنه قد أصبح هناك الأن من يرفع قبعته لقيمتها التي كانت تتمنى أن يقدرها أحدًا.

أجبرت نفسها على تجاهل كل ما فكرت به لتهنئ بما حلمت أن تهنئ به، ثمَّ وقفت بسرعة على أصابعها لا تصدق ما سمعته منذ قليل، فهي لم تدرك أبدًا إنه من الممكن أن يأتي شيئًا جيد ومفيد لها من (نادر سلامة) لتقول بسعادة:

- ده بجد، أنت كنت عارف!!

ليرد (نادر) واضعًا قدمًا فوق قدم وكأن أحدًا أخبره الآن أنه توج بتاج ملكٍ عظيم:

- أي خدمة يا ستي، وظيفة ببلاش أهي، الواحد يشتغل رقاص بقى.

لترد وهي تدفع بقدمه بسرعة متجة نحو المنصة:

- يا أخي اِتنيل.

قالتها راكضةً إلى المنصة بخفة راقصة محترفة ناسيةً بالفعل ما مر بعقلها منذ لحظات دون أن تعطي أي اِهتمامًا له فهي -فتاة الأوسكار- في كل شيء، ليرد (نادر) عليها بعد أن شعر بأنه قد فقد تاج الملك، قائلًا بصوت عالي ربما أزعج بعض الحضور:

- كدا، ماشي، اللي عِلِي عِلِي بقى.

استلمت (أميرة) جائزتها من الطبيب بوجه بشوش وفرح، في حين ما أصبحت هي موضع نظرًا كبير من العداء الرياضي (صادق عليّ)

لقد صعق جسده وعقله وقلبه في أقل من ثانية واحدة، هل هي حقًا؟ أم أنها هلاوس السعادة بالجائزة والتكريم؟ إنها هي بالفعل!!

مرت دقائق ثمَّ وقف الجميع بعد ذلك يُحَيِّي قرارت الطبيب، وأخذ يحدثه ويصوره جميع الإعلامين ملتقطين له صورًا كثيرة، منها صورًا بجانب زوجته (قوت إسماعيل) الذي لم يترك يدها لحظة واحدة بقة وقت الحفل، وصورًا أخرى برفقة موظفيه الجدد (خالد) و(أميرة وصادق) الاثنين الذي لم يتوقف كل منهما عن النظر إلى الآخر أثناء صعودهم لالتقاط الصور، لقد زارت الصدمة كلا منهما دون موعد إلى أن جعلتهما يكملان الحفل بوجه قلق وجسد مهتز وقلب أربكه هذا الظهور، بجانب صعود أيضًا كلًّا من (نادر ونور) ليكونان جزءًا من الصورة الأخيرة التي تجمع بها سبعة أرواح مختلفة.

(ياقوت وقوت) - (صادق ونور) - (نادر وأميرة) - (خالد)

ثمَّان أرواح تعبر عنكم جميعًا، تعبر عن الكُل.

عن « كُلهم..

وحينها، يكون الحفل قد اِنتهى.

* * *

- أنا مش مصدقة، هو اللي حصل ده بجد!!
قالتها (أميرة) حينما خرجت هي و(نادر) من الحفلة بعد اِنتهائها ليرد (نادر) عليها بطريقةٍ لم تتعود عليها منه، قائلًا بطيبة ورزانة:
- أيوه بجد يا أميرة، أنتِ دلوقتي بقتي المدربة المسئولة عن الرقص في شركة هتبقى من أكبر الشركات في مصر الفترة اللي الجاية.
لترد عليه بعين لامعة بالدموع، قائلة وهي تتذكر أشياء مرت:
- يعني خلاص هاخد فرصتي، معتش هقف في وسط الطوابير قدام صالات الرقص عشان أحجز مكان ليا هناك!! معتش هترفض تاني!!
اقترب منها قائلًا بابتسامة وعدم فهم لشخصيتها:
- لأ، أنتِ من دلوقتي، هتبدأي ترفضي وبس، وتختاري اللي علي مزاجك وبس.
دخلا الاثنان إلى السيارة الخاصة ب (أميرة) التي يقودها (نادر) دوما وكأنه أصبح سواقًا أكثر من صديق، لتسكتمل هي حديثها مع (نادر) قائلة باندفاع:
- لا طبعًا، أنا مش هرفض أي حد، مش هكرر كل اللي كان بيتعمل معايا في بني آدم واحد، أنا عايزة أشوف الدنيا كلها بترقص، عايزة أطلع كل الحاجات اللي كنت بحلم بيها، فيهم هما، ومتأكدة إني

هنجح في ده، وإلا مكنش الدكتور ده اختارني، صح ؟
صمت للحظةٍ متأملًا وجهها في خوف وكأنه يريد أن يخبرها بأن الأمور ليست هكذا كما تدرك، ليرد محاولًا تغيير الحديث:
- ماشي يا حبيبتي بس بردوا أنا اللي رشحتك إنك تشتغلي في الشركة وقدمتلك، يعني كان ممكن ميعرفوش عنك حاجة.
ارتفع حاجبيها في تعجب، ثمَّ قالت بعصبية:
- هو أنت هتفضل تذلني وتقولهالي كل شوية ولا إيه، أنا موهبتي هي اللي خلت الرجل اللي جوه ده يختارني يا حبيبي.
ابتسم لكلامها كما تعود، ليرد مستكملًا طريقته معه بمزاح:
- بقى كدا!! عمومًا متشكرين يا ستي، متشكرين إنك مبتفتكريش أي حاجة بعملهالك
أبعدت أنظارها عنه، ثمَّ قالت دون تفكير:
- خلاص بقى أنت هتعيط!!
نظر لها باستعجاب من شدة تزايد حبات الحصى الكثيرة في طريقة حديثها معه:
- هعيط!! فيه إيه يا أميرة ما تخفي طريقتك دي بقى شوية، انزل واسيبك يعني علشان ترتاحي!
أمسكت بذراعه معيدة إياه قبل أن ينزل من السيارة، ثمَّ صمتت لثوان وهي تنظر له بقوة، لتقول وكأنها قد عرفت خطأها:
- هديت! مكنتش أعرف إنك بقيت بتقفش كدا، عمتًا متزعلش.

أبعد أنظاره عنها وهو يمسك بأداة القيادة، ثمَّ قال بوجه ظهر حزنه لأول مرة، وكأن القرد لم يدرك حبسه خلف القضبان منذ أن ولد سوى الآن، ليرد بصوت يريد التصالح أكثر:

- مش زعلان.

اندفعت في وجهه، قائلة بغضبٍ:

- الله، أعملك إيه يعني؟، ما أنا فرحانة يا سيدي، زعلان إني فرحانة؟!

ليرد دون أن ينظر لها بعد أن زادت معدلات الخنقة داخل رئتيه:

- لا يا أميرة أنا مش زعلان، بس أنتِ فعلًا مش شايفة نفسك ولا شايفة أسلوبك عامل إزاي، طريقتك مبتتغيرش ولا هتتغير.

لتقول برفق لم ترسله له مرة واحدة منذ أن عرفته:

- خلاص بقى طيب، طريقتي ومتعود عليها من زمان إيه اللي حصل! طب أنا عندي ليك مفاجأة.

ظل صامتًا بجانبها في محاولة ألَّا ينظر لها ولا يرد بل يكتفي فقط بأخذ أنفاسه والنظر في ساعته:

- ما خلاص بقى ياعم أنت هتتنك!

قالت تلك الجملة التي جعلت الأسد يخرج من عرينه مرة أخرى، ليرد باندفاع في وجهها:

- هتنك!! بردوا، مفيش فايدة يعني!

نفذ صبرها لشعورها بأنها أصبحت تجلس بجانب طفلًا كبير

يحتاج الحرص في الحديث أكثر من هذا، لترد وهي تحاول تصليح الأمور:
- بهزر معاك ياعم خلاص، طب بما إننا بقالنا أسبوعين تلاتة كدا مسهرناش سهرة حلوة، إيه رأيك نخرج سوا اِنهارده نحتفل بالمفاجأة دي؟
وبعد أن كان لا ينظر لها وهي تخبره بهذه الكلمات الأخيرة، أسقط وجهه في عيناها ناظرًا لها وكأنه لم يصدق ما قالته الآن، من الممكن أن يصدقه من مُشغل الموسيقي أو الراديو في السيارة، لكن منها هي!! لا يظن، رد بالصمت من دهشة حديثها بالنسبة له، لترد في تعجب من ملامحه الناظرة لها بعمقٍ:
- سكت ليه؟ مش موافق! خلاص عادي جدًا، متخرجش، هخرج أنا.
ألقت بهذه الجملة ثمَّ اعتدلت في جلستها بمرح ناظرةً أمامها بعد أن كانت تنظر له، ليكسر هو صمته الذي خلقه منذ ثوان، قائلًا حديثه الذي قتل المرح بداخلها:
- أنتِ عارفة إحنا بقالنا قد إيه فعلًا مخرجناش سوا!! إحنا بقالنا شهر مبنعملش حاجة غير إني بعدي عليك كل يوم بدري عشان أقضيلك شوية مشاوير ومصالح.
لقد أقسمت داخل منها أنه لم يمكن (نادر) هو من يتحدث ويخرج هذه الكلمات لها، بالتأكيد أسقطت السماء شخصًا أخر

بدلًا منه وسرقته دون علمها، لم تكنْ تنظر له أثناء حديثه لكنها كانت تنصت جيدًا لما يقول، لدرجة أنها شعرت بما كانت تفعله معه دون علمًا منها وقتها، ليستكمل بنبرة بائسة:

- مفيش مرة قعدنا فيها سوا نبص لبعض من غير ما نتكلم أو نتخانق، لدرجة إني سكت دلوقتي ومردتش عليكِ لما قولتي إننا نخرج عشان خايف فعلًا تكوني بتهزري معايا، ومنقعدش سوا فعلًا، الصدمة أدهشتني بجد، عارفة أنتِ مشكلتك إيه يا أميرة، مشكلتك إنك عمرك ما أقتنعتي لحظة واحدة أنك بعيدة عني، شايفة نفسك موجودة بجد وقريبة، ومشكلتي الوحيدة إني لسه بقنع نفسي لحد دلوقتي، بإنك قريبة فعلًا، واني شايفك جنبي.

أخذت تنهيدتها النادرة التي لا تخرج كثيرًا منها، قائلةً باهتمامٍ كان قد أوشك على الانقراض من طباعها:

- طب يلا اطلع، يلا عشان ألحق أجهز عشان منتاخرش على إننا نبص لبعض من غير ما نتكلم أو نتخانق، وعشان تشوفني قريبة منك فعلًا ولا بشتغلك، ولأنك كمان، واحشني أوي.

* * *

جلس (صادق) و(نور) على الأريكة نفسها قبل بداية الحفل، واضعًا عكازه الذي يرافقه دومًا دون أن يتركه على جانبٍ منه، ليصبح جليسًا ثالثًا معهما.

- أنا معتش عارف أقولك إيه يا نور على اللي بتعمليه معايا من

ساعة ما عرفتيني، أنتِ تعبتي معايا أوي، ولسه بتتعبي، بس اللي كل أقدر أعملهولك دلوقتي هو إني أقولك شكرًا، شكرًا لإنك هنا، جنبي.

أخذت تنهيدتها الأولى في تلك الجلسة ثمَّ أمسكت بيده وأخذت ترفعها إلى شفتيها الحمراء لتضع عليها قبلةً صغيرة لم يسمع صوتها من شدة رقتها، وللحظة ما بدأ يشعر وكأن قدمه المصابة بذلك الألم قد شُفيت وتعافت تمامًا مِمَّا هي فيه بسبب تلك القبلة الصغيرة، الآن قد شعر بأنه قد وجد دواءً جيدًا لذلك المرض الذي يعيش بجسده، لكنه فقد هذا الدواء سريعًا.

فسرعان ما عاد يشعر بذلك الألم مرة أخرى عندما بدأ عقله يرسل له بعض الذكريات البيضاء الممزوجة بالأسود، حينها قد شد يده سريعًا من تحت شفتيها، ثمَّ أبعد وجهه عنها بعد ذلك ناظرًا إلى دراجته النارية الخاصة به والتي كانت على مقربةٍ صغيرة من تلك الأريكة، قائلًا بارتباك محاولًا تغيير مسار الحديث:

- حتَّى هي، أنتِ اللي بقتي بتركبيها وبتحسي بيها أكتر مني، لا وإيه!! بقت أنا اللي بركب وراكِ وقت ما بنروح أي حتة، شوفتي إنك طلعتي تعبانة معايا أوي.

اِقتربت منه ثمَّ قالت بحنان وطيبة:

- صادق، ممكن بعد إذن حضرتك يا مساعد رئيس مجلس الإدارة، تبطل تقولي الكلام ده!!

ليرد عليها بعد أن أخرجت منه اِبتسامة صغيرة، مؤكدًا:
- دي الحقيقة يا نور، ولازم أقولها، أنا من غيرك فعلًا كانت حياتي وقفت من زمان، عشان كدا اِسمحيلي أقولك إن أنتِ المحرك الرئيسي في حياتي.
اِنفرد وجهها واتسع كالشمس، لترد بحب بعد أن بدأت تطلق أشعة مضيئة من وجهها:
- وأنا فرحانة أوي بكل ده، فرحانة إني بتعب علشانك وطالع عيني معاك في كل حاجة، فرحانة إني بلف معاك في أي حتة وفي أي مكان تلاقي فيه راحتك وبس، وإني فجأة قلبت راجل واتعلمت سواقة الموتسيكلات علشانك، وعلى فكرة بقى دي حاجة حلوة جدًا مش وحشة زي مانت فاكر، عارف لما ببقى لوحدي وبسوق موتسيكلك بحاول أوي أحط نفسي مكانك، أكره العربيات وأحب كل العجل والموتسكيلات، وقدرت فعلًا أحس بده.
تأمل وجهها كثيرًا أكثر من أي مرة نظر لها بها، منصتًا لها بشدة وهو يتمنى أن يعرف سريعًا بما تشعر به حينها، ليقول بصوت هادئ:
- حسيتي بإيه؟؟
نظرت للدراجة النارية نظرةً غريبة، وكأنها ستلقي الآن شعرًا وغزلًا بها:
- حسيت إني طايرة، شكل الطريق وهو بيجري بسرعة طول

الوقت من غير ما يعرف بيجري من إيه أو ليه!! عواميد النور اللي بتتحول فجأة لنجوم صغيرة بتلمع، نجوم مش بعيدة، لأ، دي قريبة منك أوي وتقدر تطولها وتلمسها، بس عمري ما فكرت أبطل أجري وأنا سايقة وأنزل علشان أطول النجوم القريبة دي، علشان عارفة ومتأكدة إني لو نزلت وحاولت أطولها هكتشف وقتها إنها مكنتش نجوم زي ما كنت شايفها، لأ، دي بتبقى عبارة عن شوية أنوار صغيرة، بس أنتِ بتشوفها مبهرة لأنك بتشوفها بسرعة ومن غير تركيز، عشان كدا عمري ما بطلت أجرى بالموتسيكل، عشان مبطلش أشوف النجوم دي، حتَّى لو كنت عارفة إنها مش نجوم.
أنهت حديثها عن الدراجة وهي تتأمل وجه (صادق) جيدًا وكأنها كانت تخبره هو بكل ما تشعر به نحو الدراجة والأنوار الصغيرة ولكن بطريقةٍ بعيدة لن يفهمها الكثير، ولكن من حظها أن وقعت بشخص ذكي فقد أدرك (صادق) حديثها ليصبح من ضمن هؤلاء الذين فهموا طريقتها، فهمها تمامًا وشعر بها جيدًا، كان ينظر لها طوال حديثها منصتا لكل ما تشعر به وتراه هي بقلبها، إلى أن اِنتهت من إلقاء الشعر وصنع الغزل لدراجته النارية أو -له- ليرد عليها بطريقته المعتادة، قائلًا مع أخذ أنفاسه:
- واضح إني همنعك تركبي الموتسيكل تاني بعد كدا، أصلك بدأتي تحسي بيه أكتر مني، وده خطر
لترد بثقةٍ وقوة:

- متقدرش تمنعني يا صادق، الحاجة دي بالذات متقدرش تمنعني منها، ولا أنت عايز تمنعني من إني أشوف النجوم الصغيرة دي بعد ما اتمنعت من إني أقرب منها؟

فهم جملتها جيدًا ليرد عليها ناصحًا إياها:

- بس دي مش نجوم يا نور، دي حاجات ممكن تإذيكِ لو فضلتي قريبة منها.

أمسكت بيده مرة ثانية ولكن هذه المرة بقوة حتَّى لا يفلتها، لترد عليه بجملةٍ قد أتت من مكانٍ ما داخل قلبها، ربما كان من داخل ثقب عميق داخلها، قائلةً بشغفٍ كبير:

- موافقة، موافقة أتاذي لو الأذى هيكون منها، بس أكون جنبها.

ليرد وهو يحاول أن يحطم تمسكها به في محاولةٍ جديدة لسحب يده منها:

- أنتِ جنبها فعلًا، وأقرب حد ليها كمان.

نظرت لما يفعله بأصابعه ومحاولة تحريره من يدها في حزن واستعجاب، ثمَّ قالت بصوت باكي:

- بس بعيدة أوي يا صادق، أبعد مِمَّا تتخيل، ومش عارفة لحد امتى هفضل بعيدة كدا!

ليقول بعد أن نجح ف كسر اِحتواء أصابعها بيده:

- لحد ما تبطلي جنونك ده وتمشي براحة.

لاحظت استعداده للمغادرة، لتقول بإحباط:

- هنمشي؟!

ليرد مذكرًا إياها بشيء صعقها:

- محتاج أرتاح شوية، وبعدين أنتِ قولتيلي إنك وراكِ حاجة مهمة اِنهارده بليل وعايزة تروحي بدري، مش ناوية تقوليلي إيه هي الحاجة دي بقى؟؟

وما أن سمعت جملته تلك حتَّى تذكرت شيئًا جعلها تشهق من صدمتها، فسريعًا ما قفذت على أصابعها لتفتح عكازه وتساعده على الوقوف ناحية الدراجة النارية ليغادر أن بسرعةِ، قائلة بسرعة فاقت أقدام أرنب بري:

- يلا يلا بسرعة، يلا، امشي بسرعة يا صادق ونبي هتأخر.

اتسعت عيناه من سرعتها وتحركها، ثمَّ قال منفعلًا:

- فيه إيه يا مجنونة هو إيه ده اللي هتتأخري عليه!!

بدأت تساعده في الاستناد على عكازه من جانب، والاستناد عليها من جانبٍ آخر بعد أن حاوطت ذراعه برقبتها لتسير به بسرعة خوفًا من أن تتأخر على ما تذكرته منذ لحظات، لتقول هاربة من الحديث معه:

- بليل بليل، هتعرف كل حاجة بليل بإذن الله يا حبيبي، يلا اركب بقى.

رفع عكازه في وجهها بعد أن كاد يقع من سيرها السريع به، ليقول بعصبية:

- ما براحة يا بت أنتِ هتوقعيني.
ارتفعت ضحكتها بقوة، ثمَّ قالت بهدوء تدرج إلى السرعة ثانية:
- معلش يا حبيبي والله، يلا بقى بسرعة.
حملتهما الدراجة في ثوان، ثمَّ ارتدت (نور) خوذته، بينما نظر لها (صادق) قائلًا بتوتر وخوف:
- والله العظيم يا نور لو اتهبلتي وعملتي أي حركات هبلة من بتوعك لأرمي نفسي وأقول إنك أنتِ اللي رمتيني، إحنا لسه الصبح يعني النجوم بتاعتك دي لسه مطلعتش، بلاش هبل بقى.
صمتت قليلًا وهي تستعد للركض، ثمَّ ردت بمرح واستعداد لإخراج بعض الجنون التي تعملته منه:
- هعتبرك أنت النجوم يا حبيبي، امسك جامد بقى.
تشبث بردائها بقوة بعد هذه الجملة التي أربكته، ثمَّ قالَ محاولًا إخفاء خوفه مِمَّا ستفعله:
- نور، والله هنزل، عشان خاطري يا نور ونبي، يا نووور.

* * *

- دكتور ياقوت، ثانية واحدة بعد إذنك.
قالها المخرج المعروف (بدير السيد) وهو يركض بسرعة باحثًا عن الطبيب (ياقوت) الذي قد وصل هو وزوجته إلى سيارته السوداء المركونة أمام إحدى فروع شركاته، كانت من نوع BMW M٥ والتي يصل سعرها إلى ١١٧,٩٠٠ يورو أي ما يعادل ١٣٩,١٨٩

دولار أمريكي أو ٥٢٢,١١١ ريال سعودي، مبلغٌ بسيط بالنسبة إلى رجل الأعمال الناجح والطبيب النفسي (ياقوت صادق).

(بدير) هو رجل خمسيني، طويل القامة، اِمتلكت رأسه بعض الشعيرات السوداء المختلطة بالقلة البيضاء، عيناه كانت بمثابة الأخت الأكبر لنصل السكين أو السكين نفسه، حدتها أجبرت قلمي على هذا التشبيه القاسي، فقد كانت عيناه جريئتان كجنود الحرب الذي مات بعض أصدقائهم فأقسموا باسترداد حقوقهم، واسعتان بحدقتين ذات رداء أسود لامع، لم يكن يكد أن يخرج صوته الغليظ من تلك البندقية الحنجرية في رئتيه حتَّى تشعر -أنت- في ثوان بأن الحياة أوشكت على الانتهاء لكم الخوف والربكة التي سيلجأن إلى قلبك بعد أن تسمع نبرته، كانت هناك بعض الرعشة في أصابعه اليمنى كشفت عن حالة نفسية شديدة به، حاول إخفائها دائمًا، لكنها كانت تظهر رغمًا عنه، إن كنت قد أنهيت مقابلتك بالبطل الأول للرواية يا -أنت- فالآن تستطع أن تلقي ترحيبك على البطل الثاني، ولكن حاول أن تجعله ترحيبًا حارسًا وحارًا في نفس الوقت، فأنت تتعرف على شخص، لن تتمنى مقابلته في حياتك.

- أهلًا بحضرتك يا أستاذ بدير، فيه حاجة ولا إيه؟!

اِمتلئ رد الطبيب ببعضٍ من القلق الذي لا يشعر به أطباء الحالات النفسية، خاصة إذا كانوا من نوعية (ياقوت صادق)

يعرفون عن مرضاهم ما لا يعرفونه هم عن أنفسهم.
نظر الطبيب إلى زوجته نظراتٍ حرص غير كاملة أثناء حديثه مع ذلك الرجل محاولًا إخفاء ما يدور بينهم، حتَّى أنه حاول أن يتظاهر أمام زوجته بأنه لا يعرف هذا الرجل الذي في الحقيقة هو يعرفه جيدًا، ليرد (بدير) قائلًا بصوتٍ منخفض غاضب:
- حاجة إيه يا ياقوت، هو أنت إزاي تعمل حفلة كبيرة زي دي أو تصرح بقرارات زي اللي قولتها اِنهارده بعد اللي حصل إنبارح؟!!
أمسك الطبيب بذراع المخرج المعروف متقدمًا به خطوتين إلى الأمام في محاولةٍ للابتعاد عن زوجته حتَّى لا تسمعهما، قائلًا في فضول:
- اِتكلم يا بدير، إيه اللي حصل؟؟
صمت المخرج قليلًا وهو يميل برقبته، ليرد بصوت لم يتأثر بما يقوله:
- سامح عبد الحميد السينارسيت الجديد اللي اتفقنا معاه من أسبوع عشان يكتب فيلمنا اللي جاي، لاقوه مقتول في شقته إنبارح بليل.
«ليس كل ما وراء الفضول علمًا تستفيد منه، وإنما قد يكون قنبلةً تم تشغيل مؤقتها الزمني».
- إزاي ده حصل!! أنا متفق معاه إنبارح الصبح إنه هياخد أول عربون من أتعابه في الحفلة اِنهارده.

ليرد (بدير) بعين ضاقت أخذت تحدق بحدة إلى الطبيب، قائلًا بصوت أصدر مصباحة بعض الضوء المظلم:
- وأهو مجاش الحفلة يا ياقوت، شوفلنا بقى حل في الموضوع ده، أنا مش هسمح لأي حاجة تخلي الفيلم ده ميتعرضش، أنت عارف إني بعتمد على كل شغلي في إثبات بعض المعتقدات، المعتقد ده بقى اللي إحنا عايزين نثبته مختلف تمامًا عن كل البسيط اللي قبل كدا، وأنت عارف كويس أوي أنا صرفت دعايا قد إيه على الفيلم ده اللي لسه مبدأش.
أخذ (ياقوت) أنفاسه ثمَّ قال بعد أن فكر قليلًا:
- اطمن، بإذن الله هنلاقي حل للموضوع ده، أهم حاجة بس أبطال الفيلم ميعرفوش أي حاجة عن الموضوع ده، مش عايزين مشاكل وإحنا لسه معملناش أي حاجة، يلا اِمشي أنت دلوقتي عشان قوت متاخدش بالها من حاجة.
مال (بدير) برقبته ناظرًا إلى سيارة الطبيب، محدقًا إلى زوجته بعين ضيقة، ثمَّ قال بابتسامة:
- حقك، سلام مؤقت يا دكتور.
غادر (بدير) الذي ظل مُراقبًا بشدة من (قوت) التي كانت تجلس في سيارة زوجها، كاد الخوف أن يجلس علي وجهها مدى الحياة، لكنها قاومت.
بدأت تنادي (ياقوت) بعد أن شرد قليلاً مُفكرًا في الأمر:

- ياقوت، هتفضل واقف عندك كتير؟؟
احتضنت سيجارته أحضان حذائه ثمَّ ذهب لزوجته التي نادته بعد أن سكن القلق قلبها خوفًا من لقاء (بدير) بزوجها، والذي تبين كثيرًا بأنها تعرفه أكثر من معرفة زوجها به، دخل (ياقوت) إلى السيارة مُخفيًا ما يشعر به ببعضٍ من اللا مبالاة:
- أسف يا حبيبتي، إتاخرت عليكِ.
أمسك بيدها مقبلًا إياها مثلما تعود أن يفعل، ثمَّ اِبتسمت قليلًا لقبلته السريعة والتي شعرت بأنها قد صنعت هذه المرة، فقد كانت مختلفة أو بوضوح شديد، لم تكنْ حقيقية، لترد في قلق متنكر في ثوب الابتسامة:
- إيه يا ياقوت، فيه حاجة ولا إيه !! ومين اللي كان واقف معاك ده، أنا أول مرة أشوفه!
نظر إليها متوقعًا سؤالها ولكن ليس بهذه السرعة، ليجيب عليها محاولًا الإجابة:
- لا يا حبيبتي مفيش حاجة، ده صحفي من اللي كانوا حاضرين الحفلة وكان عايز يعمل لقاء معايا، لكن أنا اِعتذرت له، مكنش يعرف إن حبيبتي معايا في العربية وإني مينفعش أسيبها.
اتسع وجهها مصدومًا، لقد كذب عليها!!
ابتسمت مجددًا ببرود لترد عليه محاولة أن تطمئن نفسها بعدم إخبار (بدير) شيء ما لزوجها قد يغير مسار حياتهم:

- طب ليه بعدتوا أوي كدا، هو قالك حاجة مخبيها عني ولا إيه!!
بدأ يهرب من حديثها إلى سجائره، ليقول دون أن ينظر لها:
- هخبي إيه بس يا حبيبتي، ده صحفي وأول مرة أشوفه اِنهارده، اِنسي بقى، قوليلي صحيح، إيه الحلاوة اللي كنتي فيها اِنهارده دي؟ ده أنتِ كنتي أحلي مني أنا شخصيًّا.
ابتسمت بحدة ثمَّ قالت بعد أن أعجبت بطريقة هروبه:
- ماشي يا دكتور ياقوت، توهني بكلامك كمان، ما هي دي عادتك، دي أخرة الواحدة اللي تحب كاتب.
ابتسم لها في خوف بعد هذه الجملة دون أن يرد ودون أن يترك يدها التي لم يعد يشعر بأنه يمسكها، يدها التي قد فقدت بعض نعومتها واكتسبت بعض التجاعيد الخشنة بدلاً منها، لتقابله زوجته بنفس الابتسامة القلقة والمنشغلة ولكن بشيء مختلف.
الاثنان الآن.
لا ينظران لبعضهما.
بل ينظران فقط إلى ما يخافون منه وما سيحدث نتيجة عنه.

* * *

- ألو، إزي حضرتك يا دكتور عمر؟، بعد إذن حضرتك كنت طالبة منك طلب، ممكن أعتذر عن الشيفت في الصيدلية اِنهارده بس؟
قالتها (ورد شعبان) داخل غرفة تغيير الملابس بالمستشفى وهي تبدل ملابسها سريعًا لترحل من ذلك العمل الذي أصبح زوجها

أكثر من زوجها الحقيقي.
ابتسمت قليلًا بعد أن وافق صاحب الصيدلية التي تعمل بها منتصف اليوم على اعتذارها بالمجيء لأسبابٍ صحية أخبرته بها، ثمَّ خرجت سريعًا من المشفى راكضة، ثمَّ بدأَت تبحث أمامها عن سيارة أجرى تعيدها إلى البيت، حيث أخذت تلقي بجملة واحدة داخل كل سيارة تسير أمامها.
- مصر الجديدة، مصر الجديدة لو سمحت، لو سمحت.
ولكن لا جدوى.

* * *

أطفئ (خالد عبد الله) بسيجارته الغاضبة رقم عشرين في ذلك اليوم السعيد الذي عُين فيه رئيسًا لمجلس إدارة أكبر الشركات التي لم يكن يحلم يومًا بأن يعمل بها، ثمَّ دخل بعد ذلك إلى منزله البسيط في الطابق الثاني بمنطقة مصر الجديدة.
مرت فترة كبيرة وقد تعود على دخول ذلك البيت دون أن ينادي اسم زوجته مثلما كان يفعل في بداية زواجهم، لقد اختفى اِحتضان جسدها بجسده فور دخوله المنزل ليحملها ويدور بها، لقد هاجر هذا العشور منزلهما بلا عودة، لم يعدْ هناك اِطمئنان، لم يعدْ هناك طعام على مائدة واحدة تجمعهما، لم يعدْ هناك حب، كانت حياة رائعة لم يشعر بها من قبل، والمشكلة أنه كان يدرك أنه لن يشعر بأفضل منها في حياته، حياه يملئها اِسم زوجته فقط

«ورد» خاصة وأنها وحدها من قبلت بحمل حياته المتشابكة مثل بيت العنكبوت ووضعها داخل قلبها، وهذا ما لم تفعله عائلته نفسها.

وقف في صالة بيته الصغيرة والذي لاحظ بأنها لم تتغير كثيرًا عما كانت قبل دخول (ورد) هذا البيت، حيث زجاجات النبيذ كما هي فوق المنضدة الصغيرة أمام تلك الأريكة ذات القماش الكاروه النبيتي، بعض الكاسات ملقاه أسفل هذه المنضدة والتي لم يعدْ مذاقها شيئًا غير النبيذ حتَّى وإن وضع بها شرابًا آخر فسيظل مذاقها نبيذًا أيضًا، هل أصبح عملها مهمًا لهذه الدرجة حتَّى تنسى تنظيف بيتها؟

ظل ينظر إلى البرواز اللامع المعلق فوق التلفاز القديم والذي كانت تتوسطه أعظم اِمرأة عرفها (خالد) منذ قدومه إلى تلك الكرة الصغيرة، المرأة التي فعلت الكثير لتزينه بجهد في هذه الحياة

كانت (شروق عبد القادر) والدته، لقد شغله بروازها وصورتها عن النظر إلى ذلك البرواز الآخر الذي يخص صورة حفل زفافه ب (ورد).

فتح (خالد) باب غرفة -تلاقى الأجساد- باندفاع شديد، غضبه الحالي أكبر بكثير من هدوءه الذي كان عليه منذ لحظات بالصالة، فالغرفة ما زالت فارغة ولم تعد (ورد) حتَّى الآن مثل كل يوم،

رنين الساعة القديمة يعلو بالخارج في الصالة مزيدًا غضبه ثانيةً، خرج من غرفته سريعًا متجهًا لرؤية الساعة ومعرفة الوقت الذي هي عليه الآن، وفجأة، خرجت من داخله صرخة وحشية سريعة تعبر عن شعوره الذي اِنتابه في تلك اللحظة، ذلك ليس بأنه قد عرف الوقت، بل لانه لا يستطيع حتَّى أن يعرف كم يكون الآن، فعيناه قد تخلت عنه في هذه اللحظة عندما ضعف بصره منذ أن خرج من رحم أمه، شيء طبيعي يعود على قلة الاهتمام في بعض القرى والأرياف المسافرة بأميال عن المدن، ضعفه لم يكنْ سهلًا، فقد احتل عينيه لدرجة إنه لا يستطيع رؤية الساعة التي هي على مقربة كبيرة منه، بدأت تخرج أنفاسه بكثرة باحثًا ببطء شديد عن نظارته القديمة محاولًا حمل جسده السمين من الوقوع على الأرض.

مرت ثوان على بحثه ثمَّ أضاق عينه قليلًا محدقًا بدقة إلى الأريكة ذات اللون النبيتي حيث النظارة السوداء تجلس هناك في زاوية بعيدة عليها، اتجه نحوها بسرعة متجنبًا التعرقل ومطيحًا بزجاجات النبيذ من أمامه في غضب، ممسكًا النظارة بعنف لتحتضن بعينه بسرعة

لقد عاد النظر، ولكن ليته لم يعد.

وقف أمام الساعة بعين متسعة مصدومة، الساعة لم تتوقف عن رنينها حتَّى الآن وكأنها لا تريد التوقف عن جعله يدرك أن الوقت

قد تأخر كثيرًا.
حيث عقرب الساعة الآن.
ينظر إلى رقم عشرة.

* * *

- الحرف الأول من اِسم (خالد)

لا تشغل بالك بهذ الجملة يا -أنت- فهذه لعبةٌ صغيرة سنلعبها سويًّا أنا و -أنت- لن تفهمها الآن، فتحلى ببعض الصبر.

* * *

نظرت إلى الساعة بهاتفها الصغير لتجدها العاشرة والربع، ذلك ما جعلها تركض على درجات سلم منزلها لتصل إلى باب الشقة في الدور الثاني.
وقفت (ورد) فور وصولها أمام الباب المبنى القديم لتأخذ تنهيدة وصولها الأخيرة بقوة قائلة في نهايتها كلمة «الحمد لله» ربما كان ذلك شيئًا جيدًا قد تعلمته من شخصٍ ما في حياتها، جعلها لا تأخذ تنهيدة واحدة دون أن تلقي بهذه الكلمة في نهايتها.
فتحت (ورد) باب المنزل بهدوءٍ شديد وكأنها تدخل مكانًا لا تملكه، دقات قلبها تزداد أكثر مِمَّا كانت زائدة أثناء ركضها طوال الطريق، فخوفها من (خالد) أكبر من أي شيء آخر.
- خالد، أنت رجع!!
لقد رتبت في عقلها جيدًا ما ستقوله له الآن وتبرر به هذا التأخر

عن البيت، فعدم توقف أي سيارة أجرى واحدة جعلها تركض طوال الطريق من المشفى إلى البيت في محاولة لخلق المبررات والأسباب المختلفة عن كل يوم تتأخر فيه، خمسمائة وخمسون مترًا من الركض بالتأكيد سيكفيها لصنع مبررات جديدة.

- خال.

قطعت عيناها خروج اسمه من فمها عندما وجدت الأرض قد تحولت من لونها الأبيض الطبيعي إلى ذلك اللون الغامق من زجاجات النبيذ الملقاه والمحطمة على الأرض، ولكن لم يصدمها ذلك كثيرًا بقدر ما صدمتها صورة حفل زفافهما التي كانت ملقاه على الأرض بجانب بروازها المكسور، البدايات الرائعة ملقاه أمامها على الأرض الآن، غير معقول أن تكون تلك الفتاة التي تمسك بالصورة الآن هي نفس الفتاة التي تضحك وتسكن تلك الصورة بجانب ذلك الرجل الأنيق التي اِحتضنت يداها بكتفه الذي يعلو رأسها.

«هل يقف الزفاف عند فستانًا أبيض وبذلة سوداء؟ أهذه هي السعادة؟».

هل كانت بداية رائعة حقًا.

هل كانت بداية فقط؟ حتَّى وإن كانت كذلك، هل يعقل أن يموت ما كانوا يشعران به عندما تقابلا لأول مرة؟ أم أن..

«الزواج أحيانًا يكون أحد أسباب قتل الحب».

عقرب الساعة الآن ينظر إلى الرقم الحادي عشر بارتياحية كبيرة دون الشعور بها، ولكن ماذا تريده أن يفعل، يتوقف عن وظيفته الزمنية حتَّى يعود زوجها!

أكثر من سبعة عشر محاولة اتصالًا منها إلى (خالد) انتهت أغلبها بالضغط علي زر «الرفض» منه والباقي تجاهلًا لها، مرت ساعة منذ أن عادت إلى البيت ولم يحدث شيئًا يغير وضعية ما يحدث الآن، الشراب السائل على الأرض ما زال يحتصن بها حتَّى أصبح جزءًا منها، لقد فقدت القدرة على التنظيف من شدة الصدمة، رنين الساعة القديمة لا يكف عن إزعاج آذان من يستمعوا له، لم يعد نصف المرأة الآخر إلى البيت بعد أن غادره غاضبًا، الفتاة التي غيرت وضعية جلوسها إلى النوم على تلك الأريكة صاحبة الذكريات الرائعة بينهما، سحقًا لكل المشاجرات التي تحول الجلوس ومشاهدة فيلما رومانسي بين زوجين إلى جلوس صامت ممل لا يحتوي على قطرة حب، حذائها الرمادي الطويل ما زال محتضنًا بقدميها الصغيراتان فوق الأريكة، لم تخلع ثوبها الثقيل الذي زاد من وزنها كيلوين، فقط، أزالت خمارها السماوي الطويل الذي يغطي أثرًا لجرحًا قديمًا حاد عند رأسها بقليل، ربما كان من أثر سقوط أو اِرتطام قوي، لا يظهر إلَّا عندما تزيل ذلك الخمار فقط، الآن يمكنك رؤية (ورد شعبان) بوضوح، عليك أن تشكرني لأنني سمحت لك بأن تراها هكذا، فمن المستحيل أن

تستطع فعل ذلك بمفردك، لكني لن أكتفي بذلك، فما أريده هو أن تستطع هي الجلوس بجانبك الآن، لا تخشي شيئًا، سأفعل ذلك بسهولة، ذلك إذا لم يكنْ قد حدث يا -أنت- ابتسامة لك.

نظرت (ورد) وهي تحتضن بصورة زفافهما إلى حيطان البيت المشققة قليلًا بالأعلى، حدقة عيناها السوداء ثابتة بشكل جنوني دون حركة.

«إن أردت أن تتذكر شيء قد مر عليه وقت طويل وبوضوح تام، انظر إلى أبعد زاوية في المكان الذي تجلس فيه، حدق جيدًا، لا توقف عينك عن التحديق إلَّا أن تتجمد حدقتها، حينها، سيجسد أمامك مثل حدوثه أول مرة».

عودة إلى زمن مات.

هنا كانت تكمن حقيقتها، في تلك العشر سنوات الماضية قبل زواجها، كانت الفتاة المتحررة (ورد شعبان) قبل أن تكون صاحبة الخمار السماوي الرائع.

شعرها النسيمي الناعم لم يكنْ يترك أحدًا إلَّا وجذبه له، ثيابها الملتصقة فاقت الملصقات الطبية في وظيفة الالتصاق، أخبرك بأن جذابيتها لن يفهمها أي نيوتن ولو كان يتغذى ويتعشى علي العبقرية، بشرة بيضاء مثل السحب، عينان ضاحكتان لم تعرف أي من دروس الحزن والبكاء، شفتين صنفت ضمن عالم الفاكهة التي لم يذوقها أحدًا، جسد نحيف أنوثي أعلن تناسقه بفخر.

اختصارًا، كانت رائعة ومدهشة، «جميلة» هذه قليلة عليها.
تكمن حقيقتها في سنة تخرجها الأخيرة من كلية التمريض بالإسكندرية عندما تطورت علاقتها بذلك الشاب الطويل ذو الشعر الأسود الناعم وعينان سوداوان مثل عينيها تمامًا، إضافة إلى ثوبه الأنيق الثري، كانوا يسمونه ب (چان الدفعة) ولكن كان اِسمه الحقيقي (مصطفى محمود) اسمًا جيدًا بالنسبة لحبها الشديد بالدكتور (مصطفى محمود) العبقري الذي أدهشها تزوجه بالعلم، ورغمًا بأن ثقافتها لم تكنْ بالقدر الكبير إلَّا أنها عشقت ذلك الطبيب لكونه يريد معرفة كل شيء دائمًا، كيف حدث ولما حدث وأين حدث ومتى حدث وماذا حدث بعد حدوثه وماذا ترتب على حدوث ما بعد حدوثه وهل بالفعل قد حدث بعدما سمع ما ترتب على حدوث ما حدث بعد حدوثه.
كانت كذلك أيضًا، تبحث عن كل شيء يملئ ثقوبها الصغيرة، ولكن الفرق بينهما، إنها لم تجد أي أسباب إلَّا بعد أن أدركت حقيقة (مصطفى)
تعرفت (ورد) على ذلك الشاب في العام الثاني من دخولها الجامعة داخل لجان الامتحانات النهائية.
معرفة عظيمة حقًا -ابتسامة لهما-
حيث كان طالبًا لا يعرف شيئًا عن كليته سوى اسمها فقط، يشبهني تمامًا هذا الصعلوق الصغير، كلانا مجتهدان ولكن في

شيء غير ما ندرسه.
تعرف الاثنان على بعضهما عندما أدركا بأنهما متشابهين في الخيبة والوكسة، إلى أن أصبحا مثالًا جيدًا للصداقة، يُقسم الطعام الواحد بينهما الاثنين مثلما يفعل الأخوان الحقيقيين حقًا، يلهوان دائمًا داخل الصالات الترفيهية ويسافران معًا ويفعلَان كل شيء ولكن كا -أخوين- فقط إلى أن أصبحا كذلك بالفعل.
«أخوين حقيقين».
سترى ذلك بنفسك يا «أنت».
وبعد مرور عامين من فترة تخرجهما من الجامعة، أي عندما أصبح عمر (ورد) ٢٦ عامًا، جاء الوقت لكي تبتعد عنه للمرة السادسة.
- مصطفى، فيه حاجة مهمة جدًا ولازم تعرفها.
قالتها ببرود أوقف الطعام بين أسنانه، ثمَّ نظر لها وهو يخرج الطعام ببطئ شديد، قائلًا بصدمة:
- متهزريش!! عريس تاني؟!
لترد بوجه برد وبصوت احتسي بعض من مكعبات الثلج:
- أيوه
وضع طعامه المشتعل بجانبه، ثمَّ قال بضحك:
- طب إيه!! جاية تقوليلي نفس كلام كل مرة!!
نظرت إلى وجهه لتقول مبررة:

- يا مصطفى أنا.
لم يعطيها فرصة لاستكمال حديثها ليستكمل هو بدلًا منها، قائلًا وكأنه أصبح طالبًا جيدًا في الحفظ بعد التخرج:
- أنا دلوقتي هتخطب وهو أكيد مش هيسمح بعلاقتنا دي أبدًا، حتَّى لو سمح وتقبل أنا مش هسمح بده لإني مبقدرش أبعد عنك لحظة واحدة عشان أنت زي أخويا وأكتر، أنا متعلقة بيك جدًا وده ممكن يإذيني ويإذيه وإنك قد إيه بتتوجعي أوي لما تفكري بس إنك تبعدي عني.
اِنكمش وجهها معقودًا بحرج، ليستكمل بصوتٍ خنق:
- لأ يا ورد، أنتِ بتقدري تبعدي فعلًا من غير ما تحسي بأي وجع وبدام بتقدري تعملي ده يبقى أنا مش أخوكي ولا أكتر ولا أي حاجة، أنتِ عارفة أنتِ بتعملي الحركة دي للمرة الكام دلوقتي يا ورد، عارفة دي المرة الكام اللي تيجي فيها وتقوليلي أنا أسفة يا مصطفى أنا لازم أبعد عنك عشان أنا هتخطب ومينفعش تعرفيني، المرة الستة يا ورد، مرتين اتختبطي فيهم لاتنين أصحابي في الكلية وبقوا أقرب مني ليكِ وسابوكِ بعد كدا، والتلت المرات التانيين نصحتك فيهم كلهم وقولتلك بلاش، دي عمرها ما هتكون علاقات تفتح بيت أبدًا وبردوا سابوكِ.
ضغطت على شفتيها ثمَّ قالت بغيظٍ:
- على فكرة يا مصطفى مش كلهم كانوا بيسيبوني أنا كمان كنت

بسيب،،
قاطعها للمرة الثانية بهدوءٍ كبير قائلًا:
- مش فخر على فكرة، متفخريش إنك بتسيبي الناس وبتبعيهم بعد ما كان فيه عشرة وذكريات بينكم.
لترد بصوت خافت صدم:
- أنا ببيع يا مصطفى!!
استكمل حديثه بانفعال:
- أيوه بتبيعي يا ورد ومتسغربيش أوي كدا عشان بتحسسيني إني أوفر، كفاية إنك بعتيني خمس مرات قبل كدا وجاية دلوقتي تبعيني لسادس مرة وتقوليلي متزعلش، جاية تبيعي أخوكي، أنا أخوكي بقى صح!
أدارت وجهها عنه سريعًا لترد بسخافة، قائلة في لا مبالاة:
- لا ده انت أوفر فعلًا.
ليرد باندفاع وعين أدهشت من عدم حرصها لما تقول:
- ورد!!
قفذت على أصابعها بغضب، ثمَّ قالت بعصبية:
- أنا مش جاية أقولك كدا عشان تتعصب عليا وتتخانق معايا على فكرة، لأن أنت ملكش حق تعمل كل ده، وإذا كنت أنا غلطانة فأنا غلطانة عشان جيت وعملت حساب إنك أخويا فعلًا وكان لازم أحكيلك بس الظاهر إنك مطلعتش كدا أبدًا، عن إذنك.

لم تكد تغادر حتَّى أوقفها بكلماته، قائلًا بانتظار أن تلتف لتعطيه أهمية ولو قليلة:
- ماشي يا ورد، امشي، بس قبل ما تمشي هقولك كلمة واحدة بس، أنا بردوا مش موافق عليه، حتَّى من غير ما أعرفه، وعلى فكرة، هيسيبك بردوا، أو أنتِ هتسيبيه، بس عمركم ما هتكملوا.
سمعت جملته تلك أثناء مغادرتها، ثمَّ قتلتها من عقلها برصاصات التجاهل، لترد دون أن تلتفت له معطيةً ظهرها فقط:
- وأنا مخدتش رأيك يا مصطفى.
مرت شهورًا بعد آخر لقاء بينهما، كان قد حقق (مصطفى) بعض أحلامه التي كان يرسمها داخل عقله منذ أن كان صغيرًا، منها أن يكون رجل أعمالًا ناجح وصاحب شركات ضخمة خاصة وإنه لم يكن ناجحًا كافيًا في كليته الطبية، إلى أن تحقق ذلك بالفعل ونجح في افتتاح أول شركة أسماك كبيرة بالإسكندرية سماها «Flowers sea» الاسم الذي لفت انتباه (ورد شعبان) في مجلة شبابية كانت تقرأها صباح انفصالها بخطيبها السادس.
«سيرون إنهم الأصح دائمًا وسترى -أنت- مثلهم تمامًا، فالأعين لا ترى سوى ما تراه فقط».
ذهبت (ورد) إلى فرع الشركة الخاصة -بأخيها- مبتسمةً بشدة عندما وقفت أمام ذلك المبنى الكبير الضخم والذي يملكه شابًا صغيرًا يُدعى (مصطفى محمود)

ولكن إذا سألتني عن سر هذه الابتسامة يا -أنت- سأجيبك بأنني أعتقد أنها لم تكن من أجل روعة هذا المبنى أو نجاح ذلك الشاب الصغير، وإلَّا قد تحركت عيناها بالنظر إلى شيء آخر غير اسم هذه الشركة.

-ابتسامة لها-

- شكلك حلو بالبدلة يا مصطفى.

قالتها (ورد) بهدوء وانخفاض صوتها إلى (مصطفى) الذي جلس علي المقعد أمامها وليس على مقعده الرسمي، ما زال يعاملها بطريقته الطيبة كأخ حتَّى بعد أن عاملته كخادم ينظف أحذيتها كل يوم قبل خروجها.

نظر لها دون أن يرد لتكمل حديثها بعد أن أدركت أنه لم ينسَ ما حدث مؤخرًا، قائلة ببعض الرسمية والشعور بالندم نحوه:

- مبروك إنك حققت حلمك.

ليرد بابتسامة مصطنعة لم تتعود أن تراها منه:

- مبروك ليكِ أنتِ يا ورد، أتمنى تكوني فرحانة في حياتك.

ابتسمت، ثمَّ مالت برقبتها متعجبة وهي تقول:

- وبتبارك لأختك على إيه بقى!

نظر أسفله مبتسمًا ليرد عليها مستعجبًا:

- أخوكي اه، إيه هو مش المفروض فرحك كان من أسبوع ولا إيه!!

لترد بتقطع في كلماتها، قائلة بتردد:

- المفروض بقى، أنا قعدت أنا وسمير نراجع أمورنا مرة واتنين، واكتشفنا إننا منفعش لبعض، فسيبنا بعض إنبارح بليل، بس كدا.
نظر (مصطفى) إلى وجهها بعد أن اتسعت عيناه بشدة، لا يفعل شيء سوى النظر لها، إلَّا أن اهتزت (ورد) وانتفض جسدها من ضحكته المجنونة التي خرجت فجأة والتي اِرتفعت بشدة إلا أن لونت وجهه الأبيض باللون الأحمر، لترد باستعجاب وغضب:
- أنت بتضحك على إيه!!
ليرد وهو يحاول إمساك نفسه عن الضحك:
- معلش أصلك قولتي بس كدا، وكمان هو أنتِ يعني عايزاني أعمل إيه!! أفرح ولا أزعل ولا أوسيكِ على تجربتك الستة ولا إيه بالظبط.
اِنعقد حاجبيها في حزن ثمَّ قالت بابتسامة بائسة:
- لأ متواسنيش يا مصطفى، اضحك عليا بس.
رد على جملتها مؤكدًا:
- على فكرة أنا بضحك فعلًا مبتريقش.
أمسكت بحقيبتها استعدادًا للوقوف قائلة:
- اضحك براحتك يا مصطفى، أنا غلطانة إني جيتلك.
أمسك بيدها فجأة معطلًا وقوفها، قائلًا بغضب بعد أن أعادها إلى مقعدها:

- جيتي ليه يا ورد، ها، لما عرفتي إن اِسمك محطوط على الشركة، ولا جاية تقوليلي إن فيه حاجة حصلت ولازم أعرفها، وإن فيه عريس سابع جايلك، لو جاية عشان كدا فعلًا يبقى تعبتي نفسك يا أستاذة، لإنك مش محتاجة تبعدي، أنتِ بعيدة أصلًا.
قال جملته الأخيرة وهو يلقي بيدها التي أمسكها فجأة، لترد مبتسمة لحديثه:
- طب بدام أنت شايفني وحشة أوي كدا ياللي بتقول إني أختك..
قاطعها بغضب وانفعال:
- متقوليش زفت أختي، أنا بكره الكلمة دي، وطول عمري بكرهها لإنك عمرك ما كنتي أختي لحظة واحدة، وإذا كنا قسمنا الأكل بينا في الجامعة أو خرجنا سوا واتفسحنا شوية وكان فيه بينا حدود مبالغ فيه فده لإني بحبك، أو كنت بحبك مش عارف بقى.
اتسعت عيناها من كلماته، ليكمل بوضوح بعد أن تأمل دهشتها:
- أيوه يا ورد، متستغربيش وتبصيلي أوي كدا، أنا من يوم ما عرفتك وعمري ما شوفتك أختي، بالعكس أنتِ أكتر حد حبيته في حياتي.
استمر في حديثه متذكرًا كل ما مضى حتَّى بدأ يزداد غضبه ويعلو صوته فجأة:
- حد نضيف دخل حياة شخص مقرف عشان يعدله ويغيره، وأنا منكرش إنك قدرتي تعملي ده، أنتِ عدلتيني فعلًا ياورد، بس

بردوا كنتي فاشلة، فاشلة عشان ميلتيني بعد كدا مليون مرة، فضلتي تكرري ده ومستمتعة وأنتِ بتعمليه، تعدليني وتميليني، تعدليني وتميليني، إيييييه!! مزهقتيش!!!!!
وقف مندفعًا في وجهها عند جملته الأخيرة حتَّى اِهتزت معالم جسدها ووضعت يدها قرب وجهها، معيدة خصلات شعرها إلى وضعها بعد مرور الخوف، لترد بصوتٍ منخفض وهي جالسة في مكانها دون حركة:
- وهو أنتِ شايفني غلطانة حتَّى في دي، ليه مقولتليش، ليه فضلت ساكت في كل مرة حد جديد بيحاول يقرب مني، ليه متكلمتش يا مصطفى!!
نظر لها باستعجاب، ثمَّ قال بهدوء:
- أنتِ هبلة صح!!
احتسي وجهها أكواب الغضب لجملته التي شعرت بإهانتها، لترد غاضبة:
- بلاش الطريقة دي يا مصطفى.
رد عليها مقتربًا منها قليلًا، قائلًا بصوت عالٍ ثانيةً:
- أنا أتكلم زي مأنا عايز.
أبعدت يدها عنه محاولة الوقوف والمغادرة مرةً أخرى، حاملةً حقيبتها:
- عديني، أنا ماشية.

دفع بكتفها قليلًا ليعيدها إلى جلستها، قائلًا:
- تمشي!! عايزة تمشي تاني يا ورد؟ هو أنتِ مكفكيش كل المرات اللي أنتِ مشيتي فيها، عارفة يا ورد أنت مشكلتك إيه!! مشكلتك إنك عايزة تفرحي بالعافية، عايزة الفرحة تيجي لغاية رجلك ولو جاتلك فعلًا هتشوفي وقتها مزاجك موافق إنك تختاريها ولا لأ، لكن لأ ياورد، لو فضلتي طول عمرك متخيلة إنك هتؤمري الفرحة تيجيلك وقت ما تحبي وتختاري شكلها ووقتها على مزاجك فأنتِ عمرك حتَّى ما هتلمحي ضلها.
صمتت قليلًا بعد أن طعنها بهذه الكلمات، بينما وقف وراء مقعدها وهو ينظر لها بعد حديثه الذي خلق ابتسامتها الحزينة، لتقول بيأس:
- ومين قالك يا مصطفى إني عمري لمحت طيفها، أو حتَّى عرفت شكلها عامل إزاي، أنت عمرك ما فهمتني يا مصطفى ولا حتَّى كان فيه حد حاول يفهمني مرة واحدة.
استمرت في إلقاء ما حُبس في قلبها أبديًّا، واقفًا هو وراءها ناظرًا لها وهو يخلع ما يسمي ب»البليزر» من فوق جسده ملقيًا إياه بعيدًا دون أن تلاحظه، لتكمل حديثها وهو يكمل إزاله ثيابه:
- من ساعة ما جيت الدنيا دي وأنا بجري في كل حتة عشان ألاقي حد واحد يحسسني إني مش لوحدي، فكرة إنك تتولد ومتلقاش أبوك اللي نفسك تدوق حنانه ولو لمرة واحدة، فكرة

بتوجع أوي، خصوصًا بقى لو راح لربنا أول ما عرف إن مراته
وعشرة عمره ماتت وهي بتولد بنته اللي عمره ما أتمناها تيجي
عشان مبيحبش خلفة البنات، من ساعتها وأنا نفسي أعرف هو
مات فعلًا عشان نصه التاني سابه ومشى، ولا عشان أنا جيتله
الدنيا دي، من يوميها وأنا حاسة إنهم لسه ملبسونيش أي لبس
يغطيني وسابوني عريانة لوحدي.
ظلت حدقة عيناها السوداء ثابتة لا تتحرك وهي تنظر إلى تلك
الزاوية البعيدة دون أن تسقط منها سوى دمعتين ما زالت تجلس
على خدها الأيسر، مقتربًا (مصطفى) منها أكثر قليلًا بعد أن أزال
نصف ملابسه، لتكمل في حزن وبعض الدمع الذي بدأ في المجيء:
- حتَّى كل الرجالة اللي عرفتهم، مفيش واحد فيهم قدر يملي
حفرة الوحدة اللي جوايا ويردمها، لا دول كانوا بيوسعوها كل
يوم أكتر من اللي قبله، لكن أنت والله العظيم يا مصطفى عمري
ما حسيت معاك إني عريانة لحظة واحدة، مصطفسى.
أعلت صوتها فجأة عندما أحاط (مصطفى) بذراعه حول رقبتها
وهو يقترب برأسه منها، لتقف فجأة وهي تزيل دموعها التي
كادت تنهمر بشدة، محاولة أن تدرك صدمتها عندما رأت
(مصطفى) قد أزال ملابسه كلها.
«إذا شعرت بالحزن والشفقة وأنت تكمل قراءة هذه الكلمات،
أكون أنا حينها واقفًا أمام مرآتي مبتسمًا بعد أن أدركت صحة

المقولة التي تقول بأن الطعنات لا تأتي إلَّا من المقربون، حزن سعيد يا «أنت».
- أنت اتجننت !! إيه الزفت اللي أنت عملته ده!
قالتها وهي تخفي وجهها عن النظر له، ثمَّ ركضت فجأة تِجاه باب مكتبه للخروج لكنه لحقها ممسكًا بيدها، ودافعًا بها على الأرض لترطم رأسها بقدم المقعد التي كانت تجلس عليه، الارتطام قد دعى السائل الأحمر لتزيين جبينها الآن، حاولت أن تتماسك وألا تفقد وعيها، لكن الدماء الكثيرة كان لها رأي أخر.
اقترب رجل الأعمال الناجح منها بعدما أغلق باب مكتبه جيدًا، ثمَّ وقف أمامها حتَّى أصبح جسدها بين أقدامه العارية، قائلًا بابتسامة:
- وفرتي عليا كتير يا ورد، أحسن بردوا عشان الموظفين ميحسوش بينا.
الآن سيخرج الوحش الساكن داخل صاحب لقب «الأخ الجيد» قبلات الرأس التي كانت بمثابة هدايا قيمة لها ستنتقل مكانها الآن لتصبح قبلات تتذوق رقبتها، النقطة البيضاء ستلون باللون الأسود بعد قليل، سيتم تلويث الجسد الذي لم يقدر أحد من الرجال التي ربطهم بها دبلتين على فعل ذلك معها، ليفعله الآن المقرب لها، سينطفئ البريق اللامع الآن دون مقاومة حتَّى على إبقائه لامعًا.

فالنور لا يُوضع في مقارنة مع الكهرباء.
والآن.
سيذبل الورد.
قطعت جميع الثياب إلَّا أن أصبحت قمامة على الأرض، احتوى المكتب في ذلك الوقت على جسدين عاريان، إحداهما أزال ثيابه برغبته ولرغبته، والأخر أزيلت ثيابها لأن الأول أراد ذلك، نزيف رأسها يزداد في تزيين وجهها الأبيض، الأحمر هذه المرة لم يكنْ مبهجًا كعادته، لم تشعر الآن سوى بشخص يأكل جسدها بعد أن كان يتقاسم طعامه معها، صوته الوحشي يجعل جسدها يهتز بانتفاضة مرعبة، ذراعيه المتينة تقيد ذراعيها المستسلمة إلى الأعلى في محاولة لإرضاء تلك المرات التي تركته بها، شفتاة الجائعة تحضتن برقبتها التي ملئتها الندبات الزرقاء الصغيرة، اِبتسامتها الحزينة ما زالت مرسومة على وجهها في هذه اللحظة، لكن سرعان ما كانت تختفي تلك الابتسامة لحظة بعد لحظة ليظل حزنها فقط دون اِبتسامة مصنوعة، الآن أدركت بأنها لما تخلق إلَّا لتعيش وحيدة فقط.
«كيف للحياة أن تسير على من يعيشها أوقاتًا طويلة دون أن تسمح له بأن يسير هو ليهنئ بالعيش قليلًا وكأن الجميع تحول إلى طرق تستعد للاستواء».
- زمان قولتلي أول ما أحس بأي حزن أو قسوة أخد نفس طويل

وأقول الحمد لله، دلوقتي عرفت القسوة اللي كان قصدك عليها، عمري ما حسيت معاك إني عريانة لحظة واحدة، والله العظيم يا مصطفى، مصط...

قالت هذه الكلمات بتقطع شديد من لسانها، وبكاء لم يهز شعرة حاجب منه، الآن أدركت بأن كلماتها لم تجدِ بالنفع ولم يقتله الندم.

الآن تشعر بالوحدة بين أحضان ذلك «الأخ».

حدقة عينها السوداء ما زالت ثابتة لا تتحرك، تنظر إلى سقف مكتبه الفخم بالأعلى، حدقة عيناها السوداء ثابتة بشكل جنوني، وفجأة.

اهتز جسدها بانتفاضة مرعبة فور سماع صوت جرس شقتها بعد أن كانت تحدق بسقف الصالة، قائلة بفزع:

- مصطفى!!

* * *

- الحرف الأول من اسم (ورد).

كما قلت لك من قبل.

لا تشغل بالك بهذه الجمل، إنها لُعبتنا مُجددًا مثلما أخبرتك، يجب أن تشكرني كثيرًا فيما بعد يا -أنت- فأنا أعلمك الصبر والانتظار.

* * *

قامت (علياء عبد الله) من جلستها راكضة نحو باب المنزل بعد

سماع صوت الجرس، قائلة أثناء ذهابها إليه:
- حاضر حاضر، چاية أهو، يا بوووي.
وما إن فتحت باب المنزل حتَّى وجدت شقيقها الأكبر أمامها، والذي لم تراه منذ عامين كاملين، حيث كانت حينها في طريقها السادس عشر من عمرها، حتَّى رأته الآن بعد هذه المدة وهي في الطريق الثامن عشر.
ألقت (علياء) باسمه بهمس شديد تأمله هو بابتسامة، لقد اتسعت عيناها بشدة لرؤية من اتخذ لقب «الأب» ولكن منذ سنتان مرت، فقد أصبحت الآن لا تشعر بروعة هذه الكلمة.
ظهرت الابتسامة سريعًا على وجه أخيها (خالد عبد الله) عندما شعر بسعادة شقيقته الصغيرة ليُسرع قائلًا بابتسامة:
- اِتوحشتك جوي يا بنت أبوي.
تركت (علياء) شقيقها يدخل بمفرده إلى المنزل بينما أخذت تركض هي سريعًا نحو غرفة والدتها، قائلة وقد ازداد نبض قلبها من السعادة:
- ياماااا، تعالي جوام، خالد رچع ياما، خالد رچع.
لقد صعقت الأم عند سماع كلمات اِبنتها داخل غرفتها.
كاد وجهها أن يبتسم من الخبر، لكنها قتلت هذه الابتسامة سريعًا.

* * *

- متشكرة.
قالتها (ورد) بتحفظ إلى عامل المكواه الذي أحضر ثياب (خالد) التي لم تعد تجد وقتها لتحضرها هي بنفسها.
لم تكنْ تعشق العمل أكثر من زوجها، لكنها كانت تحتاج للعديد من الأشياء لتنسى ما مرت به
أغلقت الباب بهدوء، ثمَّ خلعت خمارها ثانيةً بعد أن وضعته حول وجهها بإتقان وحرص علي تحفظها الذي خلقته منذ سنتان، أو بمعنى واضح ، لتخفي ذلك الجرح الحاد أسفل رأسها وتمنعه من الظهور تمامًا، فهو أسوء أثر تركه مثقاب الحياة بها.
جلست علي الأرض أمام الباب وهي تحتضن بثياب زوجها، ثمَّ بدأت ترفعها نحو وجهها لتتنفس رائحته، ما هذا الاشتياق التي لم تشعر به نحو أحدًا من قبل؟ هل نتج عن الاشتياق بالفعل؟ أم عن كل هذا التقصير مع زوجها؟
رفعت هاتفها باليد الأخرى الفارعة، محاولة جديدة للاتصال ب (خالد) ولكن هذه المرة لم يتجاهل اِتصالها أو يضغط زر الرفض، لقد تغير الأمر.
«الهاتف الذي طلبته مغلق أو غير متاح، يرجى المحاو....»
قطعت الاتصال سريعًا.

* * *

جلس (خالد) على مقعدٍ صغير في ركنة صالة البيت، ليصبح أمام

والدته التي جلست على المقعد الآخر المقابل له في حالةٍ قد عبرت عنها بنظراتٍ حادة جعلته لا يقدر حتَّى على النظر إليها، والدة (خالد) هي تلك المرأة التي من الممكن أن يقال عنها.
«لم يمت الرجال بعد، ما زال هناك الكثير يعيش هنا، داخل قلب تلك المرأة».
المرآه التي لم تغير ثوبها الأسود منذ وفاة زوجها الشيخ ((عبد الله صالح)) أكبر الأئمة التي ظهروا منذ أعوام كثيرة في أحياء القاهرة القديمة، والذي قبل به والدها بعد محاولات كثيرة في تمسكه بابنته، خاصةً وأن والدها كان أحد كبار حكام القرى الصغيرة بالصعيد، في حين كان الشيخ شابا مدني، لذا فالمعتقدات لم تتشابه، ولكن ربما جاء سبب موافقة أبيها بذلك الشاب هو حفظه للقرآن والتزامه بالصلاة إلى أن جعلهما يتزوجان بعد أن أصبح إمامًا صغيراً بالقاهرة.
- جولي يا أخوي، شغلك في الچريدة عامل إيه؟، هشوفك في التلافزيون متى بجي؟
قالتها (علياء) التي كانت تجلس بينهما على أريكة كبيرة بين المقعدين بعد أن ظلت تنظر لوالدتها وأخيها اللذان قد صمتا تمامًا منذ أن جلسا أمام بعضهما، حتَّى نظرت إليها والدتها بحدة شديدة كأنها لم تكنْ تريدها أن تحدثه أو كأنه غريبًا عنها وليس أخيها، ليرد عليها بابتسامة أخ حنون:

- مش لازم أطلع في التليفزيون يا حبيبتي، أنا بردوا مجرد صحفي مش هبجي مطرب كبير زيك أنتِ يا فنانة.
وقعت جملته على الأم وقعة كوبٍ ساخن على قدميها، ثمَّ بدأت تأخذ أنفاسها بسرعة شديدة ليخرج غضبها إلى الخارج، لقد كانت أنفاسها تخبره بجملة واحدة «أنا لا أطيق وجودك».
ردت (علياء) بطفولة وسعادة مكبوتة داخل هذا البيت:
- يااااه يا خالد يا أخوي، متتصورش جد إيه نفسي أحجج حلمي والناس كلها تسمع صوتي، طب أجولك، أنا سمعت أغنية چديدة حلوة جوي، وحفظتها كمان، هسمعهالك.
بدأت الملاك في الغناء إلى (خالد) الذي حاول الإنصات إلى صوتها ناسيًا ما تفعله والدته الآن:

* * *

تَضِيقُ بِنَا الدُّنْيَا إِذَا غِبْتُمُ عَنَّا * وَتَذْهَبُ بِالأَشْوَاقِ أَرْوَاحُنَا مِنَّا.
فبعْدُكُمِ مَوْتٌ وَقُرْبُكُمُ حَيَا * فَإِنْ غِبْتُمُ عَنَّا وَلَوْ نَفَسًا مُتْنَا.

* * *

أتريد سماع صوتها يا «أنت» ؟ حسنًا لن أبخل عليك بذلك سأحاول أن أجعلك تسمعه جيدًا، كانت الحياة تسير رافعةً رأسها بفخر أثناء سماع صوت تلك الصغيرة، تغيرت المعالم القديمة للمنزل تمامًا، ربما لن أبالغ في الأمر إذا أخبرتك بأن صوتها قد جعل تشققات جدران البيت تحتضن ببعضها ملتحمةً من جديد، ربما

نسيم هواء الشارع البارد قد صعد لسماع صوتها في هذه اللحظة ليشعر بالدفئ، صورة الشيخ (عبد الله صالح) لم تفارق عقل ابنه منذ أن بدأت شقيقته في الغناء الآن، ربما كان يحتاج للشعور بكل ذلك حقًا، تذكر حياته القديمة في هذا البيت الأثري، أخذ يتجسد أمامه كل ذلك الذي لم ينساه يومًا واحدًا، إضافة إلى والدته أيضًا، مالكة المنزل الأول الذي قد عاش فيه -الرحم- قبل أن يخرج إلى هذا العالم ليعيش في بيتين مختلفين، هو يدرك أنها غاضبة منه غضب الذئاب، لكنه في النهاية يدرك أن قلبها حنون ولن يقسو مهما فعل هو، لينتهي شعوره في النهاية بسماع صوت أخته الذي كان قد اشتاق إليه كثيراً.

* * *

نَمُوتُ بِبُعْدِكُمُ وَنَحْيَا بِقُرْبِكُمْ * وَإِنْ جَاءَنَا عَنْكمْ بَشِيرُ اللِّقَا عِشْنَا.

وَنَحْيَا بِذِكْرِكُمُ إِذَا لَمْ نَرَاكُمُ * أَلاَ إِنَّ تِذْكَارَ الأَحِبَّةِ يُنْعِشْنَا.

* * *

كانت (علياء) تغني هذه الأغنية بطريقة مختلفة تمامًا عمَّا قد غنوها قبلها، ربما يعود اختلافها الأول حقًا هو كونها فتاة صعيدية، اِحتضان الفصحى باللهجة الصعيدية في ذلك الوقت، صنع طربا لا تسمعه في أصوات المشاهير جميعهم.

ببساطة.

لقد امتلئت الحياة بها في هذه اللحظة، بعلياء فقط.
- بكفايكِ إكدا، لتكوني خلصتي امتحانات عاد، جومي يلا، اجعدي خلصي مذكراتك يا دكتورة، يلا.
كانت هذه الجملة هي ختام صوت (علياء) مع أخيها، حيث لم تكف والدته عن النظر له طوال استماعه لشقيقته الصغيرة وهي تغني، حيث كانت تستعجب سعادته عندما كان ينصت لها، كانت تقابله بملامح زارها الغيظ والخنقة والغضب الشديد وهي تغني.
«هل عاد إلى هنا بعد كل هذه الأعوام ليجعل ابنتها نسخة مصغرة منه؟ نسخة قبيحة؟ فهي لا تراه إلا هكذا، حتَّى وإن كان قد جاء ليفعل ذلك، فنظراتها له أقسمت بأنها لن تدعه يقوم بذلك».
- ياما، أنا اِتوشحت خالد جوي وعايزة أجعد معاه، المذاكرة ما هطيريش يعني، أنا ذاكرت كتير جوي اِنهارده.
قالتها (علياء) بوجه حزين تأمله (خالد) في يأس من والدته، لترد الأم بصوت قوي وحشي:
- أنا جولتلك جومي أجعدي لحالك، ولو مذاكرتك خلصت، جومي اقعدي قدام المصحف بدل الحديت الماسخ اللي بتجوليه ده، جومي يلا.
صُدم (خالد) ونظر لوالدته باستغراب لما تفعله وكأنه لم يعدْ

يعرف حقًا سببه الحقيقي، ليغير نظرته بعد ذلك إلى أخته، قائلًا بابتسامة:

- معلش يا حبيبتي، جومي أنت ذاكري دلوق، وأنا هچيلك تاني ونقعد سوا براحتنا، يلا جومي

لتقول صاحبة الصوت السارق بصوت سارق حزين:

- لكن أنت واحشني جوي يا أخوي.

اقترب من وجهها قائلًا بحنانٍ:

- وأنت صوتك إحلو جوي، يلا يا حبيبتي قومي، قومي أنتِ ذاكري.

حاول طوال حديثه العودة إلى لهجته التي تربي عليها وهو ينظر لوالدته في كل حرف يخرج منه ليجدها تقابله بابتسامة سخرية يجلس خلفها أحاديث كثيرة يعرفها هو جيدًا، ويدرك أنها جميعا نظرات شماتة وفرح لأنها قد فقد بعض قدرته على إتقان اللغة. اعتدل في جلسته أثناء مغادرة شقيقته التي ظلت واقفة خلف باب غرفتها تنظر لهما بحذر وبخوف مِمَّا قد ممكن أن تفعله والدتها معه، إنها تدرك جيدًا مدى القسوة التي عاشت تكبر بداخلها وأمام عينها كل يوم.

- أنا عارف ياما إني.

قاطعت والدته حديثه سريعًا دون أن تسمع أي شيء منه، لتخرج قولها بصرامة قوية:

- جبل ما تجول أي حاچة يا ابن بطني، راچع ليه بعد كل السنين دي؟
صعق من حديثها الكهربي الذي لم يقترب منه بعد، ليقول بحرج وتوتر:
- يعني إيه راچع ليه ياما!! كإني متوحشتكيش ولا حتَّى كنتي عايزة تشوفيني!!
جهزت رصاصات حديثها لترد وكأنها لا تدرك بأنها تتحدث لابنها:
- ما تبطل بجي حديتك الماسخ ده، لو كنت نسيت كيف تتحدت معاي زي ما ربيتك زمان، فبلاش منيها الطريجة المشكلة دي.
وقف (خالد) من مكانه وانتقل إلى الأريكة الوسطى ليكون على مقربة من والدته، ثمَّ أمسك يدها ليقبلها بابتسامة لكنها لم تعطي فرصة لشفتاة لتصل إلى تجاعيد يدها، قائلًا بعد أن صدم من سحب أصابعها:
- ليه كدا ياما، عملت إيه عشان تعملي معايا كل ده!!
ردت واقفة من مكانها، قائلة باندفاع:
- توك نسيت عاد؟!
تبعها سريعًا في الوقوف محاولًا إرضائها بخلق المعجزات، قائلًا:
- أنا عارف إني مقصر معاكم من زمان ومحاولتش حتَّى اطمن عليكِ وعلى أختي الصغيرة، لكن ده غصب عني، ضغط الشغل هو الل...

قاطعته مجددًا بصوتها الحاد، قائلة ببرود:
- وتفتكر يا أستاذ يا صحفي يا كبير، إن إني أزعل من كل الحديت ده، تبجي متعرفنيش صوح
اقترب منها أثناء ابتعادها عنه محاولًا إقناعها بمسامحته مرة أخرى:
- ياما اللي فات خلاص، عدي وخلص، ليه تفضلي فكرالي حاجة مكنش بإيدي أعمل غيرها.
تحركت خطوتين لتصبح أمام صورة زوجها ذات الشريط الأسود، قائلة بفخر وبصوت عالي أخذ يدق أذن ابنها:
- لا، كان بيدك يا اِبن الشيخ عبد الله صالح، قارئ القرآن وإمام الچوامع وبيوت ربنا، مش إمام الچرايد وأخبار الناس اللي لبست واللي جلعت واللي سرجت وجتلت.
ليرد عليها بعد أن فاض غضبه قائلًا:
- يعني كنتي عايزاني أعمل إيه!! أضحي بحلمي!! عشان إيه!!
لتلقي بالرد عليه دون أن تترد لحظة في إلقاءه:
- عشان متكسرش كلام أبوك، هي دي الرچولة اللي وجعت منك في الطريچ وأنت چايلي هنا
استقبل جملتها بغضب، ليرد بعد أن أدرك أنها بدأت تسير على كرامته:
- بكفياكِ لحد كدا ياما!! أنتِ عارفة كويس إنك خلفتي راچل.

ردت عليه بعد أن عادت إلى مكانه الذي كان يجلس فيه في البداية، قائلة بجدية شديدة:

- عندك حج، خلفت راچل صوح، ولما كبر....

قاطعها مندفعًا قبل أن تستمر في إهانتها له:

- أماا!!

لم تسمح لمقاطعته بإتمام وظيفتها، لتستكمل مستذكرة كل ما قد دُفن منذ سنوات:

- ولما كبر مسمعش كلام أبوه، هچ بعيد عشان يدخل كلية اللاعلام ويبجي صحفي في التلافزيون.

أخفض صوته بهدوء ثمَّ قال ببؤس:

- وإيه الحرام في كدا!! هو حرام إني أحجج حلمي؟!

لترد بعد أن حطم الحزن كل جدران قوتها دون رحمة:

- لا، مش حرام يا صحفي يا كبير، مش حرام إن أحلامك تكسر جلب أبوك، لأجل ما يفوتني وحدي، شايلة هم كبير على صدري وفوج كتافي، وأخرتها تروح تتچوزلي صبية مرضتيش بيها، كسرت كلمتي وكلمة أبوك جبل ما يموت عشان ترضي عجلك ومزاجك، وجاي دلوق، تقول إيه الحرام في إكدا !! لا، الحرام باين جصادك، لكن أنت اللي معايزش تشوفه عشان راضي بعيشتك وسطيه.

حاول ألا يلقي اِهتمامًا على حزنها، ليرد غاضبًا:

- لا ياما، أبويا مِمَّاتش بسبب إني عصيته ومسمعتعش كلامه

وكسرت كلمته، أبويا مات عشان كان مكتوبله يموت في اللحظة دي.
جهزت جملتها التي اِمتزجت ببعض الحزن والبكاء الذي يريد أن يسقط قطراته لكن قوتها في الامتناع كانت أكبر، قائلة وهي تنظر من بعيد لصورة زوجها على الحائط:
- كان مكتوبله جلبه يتعب، ونبضه يخف من خبطاته الصغيرة.
تأمل وجهها المنعقد الحزين، ثمَّ جلس أسفل قدماها ليمسك يدها في محاولة أخرى لإرضائها، لتبدأ حينها سقوط قطراتٍ صغيرة من أعين شقيقته التي تشاهد كل ما يحدث خلف باب غرفتها، ليستكمل (خالد) بحزنٍ:
- حرام عليكِ ياما، متشيلنيش ذنب كبير معملتوش، أنا كان نفسي أحقق حلمي وحلم أبوي في إن يفتخر بيا.
ألقت بجملتها التي جعلته يقف هاربًا من قربه منها خوفًا من أن تصعقه كلماتها:
- وچوازتك بالصبية الممرضة!! كات عشان إيه!! عشان يفتخر بيك بردك؟
اِهتزت عينه أثناء اِبتعاده عنها، ليقول محاولًا الثبات والتماسك:
- وفيها إيه دي!! أنتِ ملاقتيش سبب أصلًا يخليكِ ترفضي جوازتي بيها، أنتِ كنتي رافضة وخلاص، إكدا كإنها معيوبة، وبعدين مأنتِ أهو، رديتي با أبوي رغم إنه مكنش صعيدي، وجدي نفسه

رضالك بيه.
نظرت لعينه من بعيد، قائلة بهدوء وسخرية دون حذر لحديثها:
- وهو أنت كيف أبوك!!
نظر لها مصدومًا ليرد بابتسامة أوشكت على أن تدعو دموعه للسقوط، قائلًا بخفوت:
- الله يسامحك ياما.
وقفت على أصابعها بسرعة مستمرة في حديثها الذي لم تنتهِ رصاصته بعد:
- لا صوح، جولي حاچة صغيرة من الحاچات اللي كات في أبوك وخدتها منيه لما كبرت.
رد بالصمت وبعين لا تقدر على النظر إليها، لقد أوشك على إدراك حقيقة حديثها، هو لا يشبه والده، لتستكمل وهي تبتعد عنه وتسير في أنحاء المنزل لتنشر كلماتها، مستمعًا لها (خالد) وأخته الصغرى:
- معرفش!! طب أسألك أني، جولي حافظ كام سورة في آيات كتاب الله يا خالد يا اِبن الشيخ عبد الله؟
صعقة جديدة رفعت وجهه في عيناها بصدمة ودهشة.
أنزل (خالد) رأسه أسفل قدميه بعد أن صدمته جملته، واضعًا إصبعه على شاربه ممسحًا إياه من عرق الخوف، لقد شعر بأنه لا يحتاج الآن إلَّا لزجاجات النبيذ التي تنسيه عالمه الذي يؤلمه،

لتكمل والدته حديثها بقوة رجلًا يرتدي الجلباب واضعًا العمة على رأسه:
- بردك معرفش، طب بتصلي فروض ربنا كل يوم في ميعادها ولا تكونشي نسيت هي كام فرض من أساسه؟
الصعقة الثانية، أخبرك بأنه إذا كان البرق شخصًا لعرض على هذه المرأة أن يبدل وظيفته معها.
وقعت جملتها موقع صدمة على (خالد) وعلى شقيقته الصغيرة التي ظلت دموعها في الانهمار بشدة وهي تكتم صوتها المتألم بيدها أو بخوفها من والدتها، لتستمر الأم في خلق حالته التي تجعله يرى العالم موجات مزعجة غير مستقيمة:
- بردوا معرفش، طب جولي يا ولدي يا نضيف، تجدر متجربش للحرام واصل!! تجدر تجعد بعيد عن الحشيش وأزايز الخمرة، أجولك أني، لا متقدرش يا سيادة الصحفي، عشان خشمك بدل الحديت بريحة الخمرة المعفنة، بجت زي الزاد والمي، متقدرش تستغني عنيها، جاي تجابل أمك بعد سنتين بحالهم وأنت مش نضيف!! عرفت بجي إنك متشبهش لأبوك غير في شكله وبس، ده حتَّى يمكن شكلك إتغير عنيه والله، جال شبه أبوك جال.
نظر إلى عينها متأملًا وجهها الذي لم يشعر نحوه برحمة صغيرة، ثمَّ قال بصوت كاد أن ينفطر من البكاء:
- هو أنتِ لسه بتعتبري نفسك عندك ابن ولا أنا بيتهيألي؟

قالها (خالد) بعد لحظات صمت وهو يمنع دمعة من عينه من السقوط، محاولًا إثبات جسده واقفًا أثناء ذلك الصراع مع والدته، بينما كانت (علياء) تنظر أسفلها وتشهق بالبكاء لشعورها بالعجز عن الوقوف جانب أخيها، لترد صاحبة الثبات والقوة التي يحتاجها رؤساء الدول أمام شعوبهم، قائلة بقوةٍ:

- بيتهيألك جوي يا ابن بطني، ويكون في علمك، أنتِ بجيت غريب عن البيت ده، وإحنا صعايدة، ميدخلش علينا غريب واصل، عشان إكدا اِنسي إن لسالك أم وبيتّ، وعلياء بالذات لو جربتلها.

اتجهت بسرعة نحو غرفة (علياء) لتحضرها أمامه وهي تبكي بين أحضانها ناظرة لأخيها بحزن وضعف، قد بدأ يخرج صوتها الآن بعد أن أحضرتها أمها، لتكمل والدتهم حديثها منهيةً ذلك الصراع:

- محدش هيجف جصادك غيري أني، كله إلا الدكتورة الكبيرة، فاهم ولا لأ!

اِبتسم لها في سخرية خفيفة، ثمَّ قال وكأنه ينظر إلى نفسه في المرآة، فمأساته في طريقها إلى شقيقته:

- فاهم ياما، موتي حلمها زي ما أنتِ كنتي عايزة تعملي معايا، دخليها كلية مش حابها، أنتِ بس اللي حباها، عشان شايفة إن أي حاجة غيرها غلط وحرام.

نظر لشقيقته بحزن على عدم استطاعته الاقتراب منها وأخذها في

أحضانه، مستكملًا محاولًا إيقاف دموع عينه عن السقوط:
- اكتمي صوتها خالص ياما.
ألقى جملته الأخيرة متجهًا نحو باب البيت بسرعة قبل أن تُخرج والدته ردًا عليه، فلم يعد يقدر على استقبال رصاصات أخرى، لقد تم ثقب جسده بما هو كافي.
وما أن أغلق الباب خلفه بقوة، حتَّى انتفض جسد الأم، وظهر حنانها المقيد، لتحتضن بابنتها بشدة بعد ذلك، محاولةً الثبات على قوتها وتماسكها التي نجحت في صنعها منذ رحيل زوجها وترك ابنها ليحل محله منذ سنوات، ابنها الذي ظل واقفًا أمام البيت وقد سقط من عينيه سيلًا من الدموع لم يخرج منه منذ رحيل والده عنه، ماسحًا شاربه ووجهه مزيلًا دموعه الذي يكرهها، ممسكًا رأسه بقوة التي زاد ألمها كثيرًا، في حين ما ظلت والدته بالداخل محتفظة بتماسكها النادر، تنظر بعينها من بعيد في تفحص وميل رأس لزجاج باب المنزل وهي تشعر بمن سكن رحمها واقفًا بالخارج، مستعيدة تماسكها والتهدئة من حالة ابنتها دون أن تهتز، حتَّى ملامح وجهها التي أرادت أن تُخرج ما تشعر به من حزن، حاولت جاهدةً عدم إظهار ذلك.

* * *

أخذت (نور) تتحرك وتركض بسرعة في أنحاء الصالة بالطابق السفلي في منزل (صادق) كانت تجهز كل ما يتعلق بالحفل الذي

قررت أن تقيمه له بمناسبة المكافأة التي حصل عليها اليوم والتي تعتبر بدايةً جديدة لحياته التي كادت أن تنتهي، كان اِختيار هذا اليوم للاحتفال ب(صادق) اختيارًا جيدًا من (نور) خاصةً وإنه اليوم هو يوم ميلاده، لذا فقد أحبت أن تزيد من سعادته أضعافًا هذا اليوم.

- يلا يا علا بسرعة، أنا حاسة إن صادق هينزل في أي وقت وكل اللي عملناه يروح علي الفاضي.

قالتها (نور) بارتباك وسرعة كبيرة، لترد عليها (علا) شقيقة (صادق) الوحيدة:

- ما تهدي بقى يا بنتي وترتيني معاكِ والله، وبعدين مين ده اللي ينزل!! صادق زمانه دلوقتي بيعرف الجايزة الجديدة على باقي جوايزه القديمة اللي في أوضته، وبعدين أنا مش فاهمة والله أنتِ بتحبيه على إيه ده، ده حتَّى كئيب يا بنتي، إنما أنتِ فرفوشة زيي.

قالتها (علا) وهي تضع كعك الحفلة على المنضدة، في حين ما توقفت (نور) عمَّا كانت تفعله وكأنه قد جُمد جسدها، ناظرةً إليّ (علا) بشدة وهي تفكر في تلك الجملة التي قالتها الآن، هي تعلم جيدًا بأنها لا تقصد شيئًا من جملتها تلك وبأنها تمزح معها دائمًا بهذه الطريقة المرحة، ولكن ما جعل (نور) تفكر في هذا الأمر هو أنها لا تعرف حقًا لماذا تحبه وإلى متى سيظل هذا

الحب مهدرًا بهذه الطريقة؟
«هناك أشياء لا يصلح السؤال عنها ب: لماذا تحبها؟
ذلك لسبب واحد لا غير ذلك، وهو إنك إذا وجدت إجابة أو سببًا لهذه الأشياء التي تحبها، وظلت دومًا تفخر بهذا السبب؛ لأنه قد خلق بداخلك نحو هذا الشيء الذي تتنفسه، وفجأة اختفى هذا السبب الذي كان يسكنك دومًا، حينها ستختفي هذه الأشياء معه، سيموت حبك وكأنه لم يخلق من البداية، وسيبرد هذا العشق الذي كنت ترعاه لكل ما كنت تتنفسه، لذا حاول ألَّا تجد أسباب لحبك، بقدر ما تجاهد في أن تزيد من هذا الحب».
جلس (صادق) مثلما اعتاد أن يجلس دائمًا علي أرضية غرفته بالطابق الأعلى من البيت، نائمًا على ظهره وسط كل الجوائز التي حصل عليها منذ أن أصبح لاعبًا رياضيًّا حتَّى أن توقف عن أداءه لهذه الرياضة، اِستلقي بين هذه الأشياء وكأن أحدًا ما قد أسقطه من السماء ليكون بينها في ذلك الوضع، محتضنًا بصوره الكثيرة لمبارياته التي تمثل له الكثير في حياته، حيث دائمًا ما يفتقد ردائه الرياضي الأزرق الذي أصبح مُحنطًا في دولابه الخاص والذي لم يعد يختلف تمامًا عن أي ثوب عادي بجانبه، حذائه الأزرق التي لم تتركه أرض هذه الغرفة ينتقل من فوقها إلى قدميه منذ لحظة توقفه عن الركض، صوت الجمهور دائمًا ما يتردد في أذنه صائحًا باسمه بقوة وسعادة، ولكن بعد ثوان، يختفي كل ما كان يشعر

به، صوت الجمهور يقل بشدة من طبال أذنه لحظة بعد لحظة دون أن يشعر، إلى أن جاء ذلك الرجل وقتل هذا الشعور وأعاده السمع مرة أخرى، حتَّى أصبح يحدث نفسه داخل منه ويخبرها بأن الطبيب (ياقوت) لم يعيد ثقته فقط بتلك المكافأه، بل أعاده يشعر مرة أخرى بأنه ما زال رياضيًّا.

«ما أسوء اللحظة التي تأتي بها وترى إنجازاتك العظيمة أصبحت ما إلَّا صورًا تذكارية، فهي لحظة يُدهس بها قلبك دون رحمة، ولكنك لم تصبح كفيفًا بعد، ما زلت تري هذه الصور، إذًا ما زال أمامك فرصة حتَّى تحققها مرة أخرى، ما زال من الممكن أن تخرج للنور ثانيةً».

- هو أنا هفضل أرن عليك كت!

فتحت (نور) باب الغرفة بقوة وكأنها تقتحمها ليقطع جملتها موضع (صادق) وهو نائمًا على الأرض لا يشعر بأحد حوله، يرتدي الميداليات الخاصة ببطولاته حول رقبته، محتضنًا بصورة وجائزته التي حصل عليها اليوم من الدكتور (ياقوت).

تجمد جسدها وهي تنظر له وتفكر مرةً أخرى في جملتها تلك.

«لا أعرف حقًا لماذا أحبه وإلى متى سيظل هذا الحب مهدرًا بهذه الطريقة».

ولكن إذا طلب مني وضع سببًا لحبي له، فسيكون دهشتي بتمسكه لذكرياته وإنجازاته الرياضية، لذا، فمن الممكن أن

يتمسك بي أنا أيضًا.

* * *

«هل من الممكن أن يحيا شيء ما قد مات من قبل؟ وهل هو حقًا قد مات بالفعل فيما مضى، أم أننا نحن من نميته لأننا لا نريده حيًّا؟!».

كتبت (أميرة) هذه العبارات داخل مذكراتها اليومية التي تعودت أن تدون فيها ما تشعر به مثلما عودها شخصًا عزيزًا عليها.

أغلقت مذكراتها ثمَّ وضعتها بجانبها وفتحت أول أدراج الحافظة الصغيرة بجانب سريرها وأخرجت شيء ما يشبه الكتاب لكنه لم يكنْ كتابًا، كان بُنيًّا ولا يغطيه أي لون أخر غير ذلك اللون الذهبي الذي حُفر على العنوان بالمنتصف، كان العنوان هو.

(A.S)

ترددت (أميرة) أن تفتح ذلك الشيء بعد كل هذه السنوات على جلوسه وحده في أدراجها السرية، هل تسمح للحياة أن تعيد ما مات مرة أخرى؟

نظرت بجانبها على الحافظة الصغيرة لتنظر إلى ذلك البرواز الذي وضع عليها والذي كان به صورة لها وهي برفقة (نادر).

ظلت عيناها تنتقل من البرواز إلى الكتاب في محاولة اِختيار شيئًا منهما، الماضي أم المستقبل، الحفاظ والإخلاص، أم العودة وإحياء ما قد مات.

«اقرأي الكلام اللي هنا كويس، بحبك».
كُتبت هذه الجملة في الصفحة الأولي من ذلك الشيء الذي فتحته (أميرة) بعد أن بعدت عيناها عن صورتها مع (نادر) لتأتي بالصفحة الثانية لتحتضن أنظارها بصورتها مع (صادق) عودة إلى صاحب الذكريات القديمة، كانوا ينظران لبعض عن قرب في هذه الصورة نظرات عشق يدرس، كُتب أسفل هذه الصورة.
«دي أول صورة اتصورناها سوا، لما أصحابنا -كُلهم- كانوا بيقولوا إنك عاملة شبه السمك متقدريش تعيشي بره البحر، متقدريش تعيشي بره مني».
حاولت جاهدةً أن تخفي ابتسامتها وألا تنظر في الصورة كثيراً حتَّى أتت بالصفحة الثالثة في هذا الشيء الذي تبين بأنه مجموعة من الصور والرسائل التي كُتبت لها بيد (صادق) لم تكنْ تعرف لما قررت أن تقرأه في هذا الوقت بعد كل هذه السنوات، وهل سيقف الأمر عند عودتها تقرأ هذا الشيء ثانيةً ثمَّ ينتهي كل شيء؟ أم أنه سيحدث شيء أخر بسبب ظهوره في حياتها مجددًا؟
استمرت (أميرة) في قراءة ما كتبه لها بعد قرائتها لهذا الكتاب كاملًا في المرة الأولى عندما أهدها إياه، إلى أن أصبح ذكري بعد ذلك، لكنها كانت تقرأه هذه المرة وكأنها ما زالت تتعرف على الحروف والكلمات من جديد، كانت تسمع صوته في أذنيها يسرد ويحكي ما كتبه، لقد كان بجانبها هذه المرة أكثر من المرة الأولى،

ولكنه لم يكنْ شعورًا غريبًا، إنه الاشتياق بعد لحظات من البعد الطويل، الاشتياق لكثير من الكلمات التي تود أن تخبرها لمن يشتاق له قلبك، تود أن تحمل العوائق والأزمنة والمواقف التي كانت سببًا في ذلك البعد وتلقى بها بين كومة من القش المشتعل، تود أن تحطم الألم الكبير الذي نتج عن عدم استطاعتك لإخبار من تحب «وحشتني» ما هو الشيء الذي يستحق كل هذه الأهمية حتَّى يجعلك لا تستطيع النطق بهذه الكلمة؟ لماذا المنع من الاشتياق؟ ولماذا الاشتياق من الأساس إذا كان هناك منع من خروج هذا الاشتياق؟

«أنا مش عارف أكتبلك أي حاجة، فاشل تمامًا في أن أخرج مشاعري على الورق، مبعرفش أوضح اللي أنا حاسه غير وأنا مبرء في عين اللي قدامي، في عينك».

بقالي أكتر من ٣ ساعات عمال بكتب في كلام وأقطعه لدرجة إني خايف النوت تخلص، أول مرة أتمنى إني أبقى كاتب أو مؤلف عشان أقدر أكتبلك اللي أنا عايزه، بس مش مهم، أنا بردوا حاولت.

الصفحة دي بالذات مختلفة أوي عن باقي الصفح اللي هتقرإيها بعد كدا، لأن ربنا وحده اللي يعلم أنا قد إيه كنت صادق أوي وأنا بكتبها، أيوه، صادق كان صادق أوي وهو بيكتبلك يا ست أميرة.

بعترفلك إني اتغيرت أوي من ساعة ما دخلتي حياتي، وإن لو

العلماء صنعوا دلوقتي جهاز لمقارنة حالة الشخصيات قبل وبعد دخول ناس معينة لحياتهم، هتلاقيني كنت بني آدم تاني قبل ما أشوفك وبقت بني أدم تاني خالص بعد ما بقتي معايا، كان بالظبط كان فيه حد راسمني بقلم رصاص، ملامحي كلها بيضة مع شوية شخبطة بالرصاص ده، لحد ما أنتِ جيتي ولونتيني، أحلفلك بإيه بس إني.

ارتفع صوت هاتفها المحمول وهي تقرأ الرسائل لتختفي ابتسامتها التي كانت قد خلقتها تلك الحروف منذ قليل.

- ده مين الغتت اللي بيرن دلوقتي ده؟

ألقت كلماتها بغضب ثمَّ نظرت إلى هاتفها بعصبية، ليظهر اسم، على الشاشة «Nader 8atata» .

- قولت غتت محدش صدقني، مش هرد، مش وقتك خالص يعني.

قالتها بعد أن كانت تتشاجر بمفردها وكأنها كانت ترى (نادر) أمامها ثمَّ ألقت بالهاتف بجانبها، وأمسكت بصاحبة الذكريات مرة أخرى، وما أن بدأت تعود للقراءة ثانية حتَّى ارتفع صوت هاتفها مجددًا في أقل من ثوان.

- أستغفر الله العظيم يارب، نعم، عايز إيه!!

قالتها (أميرة) بعد أن أجابت علي اتصال « Nader8atata» ليرد عليها وهو داخل السيارة الخاصة بها:

- عايز إيه !! حد يرد علي حد كدا بردوا، إحنا بدأنا التناكة من دلوقتي بقى؟!
انعقد وجهها في غضب، ثمَّ قال وكأنه استفزها:
- تناكة إيه يا بني أنت، بتكلمني ليه يا نادر دلوقتي؟
خرج صوته مقموصًا:
- فيه إيه يا أميرة!! بتكلميني كدا ليه، أنتِ لحقتي ترجعي لأسلوبك تاني!
أخذت أنفاسها بشدة ناظرة إلى رسائل (صادق) بشغف ثمَّ وضعتها على الحافظة أمام صورتها مع (نادر)، إنها مقابلة الجماد للجماد.
تحسست بأصابعها الخدش الرفيع الحاد فوق زراعيها، حدثته أوضحت بأنه لم يتسبب فيه إنسانًا مثلها، بل ربما كلبًا أو قط صغيرًا شقي، تجاهلت الخدش في زراعها ثمَّ قالت بهدوء:
- فيه إيه يا نادر؟ حصل حاجة!!
رد عليها بصوت فقد سعادته التي كانت في بداية الاتصال:
- هو مش إحنا متفقين إننا نخرج سوا اِنهارده ولا إيه؟
فكرت قليلًا في الرد، ثمَّ قالت بارتباك وتقطع في الكلمات:
- معلش والله، مش هعرف، غصب عني، تعبانة شوية وعايزة أرتاح من مشوار الصبح ده.
قالتها وهي تحاول أن تجمع الحديث لترد هاربة من هذه المكالمة

وصاحبها، ليقول (نادر) وكأنها لم تغضبه في شيء:
- طب خلاص هجيبلك دكتور وأجيلك دلوقتي.
انتفضت من جلستها لتقول بسرعة وكأن الصحة الجيدة تجمعت داخلها:
- لا لا لا، دكتور إيه مش مستاهلة يعني، هما بس شوية إرهاق وهيروحوا لوحدهم، على فكرة أنا موبايلي ٢ في المية دلوقتي وممكن يفصل شحن.
أخذ أنفاسه بصوت خافت، ثمَّ قال بيأس:
- ماشي يا أميرة، ابقى طمنيني عليك.
أنهت (أميرة) الاتصال قبل أن يكمل جملته ثمَّ أغلقت هاتفها بسرعة وألقت به بجانبها.
- خروج إيه دلوقتي إيه الفضي ده، أنا مش فاهمة والله.
قالتها وهي تمد يدها في اِتجاه الحافظة حيث رسائل (صادق).
ولكن لم تكد تحملها بين أصابعها حتَّى أوقفها فجأة ذلك البرواز الذي ظلت تنظر له بشدة وكأنه يحدثها، محاولة أخرى للاختيار والمقارنة، ولكن لم تختلف النتائج هذه المرة أيضًا.
أبعدت أنظارها عن البرواز بعد أن ساعدها في الاختيار تردد بعض الكلمات في أذنها، كانت،
«وإن لو العلماء صنعوا دلوقتي جهاز لمقارنة حالة الشخصيات قبل وبعد دخول ناس معينة لحياتهم، هتلاقيني كنت بني آدم

تاني قبل ما أشوفك وبقت بني آدم تاني خالص بعد ما بقيتي معايا».
غيرت الوضع الطبيعي للبرواز وقلبته على وجهه ليحتضن بالحافظة حتَّى لا يشغلها، لقد اختفى الحاضر من حياتها في هذه اللحظة، بينما قد أتى الماضي دون جهد.
«أحلفلك بإيه بس إني كنت شخص تاني خالص قبل ما أقابلك، وإنك بوجودك في حياتي موتي الشخص ده، وخلقتي شخص جديد على زوقك، إتعاملتي معايا على إني صلصال تشكليه زي ما أنتِ عايزة، والصراحة، أنا كنت سعيد بتشكيلك ليا».
استمرت في القرآءة ناسيةً كل شيء، ما عدا (صادق)، واستمر (نادر) في الاتصال بها أكثر من مرة لتجيب عليه تلك السيدة قائلةً ببرود دون أن تشعر به:
«الهاتف الذي طلبته مغلق أو غير متاح، حاول الاتصال في وقت لاحق».
أنزل (نادر) هاتفه وهو يحدق بشدة لصورة (أميرة) المعلقة داخل سيارتها بعد أن اقتنع جيدًا إنه لا يجيد فعل أي شيء معها سوى النظر لها ولطريقتها وأسلوبها معه.
النظر لها فقط.

* * *

لم تكنْ هذه الغرفة مثل غيرها في ذلك المنزل الكبير، فقد كانت

مختلفة بدرجة لا يوجد وصف لها، مكتبة كبيرة وضع بداخلها عددًا هائلًا من الكتب المختلفة، وبسبب حجم هذه المكتبة الضخمة فقد أخذت بمفردها حائطًا كاملًا من حيطان هذه الغرفة المربعة الطويلة، المكتب البني الذي طُرز باللون الذهبي والذي وضع في أعلاه مصباح إضاءة صغيرة ينير المكتب فقط، مُشغل الموسيقى المستطيل الذي لا يتوقف أبدًا عن إصدار تلك النغمات حتَّى وإن لم يكنْ صاحب المنزل جالسًا بجانبها ليستمع لها، فقد كان رجلًا موهوسًا بسماع الموسيقى، لا يستطيع فعل أي شيء دون السماع لهذه النغمات، فما إن يفكر عقله حتَّى يشغل سريعًا موسيقى تعطيه القدرة على التفكير، ما إن يشعر بالقلق حتَّى يجعل قلبه يشعر بحالة القلق الكاملة بواسطة تراك موسيقى، كان يدرك أن الشعور الكبير بالقلق يقلل كثيرًا من الخوف، لأنه لم يعدْ يوجد شيء لم تقلق بشأنه في هذا الوقت، فقد فكرت في كل شيء واتخذت قرارًا نحوه، إذًا، لم يعدْ هناك ما تخاف منه، كان ينام هذا الرجل على الموسيقى، يصحو معها ليطمئن بأنه ما زال حيًّا، لم ينسَ أبدًا تلك المرة التي استيقظ فيها دون أن يسمع صوت الموسيقى بجانبه حتَّى أدرك حينها بأنه الآن يحاسب في السماء بعد وفاته، حينها قد أخذ يصرخ بقوة باسم زوجته ليتأكد بأنه قد مات حقًّا أم لا، ولكن ما إن دخلت زوجته عليه مفزوعة حتَّى أخبرته بأن الكهرباء قد قُطعت حينما

استيقظ ولم يسمع نغمات الموسيقى.
كان هذا الرجل هو الطبيب (ياقوت صادق) الطبيب النفسي البالغ من العمر خمسون عامًا، طويل القامة ذو جسد متناسق لاهتمامه بالرياضة بعض الشيء، رياضته المفضلة كانت الإسكواش، خاصة وبأنها لعبة تعتمد على التوقع بمسار الكرة ومسار الخصم والسرعة والتوازن، يعشق استئثاره بالكرة لأطول وقت ممكن أثناء دفعه بها نحو الجدًار ثمَّ عودته له مرة أخرى، لم تكنْ بمثابة مجرد رياضة له، كانت محاولة فهم للخصوم في حياته، لون الزمن بعض خصلات شعره باللون الأبيض، وهكذا كانت لحيته الخفيفة أيضًا، ما أن تنظر إلى عينه السوداء الواسعة حتَّى تشعر بأنك ترى العالم كله في عينه، عينا واسعة حالمة، لمعتها كانت مطمئنة ومخيفة بعض الشيء، الرجل الذي لا يظهر ما يشعر به على وجهه، فإن زاره الخوف في وقت ما لن ترى سوى القوة والتماسك والاطمئنان، وهكذا كانت باقي مشاعره، يظهر عكسها فقط، ربما اِكتسب هذه الصفات النادرة من كثرة الأشخاص الذي عالجها منذ أن عمل بمهنة الطب النفسي، خاصةً، الحالات الخطرة، لم تستطعْ الخمسون عامًا أن تفقد جزءًا بسيطًا من جاذبيته أو جماله، كان منيرًا دائمًا، ذو وجه طيب لا تستطيع أن تكره مهما فعل معك، ربما إن وضع في مقارنة بين كل الشبان المراهقون في العالم، فستختاره كل فتيات هذا الكوكب دون تفكير، ما إن

تسقط عينك في وجه حتَّى تدرك في ثوان أنه عالمًا أو فيلسوفًا مثقفًا، لقد كانت الثقافة جزءًا من ملامح وجهه.

أطفئ (ياقوت) سيجارته في مقبرة السجائر ليتبين أنه أحرق الكثير منها دون أن يدري، ثمَّ استمر في السير داخل غرفة مكتبه ذاهبًا عائدًا مرة وأخرى، نغمات الموسيقى تعلن انشغال عقله بشيء ما، نوع الموسيقى تخبرنا الآن بأن عقله مشغولًا في حفرة التفكير.

أوقف سيره ارتفاع صوت رسالته على هاتفه المحمول والذي جعتله يذهب بسرعة ناحية مقعد مكتبه ليجلس ممسكًا بالهاتف ومتفحصًا « WhatsApp».

كانت من شخص سُجل اسمه «رقم ٤» كتب بالرسالة:

«الكاميرات بقت جاهزة دلوقتي يا دكتور وأنا حولت المشاهدة لحضرتك من جاهز السينارسيت اللي مات لجهازك في المكتب، تقدر دلوقتي تشوف كل حاجة، أي خدمة تانية؟».

قرأ (ياقوت) الرسالة بشغف وقلق لم يظهر عليه، ليرد على الراسل، كاتبًا بأصابع ثابتة:

- متشكر جدًا، لو عوزت حاجة تانية هكلمك.

أنهى محادثته مع الراسل ثمَّ وضع هاتفه بسرعة على المكتب والتفت نحو جهازه الإلكتروني -اللاب توب- ثمَّ أخذ يكتب كلمة السر والتي كانت اِسم زوجته بالإنجليزية، يكره التطويل في كلمات السر للحرص والحذر ويكره نفسه أكثر حينما ينساها، لذا

فلم يجد أنسب من اسم زوجته المحفور في عقله، فتح أيقونة الموقع الخاص بالفيلم المسئول هو عن إنتاجه ليظهر أمامه بعد ثوان شيء جعله ينظر ناحية باب المكتب ليطمئن بأن زوجته لا تسمعه، شيء جعله لا يستطيع فعل أي شيء سوى التحديق بعين واسعة وبوجه منعقد الحاجبين بحدة.

لقد ظهر أمامه البيوت الثلاثة.

(خالد) - (أميرة) - (صادق).

ضغط بأصبعه على زر في اللاب ليفتح بيت (خالد) و(ورد).

* * *

قامت (ورد) من وضعيتها التي بلغت عدة ساعات على الأريكة وهي تنتظر إلى زوجها الذي عاد إلى البيت بوجه لم تراه هكذا منذ أن تزوجته، لقد انتقلت براكين العالم لقذف حممها على وجهه.

وقفت مكانها لا تتحرك ولا تنطق بشيء ناظرةً نحوه مرة وأسفل قدماها بالأرض مرة أخرى، هو يعلم جيدًا بأنها لا تقدر على النظر له وبأنها تريد أن تتحدث وتخبره بأشياءٍ كثيرة لكنها لا تستطيع، لا تقدر حتَّى على النظر إلى عينه الغاضبة الآن، خاصةً وبأن هذا الغضب قد زاد بداخله أكثر مِمَّا عليه بعد ما حدث بينه وبين أمه، إنه حظها السيئ اليوم.

- حمدًا لله على السلامة.

قالها (خالد) ببرودٍ تام جعل رأسها ترتفع إلى الأعلى لتنظر إليه فجأة بعد سماع صوته الذي تغير تمامًا عن طبيعته، إنه الخوف، الخوف الذي يسري بالدماء عندما يربكك تغير صوت أحدهم فجأة، لقد جعلها صوته لا تقدر على أن تفعل أي شيء في هذه الوقت سوى أن تنظر،

تنظر له دون أن تنطق بكلمةً واحدة.

اقترب منها حتَّى أصبح بينهما القليل، عيناه الحادة تحتضن بوجهها الذي لم يجد ثياب يرتديها سوى ثياب الخوف والقلق.

اقترب منها أكثر، وفجأة.

* * *

«عندما يتواجد في حياتك شخص يحيا فقط ليري ابتسامتك، فاعلم حينها بأن الحظ قد حجز طابقًا للسكن داخل منك».

هذا ما كانت تفعله (نور) مع (صادق) الشاب السائر في المحطة الخامسة والعشرون من العمر، والذي تخرج من كلية التربية منذ ثلاث سنوات ليصبح بعد ذلك معلمًا إعداديًّا لمادة التاريخ، شهادة ورقية لم يعمل بها إلَّا بضعة أسابيع بعد ما حل بقدماه وعظام جسده، تركه سريعة لأنه لم يطق كم التزييف بالكتب الذي أجبر عليه أن يعلمها للأجيال القادمة، الركض بالنسبة له حياة أخرى لا يفهمها من يعيشون حوله، ربما لم يشعر به أحدًا سوى (نو)) التي عاشت حياته تسنده على كتفها ليستيطع السير.

أخذت (نور) تسنده الآن على كتفها لتهبط به أسفل المنزل حيث الظلام الدامس والصمت الذي يسبب الصدى لصوت من يتحدث؟

- إيه الضلمة دي ك!!

لم يكدْ يكمل جملته وهو يهبط على درجات السلم حتَّى رأى أنوار المنزل ترد على سؤاله بسرعةٍ كبيرة، ليس ذلك فقط، بل وجد شقيقته الصغرى والمرحة تقف بجانب أبيه وأمه في سعادة كبيرة أمامه، أصدقائه الذين طالما أحبوه وأحبهم دائمًا والذين لم ينسوه مرة واحدة حتَّى بعد استناده على تلك العصا الطبية.

«محظوظون هم من يمتلكون أشخاصًا يستحقون كلمة صديق، وبئسًا لأولئك الذين وقعوا في حفرة الصديق الزائف».

أكمل هذا المشهد وهو يسير ببطءٍ شديد وكأنه يُصور بالكاميرات السينمائية وليست بكاميرات المراقبة فقط -أظن أنك تفهمني جيدًا يا أنت- لم يستطِعْ (صادق) في هذه اللحظة أن يبعد أنظراه عن تلك الفتاة التي تسنده على كتفها، الفتاة التي نجح والديها في إعطائها ذلك الاسم «نور» فهي كذلك حقًا.

الفتاة التي عاشت حياتها تنتظر أن تجد سببًا واحدًا يستدعيها أن تحيا من أجله، وعندما وجدته، أدركت بأنه لم يكنْ لها، وبأنه هنا في هذه الحياة، من أجل لا شيء.

الجميع ينظر إلى (صادق) الذي أصبح بينهم أمام منضدة الاحتفال المزينة بالحلوى والكعك، بينما بدأ يتأمل هو حيطان

المنزل التي اِمتلئت بالصور الكبيرة له وهو يركض ويستلم الجوائز أثناء مِمَّارسته لرياضة الجري، إلى أن استوقفته صورة كبيرة عُلقت علي باب الشقة والتي قد التقطتها (نور) له أثناء استلامه للجائزة من الطبيب (ياقوت) صباح اليوم، ليلتفت بعدها بسرعة متأملًا وجهها المبتسم والضاحك له، كانت تنظر له بعين تتوسل أن يبتسم ويضحك، كانت تخبره رغم صمتها.

«أرجوك ابتسم، لا أريد أن أشعر بأن ما فعلته لك، لم يجدِ أي نفع».

ابتسم لها، فخجلت.

نظرت بسعادةٍ إلى (علا) شقيقته لتقابلها سريعًا بغمزة مرحة من عينها التي قالت «أيوه بقى يا سيدي».

ظهرت أسنانها وأنير وجهها من غمزتها.

ليتأمل (صادق) وجهها مرةً ثانية وهي تضحك وكأنه بحرًا يرجوه كثيرًا أن يغرقه به، فالآن قد شعر بأن هناك جوهرةً كانت توجد بين يديه لكنه لم يراها جيدًا، أو ربما لم يكنْ يريد أن يراها، حتَّى لا يؤلمها.

مرت دقائق على انتهاء الحفل.

أمسكت (نور) بذراع (صادق) سائرةً به نحو شرفة المنزل الواسعة والممتلئة بالأزهار ليجلسان بمفردهما بعد انتهاء الاحتفال بجائزته وبعيد ميلاده، وبعد مرور ثوانٍ قليلة من جلوسهما حتَّى أخرجت

(نور) جملتها، قائلةً بسعادة وبعضًا من الاستغراب:
- مش ملاحظ إنك مبطلتش تبصلي من ساعة ما نزلت من فوق لحد دلوقتي، أول مرة تعملها يعني!
قالت جملتها الأخيرة وهي تأمل في رد مختلف مثل نظرته تلك التي لم ترها أبدًا منذ أن عرفته، ليرد عليها بارتباك وكأنه قد أفيق من نظرتها:
- لا، مفيش حاجة، أنا بس مستغربك.
اِنعقد حاجبيها ومالت رأسها في تعجب، ثمَّ سألته باستغراب:
- مستغربني!! ليه؟
التأمل التلقائي في وجهها قد عاد من جديد رغمًا عنه، ليقول محدقًا:
- مستغرب كل اللي بتعمليه؟؟
ابتسمت وهي تقول مستعجبة:
- وهو إيه اللي أنا بعمله يخليك تستغرب يا صادق؟
ردت عليه بجهل وكأنها لا تعلم بما تفعله، ليرد عليها مخرجًا ما بداخله ببعضٍ من الابتسامات المتوترة:
- كل اللي بتعمليه، كل اللي بتعمليه من أول ما دخلتي حياتي لحد اللحظة اللي إحنا فيها دي، عملتي من نفسك عصاية بسند عليها كل يوم علشان مقعش، بقيتي تصحي كل يوم، من غير ما تعملي أي حاجة غير إنك تفكري إزاي تسعديني وتشوفيني

بضحك، ناسية حياتك وناسية شغلك وأهلك وكل حاجة، وفكراني أنا، فاكرة الشخص اللي مينفعش تفضلي فاكراه قصاد إنك تنسي كل حاجة، مع إني شايف إنك لازم تفضلي فاكرة كل حاجة وناسياه هو.

أخذت تنهيدتها الطويلة وتقدمت برأسها قليلًا للأمام وهي تنظر لعين (صادق) بجرأه شديدة، قائلة بكل ثقة وهدوء:

- أنا بعشقك، ومش هعرف أفضل فاكرة غيرك يا صادق، علشان عشقي ليك مش سهل

رفع عينه في وجهها مستعجبًا كلمتها التي لم تخبره بها منذ وقت طويل حينما أخبرها فيه بألا تقولها ثانيةً، لتكمل حديثها الذي خرج من قلبها وليس من فمها:

- أنا بحبك بطريقة محسساني كل يوم إن حبي ليك ده مرض، مرض وأعراضه عبارة إني أشوفك فرحان ومرتاح وبس.

تأمل وجهها بأرق شعر به في قلبه، ثمَّ قال بصوت منهك:

- وتفتكري إني أستاهل كل الحب ده يا نور؟

لم تستعجب رده المعتاد الذي يملئه مكعبات الثلج الصغيرة، لترد بجملة جعلته يرتبك ثانيةً ولا يعرف كيف يرد:

- متستاهلش أي حاجة غير كل الحب ده يا حبيبي.

أخذ أنفاسه عاقدًا وجهه وهاربًا بأنظاره عنه، ثمَّ قال بضيق:

- نور، أرجوكِ، بلاش كدا.

لترد بسرعةٍ ودهشة:
- ليه بلاش يا صادق؟! ليه عايز تحرمني منك، ليه مش عايزني أدوق حبك ليا، حبك اللي لو دوقته فعلًا ، هحس إني لمست نجوم السما بإيديا، فاكر النجوم يا صادق؟؟
أخرجت جملتها الأخيرة وهي تحدق بعينه وكأنها قد شردت بعيدًا بالنظر لنجمة لامعة، ليفيقها من شرودها، قائلًا بجرأة:
- فاكرة أنتِ عيوبها يا نور؟؟
أطفئ سعادتها سريعًا بجملته تلك، لترد بسرعة، قائلةً بانفعال:
- أنت مفيكش عيوب يا صادق.
جهز الرد المتوقع الروتيني، وكأنه يفخر بالسيئ الذي به:
- مفيش حد مفيهوش عيوب، مفيش حد صافي من الغلطات والحاجات الوحشة المليانة اللي فيه، وأنا أكتر واحد ممكن تلاقي فيه عيوب وحاجات وحشة متتعدش.
ألقي بحديثه هذا محاولاً إيقاف حروفها وكلماتها من الخروج له، فهو يقتنع تمامًا بأنه لا يستحقها وبأنها لم تخلق أبدًا له، لترد (نور) بكلماتها المعتادة وهي تدرك جيدًا بأن هذه الكلمات لم تخلق سوى له فقط:
- وأنا متقبلاك كدا، عايز إيه تاني؟!
أخذ أنفاسه ثمَّ أسقط عينه في وجهها، قائلًا بلا مبالاة:
- مش عايز أي حاجة، أنا فعلًا مش عايز أي حاجة يا نور.

شعرت وكأن كلماتها لم تعدْ صالحة لتلقب بالكلمات، فلم تعدْ لها أي تأثير عليه، لتقول بيأسٍ:

- طب وأنا!!

نظر لها بنصف عين متجاهلًا ألمها، ثمَّ قال مزيلًا أسلاك سعادتها بعد أن جاهدت في صنع أسلاك فرحته:

- صدقيني ده أحسنلك، افهمي إني مش عايز أذيكِ.

قالها محاولاً إقناعها للمرة التي لا يعرف كم عددها، لترد عليه بجملتها التي جعلت غضبه يخرج ليجلس معهما:

- وهتأذيني ليه يا صادق؟

لم يفكر في الرد، ليقول بانفعال هَز معالم جسده:

- عشان عندي زفت كانسر، والمشكلة إنك عارفة ده كويس أوي، لكن شكلك نسيتي الموضوع ده من زمان.

ثوان، وتنطفئ أنوار عيد الميلاد تمامًا.

لم يكنْ يدرك ماذا يقول أو هل كلماته تؤذيها أم لا، لترد عليه بحزن بعد أن شعرت أن ما فعلته طيلة هذه السنوات لم يُفعل حقًا وكأنه لم يحدث:

- عمري ما نسيته يا صادق، عمري ما نسيت تعبك اللي تاعبني قبل منك.

نظر لها بجرأه ليرد عليها بجملته التي جعلت الصمت يزورها في هذا الوقت:

- اه، وعلشان كدا عايزة تعطفي عليا؟
انكسرت طبال أذنيها بعد سماعها لهذه الجملة التي صدمتها، الدموع تظهر فوق غشاء قرنيتها دون أن تهبط من عينها في محاولة لتماسكها وثباتها في هذا الوضع،
«أتكون هذه نهاية هذا الاحتفال!!».
اِتسعت عينها من صدمتها، بينما شعر (صادق) بخطأه فقرر أن يصلحه، فما أن كاد يقترب منها ليتفوه بالاعتذار.
حتَّى قفذت (نور) على أقدامها لتخرج من الشرفة مغادرة البيت.
لقد اِنطفئت أنوار الميلاد.
اِرتطم صوت إغلاق باب المنزل بأذن (صادق) الذي لم يتحركْ من مكانه وكأنه قد جمد بسبب فعلته، لم يكنْ يعرف هل يكون السبب في هذا السكون هو أنه لا يقدر على الحركة والسير بمفرده بسبب مرضه؟ أو أنه لم يكنْ يريد أن يقف ويتحرك ذاهباًَ ورائها؛ لأنه من الأفضل أن تكون بعيدة عنه؟
ولكن ما زاد من ألمه وحيرته أكثر، هي تلك المفاتيح الخاصة ب (نور) والتي قد نستها فوق المنضدة أمامه، والتي عُلقت بدائرتها، ذلك الحرف الذي بدأ يكرهه في هذه اللحظة، « S ».
لقد أدرك الآن بعد كل ما حدث بينهما بأنه لم يعدْ يقدر على فعل أي شيء في حياته سوى النظر، النظر فقط دون مقاومة أو حركة.

* * *

انتهت (أميرة) من قراءة الصفحة الثلاثون في كراسة الرسائل دون أن تشعر بمرور الوقت لتأتي بعدها بالصفحة التالية التي جعلتها تستوقف القراءة عائدةً بالزمن لتعيش ذكراها التي تذكرتها بسبب ما كُتب في تلك الصفحة أمامها، لقد كتبت هذه الحروف بالحبر الأزرق بخط متعوج:

«هسألك سؤال عارف إجابتك عليه كويس أوي.

لو حصل وعرفتي في يوم إني تعبان أوي وممكن أموت بسبب تعبي ده، هتعملي إيه؟

وهل بقى إجابتك اللي أنا عارفها دي صح ولا لأ؟

وهي إنك عمرك ما هتسيبيني أبدًا».

اِرتفعت صوت الضحكات بشدة في ذلك الكافيه بواسطة بعض الفتايات الجالسات برفقة ذلك الشاب الذي يُدعى (صادق عليّ) الطالب بكلية التربية والعاشق لمادة التاريخ، في حين ما نظرت لهم (أميرة ابراهيم) طالبة كلية التجارة إنجلش بغضب لهذه الأوضاع الغريبة وعدم اِستحائهم ممن يجلسون بجانبهم.

- هو الزفت ده مبيبطلش اللي هو بيعمله أبدًا عيني عينك كدا؟؟

قالتها (أميرة) بغضب لإحدى صديقاتها الجالسات معها، لترد إحداهن:

- يبطل إيه بس يا بنتي!! أنتِ مش شايفة، قاعد مع ٣ بنات

زي القمر، وصوتهم مسمع الكافيه كله، لا هو هامه الناس اللي قاعدة حواليه وشايفاه، ولا حد شايفه يقدر يكلمه نص كلمة.
لترد (أميرة) باستغراب، قائلة بسخريةٍ:
- ليه يعني!! عنده حصانة قلة أدب ولا إيه!!
لترد أخرى من صديقاتها، قائلة وكأنها أصبحت تعمل في أجهزة المخابرات وتدرك كل شيء:
- لا يا أختي، عنده معجبين وشهرة كبيرة جدًا.
اِنعقد حاجبي (أميرة) ثمَّ قالت بهمس ورأس منخفضة على المنضدة:
- شهرة إيه!! هو مش ده صادق اللي في تربية؟
لترد صديقتها الثالثة وكأنها تتحدث عن محارب عظيم، قائلة:
- والأهم من ده إنه العداء الرياضي اللي مشرف اِسم مصر بقاله سنتين
نظرت (أميرة) تجاه منضدة (صادق) بحرص، ثمَّ استكملت بمزاحٍ:
- أه عندك حق، مشرفها جدًا، وهو علشان مشهور يقوم يستغل شهرته في القرف اللي بيعمله ده؟
توالي غيظ واستعجاب (أميرة) في الخروج، بينما توالت صديقاتها في حديثهم المنطقي بالنسبة لهم:
- بس القرف ده مفرح كل البنات زي مأنتِ شايفة، قاعدين مع واحد كل شوية الناس تروحله وتطلب إنه يتصور معاهم

هيحتاجوا إيه غير كدا؟
مالت (أميرة) برأسها بعين متسعة، ثمَّ قالت بتعجبٍ:
- هيحتاجوا سمعتهم باين، صح ولا إيه؟
قالتها صاحبة الأوسكار بسرعة كبيرة دون أن تفكر وكأنها تقصد صديقتها بكلماتها، لتصدمها صديقتها التي تحدثت مؤخرًا بجملة جعلتها لا تستطيع الرد هذه المرة، قائلة:
- أنتِ قديمة أوي يا أميرة والله، سمعة إيه اللي اِنقرضت من زمان دي!! مسيرك تقولي غير كدا لما تتشهري إن شاء الله.
صمتت (أميرة) بعد هذه الجملة وهي تنظر لصديقاتها بعد أن حل عليهم الضحك فجأة دون الشعور والإدراك بما يدور بداخلها، لقد أكدوا لها بأن ذلك المجال الذي يُدعى -الفن- ليس بالطريق النقي الممتلئ بالأزهار والورود والساقط من جوف السماء، خاصةً وإنها تسلك نفس الطريق الذي يسلكه (صادق) ولكن في مجال الرقص، هل حظها السيئ بعدم الحصول على فرصة واحدة طوال سيرها في ذلك الطريق، يعود على سيرها بطريقة جيدة وحسنة؟ أم لأنها لا تسيره مثلما يسيره هذا الرياضي؟
لم تفكر (أميرة) كثيرًا في اِتخاذ أي قرار يخرجها من غضبها في هذه اللحظة حتَّى وقفت سريعاً لتغادر ذلك المكان دون أن تَلقي كلمة واحدة لصديقاتها الذين نجحوا في إشعال فتيلها داخل منها إلى أن اِنفجر، ولكن ما أن كادت تخرج من باب ذلك الكافيه

حتَّى اِصطدمت فجأة بشخص ما كان يعود بظهره دون النظر أمامه، لقد كان شخص يُلوح لبعض الفتايات بالداخل.
- ما تحاسب ياعم أنت، أنت أعم!!
أطلقت جملتها الأولى بانفعال قبل أن ترى وجهه، لتقطع عينه جملتها الثانية فجأة حتَّى يصبح المشهد الآن أشبه بشيء خرافي
-سأجعلك تراهم جيدًا- لا يُصدق.
لقد قُطعت كل الأصوات بالمكان تمامًا، ربما هناك شيء قد حدث في هذه اللحظة أخفض من صوت كل الأشياء هنا، أو جمدها مثلًا مثلما تفعل الأمهات مع اللحم الكثير.
كانت وضعية الجالسون بذلك المكان هي «Stop Cader» باستثناء فقط،
(أميرة) التي سقطت عيناها في وجه (صادق).
«هل يحدث ونقع نحن وقلوبنا في حب من عشنا نكرههم ولا نطيق رؤيتهم؟».
توقفت الأحاديث المتبادلة من قبل الجالسين على المقاعد، توقفت ضحكات الأصدقاء متجمدة، الدموع التي كانت تأتي من هذه الفتاة الجالسة برفقة حبيبها الذي طلبها ليخبرها قرار فراقهما تجمدت أيضًا، حل الثلج بتلك الوردة التي بين يد ذلك الشاب الذي قرر أن يعلن عن حبه لأقرب صديقاته، الطعام الذي ستدهسه أسنان الجوعي بعد لحظات، هذه السوائل التي

ستلون معدات الشاربين منها، لقد تجمد البشر أثناء هذا اللقاء وفور حدوث تلك النظرة.
المشهد الحالي هو أجمل شيء قد يحدث للرسامون الذين هم بلا عقل.
-المشهد الآن يستحق أن يُرسم-
ولكن ما سيجعلك تبتسم حقًا يا -أنت- هو أن هناك شيء واحدًا لم يتجمد ولم يقف مثل كل هذه الأشياء، شيء ما زالت تُدب به الحياة وتسير الروح بأقدامها داخل منه، لقد كانت «الموسيقى».
وجاء ذلك في صالح الاثنين الذين لم يصاحبهما التجمد أيضًا، الاثنان التي لم تسقطْ عينهما عن بعضها طوال هذه اللحظة، لقد سقط ماضيهما وحاضرهما وشخصياتهما، لقد سقطت حياتهما منهم، وبقت نظرتهما، لم تسقط عيناهم لحظة.
بل وقد جعلتهم هذه النظرات يحدثون أنفسهم كثيرًا دون صوت، لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:
«هي الدنيا ممكن تقف عند لحظة لقا، لقا بينك وبين شخص عمرك ما شوفته قبل كدا، شخص عمرك ما كنت تتخيل إنك تشوفه، وأول ما شوفته، الدنيا وقفت بيك وبيه عشان تتهني من نظراته، هو ده ممكن يبقى بجد؟!».
لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
«مالك!! حصل إيه!! إيه اللي جمدك فجأة كدا وخلاكِ مش عارفة

تتحركي ولا تكملي زعيقك في وشه، ليه بتبصي في عينه أوي كدا،
اِتحركِ ، ابعديها عنه، نسيتي كلامهم!!».
ترددت كلمات أصدقائها في أذنيها كأشباح كارتونية:
«يا بنتي ده مش راحم نفسه، وأول ما يشوف واحدة ويعجب بيها يقضي معاها يومين ويسيبها فيشوف واحدة تانية ويعجب بيها فيقضي معاها يومين ويسيبها، بيستغل شهرته الأستاذ».
لم تكنْ تعرف كيف تركت نفسها تحيا هذه اللحظة التي تحياها الآن، كيف استطاعت أن تنظر إلى وجهه كل هذه الثوان بعد أن كانت تلعنه منذ لحظات، لقد كادت أن تكرهه، ماذا حدث؟!!
لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
«هو ده ممكن يبقى بجد؟!»
لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:
«أول مرة أحس بإحساس الضياع زي دلوقتي، يا ترى ده بجد؟».
تشابهت الأحاديث بداخلهما، وتشابهت مشاعرهما، حتَّى أعينهم، لم تتوقف عن النظر،
-النظر فقط-
وسريعًا...
اِتسعت عيناها بقوة وهي تخرج أنفاسها بشهقة لتعود الآن إلى حالتها بعد هذا الشرود إلى الماضي، لا تعرف ماذا حدث لها حتَّى يجعلها تفيق من ذكراها وتغلق هذه الرسائل بعنف لتعيدها إلى

مكانها داخل الحافظة الصغيرة بعد أن كادت تتذكر ما مرت به منذ سنتنان.
أعادت مذكراتها إلى الدرج السري، ثمَّ أمسكت برواز صورتها مع (نادر) لتعيده إلى وضعيته مثلما كان قبل أن يقلب.
-لتعيده حيًّا-

* * *

لم يترك باقي الصور المُعلقة على الحائط إلَّا وقد جعلها تفقد الروح على الأرض مثلما فعل مع صورة زفافه، امتلئت كل جدران البيت بحطام الزجاج المتناثر، لقد قرر كل الغضب في العالم أجمع أن يترك كل البشر في هذا الوقت ويأتي ليستقر داخل (خالد) فقط، في حين ما كانت تقف (ورد) واضعةً يدها الاثنين على أذنيها لتتجنب هذه الأصوات التي كانت تُحطم أثاث البيت معه، صوت غضبه الوحشي الذي يرعش جسدها، وصوت حطام هذه الأشياء التي أصبحت بقايا على الأرض.
- بردوا مش عايزة تقولي كنت فين.
قالها (خالد) وهو يتنفس بصعوبة بسبب جسده البدين، وبسبب ما يفعله الآن من غضب، لترد (ورد) عليه باكيةً:
- والله العظيم زي ما قولتلك، أحلفلك بإيه عشان تصدق إني كنت في الشغل.
صرخ بكلماته مندفعًا:

- شغل إيه، شغل إيه ده اللي لحد دلوقتي، ها، انطقي.
انطلقت منه هذه العبارات كانطلاق مدافع الإفطار معلنةً موعد بدء الطعام، لترد هي عليه دون أن تنظر للوحش الذي أصبح عليه الآن:
- والله زي ما قولتلك الصبح، المستشفى كانت مليانة حالات كتير أوي طول اليوم عشان فيه حادثة كبيرة حصلت اِنهارده، وكمان مردتش أروح الصيدلية عشان أرجعلك بدري.
كما قلت لك يا «أنت» كان من حظها السيئ أن الأمور كلها أخذت تطعنه في يوم واحد، لذا فقد قرر إلقاء بعض القمامة من فهمه دون أن يدرك أنها قمامة:
- لا كتر خيرك والله، وأخرة شغلك ده إيه بقى!! حد قالك إن أنتِ الراجل وإنك لازم تصرفي على البيت، ده أنت بقيتي مبترجعيش غير نص الليل زي الرقصات.

* * *

استمر (ياقوت) في النظر إلى كل ما يراه الآن بنظرات شفقة واستغراب، لكنه لم يترك نفسه للوقوع في هذه المشاعر التي يشعر بها حتّى لا يخفق فيما يريد أن يفعله، لذا فقد اكتفى بأن يشاهد فقط، بملامح منعكسة عما بداخله كما عرفت عنه يا «أنت» مقبرة السجائر قد امتلئت عن أخرها دون أن يشعر بها، عينه تنتقل بين شاشة المراقبة وبين باب مكتبه الخاص في حرص

شديد، الموسيقى بجانبه مناسبةً تمامًا لحالة التوتر داخل منه وحالة ما يراه أمامه في هذه الشاشة,

كانت موسيقى «Power Of Darkness ١»

حاول جاهداً أن يُبقى عقله هادئًا إلى درجة كافية بعد ما شاهده الآن في أول يوم منذ أن وُضعت الكاميرات في هذه البيوت، بدايةً من احتفال (نور) ب (صادق) والتي انتهى بشجارهما سويًّا، مرورًا بفتاة الأوسكار ومعاملتها ل(نادر) حتَّى أصبح يتمنى أن ينتهي كل ذلك سريعًا بعد ما سيحدث مع (خالد) و(ورد) فقد أصبح يشعر بأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًّا بالفعل وبأنه ليس هناك داعٍ أن يكون هناك فيلمًا بعد الآن، فهو موجودًا منذ هذه اللحظة.

«أنت».

انتبه لي لحظة، أريدك أن تتخيل معي الآن، أن جرس منزلك قد اِرتفع بقوة في هذا التوقيت، ها؟ تخيلت؟ حسنًا؟ الآن اترك الرواية واذهب لترى من الزائر؟ خطوات قليلة من قدمك في اِتجاه الباب، نعم هكذا، أحسنت، هيا افتح الباب، ولكن انتظر، افتحه بحرص يا «أنت» الجرس كان مرتفعًا بشدة حتَّى يفزعك، من الممكن أن يكون زائرا سيئ، وحينها لن أكون مسئولًا عمَّا سيحدث لك، هيا، افتحه، تخيل أنك لم تجد أحدًا، ليس هناك من يقف أمامك، لا تغضب، ولا تقل بأنني رجلًا سخيفًا، سيرك لن يعود دون جدوى، انظرأسفل قدماك، أرأيت، إنه ظرفًا ورقي،

بالتأكيد تعرف ما الذي تفعله فأنت لست صغيرًا حتَّى أخبرك بكل شيء، هيا أسرع، فتحته؟ أحسنت يا «أنت» أنا معجب بك، ولكن لا تسعد هذا ليس أمر جيد، المهم، هذه رسالة مني، اقرأها جيدًا.

تخيل بأنني كتبت لك بخط يلقبونه دائمًا ب «نكش الفراخ» ذلك لأنني لم أحظى بخط جذاب أبدًا، كان مضمون الرسالة:

«مرحبا يا «أنت» أو بدون مرحبًا فأنا ما زلت لا أعرفك، أعلم أنك لا تفهم شيئًا حتَّى الآن، لا تدرك أي شيء عن هذا الفيلم المجنون الذي يستدعي كل هذا الاهتمام ليصبح رواية، لا تفهم لما المراقبة، ولما الكاميرات، ولما التجسس من الأساس، لم تجدْ الحبكة بعد، لم تجد الصراع الذي نتج عن مشكلة كبرى لا بد أن تحل، ولكنني أخبرتك من البداية، إنها لعبة، ولا شروط بالألعاب لأنها في النهاية ألعاب، لا أريد منك فقط سوى أن تحفظ هذه الرسالة جيدًا، لأنك عندما تدرك الحقيقة وتضح الأمور أمامك، ستتردد حروف هذه الرسالة داخل عقلك، ستفهم جيدًا الحقيقة، وستصبح سعيدًا لأنك أدركت، ستصبح من ضمن المشتركين بها، ستشاهد كل شيء دون أن تستطع التفوه بكلمة واحدة، لا تنس، احفظ الرسالة جيدًا، تمامًا مثلما تحفظ تواريخك الهامة مع نصفك الأخر».

«هل تأمل أن ترى حياتك فيلمًا سينمائيًّا، هل تأمل أن تُكتب

وتكون بين السطور والأحرف المزينة؟ إن كنت قد تمنيت ذلك يومًا، فبعد قراءة هذه الأوراق، ستكره أن تأمل ثانيةً، ستقتل التمني».

* * *

إذا وضعت لي عدة اختيارات لبعض الأشياء الذي أكرهها في الرجال، فلن تكون أن يسب لزوجته بأفظع العبارات ولن تكون أن يصبح الرجل خائنًا أو عديم المشاعر أو بخيلًا أو حتَّى ضعيفًا لا يقدر على حماية زوجته أو مواجهة ما يمرون به.
ولكن سيكون الأمر الذي تكرهه سيدة مثلي هو أن يصفع أمثاله اِمرأة منا، حينها يخرج من كوكب الرجال في نظري.
-وربما يصبح من كوكبنا نحن-
وحينها أيضًا.
لن نقبل به معنا.
ماذا بك يا «أنت» ما الذي أربكك هكذا؟ حسنًا حسنًا، لقد استعجبت لغة التأنيث التي تحدثت بها منذ قليل، صحيح؟ أريدك أن تنير عقلك قليلا يا «أنت» أنت تنسي كثيرًا، سأسامحك هذه المرة، هذه المرة فقط.
«ستراني أنت في كل زمنٍ مُختلف بثوبٍ مختلفٍ تمامًا عن الآخر، حتَّى أنني من الممكن أَن أكون اِمرأةً في بعض الأحيان، ذلك إذا لم أكنْ رجلًا».

أظن أنك تذكرت الآن.
السارد هنا لن تراه شخصًا واحدًا، مع إنه واحدًا بالفعل، لكنك ستبحث عنه كثيرًا.
-ابتسامة لك-
- كفاية بقى، كفاية اللي بتعمله ده عشان خاطري.
سقطت (ورد) بعد هذه الصفعة القوية من (خالد) ليزيد بكائها الذي لا يحرك فيه شعرة حاجب واحدة، ليهبط لها بعد ذلك مقتربًا من وجهها وهو يهمس بأذنيها، قائلًا بعد أن أعلى جسدها بجسده:
- إيه!! وحشك اللي حصلك قبل كدا زمان!! عشان كدا بترجعي البيت متأخر كل يوم؟
أخرج جملته الوقحة مثل وجهه وهو يمسك شعرها بعنف بعدما ألقى من فمه بعض القمامة التي لا تنتهي أبدًا في وجه زوجته، لترد هي عليه بعد أن أخرجت صرخة قوية منها ممتزجة بدموعها الكثيرة:
- حرام عليك، حرام عليك يا خالد، لو مش مصدقني فعلًا وعايز تعرف أنا كنت فين، روح اسأل الدكتور اللي بنكشف عنده كل فترة، هيقولك إنه كلمني الصبح وأنا في الشغل لما لقى إنك مبتردش على تيلفونك.
أمسك برأسها بقوة ثمَّ دفعها بالأرض مرتين ليخرج صراخها متألمًا،

قائلًا بغضبٍ:

- وكلمك أنتِ ليه!! كان عايز إيه ده!!

لم يترك شعرها منتظرًا أن تخبره بعد أن غرق وجهها في أمواج دموعها:

- كان عايز يقولك إن لسه فيه أمل، وإنك ممكن تبقى أب.

اتسعت عيناه بشدة على غير عادتها، ولربما شعر الآن بأن بصره أصبح واضحًا وتحسن بعد سماعه لهذه الجملة.

لم يدرك سوى هذه اللحظة بعد أن صدم أن زوجته ملقاه على الأرض أسفله تشهق بالبكاء، لم يكنْ يدرك بأي شيء يقوم به مع المرأة الوحيدة التي تحملت كل عيوبه وخطاياه إلَّا عندما رأى أصابعه المتينة تنفك عن بعضها تاركةً شعرها الذي بقى القليل منه بين أحضان يده، ثمَّ عاد ببطء إلى الوراء قليلًا وهو ينظر إلى زوجته التي أخذت تركض تجاه غرفتها -غرفة تلاقي الأجساد- لم يفكر في شيء إلَّا في تلك الجملة التي قالتها له الآن.

«وإنك ممكن تبقى أب».

وفي ذلك الذي فعله معها من قسوة رغم غايتها في إسعاده فقط، ليبقى مكانه على الأرض بين حطام الصور والذكريات العديدة، لا يستطيع النهوض ليفعل أي شيء سوى النظر إلى ما هو فيه الآن.

-النظر لبقايا حياته-

* * *

الأقنعة.
نعم، لا يوجد في هذه الحياة شيء أكثر من الأقنعة المزيفة، والتي نزيلها نحن فور عودتنا إلى بيوتنا، حيث حقيقة الحقيقة هناك، فلا أحد يعرف ما يحدث وراء هذه البيوت الصامتة، لا أحد يدرك ما وراء هذه الضجة والسعادة في تلك المنازل المتكلمة دائمًا، حتَّى نحن، لا نعرف أيضًا ما يحدث وراء هذه الغرف التي هي في نفس بيوتنا، نعم -أنت- لا تعرف إلى من يتحدث أخيك المراهق الصغير باليل، لا تعرف كيف تقضي شقيقتك المتحفظة يومها داخل عالمها الرباعي، وهل بالفعل هي متحفظة كما تبدو أم أن ذلك الوجه هو قناع أيضًا، أقسم بأنني لا أخلق الشك بك يا «أنت» بقدر ما أخلق «الحقيقة» فنحن لا نعرف حقيقة من يعيشون حياه هنيئة دائمًا، وهل هي هنيئة بالفعل أم إنها أتعس من التعاسة، نحن لا نعرف حقيقة هؤلاء الأفراد قدوتنا، وهل يستحقون هذا اللقب «القدوة» أم لا، نحن لا نعرف أي شيء، نجهل تمامًا تلك الكلمة التي تُدعى «الحقيقة» إلى أن أصبحنا لا نراها بيننا بسبب هذا الجهل الذي نعيشه.
-وبسبب أننا دائمًا، نريد أن نعرف كل شيء-
اليوم قد أصبح كل شيء واضحًا,
ولكن أمام (ياقوت صادق) فقط.
لم يتوقف (ياقوت) عن التحديق إلى البيوت الثلاثة بشدة، لم

يتوقف أيضًا عن إطلاق غبارات الدخان من جسده لتحتضن بالشاشة أمامه، إلى أن قطع كل ذلك صوت طرقات خفيفة على باب المكتب مِمَّا جعل جسده ينتفض مغلقًا حاسوبه بسرعة وهو يلقي بجملته محاولًا الرجوع إلى حالته ووقاره:

- ادخلي يا قوت.

تعود دائمًا أن يناديها قبل الدخول بثقة أنها هي؛ لأنه يدرك جيدًا بأن لا أحد يستطيع دق الباب سواها، حيث لا يوجد خادمة، لا يوجد أطفال، يعيشان بمفردهما فقط.

لم تكد تدخل زوجته إلي غرفة المكتب حتَّى خرجت من طبيبنا النفسي ابتسامةً سريعة، فقد أتت أعظم ما في حياته، (قوت) هي تلك المرأة الذي صنعها الحظ بإتقان وخبرة، لذا فإن وجدت مثلها في حياتك، فهنيئًا لك، لقد حظيت بحضن دافئ تركض إليه حينما تريد البكاء أو الشكوى أو الشعور بالسقيع والألم، ستجد حلولًا لديها لكل المشاكل التي ستقابلها -أنت- دون وعي أو إدراك لأي طريقة لحلها، ستجد الرفق نفسه يجلس فوق أطراف أصابعها ليزيل قطرات عينك، ستجدها لامعة، كبلورة أو ماسة أو جوهرة صغيرة، ولن تفقد لمعتها أبدًا، مهما طال عمرها.

- عطلتك عن حاجة؟

قالتها (قوت) بصوت هادئ حنون، ليرد (ياقوت) متأملًا وجهها والإبتسامة تزداد على وجهه، ربما قد نسى ما كان فيه ويفعله منذ

أن أتيت له الآن، لقد كانت بمثابة مخدرًا بالنسبة له:
- وحتَّى لو؟ حقك تعطليني براحتك.
ابتسمت بعينها لكلماته، ثمَّ قالت بصوتٍ هوائي يجذب:
- معلش بقى بس أنا لازم أخلص البورتريه ده ضروري عشان المعرض الجاي.
كرر كلماته التي زادت من الابتسامات فوق شفتياها:
- وأنا قولتلك حقك.
رد عليها بجملته الأخيرة ليتوقفا عن الكلام بعدها، بينما ذهبت (قوت) ناحية الجدًار المظلم والمقابل لمكتب زوجها الذي ظل ينظر لها أمامه، منتظرًا اللحظة الذي يعشقها لحظة إنارة الحائط، ضغطت على زر صغير بمنتصف الحائط والذي كشف عن هذا الجدار بواسطة المصابيح الكثيرة، اختلف شكل الجدار تمامًا عن بقة جدران الغرفة، حيث كان مُحاط بالمصابيح الصفراء التي وضعت على شكل مربعٍ كبير على الضلوع الأربعة للجدار، توسط الجدار رسمةً كبيرة أعطت لذة لهذه الغرفة، فإن كنت قد رسمت صورةً للغرفة في البداية، فالبتأكيد سترسمها مجددًا بعد أن رأيت -أنت- ذلك الجدار الذي رُسم عليه صورة (ياقوت) و(قوت) التي تعشق الرسم، ضخامة الصورة وروعتها أنارت وجه الطبيب وكأنه يراها لأول مرة كلما اِحتضن النور بها، أتت فكرة تصميم هذه الغرفة من زوجته بعد أن اتفقا على أن يقسما هذه الغرفة بينهما

ليقومان بعملهما سويًّا، فالبداخل يوجد مكتبة كبيرة تحتضن أنظارها بجدار يتوسطه صورة رائعة، إضافة إلى المكتب الذي ينظر من بعيد للألوان واللوحات المرسومة أمامه، مزيجٌ رائع من الفن تجده في هذه الغرفة.
لم يبعدْ الطبيب عينه عن زوجته التي لم يرَ مثلها من قبل، لتنظر له في المرأة التي تعكس صورته أمامها مرسلةً اِبتسامةً ثانية للرجل الذي عشقه قلبها عشقًا أبدي.
- شكلك أنت اللي هتعطلني المرة دي؟
قالت (قوت) هذه الجملة وهي تمسك بفرشتها التي سمحت لها بأن تحتضن اللوحة التي ترسمها، ليرد (ياقوت) عليها بمرحٍ وكأنه قد ارتكب خطأ ما:
- أسف جدًا يا فندم، اتفضلي كملي هو حد يقدر يعطلك معاليكِ بردوا.
«ماذا لو كنت رسامًا مجنونًا، أقسم بأنني لجعلت العالم كله أزرقًا مثل لون البحر والسماء، حظًا ممتعًا لكل الرسامون بالعالم».
ظهرت أسنانها سريعًا بعد سماع جملته التي أضحكتها، في حين ما أخرج (ياقوت) أوراقه الخاصة ثمَّ أمسك بقلمه وبدأ يكتب شيء ما، بينما رفعت (قوت) أنظارها بحرص وهي تنظر له في المرآة المقابلة لها، لكنها لم تكنْ تنظر بنفس الوجه الذي نظرت به إليه بابتسامة وحب، لقد تغيرت ملامح وجهها بحدة وكأنها بدأت في

مراقبته، ربما نغمات الموسيقى قد تغيرت بمفردها أيضًا في هذه اللحظة لتملئ الغرفة بالتوتر والقلق بعد هدوء ورومانسية هذا الجو، تتمنى كثيرًا أن تعرف ما الذي يفعله زوجها الآن وماذا يكتب، هل عاد للكتابة ثانيةً بعد أن تركها طيلة هذه السنوات؟، لقد بدأت تكره ذلك الشعور الذي جعلها تراقبه منذ أن رأته اليوم يتحدث مع ذلك الرجل الذي يَدعي (بدير).

توقفت بسرعة عن متابعته عندما رأته يغلق قلمه الخاص ليقف سائرًا نحوها وهو يحمل هذه الورقة.

ماذا!! إنه يسير نحوها، رائحته تعبث بقلبها بشدة، إنه يقترب، تتمنى في هذه اللحظة أن يسقط شيئًا ما من السماء يخفي جسدها من العالم حتَّى لا يقترب منها، الفرشاة بيدها أصبحت ترسم بمفردها الآن دون أن تشعر بها، خطوات قدمه أوشكت على الانتهاء، لقد أوشك على الوصول، الفرشاة ترسم بقوة وسرعة كبيرة تجعلها تفزع من سرعتها، الفرشاة لا تريد التوقف عن الرسم، الخطوات تقل، إنه يقترب منها بتلك الورقة في هدوء ووجه بارد، ترى ماذا سيفعل معها، الفرشاة ترسم رغمًا عنها، ماذا!! لقد وصل نحوها!!

* * *

«كان العالم في حضورها

بيتنفس ورد ومزيكا».

* * *

سقطت الفرشاة من بين أصابعها بعدما اِنفزعت من ذراعيه التي التفت حول جسدها لترى هذه الورقة التي رفعها أمام عينها الآن، لقد اطمئن قلبها بعد أن قرأت ما كتبه لها من حروف رومانسية افتقدتها كثيرًا، لقد أعاد هذان السطران روحها من جديد.

التفتت بجسدها في ابتسامة، لتقول وهي غارقةً في أعماق عينه:

- بحبك أوي!

اِبتسم لها ثمَّ اقترب منها ليخفيها داخل جسده سريعًا محاولًا ألَّا يظهر منها شيء، ليرد عليها وهي تذوب بين أحضانه:

- وأنا بحبك أوي يا أحسن ست في الدنيا كلها.

لم تشغل بالها بطريقته المختلفة في هذا اليوم، ولم تستعجبْ هذا الاهتمام الذي افتقدته منه منذ سنوات طويلة، لتترك نفسها تشعر بالاطمئنان داخل منه بعد كل هذا القلق الذي كانت تشعر به، ربما قد مات القلق تمامًا داخل منها، والآن لا تريد أن تشعر سوى به فقط، فقد اشتاقت كثيرًا لهذا الاحتواء، لم تكنْ تعرف أن الفضل يعود إلى البيوت الثلاثة التي جعلت (ياقوت) يشعر بأنه يجب أن يفعل ذلك معها بعد ما شاهدته عينه في حاسوبه منذ قليل، ربما شعر بأنه يجب أن يسعد بحياته التي يعيشها الآن وبأنه قد نُعم بالحظ لأنها لا تشابه أي من هذه البيوت الثلاثة.

«ستُغير طباعك تمامًا، ستتوقف عن فعل ما كنت تفعله دائمًا

من أخطاءٍ وعيوب، ستزيل غطاء جسدك الجلدي وتلقيه بالأرض إلى أن تصبح كتلة لحمٍ هاربًا منك، ستكون وظيفة لسانك هي «الحمد» الكثير، لن تكون أنت، ستكون شخصًا أخر غيرك، فقط، عندما ترى مأساة غيرك».

مرت ساعات على جلوسهما داخل الغرفة، أوشكت (قوت) على الانتهاء من رسمتها، رغم أنها لا تريد أن تنهيها اليوم حتَّى تظل جالسةً لتتابع زوجها في المرآة، فقد عاد القلق يزورها من جديد، خاصةً وبأن (ياقوت) لم يترك مكانه أمام حاسوبه منذ اللحظة التي كان يحتضنها فيها، لا تعرف بأنه الآن في أقصى مراحل غضبه؛ لأنه لا يستطيع اِستكمال مشاهدة البيوت الثلاثة كما كان يفعل، فقد أخذ يشاهدهم دون أن يسمع صوتهم، أدرك جيدًا بأنه سوف يفوته تفاصيلًا كثيرة ومهمة لا بد أن يسمعها أكثر من أن يراها فقط، ولكن لا حل أخر سوى كتم الصوت، عينه تنتقل بين شاشة المراقبة وبين زوجته في حرص متمنيًّا أن تنهي عملها الآن.

-الاثنان الآن لا يكفان عن النظر-

- ياقوت، أقوم أعملك قهوة؟

أطلقت جملتها فجأة لتكسر حاجز الصمت الذي أصبحوا عليه منذ ساعات، ليرد عليها وكأنه كان ينتظر أن تخبره بذلك:

- لو مش هعطلك عن شغلك يعني.

اتسع وجهها نادمًا لأنها قد تفوهت بهذه الجملة، لماذا لم يحرق

لسانها قبل أن تطلق هذه الكلمات، لتقول بابتسامة خفيفة:
- لا مفيش حاجة، أنا كمان مصدعة ومحتاجة قهوة.
وضعت (قوت) الفرشاة بين الألوان وهي تنظر له في المرآة، ربما قد وجدت الفرصة التي تستطيع أن ترى بها ماذا يفعل الآن أمام حاسوبه، ستحاول أن تمر بجانبه وتلقي عينها بالحاسوب في حرص دون أن ينتبه لها، ولكن لا بد من التركيز الشديد والسير البطيء.
اتجهت نحو الباب وهي تنظر له بنصف عين، خطوات بطيئة وقصيرة تفصلها عن الوصول إلى الباب، لقد أعجبت بعدم ملاحظته لمتابعته ومراقبته، أقدامها ما زالت تسير ببطء وحذر، عينه لم تنتقل إلى وجهها مرة واحدة من كثرة تركيزه وتحديقه بالشاشة، ثوان وتدرك سر هذا التحديق، لقد وصلت إلى الباب، وما أن بدأت تفتحه وتخرج جسدها منه دون أن تغلقه كاملًا حتَّى رأت ما لم تتخيل أن تراه الآن، ما هذا الذي يفعله!! عينها لم تصدق ما تراه، لقد صعقت من أثر الصدمة، أهذا هو الذي يشغله طوال هذه الساعات هنا؟!
لعبة سباق سخيفة لبعض السيارات!!
أغلقت الباب بسرعة حتَّى لا يشعر بها، لينظر هو بعينه ببطء تجاه الباب ليتأكد من ذهابها، بينما كانت تقف هي بالخارج لا تشعر بقلبها الذي يركض بسرعة داخل جسدها ليقرر عقلها سريعًا أن يأمر أقدامها بالذهاب إلى المطبخ متجاهلةً كل شيء،

فقد ملت ما تشعر به.
أغلق (ياقوت) اللعبة التي أنقذته سريعًا ليعيد فتح الكاميرات الخاصة بالبيوت الثلاثة، لا يريد أن يترك شيء يحدث هناك دون أن يراه، عقله لم يكتفِ من تدوين الأحداث التي رأها طوال الساعات الماضية، ما زالت أحداث الفيلم تحتاج المزيد من المراقبة، لقد عادت أصوات أصحاب البيوت تتردد مع نغمات الموسيقي بجانبه، اِستعجب حالتهم الذي أصبحوا فيها الآن بعدما اِرتدى السكون والصمت أجسادهم.
(خالد) لم يتحركْ من مكانه على الأرض وهو يلقي داخل منه قطرات النبيذ بكثرةٍ.
لم تتوقف قطرات الدموع الساقطة من عين زوجته (ورد) فصوت بكائها الشديد يتشاجر الآن مع أذنيه ومع ذلك لا يهتز، حيطان البيت والأبواب والأثاث تتحرك في عينه كالأمواج لضعف بصره وعدم ارتداء النظارة الطبية.
(صادق) جالس على سريره ناظرًا إلى الهدايا الكثيرة أمامه، خاصةً ذلك البرواز الذي صعنته (نور) والذي توسط صورتها معه، (نور) التي أخذت هديتها من قسوته.
(أميرة) تنظر إلى البرواز مرةً وهي تتأمل وجه (نادر) وإلى كتاب رسائلها من (صادق) مرةً ثانية، إنها المقارنة المؤلمة مرة أخرى.
سُحقًا لذلك المسمى الذي يُدعى «مقارنة».

الجميع الآن لا يفعل شيئًا سوى أن ينظر لما هو فيه ولما هو حوله، الجميع الآن تجمد في مكانه دون هزة أو حركة، حتَّى طبيبنا النفسي، أغلق حاسوبه الإلكتروني بعد كل هذه الساعات الذي ظل يتابع وينظر فيها فقط، ثمَّ فتح هاتفه الجوال ليكتب رسالة على «WhatsApp».

- أنا قررت أكتب الفيلم الجديد، جهز نفسك عشان هتبدأ تصنع المشاهد اللي أنا هكتبها الأسبوع الجاي، وده زائد المشاهد اللي بتتصور في البيوت كل يوم.

ظهرت علامات استلام الرسائل في الشات الخاص بالطبيب مع المخرج (بدير السيد) والذي تبين بأنه، Typing..

- يا نهار أبيض يا جدعان!!

أنا مش مصدق نفسي والله.

ما تيجي تقرصني يا دكتور ونبي عشان أصدق.

يعني يوم ما ياقوت صادق يرجع يكتب بعد كل السنين دي، يكتبلي أنا أول فيلم

ده يا نهار أبيض بجد يا جدعان.

أخذ الطبيب أنفاسه بغيظ بعد أن استفزه مبالغة المخرج وإيموشانته السخيفة، ليكتب:

- أنا مش عايز مخلوق يعرف إن أنا اللي هكتب الفيلم ده.

فاهم يا بدير؟

عايز كل الناس تعرف إن الفيلم ده من إنتاجي وبس.

Bedir Typing..

- اطمن يا حبيب قلبي والله، ده يا نهار أبيض يا جدعان.

يلا بقى هسيبك تركز دلوقتي.

عايزين مشاهد تضرب نار بقى.

أغلق (ياقوت) هاتفه بغضب من برود (بدير) وتعامله مع الأمور بهذه السخافة، ثمَّ فتح قلمه ثانية ولكن ليس ليكتب إلى (قوت) هذه المرة ولكن ليكتب:

«لقد جائت اللحظة التي تنكشف فيها أبشع صفاتك، فتحمل».

أظن أنك تعرفت على أبطال الرواية بما هو كافي يا «أنت» حان الوقت لك أيضًا، الوقت الذي لن تستطيع فعل أي شيء به سوى «النظر» فقط.

النظر لهم كُلهم.

-البداية-

«الاجتماع الأول للأبطال بالشركة، يشترط وجود أنصافهم».

* * *

التنهيدة الثالثة

من قال أن الصدمة أمر سيئ، أعلم أنها تؤلم،
ولكن برغم هذا الألم فالصدمة لها «ميزة» ثمّينة،
وهي أنها تجعل ما في قاع حفرة عمقها مئة وعشرون مترًا،
مرئ بوضوح أمام عينك
لذا، أنصحك بالسعادة عندما تُصدم،
وليس الحزن.

• الحرف الثاني من اسم (صادق).

أرأيت ماذا فعل الصبر بك يا -أنت- لقد جاء الوقت لتفهم لُعبتنا، سأوضح لك:

لقد جائتني فكرة هذه اللعبة بعد ما حدث لي في المشهد القادم الذي ستقرأه -أنت- بعد كلماتي هذه، فدائمًا لا أكتفي بحدوث الأشياء والمواقف في حياتي ثمَّ النظر لها فقط وهي تمر وتصبح ذكرى لي، لكنني دومًا ما كنت أبحث في أعماق ما يحدث لي عن أفكارًا جديدة تُناسب قلمي وما يكتبه، فالأفكار يا -أنت- أصبحت طعامًا باردًا مرت عليه أعوام طويلة ليظل كما هو طعامًا، ولكن دون لذة، الأفكار أصبحت مثل الثياب الرائعة التي تظهر حديثًا وتُبهر الجميع، لكنها في النهاية ما زالت ثياب تُلبس، لذا فقد جائتني فكرة هذه اللعبة عندما كُنت أضع عنوانًا لروايتي الجديدة والتي تقرأها -أنت- الآن، الفكرة هي أنني سوف ألقي أمامك داخل كل فصلٍ تقرأه حرفًا مُختلفًا للاسم الثاني من عنوان روايتي، أي أن عنوان الرواية ليس فقط «كُلهم،

كما ترى -أنت- وإنما هناك كلمةً أخرى ستبحث عنها وتجدها -أنت- أثناء سيرك هنا، لقد خبئت الكلمة الثانية من الرواية بين صفحات الكلمات والأحرف، تناثرت قطرات الحبر فوق جسد

الجزء المتبقي من العنوان إلى أن أخفته مثل السحر، إضافة إلى أن هذه الحروف التي ستجدها ستكون جزءًا من أسماء أبطال هذه الرواية كما فعلت معك في الثلاث مرات السابقة.
أعلم جيدًا يا -أنت- بأن الانتظار أحيانًا مؤلم وبأن اِنتظارك لمعرفة الاسم الثاني لهذه الرواية ربما قد يكون شيء سيئ بالنسبة لك، ولكن كما قلت لك من قبل، ستشكرني كثيرًا لأنني قد علمتك الصبر، وبهذا أيضًا أكون قد فعلت شيئًا جديدًا مع قلمي وأعمالي، شيئًا مُختلف.
ابحث جيدًا يا -أنت- يجب أن تعرف الاسم الثاني من الرواية حتَّى تصبح حينها قد أدركت كل شيء عن هذا الطريق الذي تسيره الآن، حتَّى تصبح مدركًا للحقيقة، الحقيقة التي من الممكن أن تكون واضحة أمام الجميع كضياء الشمس، أو كزرقة البحر، الحقيقة التي خرجت من مقبرها لترقص أمام الجميع في محاولة جاهدة لإثبات بقائها حية، ومع ذلك، لا نراها جيدًا أو بمعنى أدق، لا نريد أن نراها، هيا، سأتركك الآن لتستكمل طريقك، انتظر، انتظر، نسيت أن أخبرك شيئًا هامًا.
الحروف الذي ستجدها أمامك في كُل فصل ليست مُرتبة على تتابع الفصول حتَّى تستطيع تخمين الكلمة، وإنما سوف تجمعها -أنت- لتشكل الكلمة عندما أخبرك أنا بالترتيب الصحيح، أعذرني كان يجب أن تكون اللعبة مشوقةً هكذا وليست سخيفة مثلما

كانت ستكون، بحثًا موفقًا يا -أنت-

* * *

الغرفة البيضاء مرة أخرى، والشمس تتشجار خلف الستائر البيضاء مثل كل صباح، الباب الذي أغلق بإحكام كأبواب السجون أسفل الأرض التي نسير فوقها -فوقهم- صوت السيارات اللعينة يضرب أذني بقوة، أحيانًا أشعر بسعادة كبيرة لكوني هنا في هذه الغرفة بعيدًا عن هذا العالم الخارجي المزعج، العالم الذي فقدته تمامًا والذي لم يتبقَ منه شيئًا سوى هذا الجرح بذراعي الأيسر كما أخبرتك من قبل.

كيف لهؤلاء الحمقي الذين يعملون بهذا المكان أن يتركوا سيدة مثلي تجلس بمفردها هنا دون أن يحضروا شابًا جذابًا ليجلس معها، ويلقي بها داخل أحضانه مثل أكياس القمامة داخل الصناديق.

ماذا!! هل أشبه حقًا أكياس القمامة؟! بالطبع لا، فأنا جميلة جدًا، ماذا حل بك إيها القلم، فلم تعد جيدًا كما كنت، نعم، هذه هي الحقيقة.

الحقيقة هي أنني أصبحت أشعر بشيء ما داخل قلمي، أو داخل مني أنا.

تعال، تعال هنا يا -أنت- اقترب مني جيدًا.

سأهمس لك.

«الشيء الذي أصبح يطاردني دومًا، هو شعوري بفقدان قدرتي

على الكتابة، وعلى خلق كل ما هو ليس موجود بهذا العالم».
ظلت هذه السيدة تكتب كلماتها تلك وهي تنطق بكل كلمةً تكتبها وتؤديها جيدًا مثلما يفعل الممثلون على خشبة المسرح، تنطق جملةً ثمَّ تنظر إلى الشمس خلف الستائر، ثمَّ تعود لتستكمل الكتابة بكثرة.
ربما قد نتج هذا الشعور عن تقدمي في العمر حتَّى أصبحت أمتلك ثمَّانون عامًا، وبأن ما أشعر به دومًا هو أحد أعراض كبر السن، ولكن كيف وأنا ما زلت جميلة هكذا، اِمرأة عجوز ذو شعرٍ أصفر وناعم، عين زرقاء تشبه أمواج البحر الهائجة، شفتاي الحمراء التي تعادل النبيذ الأحمر في مذاقها عند وضعها على أفواه الرجال، لم يعكر هذا الجمال شيء سوى بعض التجاعيد التي قد اكتسبها وجهي مؤخرًا، لكنها بالتأكيد زادتني جمالًا وأنوثة.
فلماذا قد أصيب قلمي هكذا، وهل ما أشعر به الآن قد يشعر به كل الكتاب المختلون أمثالي، تمرض أقلامهم أثناء كتابتهم!
كتابة أهم كتابتهم!
أطلقت جملتها الأخيرة بغضبٍ وقوة، ثمَّ عادت لتمسك أوراقها حتَّى بدأت تكتب بعنف وجنون.
لا، لن أتوقف، لن أجعل هذا القلم يتقاعد عن مهنته، يجب عليه أن يؤدي وظيفته جيدًا حتَّى يرتقي ويتقدم، لن أتوقف عن الكتابة أبدًا إلَّا عند اِرتدائي للثوب الأبيض داخل مقبرتي، نعم،

لن أملُ، ولن أفلُ، ولن أكلُ، ولن أضلُ، ولن أيأس، ولن أفقد، ولن أُفقد، ولن أنتهي، ولن أُنهي، ولن أكفُ، ولن أجفُ، ولن تجف الأحبار أبدًا، لن أنقص، ولن ينقص الحبر الأسود بقلمي، إن نقص سأحبر دمي بدلًا، لن تُفقد الحروف، ولن تفقد الحروف قدرتها، لن ينتهي القلم، ولن يُنهي القلم خلقه حتَّى يخلق كل يوم جسدًا -سأكون ولن لا أكون أبدًا- فقد سكن القلم داخل جسدي، أصبحت عبدًا أسودًا أحيانًا وأزرق أحيانًا أخرى، ذلك لأنني لم أعدْ أستحم سوى بالحبر الأسود والأزرق، لقد لُطخ قلبي بالقلم، ثمَّ طُبعت عليه الحروف والكلمات، فصغرت وكبرت وشيخت وأنا مجنونًا بالكتابة، لم أكف يومًا عن كتابة -سأكون ولن لا أكون أبدًا- عشت مدركًا ومقتنعًا ومتأكدًا بأنني سأجن منها وبها يومًا ما -الكتابة- وبأنني إن مُت فلن أموت إلَّا وأن احتضنت رأسي بأوراقي النقية البيضاء، وأن يكون قلمي حينها مُعلقًا بين أصابع يدي دون سقوط، سأسقط وأموت حينها، ولن يسقط قلمي وأوراقي أبدًا.

أخذت السيدة العجوز تكتب وتكتب بسرعةٍ كبيرة دون توقف.

نعم ستعود قدرتي مرةً أخرى على تسمية أعمالي، وسيكون هذا العمل مختلفًا تمامًا عن أي شيء، سيستصف الناس أمامي بكثرة لأوقع لهم أهم أعمالي منذ أن تزوجت بقلمي، ستتحدث القنوات جميعًا، سيزين اسمي في الطرقات وداخل كل المنازل، سيقتل

الجميع ويحيون بسبب هذه الأوراق، سيقتلون بسبب اختلافي المجنون، نعم.

استمرت تكتب بقوة وجنون وهي تخرج الابتسامات الكثيرة من وجهها، لتكتب جملتها المفضلة في صفحة جديدة وفارغة.

«اقتلهم باختلافك».

-ابتسامة لك-

- تعالى أيتها الأوراق، سأسميكِ اسمًا جميلًا، اسم يجعل القراء يشترونك فور رؤيته، نعم، سأسميكِ:

«مذكرات حقيقية من داخل المشفى».

أمحت ذلك الاسم من منتصف أوراقها بالأعلى، لتحدث نفسها قائلة بسخافةٍ:

- لا، طويل جدًا ولا يصلح لعملٍ أدبي قيم، ماذا أسميكِ أيتها الرواية؟ ماذا؟

أخذت تفكر كثيرًا وهي تغير أوضاع جلستها بالغرفة، وتردد أسماء أبطالها الثمَّانية:

- ياقوت، قوت، خالد، ورد، أمي!! نعم سأسميكِ

«حياة الثمَّانية»

- لا لا، ليس اِسم جذابًا ولن يُباع، ماذا أسميكِ إذن، نعم، إنه هو!

« كُلهم..

وما أن كادت تكمل الاسم الثالث بعد أن أمحت الاسم الثاني

حتَّى دخل طبيبها الخاص برفقة عدد من الممرضين والممرضات، فخطورة هذه الحالة تسدعي لكل هؤلاء العاملين هنا.
- لا لا لا، انتظر أرجوك، إنها الكلمة الأخيرة فقط، النصف الباقي من الاسم، أرجوك، دعني أسمي روايتي.
قالتها هذه السيدة حينما اِقترب منها رجل ضخم لا تعرف هي كيف يعمل ممرض بذلك الوجه المخيف، ولكن لما لا؟ فربما يعمل لحالتها هي فقط، امسك الرجل بالعجوز وأخذ أوراقها بعيدًا عنها وأعطاها للطبيب، ليلقي الطبيب بجملته قائلًا بعد النظر إلى الأوراق:
- دي بقت بتتكلم فصحى من كتر جنونها بالكتابة!! نفسي أعرف بس من اللي بيدخلها الورق والقلم دول، ساكتين ليه!! هتكون بتصنعهم في الأوضة يعني؟
«لا تتعجب -أنت- من استطاعتي أن أكتب الآن رغم كل ما أمر به، فالأوراق تأتي إليّ بطريقة خاصة».
ألقى الطبيب كلماته تلك بانفعال وهو ينظر للممرضين من حوله، ثمَّ هدئت حالة السيدة العجوز حتَّى ثبتت مكانها لا تتحرك بسبب الذراع الضخمة التي تقيدها، لترد على الطبيب بهدوء تام:
- لم يُخلق بعد من يمنع الأوراق والأقلام من عملها إيها الطبيب، فلن تكف الأقلام عن احتضان أصابع الكتاب، ولن تغلق الأوراق

عيناها أمام أعيننا أبدًا، فهمت ياللي بيقولوا عليك دكتور.
ارتفعت ضحكات العجوز بقوة، ربما قد اهتز المشفى بأكلمه بسبب هذه الضحكات الهزلية، مِمَّا جعل الطبيب ينظر إلى الممرضين ومن حوله نظرات حرجٍ وغضب، حتَّى أخرج جملته سريعًا وهو ينظر بحدة:
- ادوها حقنة ونيموها بسرعة، مش عايز أسمع صوتها لمدة شهر بحاله يلا.
توالت ضحكاتها أكثر مِمَّا كانت عليه وهي تنظر له بابتسامة وكأنها تعرفه جيدًا، تشعر وكأنها قد رأته من قبل، ولكن حالتها لم تساعدها على التذكر.
اقتربت منها إحدي الممرضات التي ظلت تنطر لها نظرات حزن وشفقة لما تمر به، كانت هذه الممرضة تحديدًا هي الوحيدة التي تشعر بالحزن تجاه العجوز، وكأنها كانت تعرفها أيضًا.
اقتربت الممرضة منها بوجه بائس مستعدةً للحقن وممسكةً بالدواء الذي سيمر بجسد العجوز الآن، في حين ما لم تتوقفْ العجوز عن ضحكاتها العالية وعن إطلاق كلماتها وهي تحدق للطبيب كثيرًا.
«ياقوت، قوت، خالد، ورد، أميرة، صادق، نادر، نور، ياقوت، قوت، خالد، ورد، أميرة، صادق، نادر، نور، ياقوت، قوت، خال..»
ظلت تردد الأسماء الثمَّانية بقوة، حتَّى بدأ يختفي نور الشمس

في عينها، لقد تمَّ الحقن، أصبحت ترى الطبيب يقف أمامها منقسمًا إلى عدة أشخاص، الغرفة البيضاء تتأرجح بين أنظارها، حاولت الممرضة أن تجعل قطرات أعينها تتجمد داخل منها عند رؤيتها للعجوز وهي تسقط أمامها، الضخم المخيف ينقل العجوز على الفراش الأبيض بالغرفة، الباب الأبيض قد أغلق بإحكام ثانيةً، الغرفة أصبحت فارغة، العجوز تنظر بصعوبة إلى سقف الغرفة بنصف عين، تردد كلماتها ببطء وبصوت منخفض:

«ياقوت، قوت، خالد، ور...»

الآن.

قد ذهب نور الشمس من العين التي التي تشبه أمواج البحر.

* * *

- أشرقت الشمس.

لم يتوقف صوت الهاتف الخاص ب (خالد) عن الاهتزاز دون اِرتفاع نغمته، فقد وضع على الوضع الصامت، لم يحرك هذا الاهتزاز شعرةً صغيرة من (خالد) النائم على الأرض بين زجاجات النبيذ والسجائر الملفوفة، وبسبب هذا الصمت الذي قد حل بالبيت كانت (ورد) تسمع اِهتزاز هاتفه بالخارج دون أن تسمح لجسدها بالوقوف ولقدمها بالسير لترى كيف يكون الحال عند زوجها، ولكن سريعًا ما انتفض جسدها بسرعة بعد ثوان عندما اِرتفعت نغمات هاتفها الصغير، لقد تخيلت بأنه قد اِنتقل هاتف

زوجها داخل الغرفة أمامها دون أن تشعر، وحينها تكون واقفة أمامه، وهي لا تأمل في ذلك الان.
أمسكت سريعًا بالهاتف وأجابت حتَّى يتوقف صوت هاتفها عن الارتفاع وجعلها تشعر بالفزع.
- أيوه أنا، أه أهلًا بحضرتك يا فندم، اِنهارده؟ بس يا فندم، تمام حضرتك، هنكون موجودين في الميعاد بالظبط، مع السلامة.
أغلقت (ورد) هاتفها وهي تنظر بخوف إلى باب غرفتها المفتوح منذ أمس، فلم تجرأ حتَّى على أن تقترب وتغلقه منذ شجارها مع (خالد).
- خالد، خالد!
انتفض (خالد) من وضعيته على الأرض فور سماع صوتها وكأنه لم يكنْ ينام جيدًا، لتنظر له بخوف وهي تتراجع خطوة للوراء، شاعرةً بالندم لأنها قد خرجت من غرفتها الآن، ولكن كان يجب أن تفعل ذلك من أجله، لذا فقد تجرأت.
ظل يحاول جاهدًا أن يرى جزءًا منها بوضوح أمامه، ليس فقط لأن بصره ضعيفًا ولا يرى الأشياء جيدًا، بل لأن لزجاجات النبيذ هذه الأعراض أيضًا، وما أن بدأت الأمور في الوضوح أمام عينه، حتَّى وجد (ورد) تحمل ثوبًا جيدًا له بين ذراعيها، كانت ثيابه الذي أحضرها عامل المكواه ليلة أمس، لتلقي بكلماتها بعد ذلك الخوف الذي لم يتركها منذ المساء، قائلة بحذرٍ:

- فيه حد من الشركة اللي أنت اتعينت فيها إنبارح كلمني دلوقتي، وقالي إنك عندك اجتماع ولازم تكون هناك كمان ساعتين، وإني لازم أبقى معاك.
لم تتوقف أصابعها الصغيرة عن الإمساك بثوبه بخوف وربكة وهي تنظر له، وكأنها أدركت جيدًا أنه لم يعدْ يوجد شيء لتحتمي به سوى هذه الثياب بين يديها، ثيابه الخاصة.

* * *

- خلاص يا فندم تمام، هكون موجود بإذن الله، تمام.
أنهى (نادر) تلك المكالمة التي لم تستغرق أكثر من دقيقتين داخل غرفته، ثمَّ أخذ يرتدي ملابسه بوجهٍ غاضب، وبعقلٍ مُشتت لم يكف عن التفكير في (أميرة).

* * *

خرجت (أميرة) من باب منزلها وهي تمسك بحقيبتها التي حملها كتفها الأسير، ثمَّ وقفت مكانها فجأة لا تتحرك عندما وجدت سيارتها الثانية أتت لتقف أمامها، إنها السيارة التي يقودها (نادر) وما أن حدقت عيناها بالسيارة حتَّى رأت من يقودها بعدما فتح بنفسه بابها الأمامي المقابل لها.
- يلا علشان متتأخرش علي أول اجتماع ليكِ.
وقعت عيناها على (نادر) داخل السيارة، ثمَّ بدأت تنظر له باستعجاب وربكة دون أن تتحرك أو ترد، لقد شعرت بأنها لم تعد

تفهمه حقًا، فكيف له أن يفعل كل ذلك معها بعد كل ما تفعله هي معه من قبح وسوء، خاصةً ما فعلته ليلة أمس؟
لقد أغلقت الهاتف في وجهه!!

* * *

- براحة يا بت، أنتِ بتلعبي ولا إيه؟
قالها (صادق) إلى شقيقته التي تساعده على السير لأول مرة، فقد كان هناك شخصًا أخر يقوم بهذه الوظيفة بدلًا منها لكنه لم يأت، لترد (علا) بانعقاد حاجبين وصوت خائف:
- معلش والله غصب عني، أعمل إيه بس!! أصل نور مبتديلناش فرصة نسندك خالص، فمش متعودة بقى.
صمت (صادق) بعد جملة شقيقته الصغيرة، إلى أن قطع صمته وشروده قدوم سيارة (نور) في اِتجاه منزله، لتقول (علا) بمرح:
- يا نهار أبيض يا جدع، ده أنت أمك دعيالك دُعا، ياريتنا جيبنا سيرة ساندوتش شاورما ولا حاجة.
ليرد عليها بصوتٍ مُنخفض مُمسكًا بأذنها:
- أقسم بالله العظيم لو قولتي كلام مقولتوش ولا إني كنت مستنيها تيجي معايا اِنهارده، لهقتلك يا علا فاهمة، أنا أخوكِ يا بت.
لترد وهي تهز رأسها بشقاوة عشر أطفال في وقت واحد:
- هتجيبلي شاورما طيب؟!

انعقد حاجبيه غاضبًا، ثمَّ قال بعصبية وهو يعبث في وجهها بكفيه:

- هجيبلك يا طفسة، يا طفسة.

نزلت (نور) من سيارتها بوجه بائس أوضح حزنها مِمَّا حدث ليلة أمس، وما أن وصلت نحو (صادق) الذي حاول أن يخلق بعض التجاهل لها عن طريق إمساك أذن شقيقته، حتَّى أخرجت (نور) جملتها إلى (علا) ولكن عيناها كانت على (صادق):

- إزيك يا علا، عاملة إيه اِنهارده؟

لترد من تستحق نوبل في المرح والمزاح:

- أنا تمام الحمد لله، اتفضلي يا ستي، استلمي البضاعة.

قالتها (علا) تاركةً أخيها التي كاد أن يسقطِ فجأة، لتسنده (نور) بسرعة ناظرةً داخل عينه إلي أن اقتربت عيناهم كثيرًا من بعضها، شعرها المتطاير يداعب وجهه مثل هواء الشتاء البارد، ربما قد احتضنت عيناها بعينه في هذه اللحظة.

- أخويا حبيبي مش هتنسى الشاورما صح!!

أطلقت (علا) جملتها لتقطع حالتهما في الشرود وهي تنظر لهما بطريقة مضحكة، ليرد (صادق) عليها بعد أن نفذ صبره منها:

- عليا النعمة لو ما مشيتي من قدامي دلوقتي، لهعملك أنتِ شاورما وأكلك حالا، ادخلي جوه يلا.

لترد (علا) وهي ترتدي وجهًا حزينًا:

- هي بقت كدا!! شكرًا يا مصر على اللي بتعمليه فينا!! شكرًا أوي.
أنهت (علا) حديثها متجهة نحو باب المنزل، ثمَّ ظهرت ابتسامة (نور) لما قالته (علا)، لتقول إلى (صادق) بعد ذلك بصوت بدأ ينسي بؤسه:
- يلا علشان منتأخرش.
ليرد (صادق) عليها وكأنه قد أكمل وظيفة شقيقته الصغيرة في المرح وإضحاك (نور):
- طب ما تخلينا كدا شوية.
ازدادت ابتسامتها أكثر لترد وهي تسنده على كتفها وتسير به:
- يلا يا صادق، الاجتماع هيبدأ ومش عايزين تأخير من أول يوم.
اِرتدي نفس وجه الحزن الذي ارتدته شقيقته منذ قليل ليقول:
- شكرًا يا مصر، شكرًا أوي على الل!! زي ما كانت بتقول علا بقى مش فاكر.
ابتسم وجهها كثيرًا وضحكت عيناها، لقد تصالحت (نور) دون أي محاولة للتصالح من نحو (صادق) لدرجة أنها لم تتذكر شيئًا مِمَّا قاله لها ليلة أمس، ولكن ذلك لا يعني بأنها قد نسيت، ربما بدأت تتناسى فقط.

* * *

جلس الستة أمامه دون أن ينطق أحدهم بكلمة واحدة، بل

اكتفوا فقط بالنظر إلى بعضهم البعض، لم يكنْ يعرف كل اِثنين أي من هؤلاء الحضور غير الثاني الذي قد أتى معه إلى هذه الشركة، ماعدا اِثنين فقط قد زادت معرفتهم شخصا ثالثا من الجالسون أمام المنضدة، لقد كانوا.

-أميرة وصادق-

ربما وجود كلًا منهما أمام بعضهما جعلهم لا ينظران إلى من أتوا معهم منذ قليل -نادر ونور- بل جعلهما لا ينظران إلَّا لبعضهما فقط ولكن بحرصٍ شديد.

لم ينطق (ياقوت) بجملة واحدة منذ أن حضر هؤلاء الستة إلى شركته منذ ثلاثون دقيقة، نصف ساعة قد مرت على جلوسهم أمامه دون أن يتفوه أي منهم بجملة صغيرة، لم يسأل شخصًا واحدًا عن سبب هذا الاجتماع المفاجئ، لم تظهر حتَّى أي من علامات الاهتمام التي قد رأها أثناء اِحتفاله بهم، المشكلة إنه لم تمرْ بضعة أيام على هذا الاحتفال لتختفي فرحتهم سريعًا هكذا، إنها بضعة ساعات فقط، أم إنه ما قد حدث لهم ليلة أمس هو ما جعلهم يأتون اليوم دون أن يحضروا وجوههم الحقيقية!

- يعني أنت يا حيوان معرفتش تتصرف وتطلعهم من اللي حصلهم إنبارح، أنت إزاي جايبهم أول اجتماع بالمنظر ده؟

قالها (ياقوت) بصوت منخفض إلي سكرتيره الخاص بعد كل هذا الصمت الذي أوشك أن يفسد اجتماعه الأول بموظفيه الجدد

أو -أبطاله- ليرد (أكرم) الواقف بجانبه مقتربًا بعض الشيء من الطبيب، قائلًا بهمسٍ:
- يا ريس أنا طلع روحي اِنهارده عشان يكونوا كلهم قدام حضرتك دلوقتي، ده حتَّى التلاتة القريبين من كل واحد فيهم كانوا رافضين تمامًا إنهم يحضروا الاجتماع اِنهارده، لولا إني قولتلهم إن حضوركم متوقف على شغل الناس دي في الشركة.
ليرد الطبيب بهمسٍ ونظرات تراقب الستة:
- وملغتش الاجتماع ليه لما عرفت اللي حصلهم!! هنصور أهم مشهد عندنا وهما في حالتهم دي، أنت مبتسهرش قدام الكاميرات زينا ولا إيه يا فندي!!
- يا فندم والله..
قاطعه (ياقوت) مستكملًا حديثه ناظرًا لأركان الشركة بحذر:
- خلاص، قولي الكاميرات جاهزة ولا لأ؟ المشهد ده بالذات أهم من عمرك كله يا أكرم، فاهم ولا لأ؟؟
ليرد (أكرم) بسرعةٍ كبيرة قائلًا بثقةٍ:
- اطمن ياريس، كل حاجة جاهزة دلوقتي، أنا راجعت ده بنفسي.
ليقول (ياقوت) بسخرية من سكرتيره:
- وهو ده اللي مخوفني، روح أنت دلوقتي.
أنهى الطبيب حديثه مع سكرتيره الخاص مُفكرًا لمدة ثوانٍ في طريقةٍ تجذب هؤلاء الستة نحوه، خاصةً وإنه لن يرضي إلَّا بأن

يعودوا جميعًا إلى حالتهم التي رأهم بها يوم الاحتفال، ليلقي الطبيب النفسي جملته الأولى في اجتماعه الأول معهم، بادئًا الحديث بقراءة بعض الأوراق التي كُتب في بدايتها «الأبعاد الشخصية للأبطال» وهي أولى مراحل الكاتب في بناء العمل الأدبي -أي وصف أبطال العمل- بدأ في القراءة وهو يخفي الورقة عن أنظار من جلسوا على طرفيه الأيسر والأيمن -خالد وصادق- لم يكنْ يخشى عين (خالد) لمعرفته بأنه ضعيف البصر، لذا فقد كان الخوف كله من (صادق) الذي يفكر في كل شيء يحدث حوله.

- خالد عبد الله السيد - ٣٦ سنة- صحفي متقاعد عن العمل لجرأته في تناول الأحداث وتغطية الأخبار بوضوح شديد، صادق علي هاشم - ٢٥ سنة - عداء متقاعد عن مِمَّارسة رياضة الجري لظروف صحية خاصة.

مرت حياة (خالد) أمام الجميع دون أن تشغل بال أحدًا أو يهتم لها، إلَّا أن ارتفعت سريعًا أنظار كل الحضور تجاه (صادق) بعد سماع أسباب توقفه عن مِمَّارسة الجري، لينظر هو أيضًا إلى (ياقوت) مستعجبًا معرفته بالسبب الصحيح لتوقفه عن الجري، السبب الذي لا يعرفه أحدًا إلَّا المقربون منه.

- لم يكنْ يعلم بأن ذلك الطبيب النفسي أقرب له من كل المقربين منه-

أتت نظرة الصدمة الأولى إلى (صادق) قبل أن يستكمل الطبيب

عنهم كل هذه الأشياء التي قد تخطر ببالهم:
- حابب أشكر طبعًا مدام ورد شعبان زوجة الأستاذ خالد، والأنسة نور سعد خطيبة الأستاذ صادق.
أطلق (ياقوت) جملته الأخيرة الذي يعلم هو جيدًا بأنها ليست صحيحة، لكنه أراد أن يخرجها ليتأكد مِمَّا سيحدث بعدها، وبالفعل، تأكد جيدًا، فقد جعلت هذه الجملة ثلاثة أشخاص من الستة الجالسون أمامه يصدمون وكأنه لم يفهم أحدًا ماذا يحدث سوى هذا الطبيب والثلاثة الأخرون، فلم تستطع (أميرة) ألَّا تمنع عينها ثانيةً من التحديق في وجه (صادق) حتَّى وبعد أن لاحظها (نادر) من قبل ولم تستطعْ (نور) أن تخفي ابتسامتها بعد سماعها لهذه الجملة معتقدةً بأن (صادق) هو من أخبر الطبيب (ياقوت) بذلك الخبر، ربما قد شعرت بذلك لأنها لم ترَ عين (صادق) جيدًا، عينه التي صُدمت مرتين في هذا الاجتماع الذي سيجعله يندم بأنه أصبح يعمل في هذه الشركة، ماذا يريد هذا الطبيب الأبله السماوي؟
- وطبعًا الباش مهندس نادر سلامة صديق الأنسة أميرة، بشكركم بجد على وجودكم اِنهارده في أول اجتماع لأقرب ناس ليكم، خصوصًا إن إنتوا اللي قدمتلهم عشان يشتغلوا في الشركة هنا.
شعرت (ورد) بعد أن نظر (خالد) لها بأن جملة الطبيب الأخيرة تشمل اثنان فقط قد ساعدوا من يحبوهم، وبأنها ليست ضمن

هؤلاء لأنها لم تفعلْ مثلهم حتَّى يقصدها بذلك، هي حتَّى لم تأتِ حفل التكريم.
- زي ما قولت قبل كدا يوم الاحتفال إن الشركة دي هتبقى بالظبط زي رحم الأم، كل الناس اللي عندهم موهبة ومش قادرين ينموها، هيقدروا يعملوا ده هنا، كل اللي بقوا بيخافوا يحلموا عشان عارفين إن أحلامهم مش هتتحقق، هنا هيحلموا لكن الفرق إن أحلامهم هتتحقق وتبقى بجد، هنا كل اللي بيرسم هتتشاف رسوماته في المعارض، كل اللي بيغني هيتسمع، كل اللي بيكتب هيتقرأله، كل اللي كانت جرأته سبب في فشله، هنا هتكون أول أسباب نجاحه، مش هنحط أي قواعد أو شروط أو أي لوازم بتحطها برامج المسابقات والمهرجانات اللي بتخلي الواحد يلعن الحاجة اللي بيحبها بسببهم، مش هنحط غير شرط واحد بس واللي أنا شخصيًّا مبعتبروش شرط، لكن بعتبره واجب، ولازم أعمله.
عاد الطبيب بظهره إلى الخلف مستندًا بارتياحية على مقعده وهو يري الاهتمام في أعين من يجلسون أمامه، منتظرين بشدةٍ أن يستكمل باقي حديثه بعد أن كانوا يتمنون صمته طوال الوقت، ليستكمل حديثه مبتسمًا:
- وهو إننا نكون نُضاف، أنقية ومفيش جوانا نقطة سودة صغيرة قد كدا.

حديثه من عين (أميرة) التي أبعدت عيناها عنه بسرعة حينما رأت (نادر) يحدق لها ويلاحظها جيدًا، أما عن الجميع فلم يكنْ ينظر أحدهم للعداء الرياضي لكونه شخصيةً معروفة ومشهورة -فقد انتهى ذلك منذ سنوات- بل قد كان فضولًا وعطفًا لهذه الأسباب الصحية التي قالها الطبيب (ياقوت).

- أميرة ناصر إبراهيم - ٢٤ سنة - خريجة تجارة إنجليزي، تبحث عن فرصة كافية لتثبت نفسها في مجال الرقص والبالية.

وضع (ياقوت) الأوراق أمامه ناظرًا لهم بابتسامة قائد قوي، قائلًا بثقةٍ:

- إزيكم، أنا حبيت دلوقتي أعرفكم على بعض بطريقة مختلفة شوية، وبحاجات محدش يعرفها عن التاني غيره وغير الشخص اللي جاي معاه، وغيري أنا كمان، فياريت بقى تطمنوا نفسكم من القلق اللي جالكم فجأة وخلاكم تقولوا ياريته فضل ساكت ومتكلمش، ومتنسوش إني قبل ما أكون صاحب شركات ورجل أعمال، فأنا دكتور نفسي.

أدرك جيدًا بأن هذا الحديث لم يُطمئن أحدًا منهم إلى الحد الكافي الذين يحتاجونه ليطمئنوا بعد معرفة (ياقوت) كل شيء عنهم، خاصةً وبأن جملته الأخيرة بأنه يعمل طبيبًا نفسي قد جعلت بعضًا منهم يشعر بالتوتر والخوف قليلًا لسماعه بعض الإشاعات عن الأطباء النفسيون، لذا فقد قرر أن يكمل حديثه سريعًا ليبعد

رفع يديه أمام وجهه ليجسد جملته وهو يضم اثنان من أصابعه قليلًا نحو بعضها، مستكملًا حديثه بشغفٍ:

- عايزين نبقى حابين اللي بنعمله، ونختار بردوا كل الناس اللي بتحب اللي بتعمله،

«الفنان يا أساتذة، هو شخص شاذ عن كل البشر، مختل بالنسبالهم، لكنه في الحقيقة مجنون باللي بيحبه وبيعمله بالنسبة لنفسه، الفنان اللي بجد هو اللي بيخاف علي سمعة شغله أكتر من سمعة اسمه».

عشان كدا اخترتكم إنتوا التلاتة، خالد هيعرف إزاي يطلع صحفيين أقوية يحترموا سمعة قلمهم وميجروش وره أي كلام بيتقال عشان الشهرة والسمعة المزيفة وعشان كدا اختارت إنه يبقى رئيس مجلس الإدارة.

ارتفعت ابتسامة (ورد) وهي تنظر إلى زوجها بفخرٍ، في حين ما نظر الجميع له نظرات سريعة ليحفظوا هيئته ووجه البائس الكئيب، ليستكمل الطبيب مشيرًا إلى (صادق):

- صادق هيعرف يخلي الناس تصبر علي الجري وره أحلامهم لحد ما يحققوها وهيعرف كمان يخليهم رياضيين بجد ويخلي جمهورهم كله، يحب الرياضة بسببهم.

ربما قد نسى (صادق) صدماته من هذا الطبيب بعد هذا المدح الذي جعله يشعر بقيمة نفسه أمام الجميع، فهو يعشق ذلك

كثيرًا، أن يكون موضع نظرًا من كل الجالسين، أكمل (ياقوت) ناظرًا إلى (أميرة) مبتسمًا:
- أما أميرة، هتعرف تخلي الناس تحس بالحرية وهما مغمضين وبيرقصوا، هتخليهم يؤمنوا بأحلامهم مهما إتاخرت، وإن مسيرها هتيجي، زي ما جاتلها هي دلوقتي بعد تأخير طويل.
وبكدا تبقى الشركة دي قايمة على تلت أعمدة مهمة أوي، لو واحد فيهم وقع، الاتنين التانيين هيحصلوه، والشركة كلها تقع، قبل ما أكمل باقي كلامي حابب أشكر الناس القريبة منكم لتاني مرة عشان كانوا السبب في إن شركتي كسبت ٣ موظفين مهمين زيكم أو خلونا نقول ٣ فنانين بقى عشان نوعية شغلنا.
خرجت ضحكات بعض الجالسين ردًا على حديث الطبيب، واستمر البعض الأخر في الجلوس مستمعًا للحديث والنظر للطبيب ومن حوله فقط.
- وبعد إذنهم يعني كنت عايز أسالهم التلاتة سؤال صغير إجابته تهمني أوي.
تغيرت ملامح وجهه الطيبة إلى الحدة، مستكملًا بصوت حذر:
- هل أنتوا موافقين على وجود أقرب ناس ليكم في الوسط ده من قلبكم فعلًا ولا بتعملوا كدا عشان بتحبوهم وبس؟؟ نبدأ بنادر.
ارتبك (نادر) بعض الشيء ناظرً إلى (أميرة) بسرعة، ليرد مختصرًا:
- أكيد طبعًا موافق، بدام دي حاجة بتحبها وبتفرحها، يبقى لازم

أوافق.
ابتسم (ياقوت) لإجابة (نادر) وكأنه كان يدركها جيدًا، لينتقل بعينه سريعًا إلى (ورد) قائلًا:
- وأنتِ يا مدام ورد؟
لم يختلف شعورها عن شعور (نادر) عند الإجابة، لترد بعد أن نظرت إلى (خالد) قائلة بتحفظ:
- هو طبعًا كل حاجة فيها الوحش والحلو مش بس في المجال ده، الفكرة إن إحنا اللي بنختار إيه اللي نفضل فيه وإيه اللي نبعد عنه.
ظل (ياقوت) مُنصتًا إلى حديث (ورد) منتظرًا أن تخرج من فمهما جملة «أنا موافقة» فهي أهم عنده من كل هذه الكلمات التي تقولها الآن، بدون هذه الكلمة لن يستطيع اِستكمال الفيلم، لا بد من سماع موافقات الجميع وتسجيلها.
- وأنا بثق في خالد جدًا عشان زي ما حضرتك قولت إنه هيعلم أي كاتب يحترم قلمه قبل أي حاجة، عشان كدا أنا موافقة، موافقة جدًا.
ظهرت أسنان (ياقوت) سريعًا بعد سماعه لتلك الجملة التي كان يتمناها، ليسأل (نور) بعد ذلك:
- تمام جدًا، وأنتِ يا نور؟
- أكيد موافقة.

بداية رائعة للإجابة خلقت الراحة بداخل الطبيب سريعًا.
- كفاية إن صادق هيرجع يعمل الحاجة اللي بيحبها، وهو مبيتعاملش مع حاجة بيحبها بطريقة وحشة أبدًا.
أجابت (نور) بسرعة دون أن تفكر، ثمَّ نظرت أثناء جملتها الأخيرة بشرود إلى (صادق) الذي حاول إبعاد نظرته عنها متذكرًا وجود (أميرة) أمامه، لقد فضل صنع الحرص من الماضي على خلق إبتسامة للمستقبل، استكمل (ياقوت) حديثه قائلًا بسعادة وهو ينظر إلى موظفيه:
- حلو جدًا، أنا حبيت بس أطمن البهوات اللي هيشتغلوا معايا عشان يشوفوا شغلهم كويس، ملناش حجة بقى.
انتقل سريعًا بعينه نحو أنصاف أبطاله، قائلًا بابتسامة:
- تقدروا تفضلوا أنتوا دلوقتي، ومعلش بقى لو أزعجتكم.
وقفت (ورد) لتعطي أصابع زوجها بعض الاطمئنان والحنان من يدها قبل المغادرة دون أن ينظر (خالد) لها، فسعادته بحديث الطبيب لم تكنْ كافية لتنسيه ليلة أمس، في حين ما همست (نور) إلى (صادق) قائلة دون انتظار رد:
- خلي بالك من نفسك، وابقى كلمني لما تروح.
تبعهما (نادر) في المغادرة بعد أن نظر إلى (أميرة) قليلًا دون أن يخبرها بكلمة واحدة، نظرة وراءها الكثير.

* * *

خرجت (ورد) من باب الشركة وهي تسير بسرعة لتلحق بعملها، نظرت إلى ساعتها لتُصدم من سرعة الوقت وعدم شعورها بمروره بهذه السرعة، وسريعًا ما وقفت أمام طريق السيارات وألقت جملتها.

«تاكسي»

* * *

ارتطمت (نور) بشخص ما أثناء خروجها من باب الشركة، ليخرج جملته قائلًا بارتباك:

- أنا أسف بجد مخدتش بالي.

انعقد وجهها غاضبًا، ثمَّ قالت وهي تحاول الهدوء:

- ولا يهمك محصلش حاجة.

أدركت بعد ثوان من ردها أنه أحد الذين كانوا في الاجتماع منذ قليل، ليستمر هو في التحدث معها داخل الشركة:

- أنا نادر اللي كان مع أميرة في الاجتماع من شوية.

اتسعت عيناها بدهشة، لماذا يعرفها على نفسه، ما هذا الوجه الفضولي البارد الذي وقف أمامها فجأة، لتقول باستعجاب:

- أه واخدة بالي، هو فيه حاجة؟

قالتها وهي تنظر له باستغراب، ليرد هو مزيدًا من شعورها بذلك:

- الصراحة أه، يعني لو مكنتش هضايقك، ممكن تديني رقم الدكتور ياقوت عشان محتاجه، أصل لسه مفيش موظفين في

الشركة عشان أخده منهم وأنا محتاجه ضروري.
لا تجعله يخدعك مثلما سيخدعها الآن يا «أنت» كيف يريد رقم الطبيب وهو نفسه من أحضر (أميرة) وقدم لها بالشركة؟.
أخذت (نور) أنفاسها بخنقة، ثمَّ قالت محاولة الهروب من هذا الوحل الذي وقعت قدماها به:
- والله هو معايا بس في النوت اللي في البيت، ومفتكرش إني كنت سجلته على موبايلي
ضغط على شفتيه ببرود، لتظهر بجاحته في هيئة كلمات:
- طب لو مفيهاش بواخة يعني، ممكن أخد رقمك وتبعتهولي لما توصلي البيت؟
صمتت (نور) بعد هذه الجملة وهي تنظر له بشدة وبعينين مغلقتين تتأمل حديثه، لقد شعرت أن ارتطامه بها لم يكنْ عن غير قصد منه، بل كان مقصودًا، لقد أقسمت بداخلها أنه كان يراها جيدًا.
ولكن لما يفعل كل ذلك؟ لماذا يكذب!

* * *

- ها، حد عنده أي سؤال أو استفسار؟
قالها (ياقوت) لموظفينه الثلاثة، ليرد (صادق) وكأنه كان ينتظر فرصة العمل منذ سنوات:
- كنت عايز أعرف بس الشغل في الشركة هيبدأ امتى، وإيه اللي

إحنا هنعمله بالظبط وكل الحاجات اللي لازم نعرفها دي؟
ابتسم (ياقوت) له ليرد عليه معجبًا بحماسه:
- مستعجل أنت أوي يا صادق، عمومًا اطمن، من بكره هيكون فيه أنترفيو هنا في الشركة عشان نشوف الموظفين اللي هيستلموا شغلهم، يعني، أسبوع بالكتير والشركة تبدأ تدور بشكل رسمي، أما بقى عن طبيعة شغلكم أنتوا التلاتة، فهتعرفوها كويس لما تروحوا مكاتبكم كمان شوية وتقروا الورق اللي أنا سايبهلكم هناك، ها أي سؤال تاني؟
صمت الجميع دون رد، ليستمر الطبيب في حديثه صانعًا بعض القلق داخل منهم، قائلًا بوضوح:
- أسألكم أنا بقى، هو سؤال بسيط جدًا مش محتاج غير إجابة منكم بالموافقة أو الرفض، خالد، مش عايزك تشغل بالك بأي شغل تاني بره الشركة دي، خصوصًا إن أنت رئيس مجلس الإدارة، عايزك تنسي كل الطرق السرية اللي كنت بتشتغل بيها قبل كدا، قولت إيه!! موافق تكتفي بالشغل هنا؟
- موافق يا فندم.
رد (خالد) دون أن ينظر له وكأنه لم يفيق من حالته منذ الأمس، ليلقي الطبيب بنفس السؤال على (أميرة) و(صادق) لتكون إجابتهم.
«أه، موافق جدًا».

«موافقة».
ابتسم (ياقوت) ناظرًا لبعض الكاميرات التي تحاوطهم وكأنه ينظر لعشيقته الذي يقابلها سرًا، لقد تم أخذ الموافقة، الآن أصبح من السهل أن يبدأ في خلق أحداث الفيلم دون الخوف من أن يثور أي من أبطاله، لقد خرجت موافقتهم دون أي إجبار منه، استكمل (ياقوت) حديثه بسعادة:
- حلو أوي، اتفقنا.
بدأ الثلاثة في المغادرة.
وقف (صادق) محاولًا إخفاء عرجته التي يكرهها، ناظرًا أمامه محاولًا حاول ألَّا يشغل باله بمن ينظر إليه حتَّى يستطيع اِستكمال حياته، حاول جاهدًا أن يتجاهل ما يحدث وراءه عند هذه المنضدة، المنضدة التي سوف يجلس عليها كثيرًا الأيام القادمة، حينها سينظر أمامه كثيرًا، ولكن دون أن يستطيع نسيان من ستجلس أمامه مهما حاول أن ينسي ذلك.
اتجهت (أميرة) نحو مكتبها بعد أن أفيقت من شرودها في النظر إلى (صادق) وحالته التي أصبح عليها، لقد كرهت عرجته التي طبعت عليه بعد كل هذه القوة التي كان يركض بها من قبل، حاولت تجاهل ونسيان كل شيء حدث منذ قليل خلف باب مكتبها الذي أغلقته بإحكام، فقد جاء الوقت لتعيش حلمها دون أي إزعاج.

- استني يا خالد، أنت كويس؟

قالها (ياقوت) عندما وجد حالة (خالد) لم تتغير منذ أن جلس أمامه، شاردًا فقط، لا غير ذلك، ليرد (خالد) وهو يأخذ أنفاسه بقوة وكأنه يحبسها داخل منه:

- أه، أنا كويس يا فندم.

ابتسم له في فهم وإدراك لما به، ليقول بثقةٍ:

- هعمل نفسي مصدقك، عشان عارف إنك لو مكنتش كويس فعلًا، فأنت هتبقى كويس جدًا أول ما تدخل مكتبك، تقدر تتفضل دلوقتي.

وما أن وقف (خالد) وتحرك بعض الخطوات تجاه مكتبه حتَّى أوقفه الطبيب مُناديًا اسمه بقوة دون أن ينظر له وهو يدون شيئًا ما في الخانة المتعلقة بشخصية (خالد عبد الله) في الأوراق الخاصة بشخصيات الفيلم.

لقد كان يكتب:

«يعتمد عليه كثيرًا في سير أحداث الفيلم».

- أيوه حضرتك.

قالها (خالد) وهو يشعر بالتعب والأرق، ليرد الطبيب عليه دون أن ينظر له، قائلًا بثباتٍ:

- هنصحك نصيحة صغيرة عايزك تفتكرها دايمًا طول مانت موجود هنا، وهي إنك قبل ما تفتح بابك وتدخل العالم ده، لازم

تقلع نفسك منك.
لو كان للكلمات صوتًا لسمع الجميع صوت إطلاق هذه الكلمات من ذلك الطبيب الجالس علي مقعديه دون أن تنظر عينيه لصاحب القلم الشجاع والكلمات الثائرة الواقف أمامه، ليرد محاولًا التوازن وحمل جسده من الوقوع:
- أقلع نفسي!! مش فاهم؟!
ليطلق الطبيب النفسي كلماته ثانيةً، قائلًا ببرود وهو يعبث بأوراقه خالقًا بعض الخطوط العشوائية بقلمه -شخبطة- دون اهتزاز:
- يعني عايزك تمسكك وتقلع نفسك من عليك، وتجردك من أي حاجة ممكن تخليك تفتكر نفسك دي، مش عايزك تبقى -أنت- أول ما تدخل من الباب ده، لإنك كدا كدا هتشوف نفسك اللي أنت قلعتها دي جوه، فمتتهورش وخليك ريلاكس مهما حصل ومهما شوفت، ها، فهمت حاجة؟
ظل (خالد) ينظر له منعقد الحاجبين دون أن ينطق بكلمة واحدة، ودون أن يفهم حرف واحد مِمَّا قاله، ربما قد كره زجاجات النبيذ في ذلك الوقت للمرة الأولى منذ أن عشقها لكونها السبب الوحيد فيما يشعر به الآن من سوء، لذا لم يجدْ سوى الهروب إلى المكتب ليتألم وحده
الآن أصبح الطبيب (ياقوت صادق) بمفرده أمام المنضدة التي

كانت تحمل ستة أشخاص منذ قليل، حمل هاتفه بعد أن أخذ أنفاس اِنتهاء الاجتماع وفتح المكان الخاص بيومياته داخل الهاتف وكتب:

«لم أكن أريد كتابة كل ذلك، لكنني أكتبه رغمًا عني».

أغلق هاتفه ووضعه أمامه ثمَّ عاد بظهره إلى الخلف ناظرًا بالأعلى في سقف الشركة لتنير سريعًا حدقة عينه السوداء التي تحولت فجأة إلى اللون الأزرق، إنه يدرك أنها تراهُ جيدًا مثلما يراها هو الآن، يعلم بأنها ليست مجرد كاميرات أمن مثل تلك التي توضع في أي شركة

والأهم من كل ذلك.

أنه يعلم جيدًا من يقف وراءها الآن.

* * *

ظل واقفًا أمام شاشات المراقبة داخل غرفة التحكم المظلمة، تنتقل عينه بين الشاشات الكثيرة التي يجلس أمامها العديد من الأفراد المتحكمين بها، ينظر فيها واحدةً تلو الأخرى، البيوت الثلاثة ما زالت فارغة ولم يعدْ أصحابها بعد الآن، الشوارع التي تحاوط هذه البيوت علي الشاشات أمامه أيضًا، مكاتب الموظفين الثلاثة (خالد - أميرة - صادق)، أنحاء الشركة كلها تحت المراقبة أمامه، في النهاية توقفت عيناه عند الشاشة الكبيرة التي تتوسط هذه الشاشات الصغيرة والتي كانت تعرض حالة (ياقوت صادق) أثناء

جلوسه كما هو على منضدة الاجتماع ناظرا بالأعلى إلى الكاميرات.
- جهزوا مونتاج مشهد الاجتماع الأخير ده بسرعة، ظبطوه كويس لإنه محتاج مونتاچ كتير، أما نشوف هتكتبلنا إيه تاني بعد المشهد ده يا ياقوت.
أشعل (بدير السيد) سيجارته بعد إخبار المتحكمين بالكاميرات بما قاله الآن، مستمرًا في النظر إلى شاشات المراقبة دون أن يفعل شيئًا سوى التحديق، والنظر لكل ما يراه فقط.

* * *

أسرعت (ورد) في الدخول إلى الصيدلية التي تعمل بها، متجهةً للداخل دون أن ترتدي ملابس العمل، ليتبعها شخصًا طويل القامة، ارتدى فوق ثيابه زي العمل الخاص به -البالطو- تبين بأنه صاحب الصيدلية التي تعمل بها (ورد) عمره خمسون عامًا تقريبًا، وظهر على شعره الأسود بعض خصلات الكبر البيضاء، إضافة إلى نظارة طبية جعلت منه عالمًا قديمًا.
- مش ملاحظة إنك بقيتي بتتأخري كتير علي ما بتيجي الصيدلية يا ورد؟ أمال لو مكنش بيتك على أخر الشارع يعني!
قالها صاحب المكان باستياء، لتلتفت له (ورد) بسرعة، قائلةً في حرجٍ:
- أنا أسفة حضرتك، كدا كدا كنت هخلص كل حاجة اِنهارده.
عقد حاجبيه ليقول باستعجابٍ:

- مش فاهم! يعني إيه تخلصي كل حاجة؟
جهزت ردها الذي أخرج غضبه الذي حاول هو ألا يخرجه، قائلة وكأنها لم تكنْ تريد أن تقول ذلك، وبأن هناك أحدًا أرغمها على قول هذا الحديث:
- أنا بعتذر يا دكتور، أنا مش هقدر أكمل شغل في الصيدلية هنا.
تجمدت ملامح الطبيب، ثمَّ قال بعين متسعة:
- كدا مرة واحدة!! خدتي قرارك لوحدك ونفذتيه من غير ما تاخدي رأيي يعني؟ هو أنا يا ورد مش قايلك يوم ما تفكري تمشي من الصيدلية، لازم تعرفيني قبلها عشان أشوف حد مكانك؟! جاية تفاجئيني دلوقتي وتقوليلي إنك ماشية، لا يا ورد أنا مش موافق.
ظهرت خنقتها وملامحها المتعبة هذه المرة، لتقول بيأسٍ:
- يا دكتور الموضوع جه فجأة وكان غصب عني، وأنا فعلًا مش هقدر أكمل في الصيدلية، لو حضرتك عايز تخصم من مرتبي أو تمنعه خالص، أنا مش هزعل، بس اسمحلي أمشي.
أخرجت (ورد) كل ما بداخلها من طاقة غاضبة في هذه الكلمات بعد أن تأكدت بأنه قد هان عليها أهم الأشياء التي تحيا لها وهو عملها، ربما لهذا السبب قد وصلت علاقتها بزوجها إلى هذا السوء، فقد بدأت بالفعل تحب عملها بالمشفى وبالصيدلية أكثر منه، لذا، قررت بأن تضحي ببعض من الأشياء التي تحبها، لتشعر بحبها إلى (خالد) مثلما كانت تشعر به منذ أن قابلته أول مرة.

- مالك يا بنتي في إيه!! إيه اللي شقلب حالك كدا يا ورد؟ أنتِ عمرك ما كنتي كدا، احكيلي يمكن أقدر أساعدك.
قالها الطبيب بحنان أبٍ جعلها تجلس على مقعدٍ أمامها بعد أن شعرت ببعض من التعب، قائلة:
- مفيش حاجة يا دكتور أنا كويسه، أنا بس تعبانة ومحتاجة أرتاح شوية.
ليرد عليها بصراحة كاملة صدمتها، قائلًا بابتسامة حزينة:
- للدرجادي خالد تاعبك؟!
ظلت (ورد) تنظر إليه بعد أن أدركت بأن كل شيء تشعر به وتخفيه داخل منها أصبح مرسومًا على وجهها دون أن تعلم، ليستكمل الطبيب باقي حديثه عندما رأى اِمرأة عجوز قد دخلت إلى الصيدلية، قائلًا:
- طب قومي شوفي الزبونة دي الأول وتعالي نكمل كلامنا.
- كتر خيرك يا بني، ربنا ينور طريقك ويصلح حالك يارب.
قالتها العجوز لذلك الشاب الذي كان يسندها ويسير بها داخل الصيدلية لكونها اِمرأة كفيفة لا ترى، ثمَّ اِستكملت حديثها بعد ثوان بالنداء على الطبيب بصوت عالي.
- يا دكتور، يا دكتور عمر.
تبين بأن العجوز تقريباً تسير في طريقها الستين من عمرها، حملت كافة أمراض العالم في وجهها وجسدها، ظهرًا منحنيًا، قدما تتكأ

على عصا خشبية مريضة مثلها، عينين صغيرتان لا يكبر اِتساعهما أكثر من حجم جسد النملة، شعرا لطخه الزمن باللون الأبيض بعد أن كان ذهبيًا لامعًا، كانت تغطي نصفه بغطاء أسود قديم لم يخلتف في سواده لون جلبابها الطويل القديم المريض أيضًا.
أخرجت (ورد) مقعد صغير من الداخل وساعدت العجوز في الجلوس بعدما أشار لها الطبيب بأنه ليس موجودًا هنا وبأن تتعامل هي معها لتغادر سريعًا، فهو يعرفها جيدًا ويعرف طريقتها التي تشبه الراديو الذي لا يكف عن الحديث.
- ربنا يكرم أصلك يا بنتي.
قالتها العجوز بصوت متحشرج أثري متعب، لترد (ورد) بحنان في محاولة لتجاهل ما يدور بعقلها:
- قوليلي يا ماما أجيبلك إيه؟
أخرجت العجوز كيسًا كبير من أسفل جلبابها من الأعلى، أقسم بأنني لم أعرف كيف دخل هذا الحجم أسفل هذا الجلباب، لتقول العجوز بوجه ناصح:
- عايزة كيس العلاج ده يا بنتي، من كل نوع تلت علب، أهم يكفوني شهر ونص لحد ما أرجع أكرره وأجيبه تاني.
أمسكت (ورد) بكيس الدواء الخاص بالعجوز وبدأت تخرج ما بداخله وتضعه أمامها، ثمَّ أخذت تأتي بالدواء وهي تشعر بالتعب والأرق، ربما لا يحتاج أحدًا إلي الدواء في هذا الوقت سوى

هي فقط، لم تستطعْ أن تكف عن التفكير في كل ما تمر به وكل ما حدث معها ليلة أمس، إلى أن قررت بأن تلقي كل ما يدور داخل عقلها خارج هذه الصيدلية بعد أن كادت تخطأ في إحضار نوعًا من الدواء إلى العجوز بدلًا من النوع الصحيح، بينما ظلت العجوز تحرك رأسها ببطء شديد وكأنها ترى بوضوح مسار (ورد) وحركتها، ظلت النظارة السوداء فوق عينها تعكس صورة (ورد) عليها، وكأنها شاشة عرض تيلفزيونية.

- أنا جيبتلك كل العلاج اللي أنتِ عايزاه يا ماما، والحساب بالضبط، ٧٢٥ ج.

لم تنطقْ العجوز بكلمة واحدة ولم تحرك رأسها بعيدًا عن مكان وقوف (ورد)، بينما شعرت (ورد) أن العجور تحدق لها بقوة أسفل هذه النظارة السوداء التي تغطي وجهها.

نظر الطبيب إلى (ورد) مجسدًا بأصابعه رقم اِثنين، لتدرك هي سريعًا بأنه يريدها أن تخفض سعر الدواء مائتي جنيهًا.

- بعد الخصم يبقى ٥٢٥ بس يا أمي.

ظهرت اِبتسامة العجوز وتحطم صمتها، ثمَّ بدأت في إخراج حافظة الأموال من داخل ملابسها، عادةً قديمة تفعلها أغلب النساء القدامي، ثمَّ ألقت بجملتها قائلة وهي تمسك ورقةً من المال:

- كام دي يا بنتي؟

لترد (ورد) عليها وهي تأخذ ورقة المال، قائلة بعد أن ضغطت على شفتيها في حرجٍ:
- دي ١٠٠ ج يا أمي.
أخرجت العجوز ورقة المال الثانية، ثمَّ كررت:
- ودي؟
أجابت (ورد) وهي تأخذ أنفاسها:
- دي ٢٠٠.
كررت العجوز ثانية بكلمات ملحنة:
- وكام دي؟
ردت (ورد) بالصمت، لم تكنْ تعرف بماذا ترد على العجوز هذه المرة عندما رأت قيمة ورقة المال الثالثة التي أخرجتها هذه المرأة، لتكمل (ورد) بكلمات متقطعة ملئها الحرج:
- لا، ده مش ١٠٠ ولا ٢٠٠.
لترد العجوز دون وعي:
- كام يعني؟
لترد (ورد) رغمًا عنها، قائلة وهي تأخذ أنفاسها في خنقةٍ:
- ده نص جنيه يا أمي.
خرجت ضحكة عجوزة شقية من هذه المرأة العجوز عندما سمعت كلمة (ورد) لترد وقد جعلت (ورد) تضحك أيضًا:
- يوه، نص جنيه !! وإيه اللي جابوا جنب اللي يتشكوا في قلبهم

دول بس، دول سفاحين يا ختي وهو مش قدهم، كام دي يا بنتي؟ نص جنيه بردوا؟

اِبتسمت (ورد) لكلماتها، ثمَّ ردت بمزاحٍ:

- لأ يا أمي، ده سفاح المرة دي، ١٠٠ جنيه.

أغلقت العجوز حافظة أموالها، ثمَّ استكملت بتلقائية:

- ماشي، خلاص كدا؟

اختفت ابتسامة (ورد) وصمتت قليلًا وهي تنظر إلى الطبيب الذي ملت منه لكثرة هذه الإشارات التي يفعلها، لقد شعرت بأنها أصيبت بعدم القدرة على الحديث بسبب طريقته، أدركت الآن لماذ أخبرها بأنه ليس موجودًا، إنه يخفي نفسه ليستريح من أساليب الزبائن ليجعلها هي تستقبل كل ذلك، ولكن لا مشكلة، إنه يومها الأخير في العمل، ردت مترددة:

- كدا يبقى فاضل ١٠٠ يا ماما.

لتبدأ الأم العجوز في إطلاق صواريخها المدمرة:

- منين بس يا بنتي، أنا إديتلك معاشي كله دلوقتي، نادى بس للدكتور وعرفيه، هو مش هنا ولا إيه، يا دكتور.

ارتفع صوت العجوز مرة أخرى لتوقفها (ورد) بسرعة قائلة ببعض الحزن من نفسها لما تفعله مع هذه المرأة:

- لا يا حجة، الدكتور مش هنا، وأنا مش عارفة أقولك إيه والله، أنا شغالة في الصيدلية ومقدرش أتصرف في أي حاجة بمزاجي.

ردت العجوز علي هذه الجملة بابتسامة امرأة قوية، قائلةً بفقدان أمل حاولت ألا تظهره:

- خلاص يا بنتي، شيلي علاج بتمن الفلوس الباقية، وأنا هبقى أجي أخده تاني لما يخلص،

نظرت (ورد) إلى الطبيب برجاء ليشير لها بخنقة بأن تعطي الدواء للعجوز، لترد (ورد) بابتسامة وسعادة:

- اتفضلي يا أمي، العلاج كله أهو، أنا مشلتش أي حاجة.

وما أن سمعت العجوز هذه الكلمات حتَّى زرعت بعض الأزهار داخل قلب (ورد) قائلة وهي ترفع يدها إلى السماء:

- روحي يا بنتي ربنا يصلح حالك، وتفتح الشمس عين طريقك لو كان مغمض، ربنا يكرم أصلك يا بنتي.

أنيرت (ورد) بعد هذه الدعوة المختلفة، ثمَّ قالت بفرحة:

- ربنا يشفيكِ ويقومك بالسلامة يا أمي.

أمسكت العجوز بالعصا واستعدت لمغادرة المكان، لتتوقف ثانيةً وكأنها تذكرت شيء ما، قائلة وهي تقرر قطع كل الأزهار التي خلقتها بكلماتها منذ قليل:

- صحيح يا بنتي، فيه دوا كدا كنت عايزه أشوفه موجود عندكم ولا لأ؟

لترد (ورد) بتلقائية:

- دوا إيه ده يا ماما؟

أطلقت العجوز صواعيقها بهمسٍ:
- ألا أنتوا معندكوش هنا علاج للموت؟
«مثلما يوجد أفرادًا يتمنون زيادة أعمارهم أعمار، يوجد أفراد أيضا يتمنون نسف أعمارهم مبكرًا».
ألقت هذه المرأة جملتها الصادمة بابتسامة تزين وجهها، لتصمت (ورد) قليلًا، قائلة بعين متسعة:
- ليه بتقولي كدا بس يا حجة؟
أخرجت العجوز أنفاسها ثمَّ ردت ممسكة بالدواء بشدة وكأنها تحتضن اِبن لها:
- أصلي تعبت أوي يا بنتي، تعبت من كتر أخد الأدوية اللي مبتريحش ولا بتجيب أي فايدة دي، شوية علاج مبيخففوش وجعي ولا حتَّى بيريحوني.
حاولت (ورد) تخفيف ألمها الذي لا تخفيف له، لتقول وكأنها شعرت بأن تتحدث إلى أمها بالفعل:
- استغفري ربك يا أمي، إن شاء الله تخفي وتقومي بالسلامة.
لم تكتفِ هذه المرأة بما قالته لتستكمل حديثها الذي أشعل نيران الحزن داخل (ورد):
- عارفة يا بنتي، أول مرة في حياتي بعد تلاتة وستين سنة أشوف علاج بيذل أكتر ما بيداوي، شوية شرايط وشوية حقن بيخلوني أنزل كل شهر قدام البيت مستنية أي حد يلمحني عشان يوصلني

لأي صيدلية وأجيب العلاج، طب إزاي!! إزاي وأنا عندي أربع عيال أصغر واحد فيهم عندوا تلت بنوك في بلاد شكل، وأجي أنا دلوقتي مش عارفة أدفع حقه كله، يلا ربنا يحفظهم ويباركلهم هما وعيالهم.

اِنعقد حاجبيها في اِستعجاب، ثمَّ قالت ببعض الغضب الذي بدأ يجلس داخلها:

- طب وهما مبياجوش ليه يجيبولك الدوا؟

اِبتسم وجه العجوز ثمَّ قالت وكأنها لا تتألم:

- عشان نسيوا يا بنتي.

أجابت العجوز على سؤال (ورد) لكنها لم تفهم شيء منها، لتكرر (ورد) كلماتها بطيبةٍ:

- نسيوا إيه بالظبط !! نسيوا ييجوا يجبولك الدوا اِنهارده يعني؟!

أطلقت صاحبة الستون حزنا كلماتها دون أن تتوقع (ورد) إجابتها:

- دوا إيه اللي ينسوه!! عيب تقولي كدا على ولادي، دول نسيوا إن لسة عايشة أصلًا يا بنتي،

امتلئت عين (ورد) ببعض الدموع القليلة لكنها لم تسقط، في حين ما كان ينظر الطبيب باهتمام إلى (ورد) وكأنه لا يرى العجوز أمامه، لقد جلس وكأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًّا:

- نسيوا اللي عملت من بطنها بيت تسع شهور، اللي عملت جلدها لحاف في البرد ومكنتش بتدوق النوم لو واحد فيهم بس

كح أو قال أه، الواحدة لو كانت تعرف إن جوازها وغربتها عن بيت أهلها اللي عصتهم يوم ما وقفوا قصادها، كانوا ممكن يغيروا حالها وشكلها كدا، مكنتش اِتمنت لحظة واحدة أن يبقالها ضني تفرح بيه يوم واحد، عشان عمرها ما كانت هتقبل إنها تتعب وتكبر وتربي، وبعد كل ده، تروح كل يوم تفطر عند واحد من الجيران عشان مبتشوفش، أنا مش طالبة أي حاجة والله يا بنتي، ولا حتَّى فكرت أكلم واحد أو واحدة فيهم عشان ييجوا يقعدوا معايا، أنا بس بقيت بخاف أوي.

أوشكت قطرات عينها على المجيء، ثمَّ قالت بفضول وكأنها ترى نفسها الآن بعد ثلاثون عامًا:

- بتخافي من إيه؟

لتجيبها العجوز بحزن أشعل شيء ما داخل (ورد):

- بخاف أدخل الحمام لوحدي، بخاف أقع ويحصلي حاجة وأموت جوه، وأقابل ربنا وأنا متوسخة ومن غير نضافة.

أنهت العجوز حديثها وهي تستعد للوقوف ومغادرة هذا المكان لتعود إلى ظلام منزلها، في حين ما استمرت (ورد) في النظر إليها مصدومة، لتسقط دموعها سريعًا بعد سماع كلمات المرأه التي اختفت بعدها:

- ربنا يحفظكم يارب وينور طريقكم، ويبارك في صحتكم ويبعد عنكم ولاد الحرام، ربنا يغطيكم دايمًا وما يعريكم أبدًا قدام

جيرانكم ولا يذلكم، ربنا ينور بصيرتكم وميفقرش ولادكم عنكم لحد ما شعركم يشيب ويشيلوكم، يارب، خلي شمسك تفتح عين طريقهم لو كان مغمض.
- كل حاجة تمت زي ما أنت طلبت، والكاميرات اللي في الصيدلية صورت كل حاجة حصلت، وأظن حالة ورد باينة عندك دلوقتي.
أرسل صاحب الصيدلية تلك الرسالة إلى هذا الرقم على هاتفه والذي سُجل.
«المخرج بدير».
-إبتسامة لك-

* * *

ظلت المرأة العجوز تسير وهي تستند على عصاها الخشبية في تعرج وألم، إلى أن وصلت إلى ذلك المكان الفارغ القديم المهجور قرب الصيدلية التي تعمل بها (ورد) ثمَّ وقفت أمام سيارة بيضاء غُلف زجاجها باللون الأسود الذي يخفي ما يحدث وراءه.
نظرت حولها في حرص وحذر قبل أن تدق باب السيارة، وما أن اِطمئنت من أن لا أحد يراها، حتَّى وضعت خبطتين على الباب من الخلف، لم تمر ثوان قليلة حتَّى انفتح الباب الخلفي.
- الله يا نور يا ست إيمان، ممثلة عشرة على عشرة، مفيش غلطة غلطة واحدة.
قالها (بدير السيد) بوجه سعيد وفرح، لترد العجوز بابتسامة وهي

تزيل باروكة الشعر البيضاء عن رأسها ليظهر الشعر الذهبي اللامع، ثمَّ النظارة السوداء الكبيرة لتظهر العينين الواسعتين واللامعتين، قائلةً بصوت ناعم جريء بعد أن ظهر جمالها العشريني:

- تعليمك يا ريس، وبعدين أنت المفروض تشكر النضارة دي كمان، هي اللي عملت معانا الواجب اِنهارده بالكاميرا اللي فيها.

أعطته النظارة في أنوثة حارقة، ليرد عليها بنظرةٍ حب ذكية:

- طب تعالي يلا عشان تشوفي نفسك في الشاشة.

صعدت إلى السيارة ثمَّ أغلق (بدير) الباب الخلفي بعد أن دخلت لتشاهد كيف كان المشهد يسير هناك، والآن تتم المشاهدة داخل السيارة التي امتلئت بشاشات المراقبة الصغيرة.

أخبرني يا «أنت».

هل ما زلت واثق بأن حيطان غرفتك فارغة؟

* * *

لم تكن هي من تتحدث، بل كان داخلها:

الآن قد عُدت إلى غُرفتي مرةً أخرى، لا ملجأ لي سواها بعد كل ما يحدث لي وأراه كل يوم، أسير وأناطح أحداث يومي لتمر سريعًا وأعود إلى منزلي حتَّى أصبح داخل غرفتي، وبعد ثوان، يكون الروتين المُعتاد، ألقى حقيبتي ذات اللون الرمادي على فراشي الأزرق، وأبدل ملابس الشارع بملابس البيت، ثمَّ أجلس على السرير برفقة من يجلس الجميع معه وليس معي فقط،

إنه هاتفي المحمول، أتنقل من منشورٍ لأخر في الصفحة الرئيسية على موقع الفيس بوك، وأتابع كيف تسير حياة أصدقائي الذي لا أعرف نصفهم، أشاهد من يدون ذكري حفل زفافه فوق صورةً له ولنصفه الأخر، وفتاة أخرى تخبر من هم لديها بأن هذا المنشور هو أخر كلماتها بعد أن قررت الرحيل عن العالم الذي فرقها بنصفها الأخر، لأسرع أنا حينها بفتح صفحتها الشخصية وأحاول أن أهدئ من روعها ليصدمني بعد ذلك منشور إحدى صديقاتها الحزين، والذي أوضح صورة كفها الأيسر محتضنًا بسكينٍ حاد، وبعد ثوان من الصدمة، أعود لاستكمال المشاهدة بحزن داخل صفحة الحوادث الخاصة بي.

أقصد «الصفحة الرئيسية».

ارتفع صوت دقات باب غرفتها، لترد (نور) قائلة:

- ادخل.

دخلت والدتها مبتسمة وكأنها لم ترَ اِبنتها منذ وقت طويل، لم تكنْ كبيرة إلى الحد الذي يجعلك تدرك بأنها الأم وليس العكس، فقد كانت جميلة، بيضاء البشرة، بشوشة، واسعة العينين، اِبتسامتها تعلن عن سلام العالم النفسي الذي قد انقرض أو -مات- ولذلك قد ظهرت سعادة اِبنتها على وجهها فور دخولها، لتخبرها بسعادة وبصوت حالم وكأنها قد نست ما رأته في هاتفها منذ قليل:

- تعالي يا ماما أنا مبعملش حاجة.

كانت هذه أول كلمات قالتها الابنة بهدوء شديد وبسعادة من الممكن أن يراها البعض مبالغ بها أو غريبة، حتَّى أنا فقد رأيتها غريبة بعض الشيء لكنني لم أراها مبالغ بها -عندما علمت كل شيء- جلست الأم بجانب اِبنتها على الفراش ثمَّ وضعت يدها على شعرها وبدأت تسير بها عليه ناظرةً لها بابتسامة، لتكسر حاجز صمتها وتقول باشتياق نحو ابنتها:

- وحشتيني أوي.

زادت هذه الجملة من سعادة الابنة وكشفت عن أسنانها، لترد وهي تضع رأسها ببطء داخل أحضان والدتها:

- وأنتِ كمان وحشتيني أوي، عارفة إننا مبقناش نشوف بعض كتير، وإني طول الوقت بره البيت ولما برجع بتكوني نمتي، بس غصب عني والله، أنتِ عارفة إني لازم أبقى بره ع طول علشان..

لم تستطع أن تكمل حديثها والنطق بما تريد أن تقوله، لترد والدتها التي تشعر بها وتفهمها دائمًا، قائلة بابتسامة واعية:

- علشان صادق، صح؟

لم ترفعْ وجهها لتنظر إلى والدتها، ولم تتوقف عيناها عن النظر إلى كل شيء حولها وهي بين أحضانها بعد أن سمعت الاسم الذي أوشكت أن تحفظ معالم حياته جيدًا، لتقرر والدة (نور) اِستكمال حديثها عندما وجدتها لا ترد ولا تتحرك من بين أحضانها، قائلةً بابتسامة:

- طمنيني، عاملين إيه مع بعض الأيام دي؟
أمسكت (نور) فجأة بذراع والدتها بشدة وكأنها سمعت شيئًا يخيفها ويخلق الفزع بداخلها، لترد الأم بسرعة بعد أن توقعت ما تشعر به ابنتها:
- إيه يا نور !! أنتوا رجعتوا تتخانقوا تاني زي الأول؟!
- إحنا عمرنا ما بطلنا خناق أصلًا يا ماما، بس المرة دي أنا تعبت، ومعتش قادرة أشيل أكتر من كدا من غير ما حد يشيلني.
قالتها (نور) بحزن دون أن تتحرك من أحضان والدتها بعد أن وجدت الفرصة لتخرج ما بداخلها لأحد ما، لترد والدتها وهي تمسك بذراعيها وتعيد وضعيتها في الجلوس ناظرة لها، قائلة بإدراك حزين:
- نفس موضوع كل مرة؟؟
هزت (نور) رأسها بالإيجاب البائس، لترد والدتها محاولةً أن تخرجها مِمَّا تشعر به:
- طب مش جايز تعبه مأثر عليه شوية؟
شعرت بعد هذه الجملة بأنها تريد أن تخرج كل ما بداخلها حتَّى ولو وصل إلى أن تسب (صادق) نفسه، لترد بعد أن عقدت حبال صبرها إلى حد الخنق:
- لا يا ماما، صادق على طول كدا، حتَّى في الأوقات اللي بيبقى كويس فيها بيكون كويس مع كل الناس إلَّا أنا، والمشكلة بقى إني

لما ببعد بيكلمني تاني وبيقولي أنا محتاجك، فمبعرفش أقوله لأ وبروحله تاني عشان أسنده.

اِنعقد حاجبي الأم قليلًا غاضبة لتصرفاته، لكنها حاولت أن تتجاهل ذلك سريعًا دون أن تبينه لابنتها، قائلة بفريق كامل يدافع عنه:

- ما جايز فعلًا مبيحتاجش حد غيرك يسنده، وجايز بردوا مش عايز يبان ضعيف قدامك بسبب مرضه فبيضطر يتعامل معاكِ بالطريقة دي.

أشعلت هذه الجملة حقولًا من اللغم بداخلها، لتطلق جملتها بانفجار:

- وأنا ذنبي إيه أستحمل كل ده؟

نظرت الأم لعين ابنتها بفهم، ثمَّ قالت ببرود منطقي تام:

- إنك بتحبيه يا نور.

ردت بالصمت ثمَّ نظرت إلى والدتها بارتباك، حاولت أن أن تبعد عيناها ببطء عنها بعد أن أدركت أن حبها إلى (صادق) أصبح عيبًا تحاول الهرب منه، ثم وقفت على أقدامها شاردة وهي تسير بعض الخطوات القليلة لتصبح أمام مرآتها، أكملت حديثها بهدوء ناظرةً إلى نفسها:

- يقوم يحسسني إني مش حاسة بيه!! وإن كل اللي بعمله علشانه، مجرد عطف.

أدارت وجهها بسرعة ناظرةً لوالدتها، لتكمل بغضبٍ قتل هدوئها:
- يحسسني إن كل حاجة بديهاله ملهاش أي قيمة عنده ومش موجودة كمان، يقولي إني وجودى جنبه وحبه ليه مجرد عطف عشان بس مش عايز يبان ضعيف، مش عايز يبقى ضعيف فيحسسني أنا إني ضعيفة، صح يا ماما!
أبعدت عيناها عن اِبنتها الغاضبة، ثمَّ ردت بنفس المدافعة ونفس البرود التي قتل اِبنتها:
- الحب مفيهوش ضعيف يا نور.
- لأ فيه، اللي أنا فيه ده أكبر ضعف وأنتِ عارفة كدا كويس.
قالتها بغضب متزايد لترد والدتها بجملة أخرجت اِبتسامة (نور) الساخرة:
- يبقى خلاص، بطلي تحبيه.
لم تمحي اِبتسامتها الهزلية من فوق وجهها، لترد بصوتٍ حطم:
- والله لو كنت أقدر لكنت عملت كدا من زمان أوي، من أول يوم شوفته فيه.
نظرت الأم إلى (نور) نظراتٍ مكسورة حتَّى هبط وجهها إلى الأسفل، وفجأة، وقعت عيناها على صورة الفتاة المنتحرة في هاتف اِبنتها، لتقول مندفعة:
- مين البنت دي؟
حاولت (نور) أن تجمع كلماتها وهي تمسح دموعها، لتقول

بصوتٍ خافت:
- دي واحدة عندي على النت بس معرفهاش، اِنتحرت اِنهارده، كتبت بوست قبل ما تموت وقالت إنها بدأت تحس بالوحدة طول الفترة اللي فاتت، خصوصًا بعد ما اللي فضلت تحبه ٤ سنين خانها من كام يوم، مع أختها، الظاهر كدا إن معتش فيه رجالة تملي عينهم يا ماما.
اِتسعت عينها من برود كلماتها الساخنة، ثمَّ نقلت عينها بالنظر إلى الصورة مجددًا، إلى أن عادت بالنظر إلى اِبنتها قائلة بخوف، على أمل أن تسمع رد يطمئنها:
- واضح إنك كنتي متابعها كويس!
لترد (نور) بتلقائية وبرود:
- خالص على فكرة، بس الدنيا كلها بقت شبهها، أي حد بقى بيمر بحاجة صعبة ومش قادر يعديها بقى بيعمل زيها بالظبط، وده أكبر فرق بين جيلكم وجيلنا، جيلكم اللي بيسلم بالأمر الواقع وجيلنا اللي مش صابر وإيمانه ضعيف.
لم تطمئنها كلماتها مثلما تمنت، لتستكمل بصوتٍ زاده الخوف أطنان:
- طب وأنتِ! ناوية تعمل زيها؟
قالتها وهي ما زلت تأمل في إجابة صغيرة تجعلها تشعر ببعض السكينة والسلام، لترد (نور) قائلة وهي تحدق بعين والدتها بعد

ثوان من التفكير:
- مش عارفة، بس لو حتَّى فكرت أعمل ده مش هتردد، على الأقل هجيلك، مش بتقولي إني وحشتك!
انتفض جسد والدتها بغضب وما أن كادت تنفجر في وجهها حتَّى دخلت شقيقة (نور) إلى غرفتها لتجدها واقفة أمام السرير وتحدق به وكأنها كانت تتحدث إلى شخص ما، نظرت شقيقتها إليها ثوان قليلة دون أن تتحدث ثمَّ قالت باستغراب:
- نور، أنتِ كويسة؟؟
أفيقت من شرودها بعين دامعة، ثمَّ قالت بألم وهي تنظر إلى موضع جلوس والدتها، حيث الفراش الفارغ تمامًا:
- كويسة.
نظرت شقيقتها إلى الفراش وهي تبحث بعينها عمَّا تنظر له (نور) لكنها لم تجد شيئًا سوى حقيبتها وهاتفها، لتسألها والاستعجاب ما زال على وجهها:
- طب إيه!! مش هتيجي معانا؟ اِنهارده سنوية ماما.
«حتَّى أنا فقد رأيتها غريبة لكنني لم أراها مبالغ بها، عندما علمت كل شيء، أظن بأنك الآن قد أدركت كل شيء يا «أنت».
من قال بأن هؤلاء الذين ذهبوا إلى السماء قد مات كل شيء فيهم.
لا ، لم ، يمت ، شيء ، قط.

ربما قد صعدت أجسادهم إلى السماء، واختفت ظلالهم ولم تعدْ تظهر أمامنا على الأرض، ولكن ما زالت أصواتهم تتردد داخل منا، أرواحهم تحيطنا في كل ذكرى لنا معهم، ما زالوا يداعبوننا، وما زالنا نحن نشعر بهم وبلمساتهم واحتضانهم لنا، ما زالوا يشعرون بنا فيأتون إلينا ويتحدثون.

الفكرة هنا أنه لن يوجد أحدًا يصدق حديثنا هذا، لن يصدق أحدًا أننا ما زالنا نراهم داخل غرفتنا وعندما نجلس بمفردنا، إلا إذا :

«مات المقربون منهم، وأصبحوا يأتونهم أيضًا».

- هاجي أكيد، روحي أنتِ، أنا هلبس دلوقتي وهطلعلك على طول.

قالتها (نور) وهي تأخذ أنفاسها متجهةً لتجلس علي فراشها ممسكةً بهاتفها لتخفي ذلك المنشور الذي أوشك أن يلتصق بالهاتف، وما أن خرجت شقيقتها وأغلقت الباب خلفها حتَّى عادت والدتها في الظهور ثانيةً واقفة أمام (نور)، لم تنتبه الابنة هذه المرة إلى ظهور الأم المفاجئ، إلى أن اِنتفض جسدها بفزع عندما أطلقت أمها حديثها بانفعال:

- نور، قبل ما تنطقي أو أسمع منك أي كلمة، ومش عايزاكِ تردي أَصلًا على كلامي اللي هقولهولك دلوقتي، لو كنتي فاكرة إنك هترتاحي فعلًا لو عملتي زي البنت دي تبقى غلطانة، علشان

لما تطلعي فوق في السما، مش هتجيلي ولا حتَّى هتلمحي ضلي، ربنا يا حبيبتي مبيخلطش المؤمنين بضُعاف الإيمان، ومتفتكريش بردوا إنك مش هتندمي على اللي هتعمليه، ده أنتِ هتتمني روحك تتردلك تاني وترجعي الدنيا عشان تعيشي باقي عمرك وأنتِ مؤمنة، فبلاش تقفي قدام ربنا وأنتِ مزعلاه، بلاش تطلعي فوق عشان تقولي سامحني يارب، اصبري عشان اللي أنتِ فيه ده فترة وهتعدي، لكن لو عايزة تبقى لوحدك فعلًا ومتشوفنيش تاني اعصي ربنا يا نور، ومتروحيش تزوريني دلوقتي لو لسه كل الحاجات دي في بالك.

اِمتلئت عيناها بالدموع بعد أن اِنتفض جسدها وهي تبحث بشدة عن والدتها في أنحاء الغرفة.

- ماما !

لكنها لم تجدها.

-فقد عادت للسماء ثانيةً-

* * *

لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:

ماذا ستفعل إذا أدركت بأنك خُلقت في هذه الحياة دون أن يكون للحظ مكانًا بداخلك؟

لا تعرف!!

وأنا أيضًا هكذا، لم أعرف مُطلقًا ماذا أفعل مع حظي في هذه

الحياة، والتي دائمًا ما تجعلني أشعر بكمٍ هائل من الأحاسيس القاتلة، فدائمًا ما تشعرني الحياة بأنني «نحسٌ» أو أنني أصبحت زوج أمها الذي سرقها من أطفالها الصغار، حيث كانت هذه الحياة ضمن هؤلاء الصغار، عاشت معي وهي تنظر لي دومًا نظرات قاسية من خلف باب غرفتها، نظرات لم أقدر على استيعابها وتفسيرها يوما، إلي أن بدأت تكبر كل يومَّ، تكبر، وتكبر، وتكبر ، حتَّى أصبحت تدرك جيدًا هذا الشعور الذي كان يقتلني ثمَّ يحييني ليقتلني ثانيةً.

وهو أنني سرقت كل شيء من أمها ليصبح لي وحدي، دون أن أعطي لها ولإخوتها شيء منه.

-لقد فهمتني الحياة دائمًا بطريقة خاطئة، بل لم تفهمني أبدًا من البداية-

عاشت الحياة تنظر لي، تراقبني، ترسم الأحداث وتخزنها ثمَّ تنحت الذكريات تماثيلًا داخل عقلها حتَّى تأتي اللحظة التي تنتقم فيها مني، كانت تدرك بأنني سرقت كل لحظات الحنان والطيبة والخوف والقلق والحب من أمها وأخذتها لي، لذا فقد قررت أن تقسو عليّ بسلاسل صنعت من الغضب المتين الذي لا يتفتت، لم تكتفِ بذلك فقط، لقد شعرت الحياة ثانيةً بأنني أكرهها وبأنني لم أقبل بوجودها معي ومع أمها لذا فمن الواجب طردها، لتقرر سريعًا أن تعطيني مليارات من الصخور الجبلية

لأحملها فوق ظهري وأسير بها باقي طريقي، ثمَّ شعرت بعد ذلك للمرة الثالثة، بأنني جعلت أمها ترهن كافة مشاعرها اللامعة في سبيل أمنياتي الكثيرة، لتقرر حينها وبسرعة أن تحرمني تمامًا من كل هذه الأمنيات.

والتي لم يتحقق منها شيء واحدًا بالفعل، فقد نجحت الحياة في اِنتقامها لي.

ولكن حتَّى لا أنسى فضل هذه الحياة عليّ، فقد أهدت الحياة لي هدية واحدة لم أحلم يومًا أن تهديها لي أبدًا، لم أكنْ أريد هذه الهدية خاصة عندما أدركت أنها كانت بمثابة انتقامٍ قاتل لي

- لقد كانت الهدية، هي أنني ما زلت أعيش بالحياة-

وهكذا كان حظي معي هذه الحياة المنتقمة.

-زوجًا لأمها-

أشعل (نادر) سيجارته بوجهٍ بائس يكره الحياة داخل غرفته الممتلئة بالأجهزة الإلكترونية المتعلقة بكونه مهندسًا إلكترونيًّا، ثمَّ زفر أول أنفاسه ملقيًا عاصفة الدخان تخرج من داخله، ثوان وفتحت شقيقته باب الغرفة لتقابل عاصفة الدخان أمامها، بدأت تحاول إبعاد الدخان عنها وهي تخرج بعض الكُحة من رئتيها، قائلة لأخيها التي وقعت رأسه أمام جهازه الإلكتروني وكأنها أصبحت جزءًا جديد منه:

- إيه يا بني اللي أنت عامله في نفسك ده، أنت مش كنت بطلت

شرب سجاير من كام شهر يا نادر؟!
لم يلتفت وجهه كاملًا حتَّى نظر لها بنصف وجهٍ نظرةً لم تطل، ليرد وهو يحدق باللاب توب:
- كنت.. ومش كل حاجة كانت بتختفي تمامًا من حياتنا.
رفعت شفتيها قليلًا بعد أن أدركت الأمر، لترد قائلة وهي تمد في الكلام وكأنها أدركت شيء ما:
- أه، قولتيلي بقى! بدام رجعت تتفلسف تاني كدا يبقى أكيد اِتخانقت أنت وأميرة.
تجمدت رأسه تمامًا عن الحركة وثبتت أنظاره أمام الشاشة، لتستكمل شقيقته الحديث قائلة بسرعة:
- عمومًا الأكل جاهز بره، يلا علشان تاكل.
عادت خطوتين إلى الوراء نحو الباب وهي تحدث نفسها بمهس ناظرةً له:
- أول مرة أشوف واحد بيعقل ويتفلسف لما يتخانق مع الناس، حاجة غريبة والله.
اهتز جسده كاملًا باندفاع بعد جملة شقيقته إلى أن وقعت عيناه على الباب مُغلقًا بعدما خرجت، ليدرك سريعًا بأن ما تفعله (أميرة) معه يلاحقه دومًا أينما يكون حتَّى وإن لم تكنْ هي معه، إنها بمثابة ثوب أجبر هو على اِرتدائه رغم اِمتلاكه العديد من الثياب، عاد إلى وضعيته أمام الشاشة ثمَّ فتح صورة قديمة تخص

(أميرة) وأخذ يكبر حجم الصورة.
ثوان وامتلئ وجه (أميرة) الشاشة كاملةً، ظل ينظر لها بشدة نظراتٍ تأكلها، لقد تمنى في هذه اللحظة أن يحدث شيئًا يجسد (أميرة) كاملة أمامه، ربما حينها قد يحيا من جديد.
(نادر) من نوعية الأشخاص الذي تحالف الحظ وأقاربه جميعًا ضده، الشخص الذي ما إن يتمنى شيئًا حتَّى يجد نقيضه أمامه، بل ربما لا يجد شيئًا من الأساس.
«أخبرك بأنه قد صنع النحس والفقر من جينات هذا الفتى».
لم تكنْ معرفته ب(أميرة) باللحظة المبهرة التي لا تنساها هي، بل كانت عادية جدًا، أما بالنسبة إلى (نادر) فقد كانت أول ابتسامةً له من الحياة بعد معركة طويلة من الشقاء وفقدان الأمل.
- المشتركة رقم ٣٥، قبول، المشتركة رقم ٣٦ قبول، المشتركة رقم ٣٨ قبول، المشتركة رق...
ارتفع صوت أحد المسئولين بنتائج مسابقة الالتحاق بفريق الباليه لتقاطعه (أميرة) فجأة، قائلة باستعجاب:
- لو سمحت حضرتك، أنا رقم ٣٧ ودي خامس مرة أقدم فيها في الفرقة واترفض، عايزة أفه...!
قاطعها المسئول متحدثًا بطريقة لا تليق بهذه الوظيفة، ربما لا يليق به سوى أن يجمع بقايا الحيوانات أو أن تجمع الحيوانات بقاياه النتنة:

- هو معاليكِ متعرفيش شروط المسابقة ولا إيه؟
أعلى الرجل صوته مستكملًا باقي حديثه إلى (أميرة) أمام الجميع:
- هو فيه إيه يا جماعة!! إحنا مش قولنا الشركة مش هتقدم أي مبررات على النتيجة وهي بتتعلن ولا إيه، يا جماعة، الناس اللي ملهاش فرصة في فرقتنا السنة دي تطمن نفسها، عشان هيبقى ليها الأولوية السنة اللي جاية في فرقتنا.
- أنت كداب على فكرة.
قالتها (أميرة) بجرأة كبيرة بعد اِنتهاء المسئول من حديثه، ليرد عليها مصدومًا:
- أنتِ بتقولي إيه!!
لتستكمل بثقة وعدم خوف:
- أيوه كداب، ومبتفهمش كمان، أنا دي خامس مرة أقدم فيها وكل مرة بتقولوا نفس الكلام ومبيتنفذش منه أي حاجة.
احتضن بأوراق النتيجة وكأنها صندوق قارون الذهبي، ليكمل مضيقًا عينيه بسخافةٍ:
- والله بقى العيب مش مننا، جايز أنتِ اللي معندكيش موهبة الرقص أصلًا وجاية تقرفينا وتعطلينا وخلاص.
لم تفكر -فتاة الأوسكار- فيما فعلته سريعًا بعد هذه الجملة، حتَّى بدأت تقترب نحو المسئول بابتسامة وبطء، ابتسم لها عندما أدهشه ابتسامتها له، وما أن وصلت أمامه حتَّى قذفت قليلًا من

حبات الماء من فمها في وجهه، لقد صفعته قطراتها وكأنها قد أتت من كفها وليس فمها
اِتسعت أعين الجميع من حولها بعد أن صدموا من فعلتها إضافةً على اِرتفاع بعض أحاديثهم المتداخلة التي تعبر عن صدمتهم بسبب ما فعلته، في حين ما التفت فجأة ذلك المُعد والمهندس الإلكتروني الذي كان يعمل على إصلاح بعض الكاميرات بالمكان ناظرًا لما فعلته هذه الفتاة بعين مدهشة، لقد كانت لحظة اللقاء، هنا.

- إنتوا يا بهايم يااللي يا بره، حد ييجي يطلع الزبالة دي من هنا، مش عايز أشوف وشها هنا تاني، لا هي ولا أي أشكال تانية زيها.
أكمل المسئول باقي وقاحته أقصد بقى حديثه دون أن يرفع يده أمام وجهها خوفًا من ملامحها الحادة، ثوان واقترب منها بعض رجال الآمن ليخرجوها سريعًا ولكنهم لم يستطيعوا، فإنها فتاة الأوسكار يا «أنت».

- اللي هيقرب مني هفطر بيه قدام الخلق دي، أنا همشي لوحدي.
نظرت إلى المسئول مبتسمةً له بشدة، لتقول وهي تحدق في عينيه بجرأة:

- وهطلع من المكان النضيف بتاعكم ده، يا شوية، نُضاف.
خرجت من بين رجال الأمن وهي تدفع بهم، ناظرًا الجميع لها وناظرةً هي أمامها دون النظر لهم، فلم يكنْ يشغلها أحدا،

ليستمر المسئول في حديثه ناجحًا في إعادة كل شيء إلى طبيعته أو إعادته هو إلى طبيعته بعد أن أخذ حمامًا سريعًا من قطرات فتاتنا.

- المشتركة رقم ٣٩، قبول، المشتركة رقم ٤١ قبول.

استندت (أميرة) علي سيارتها الواقفة أمام المكان التي كانت تحلم باستكمال حياتها به دون أن تهتز شعرةً صغيرةً بها وكأنه لم يحدثْ لها شيء، ظلت تحدق كثيرًا إلى المبنى الكبير وهي تتأمل صور بعض الراقصات المعلقة أمام جدار المبنى الأمامي، كانت صورًا تخص أمثالًا مثل « مايا بليستسكايا « و « Nina Kaptsova « و « نيللي كريم « و «Natalia Osipova « و « رودولف نورييف « الأشخاص التي لم تحلمْ يومًا أن تكون مثلهم، بقدر ما حلمت أن يكون لها صورة بجانبهم هنا.

أخرجت سيجارةً من حافظة سجائرها المعدنية وألقت بها بين شفتيها، وما أن كادت تشعلها حتَّى اِرتفعت فجأة بعض الأصابع أمام وجهها وأشعلت سيجارتها بدلًا منها، لم تهتز من مكانها ولم تتحرك، بل اِكتفت برفع عيناها إلى الأعلى لترى من ذلك السخيف الذي ظهر فجأة، لقد تبين لها بأن هذه الأصابع التي اِرتفعت لتشعل سيجارتها كانت أصابع المُعد الإلكتروني الذي كان يعمل بداخل هذا المبنى، أو بصيغة أخرى، إنه المعد الذي ظل يتابع شجارها مع المسئول لحظة بلحظة، إنه

- أقذر إحساس ممكن الواحد يحسه إن يشوف حلمه اللي عايش عليه بيتفرم قدامه، والأقذر من كدا إن اللي يفرم الحلم ده، ناس ملهاش أي لازمة ومتفهمش يعني إيه حلم أصلاً، زي الدُوغف اللي كان جوه من شوية.
ظلت (أميرة) تنظر إليه باستعجاب دون أن تنطق بكلمة واحدة أو تزفر حتَّى دخان سيجارتها المعلقة في شفتيها، ليستكمل هو حديثه الذي سيسرقها بعد ثوان، قائلًا بعين جاهدت في أن تتماسك أمام صاحبة العين الحادة:
- متستغربيش أوي كدا، أنا بس غاظني اللي حصلك جوه من شوية، وجيت أقولك إن متأكد من موهبتك بنسبة مليون في المية، ومن غير حتَّى ما أشوفك وأنتِ بترقصي، بس اللي يدافع عن حلمه بالطريقة دي، يبقى واثق أوي فيه وفي حلمه، عشان كدا مسيرك هتحققيه، أنا كدا خلصت اللي عايز أقولهولك، سلام.
اِبتعد (نادر) قليلاً عنها وهو ينظر أمامه منتظرًا أن يوقفه ندائها عليه، في حين ما ظلت هي تنظر له مستعجبة إلى أن حملت سيجارتها بين أصابعها وأطلقت جملتها التي جعلته ينتصر، قائلة وكأنها أدركت سخافته منذ لحظة البداية فكان من الواجب تسميته بهذا الاسم على هاتفها:
- أنت يا عم!! إيه الغتاتة دي! أنت مين أصلًا؟!

اِبتسم لنفسه كثيرًا ولم يلتفت ورائه مُتخيلًا الحياة قد جُسدت أمامه ليبتسم لها اِبتسامة نصرٍ عليها وانتقامًا لما فعلته به طوال حياته.

- أنت كويس يا نادر؟

- ها، أه كويس، مفيش حاجة.

سألته شقيقته هذا السؤال بعد أن طال نظره إلى الطعام وشروده منذ أن جلس أمامها على المنضدة بالصالة، لتكمل حديثها قائلة:

- بص يا نادر، أنا مكنتش عايزة اتكلم معاك في الموضوع ده، بس أنا شايفاك تعبان، مش ده نادر أخويا اللي أنا أعرفه، مش عارفة بقى ده بسبب إنك أول مرة تدخل في علاقة وإنك حصلك حاجات كتير في العلاقة دي ولا بسبب أميرة نفسها، بس الحاجة الوحيدة اللي أنا عارفها إن الصُباع اللي يوجعك اِقطعه عشان ميقرفكش.

ظل (نادر) ينظر أمامه إلى الطعام منصتًا لحديثها دون أن يرفع أنظاره لها، لتستكمل شقيقته الحديث بعد أن أدركت حزنه من كلماتها وبعد أن انتبهت ليده التي لا تأكل بل تلعب وتلهو بحبات الأرز فقط:

- أنا أسفة، مكنتش أقصد، أنت عارف كويس أنا بحب أميرة قد إيه من كتر ما بتحكيلي عنها، بس بحبك أنت أكتر وعايزاك مرتاح دايمًا، عشان كدا بقولك كلامي ده، فياريت تكون فهمتني صح.

أطلق أنفاسه مرة واحدة ثمَّ قال بابتسامة مرسومة باليأس:
- متقلقيش على أخوكي، اطمني، هي بس شوية مشاكل وهتروح لحالها وهنرجع كويسين.
- وعد؟
قالتها وهي تنظر له بحنان أم غائبة وبابتسامة صادقة، ليرد عليها بابتسامة مصطنعة مؤكدًا:
- وعد.
قامت شقيقته من جلستها متجهة إلى غرفتها بعد أن اطمئنت على أخيها، ثمَّ ظل هو مكانه ينظر إلى الطعام مجددًا، الدجاج المشوي أمامه عبارة عن فتايات تبتسم له، لا يعرف هل يكون ذلك إعجابًا به أم شماتةً فيه، ولكن سريعًا ما تعرفت عيناه على هذه الفتايات المُجسدة أمامه فوق أجساد الدجاج، لقد اِتسعت عيناه فور إدراكه هذا، فقد كانت الأولى هي تلك الفتاة التي ظلت تضحك إلى حد الجنون عندما أخبرها بمدى حبه وعشقه لها في الماضي، تذكر جملتها التي لم تُمحي من ذاكرته أبدًا، والتي كانت:
«كيف، وأنت ما زلت تبل فراشك كل مساء، أنت ما زلت صغيراً على هذه الأشياء».
ربما قد كبر حينها مئة عام رغم كونه طفلًا لا يبلغ إلا عشر سنوات فقط، ليكبر مرة ثانيةً عندما أخبرته صديقته الجامعية بوجه

منعقد حزين:
«يا نادر أنا بعتبرك زي أخويا، سامحني بجد، بس خلينا أخوات أحسن».
حتَّى ظل يكبر أكثر وأكثر عندما ظل يسمع مقولاتٍ مختلفة من كل فتاة يعجب بها أو يعشقها، لقد نحت برأسه حديث أحد صديقاته التي أرسلها لإخبار فتاة يحبها بمدى حبه لها، لقد كان ردها:
«نادر مين ده اللي أحبه يا بنتي، أنتِ اتهبلتي!! روحي قوليله آني بقوله أحلم بعيد يا شاطر».
«يا نهار أسود !! نادر».
«نادر!!».
«ده لو أخر راجل في الكون».
وكأنني طاعون مذمن، هل أنا سيئ إلى هذه الدرجة حتَّى لا يشعر أحدهم بالحب نحوي ولو ليومًا واحدًا حتي، ما هذا السوء البدين الذي لا يقدر على أن يفقد بعض وزنه داخل مني؟
هكذا توالت هذه المقولات في خلق ذلك الشخص الذي يجلس ويرى الدجاج نساءً يتمنى بأن يحملها إلى غرفته الآن، فقد رُفض، وحُرم، وامُتنع، ولم يُري، لقد مر هذا الشاب بين النساء مرور النساء مثلهم، إلى أن أصبحوا يتعاملون معه كإحدى صديقاتهم وليس كصديقهم، إلى أن أصبح هو يتعامل مع نفسه وذاته بنفس

المنطلق.
أبعد (نادر) أنظاره سريعًا عن النساء، أقصد الدجاج، إلى أن وقعت عيناه فجأة على غرفة شقيقته الذي كان بابها مفتوح، ثمَّ نظر إلى الدجاج ثانيةً متخيلًا (أميرة) هذه المرة والتي قد جعلته يكبر أيضًا زيادةً على عمره.
«لم يقتله سوى رفض كل الفتايات له منذ أن جاء ليصارع هذه الحياة».
ثوان وقرر عقله أن يحمله على أقدامه تاركًا كل ما يخطر بباله مكانه أمام الطعام، ظلت عيناه تنتقل بين الأشياء على منضدة الطعام وكأنه كان يبحث عن شيئًا ما يريده، لقد وجده، أمسك بالطبق الخاص الذي كان أمامه وبدأ يسير ببطء تجاه المبطخ المقارب لغرفة شقيقته، وسيلة سوف تساعده على السير والوقوف من سكونه، ظلت عيناه تنتقل بين أركان الغرفة باهتزاز، ناظرًا إلى غرفتها بنصف عين مهتزة وإلى المطبخ بعين كاملة واثقة.
«ستنظر وتسير وتفعل الأشياء بكل ثقة واطمئنان أثناء قيامك بالأشياء الطبيعية التي لا يشك بسببها من يرونك، بينما ستنظر كل ثوانٍ لتطمئن من كل شيء حولك، القادمون تجاهك، المارون أمامك، الأصوات في أذنك، ولكن أثناء قيامك فقط بالأشياء الخارجة عن إطار الطبيعة، والتي يشك بسببها كل من يرونك، ستنظر بنصف عين».

وصل (نادر) قرب باب المطبخ أمام غرفة شقيقته واقفًا أمامها وناظرًا لها بالداخل، أخذ يحدق بشدة لجسدها الرفيع وهي تنحني وتتحرك، عيناه شعلة نيران تطهو الطعام في لحظة، عيناه تطهي جسدها، لقد فقد كل البيانات بعقله التي تخبره بأنه يحدق الآن إلى شقيقته، وبينما كادت تبدأ في تغيير ملابسها حتَّى رأته أمامها في المرآة، توقفت زراعيها وكأنها قد جمدت، ثمَّ التفتت بسرعة ناظرة إليه.

- فيه حاجة يا نادر!!

قالتها شقيقته بعدما اتجهت نحو باب غرفتها، بينما ظل هو واقفًا أمامها شاردًا لا يتحرك وكأنه قد ثُبت كمسمار بالخشب، لتناديه شقيقته ثانيةً، قائلة باستعجاب عندما رأته يحدق نحوها بشدةٍ:

- نادر!!!

عاد إلى انتباهه سريعًا محاولًا الهدوء والتماسك، قائلًا بارتباك:

- ها، أيوه، أنتِ كويسة!!

انعقد حاجبيها ثمَّ قالت بصوتٍ قلق:

- أنا كويسة .. أنت اللي واقف سرحان، مالك!!

- لا، مفيش أي حاجة أنا كنت داخل المطبخ أودي الأكل.

ألقى جملته مترددًا ثمَّ اتجه نحو المطبخ بسرعة، في حين ما أغلقت شقيقته باب غرفتها مستعجبةً.

وضع الطبق الذي كان يحمله أمامه بغضبٍ، ثمَّ ظل يأخذ أنفاسه بسرعة قوية، المطبخ يدور به مثل لعبةٍ سريعة داخل مدينة ألعاب مارس كل ألعابها في وقت واحد، أصبح يشعر بأن الأرض قد انتقلت فوقه بالسقف في الأعلى، والسقف أسفل قدماه بالأسفل، دجاج أخر أمامه ثانيةً داخل المطبخ، حاول أن يبعد عينه عنه ولكن لم يُرحم، الدجاج أمامه في كل مكان، لقد أوشك أن يكره رؤية الدجاج أمامه، الأصوات ما زالت ترتفع في رأسه برعبٍ وفزع، الأصوات تداعبه بطريقة لا يتقبلها، ما زالت تتردد الأصوات في أذنه متداخلةً في بعضها بسرعة كالأشباح الليلية:

«يا نهار أسود!! نادر، يا نادر أنا بعتبرك زي أخويا، سامحني بجد، بس خلينا أخوات أحسن، احلم بعيد يا شاطر، نادر !!، ده لو أخر راجل في الدنيا، أنتِ بتهزري صح ؟، وانت ما زلت تبل فراشك كل مساء».

الدجاج ما زال يتحدث داخل أذنه، ما زالوا يرددون أحاديثهم، أقصد.

-قرقراتهم-

* * *

وقفت (نور) بردائها الأسود أمام قبر والدتها، رافعةً كفيها الاثنين أمام وجهها لتقرأ لها الفاتحة وتدعو لها، وما أن كانت شقيقتها تقرأ أيضًا بجانب (نور) حتَّى اِرتفع صوت هاتفها المحمول الذي

جعلها تنهي القراءة بسرعة، نظرت إلى هاتفها مرةً ثمَّ إلى شقيقتها التي لم تشعر بها مرة أخرى، وسريعًا ما اتجهت بعض الخطوات بعيدًا عنها وأجابت علي اتصالها بصوتٍ منخفض وحذر:

- أيوه يا فندم، أه إحنا لسه واصلين المقابر من ربع ساعة، لا لا مطولين، حضرتك عارف نور بتحب المكان قد إيه.

انتهت (نور) من القراءة والدعاء، ثمَّ وضعت وردةً حمراء أمام القبر جالسة بجابنها.

- مالك يا ست نور!! أول مرة تيجي تزوريني وأنتِ قافلة وشك كدا، جاية غصب عنك ولا إيه يا هانم؟

قالتها والدة (نور) التي ظهرت فجأة بجانب ابنتها مكان الوردة، لقد اختفت الوردة وظهرت أمها، وكأن الوردة الحمراء قد أطلقت رائحتها هذه السيدة.

ارتفعت ابتسامة (نور) المعتادة كلما رأت والدتها، وسريعًا ما ألقت برأسها داخل أحضانها التي تتنفس بها، كانت هي ترى حضن والدتها بدقة، أما «أنت» فلن ترى سوى فتاة تحتضن الهواء بقوة وحب، قالت (نور) بعد أن حاوطت ذراعيها بجسد أمها:

- غصب عني!! أنا بروح وبمشي في كل حتة غصب عني، وبجيلك أنتِ بإرادتي يا أمي.

ابتسما لبعضهما ابتسامةً تشاهبت كثيرًا، وكأن كل منهما قد

جلست أمام مرآتها، لتستكمل (نور) حديثها بسعادة وهي تمسك بالوردة:
- شوفتي، أنا جيبتلك الورد اللي أنتِ بتحبيه، كل مرة هجيلك هنا هفضل أجيبهولك لحد ما أخلي المكان كله ورد يا ست الورد، تعالي ابقى أما أحطهالك عند ودنك زي ما كنتي بتعملي معايا زمان.
وما أن كادت تترك الوردة لتجلس فوق أذن والدتها، حتَّى سقطت الوردة على الأرض سريعًا،
-لقد عادت الأم إلى قبرها-
هربت ابتسامة (نور) من علي وجهها وهي تبحث حولها عن والدتها، إلى أن أدركت بعد ثوان أنها قد ذهبت حينما أمسكت بالوردة الساقطة على الأرض، لقد عادت الرائحة إلى مسكنها حيث الرحيق.
نسيت شقيقتها الهاتف على أذنيها ثمَّ ظلت تنظر إلى (نور) باستغراب واستعجاب وكأنها تشاهد شيء غريب أو مجنون، لقد اتسعت عينها لما شاهدته عند القبر، فقد رأت (نور) تمسك بوردة حمراء وتعبث بها مع الهواء وكأنه يوجد من يجلس أمامها وتحاول وضع الوردة فوق أذنيه، لتعود إلى انتباهها واتصالها سريعًا، قائلةً محاولةً التماسك وعدم الارتباك:
- أيوه يا فندم، تمام تمام، أنا شايفة إن حالتها مناسبة جدًا لإنكم

تصوروا هنا من غير ما تاخد بالها.
عادت الأخت الصالحة تنظر إلى (نور) مجددا لتتأمل صراعها مع هذه الوردة، هل من الممكن أن تكون والدتنا، تجلس أمامها الآن؟! يستحيل.
وما أن كادت تسقط دمعة صغيرة من عين شقيقتها وهي تنظر إلى (نور) حتَّى أزالتها سريعًا ومنعتها من السقوط وهي تبعد أنظارها عن (نور)، لتنهي اتصالها قائلة بصوتٍ خائن:
- تمام يا أستاذ بدير.

* * *

أغلق (بدير) اتصاله مع شقيقة (نور) ثمَّ أخبر أحد العاملين معه وهي يخرج حافظة سجائره، قائلًا بصوتٍ جاد:
- بلغ المخرج المنفذ إن قدامه نص ساعة بالظبط ويكون في المقابر، في مشهد مهم هناك ولازم يتصور دلوقتي.
أشعل (بدير) سيجارته وهو يتحدث إلى أحد الجالسين أمام الأجهزة الإلكترونية، تبين بأنه مصمم إلكتروني وضمن فريق المونتاچ، قائلًا بابتسامة خفيفة:
- ها يا حسام، خلصت قد إيه في الإعلان؟ شوقتني يا راجل.
التفت المصمم ناظرًا إلى بدير، قائلًا ببعض الشعور بالإنجاز:
- اطمن يا فندم، أنا خلصت حوالي ٨٥ ٪ من البرومو، مش باقي بس غير بوستر الفيلم والتفنيش الأخر.

فتح (بدير) ذراعيه من شدة فرحته وكأنه يريد أن يحتضن المصمم، لقد ظهرت أسنانه بقوة بعد سماع ذلك الخبر، ليقول بسعادةٍ:

- ده إيه الحلاوة دي، أيوه كدا يا أخي فرحني، خلي الإعلان يحمسنا شوية على الشغل، يلا وريني اللي أنت خلصته.

- تمام يا فندم.

قالها الإلكتروني بسعادة ثمَّ إلتفت إلى جاهزه الإلكتروني ليشغل إعلان الفيلم، تغيرت ملامح (بدير) اِستعدادًا للمشاهدة بدقة وبعين حادة تتأمل كل شيء.

خلفية سوداء على الشاشة، ثانيتان، لقد بدأ الإعلان.

«ممكن تراكم بعض المشاكل الكتير في حياتنا، تخلينا نمشي في طريق ضلمة، طريق مليان مصابيح كتير أوي، بس متكسرة ومبتنورش، الطريق ده اسمه «الانتحار» اِسم يخض ويلغبط، والأوحش من كدا، إنه اِسم مُغري أوي، عشان سهل، تعمل إيه بقى لو أقرب الناس اللي في حياتك خلوك تمشي في الطريق ده، بلاش دي، تعمل إيه لو كانت الناس القريبة منك، هي المسئولة عن لحظة موتك، هتقف تتفرج عليهم؟ ولا هتبقى أنت بردوا مسئول عن موتهم؟».

ظل (بدير) يحدق إلى الشاشة أمامه بتأمل طوال مدة عرض الإعلان، مُستمعًا إلى صوته الغليظ والمخيف الذي أخرج هذه

الكلمات.
لقد كان البرومو قصير، عبارة عن:
يدٍ كبيرة تمسك بقلمٍ من الحبر وتكتب هذه الكلمات التي كان يرددها هو، ثمَّ وقوف صاحب القلم الذي لم يتبين منه سوى قدمه وجزءًا من رأسه من الخلف أمام بروازًا خشبيًّا كبير وُضع عليه صور كل من:
(خالد) بجانبه (ورد).
(أميرة) بجانبها (صادق) وليس (نادر).
(نور) بجانبها (نادر) وليس (صادق).

* * *

لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
بعض التضحيات التي نقوم بها تكون تضحيات خاسرة ودون جدوى أو إفادة لنا، ولكننا نفعلها إهداءً لمن نحب، ربما تكون الجدوى والإفادة هنا، وهو إننا سنرى اليوم ابتسامة هؤلاء الذين ضحينا بهذه الأشياء من أجلهم، ولكن إلى متى؟
إلى متى سأظل أضحي فقط؟ ومتى سأجرب هذا الشعور؟
وهو أن يضحي أحدًا من أجلي.
هل حُرمت من أن يكون أحد حقوقي هو أن أكون موضع اِهتمام العالم والجميع مثلما وُضع في أول واجباتي أن يكون اهتمامي للعالم وللجميع؟ وهل مُنعت من أشعر بضربات قلبي السريعة

والسعيدة؟ لكنني حقًا أريدها.
أريد أن أتآلم كثيرًا بسبب هذه السعادة، فقد سمعت الكثير عن هذه اللحظات السريعة التي تؤلم القلب من سعادتها.
-لكنني لم أجربها قط، فقمت بها لغيري-
ظلت (ورد) تُعلق الصور التي أصلحتها بعدما كُسرت، تُعلق صورةً ثمَّ تنظر لها قليلًا وهي تبتسم رغمًا عنها، ثمَّ تُعلق الأخرى وتبتسم لها، لقد كانت الدموع داخل عيناها تشاركها هذه اللحظة دون أن تسقط على خدها الناعم، بدأت تزيل بقايا الزجاج المنكسرة من زجاجات النبيذ المتناثرة علي الأرض، بل أزالت الزجاجات نفسها وألقتها بالأكياس السوداء حتَّى لا تلمحها بعينها فهي تكرهها كثيرًا، ذلك لأنها تشاركها زوجها، بدأت تضع بعض الورود البيضاء مكان النبيذ علي المنضدة في الصالة، إلى أن أنهت كل ذلك بجلوسها على الأريكة المقابلة للتلفاز الذي شغلته ولم تنظر له، حيث أخذت تُقلب بالصور داخل هاتفها بابتسامة وأمل، لقد كانت صورًا لبعض الأطفال الصغار والرضع، كانت تحرك الهاتف يمينًا ويسار حتَّى تتأمل ضحكات الأطفال أمامها، مداعبة أمهاتهم لهم، ولحظاتهم الشقية مع أبائهم، وفجأة.
قطع مشاهدتها عودة (خالد) إلى المنزل بعد اِنتهاء العمل بالشركة والذي صُدم لوجود زوجته بالداخل، إنها المرة الأولى التي يعود فيها إلى البيت ويجدها به، هل كانت تنتظر عودته بالفعل أم

أنها ستغادر لعملها بعد قليل؟
تحرك بعض الخطوات داخل الصالة وهو ينظر إلى الورود نظرات جعلت الورود تتماسك ببعضها من شدة الخوف منه، ثمَّ انتقل بأنظاره على الجدران ناظرًا إلى الصور التي عادت إلى حياتها بعد أن كانت تحتضر على الأرض بسبب قتله لها، ليتجه ببطء نحو (ورد) التي ظلت تنظر له بخوف واطمئنان، فرحة وحزن، متمنيةً أن تبتسم ابتسامة واحدة لكنه الخوف الأكبر الذي ظهر علي وجهها أولًا، وما أن وصل بالقرب منها حتَّى أصبح أمامها جبلًا ينظر إلى صخرة، لمح بطرف عينه صور الأطفال بهاتفها ثمَّ اِنتقل سريعًا بالنظر لها، اِنتفض جسدها سريعًا وأغلقت عيناها مرتعشة عندما اِقتربت ذراعيه المتينة منها، تمنيت بألا يؤذيها مرة أخرى فقد تألمت من ضرباته القوية لها ولم تعدْ تتحمل، وبعد ثوان، انتهى الخوف والربكة من داخلها، فقد بدأ يضمها داخل منه، عيناها تُفتح ببطء لترى بأنها قد رحلت عن منزلها وانتقلت إلى منزل أخر، منزل ليس جديدًا لكنها لم تدخله منذ وقت طويل، لقد كان المنزل هو حضنه وضلوعه الواسعة، فهذه هي أحد الأشياء التي قد حُرمت منها رغم عشقها لها.
- أنا أسف، أوعدك إني معتش هزعلك تاني أبدًا، عشان أنتِ اللي يزعلك ميبقاش راجل أبدًا، سامحيني.
أخرج (خالد) هذه الكلمات بوجه نادم وببطء شديد وكأنه كان

يستمتع بقولها، لترفع (ورد) ذراعها الصغيرة لتحاوط جسده الضخم، اِحتوائها الرقيق أخرج ابتسامته الصادقة سريعًا، لتقول وهي تحتضن به بشدة، قائلة بثقةٍ كاملة بعد أن أمحت من قلبها وعقلها كل ما فعله معها:

- وأنت أحسن راجل في الدنيا دي كُلها.

لماذا أصبحت عجوزًا بهذه السرعة يا إلهي، فقد اِشتقت إلى عناق زوجي كثيرًا، أتعرف يا -أنت- أقسم بأنني لم أكنْ أكف عن اِحتضان زوجي هذا عندما كنت أراه أمامي في كل حين، لقد كنت أعانقه كل صباح عندما نستيقظ، وكل مساء عندما نذهب للنوم بعد مشاهدة النجوم، لقد كنت أعانقه حتَّى في أحلامي، لقد كان يخبرني دائمًا بأنه عندما كان يراني أمامه في أي وقت كان يعرف بأنني سأحتضنه الآن من كثرة اِحتضاني له في كل مرة تشاهده عيني فيها، حتَّى وإن جاء يومًا ما وتشاجرنا سويًّا كان يدرك جيدًا بأنني إذا مررت أمامه حينها ونحن متخاصمان فسوف أحتضنه رغمًا عن كل ما نمر به من صراعات وعوائق، لقد كان يعلم كل شيء عن هذا المرض الاحتوائي، إلَّا شيئًا واحدًا هامًا لم يفهمه، وهو أنني لم أكنْ من يعانقه في كل مرة، بل قد كان جسدي هو من يفعل ذلك، لقد كنت أشاهد جسدي جيدًا وهو يسجنه بين ضلوعي، كان يخرج أنفاسه دفعةً واحدة من روعة هذا العناق، لقد أذيب جسدي هناك بين ضلوعه واختلط في كامل جسده

حتَّى كونا الاثنين جسدًا واحدًا وروحين، إلى أن جاء الوقت الذي كرهت فيه أن أشاهد جسدي وهو يحتضن جسده بدلًا مني، الوقت الذي أدركت فيه جيدًا بأنني لم أجرب ولم أشعر بعناقه هذا يومًا واحدًا بل جسدي هو من شعر بكل ذلك، حينها، ظللت أشاهدهما معًا وابتسم، وتمنيت كثيرًا بأن أكون هناك بدلًا من جسدي.

لأموت.

أو، لأحيا بين أحضانه.

- الدكتور قالي إن في اِحتمال كبير أخلف المرة دي، وإن فيه ستات كتير خلفوا فعلًا بعد ما عملوها.

قالتها (ورد) وهي نائمة على وسادة زوجها -أقدامه- بينما كان هو يسير بأصابعه في كل الطرق داخل شعرها، ليسألها مستعجبًا:

- عملوا إيه؟!

قامت من وضعيتها لتلقي بأنظارها داخل عينه، قائلةً ببعض من الخوف والربكة:

- عملية في الرحم.

ارتفعت يده سريعًا لتحتضن بخدها الأيمن لتخرج ابتسامتها الممزوجة ببعض الخوف، مستكملة بابتسامة:

- أنا مش خايفة من العملية على فكرة، أنا بس خايفة متنجحش، خايفة تتعشم وفجأة يحصل حاجة تغيرك ناحيتي تاني، ساعتها أنا

ممكن أموت يا خالد، ولو مموتش لوحدي ممكن أوقت نفسي وقتها ومشوفكش كدا.

وضع يده على فمهما ليوقف حديثها، ثمَّ غير وضعيته مقتربًا منها وناظرًا لها بشدة، قائلًا ببعض الهمس والحنان:

- متخافيش وأنا جنبك، مش طول عمرك بتقوليلي كدا لما بتحسي إني مخنوق، طب تعرفي إن جملتك دي بقى مفعولها كويس أوي، اه والله، أصلها كانت بتخفف عني أوي، كانت بتحسسني إني في كشاف عربية خبط في وشي فجأة ونورلي كل حاجة.

خرجت منها ضحكة صغيرة وسريعة لم تستمر كثيرًا، ليستكمل (خالد) حديثه قائلًا بانعقاد حاجبين:

- إيه ده!!

نظرت له وهي لا تفهم شيئًا، قائلة بصوتٍ طفولي:

- إيه في إيه!!

رد عليها بمزاح ولكن بطريقةٍ جادة:

- إيه أنتِ عايز أسمع الحتة دي تاني.

أعلت صوتها في عدم فهم، قائلة وهي تغير وضعيتها:

- حتة يا خالد أنا مش فاهمة حاجة!!

ليرد وهي يشير بأصابعه على وجهها:

- الضحكة اللي طلعت جري دي وكأن كان فيه حد بيجري وراها.

لترد بلا مبالاة واستخفاف مِمَّا قاله:

- ضحكة إيه يا خالد أنت فاضي والله مش ضاحكة أنا.
ظل ينظر ويحدق لها بشدة دون أن يتحدث منتظرًا أن تخرج ضحكتها، لتستمر هي في حديثها:
- بتبصلي كدا ليه!! خالد لو فاكر إنك هتفضل تبصلي كدا عشان أضحك الضحكة دي فأنسي مش هيحصل، ها.
قالت جملتها الأخيرة وهي تنظر لزاوية أخرى بعيدة عنه وتخفي وجهها بيدها حتَّى لا يراها وهي تضحك، ليقول وهو ينظر لها من بين أصابعها كطفل صغيرًا شقي:
- لأ، واضح إنك مش كاتمة الضحكة خالص، يلا مش مهم، هتلاقي حد مسكها وهي مدورة الجري ولا حاجة.
أدارت وجهها لتنظر له وهي تضحك كثيرًا لتضربه بيدها لكثرة ضحكه ثمَّ أطلقت جملتها الشقية التي كانت «بطل رخامة بقى» ليمسك بذراعيها جيدًا لتتوقف عن الضرب سريعًا عندما وقعت عيناها عليه، ليقول وهو ينظر لها بعمقٍ:
- وتفتكري إن كل علاقات الحب لو كانت من غير رخامة، كانت هتبقى ليها طعم، بحبك.
اِرتفعت شفتيها فجأة وكأن هناك أحدًا قد سحبها إلى الأعلى حتَّى تظهر أسنانها، قائلةً بصوت حالم حنون:
- هتفضل جنبي ومش هتسيبني أبدًا صح؟
ليرد بمزاحٍ:

- وهو فيه حد عاقل يبقى معاه جنينة ورد في بيته ويسيبها بردوا.
وما أن كادت تبتسم حتَّى بدأت تختفي ابتسامتها فجأة، قائلةً بخوف لتذكرها شيئًا:
- حتَّى لو العملية فشلت؟
ليرد عليها سريعًا دون تفكير:
- مش هتفشل، بإذن الله مش هتفشل، إحنا صبرنا كتير أوي وربنا دايمًا بيكافئ عباده اللي بيصبروا، أنا بس مش عايزك تخافي، أنا هفضل جنبك لحظة بلحظة لحد ما تقومي بالسلامة يا ورد.
نجح في صنع ابتسامتها مجددًا وهي تلقي بجسدها بين أحضانه، تتماسك أصابعها به جيدًا، وترتفع ابتسامته لكونها داخل منه، ليقطع احتوائهما رؤية (خالد) للطبيب ياقوت صادق علي التلفاز، ليقول مستعجبًا:
- إيه ده!! الدكتور ياقوت صاحب الشركة أهو.
- على فكرة بقى أنت فصيل، ماله الدكتور ياقوت بينا دلوقتي.
قالتها بغضب بعد أن بعد عنها قليلًا، ليرد عليها برفق:
- معلش يا حبيبتي، خلينا بس نشوف بيقولوا إيه عليه.
وقفت من مكانها بانعقاد حاجبين لترد عليه قائلة:
- شوف يا أخويا براحتك، أنا رايح أحضر العشا، عايزة أرجع ألاقي ياقوت بتاعك ده مشي، لحسن أمشي أنا والله.
اتجهت (ورد) ناحية المطبخ ثمَّ ارتدي (خالد) نظارة بصره لتتضح

الرؤية أكثر، ثمَّ أمسك بجهاز التحكم بالتلفاز وأعلى من صوته ليرتفع صوت المذيعة، قبل أن تسمع ما ستقوله هذه السيدة بالتلفاز يا «أنت» الآن، لقد جاء الوقت لتصبح مدركًا لكل الأمور، فقد طال الوقت وأنت لم تفهم شيئًا بعد، لذا، استمع لها جيدًا، قالت المذيعة برسمية:

«اجتمع رجل الأعمال المعروف والطبيب النفسي ياقوت صادق برفقة المخرج السينمائي بدير السيد وكاست العمل الجديد للاتفاق على إصدار فيلمهم القادم، والذي سيقوم بإنتاجه الطبيب ياقوت صادق وسيقوم بإخراجه المخرج بدير السيد، في حين لم يصرح المخرج حتَّى الآن باسم المؤلف الجديد للفيلم بعد أن تُوُفِيَ مؤلفه السابق عزت عبد الحميد أثر جريمة قتل لم يُعرف مرتكبيها حتَّى الآن، بل اكتفي فقط بقول أن المؤلف الجديد لهذا الفيلم هو مفاجأة كبيرة للجمهور وللوسط الفني.

وقد صرح بدير السيد مؤخرًا بأن هذا الفيلم ليس كباقي الأفلام التي أصبحنا نشاهدها مؤخرًا هذه الأيام حيث قال بأن أحداثه ستكون «واقعية بحت».

والواقعية هنا أيضًا ليست كغيرها التي نعيشها ونراها كل يوم -بل إنها أحداثًا واقعية حقيقية لأبطال حقيقيون- بل وستصور أحداث هذا الفيلم بالتحديد داخل منازل أبطال هذا العمل والذي صُرح أيضًا بأنهم ليسوا أبطالًا سينمائيين بالوسط الفني

بل أشخاصًا عاديون ذو مهنٍ مختلفة.
وصرح الطبيب ياقوت صادق بأنه قد تقدم للاشتراك في هذا الفيلم أكثر من خمسة وستون شاباً وفتاة بأعمارٍ مختلفة، وقد وقع الاختيار على ستة أشخاصٍ فقط ذو مواصفات مختلفة وقصص مؤثرة لم يمر بها الكثير ليكونوا أبطال العمل الحالي، مع الاعتبار أنه تم أخذ موافقتهم جميعًا على تصوير حياتهم يومًا بيوم ولحظة بلحظة دون أي اعتراض.
منتظرين نحن أن نعرف هل بالفعل ما سنراه على الشاشة قريبًا هو تجسيد لحياة حقيقية أو حياة كتبها لنا ذلك المؤلف المجهول؟
وأخيراً، فقد صرح مخرج العمل بأنه من المحتمل إصدار الفيلم وتواجده في جميع السينمات نهاية شهر يناير.
- كانت معكم أمينة عادل من برنامج « Cinema Today »
جُمد (خالد) أمام التلفاز مدوهشًا لما سمعته أذنيه، متحدثًا إلى نفسه بصوتٍ مصدوم:
- يعني إيه يعني!! الستة قرروا يفضحوا نفسهم! عشان إيه؟ ده إيه الشهرة الرخيصة دي!
- يا حلاوتك يا حبيبي!! ده الدكتور ياقوت طلعت دكتور نفسي شاطر أهو وخلاك تكلمك نفسك بسرعة كمان!! ده أنا أروحله بقى، أهو يخليني أتسلى شوية وأنا بكلمني.
قالتها (ورد) بعد أن سمعت (خالد) وهي يحدث نفسه، ليرد

ضاحكًا وهو يخلع نظارته ويمسك بيدها لتجلس بجانبه:
- لا يا حبيبتي أنتِ مش محتاجة دكاترة خالص، أنتِ بقرة من غير أي حاجة بسم الله ما شاء الله.
عقدت حاجبيها غاضبة ثمَّ سحبت ذراعيها من يده، قائلة:
- أنا بقرة!! طب أبقى شوف يا خالد من اللي هيحضرلك اللبن كل يوم.
ارتفع صوت هاتفه مُعلنًا عن اِستلام رسالة أثناء حديثها، ليرد عليها ضاحكًا وهو يمسك بهاتفه مرتديًّا نظارته ثانيةً:
- اللبن!! مش بقولك بقرة، اسمه العشا يا حبيبتي، العشا.
- طب ابقى شوفلك حد بقى تتعشي معاه، ويكون في علمك.
لم يكنْ يستمع إلى كلمة واحدة من حديثها عندما فتح هاتفه ليرى رسالته، ربما قد تم تعطيل صوت زوجته في هذه اللحظة أو أن هناك أحدًا قد أمسك بجهاز تحكم ما وأخفض صوتها حتَّى لا يسمعه، لقد كانت الرسالة من رقمٍ مجهول على موقع ال «WhatsApp».
اِستعجب أن مواقع التواصل هذه ما زالت تعمل لديه على الهاتف، وبأن ما زال هناك أيضًا من يراسله على هذه المواقع، ذلك لأنه لا يشغل باله بها كثيرًا ولا يستخدمها إلَّا عند العمل، وبالفعل قد انتهى شعوره بالتعجب عندما أدرك بأنها رسالة عمل، ولكن سرعان ما عاد هذا الشعور إليه عندما قرأ محتوى

هذه الرسالة، كُتب بها.
«إزيك يا أستاذ خالد، أسف لو كنت بزعج حضرتك في وقت متأخر زي ده، أنا أحد المسئولين من طرف الدكتور ياقوت، والدكتور طلب مني أبلغك بأول مهمة مطلوبة منك في شغلك الجديد، تقدر تسجل الرقم ده عندك.
المطلوب من حضرتك تغطية خبر قتل السينارسيت عزت عبد الحميد، وأكيد حضرتك عارف الاسم ده كويس، عايزين بقى نشوف أخبار جديدة غير الأخبار الهلس اللي بنشوفها كل يوم دي ومش عارفين نصدق مين فيهم، وهو ده المطلوب مش أكتر، عند حضرتك أي استفسار؟»
- خالد !! أنت سايبني أكلم نفسي وعمال بتعمل إيه في التيلفون!! يا خالد.
أعاده صوتها إلى انتباهه سريعًا بعد شروده أمام هاتفه لكنه لم يرد، لا يعرف هل يسعد حقًا بعودته إلى عمله الذي يحبه أم يخشي ويستعجب لما طُلب منه؟ لقد تذكر اِسم «عزت عبد الحميد» إنه مؤلف الفيلم السخيف السابق!!
- أيوه يا حبيبتي، أنا أسف معلش، الدكتور ياقوت بس كان بيقولي علي شوية حاجات طالبها مني بخصوص الشغل.
قالها لها مفكرًا في الأمر، لترد بعد أن وضعت إصبعين أسفل شفتيها في تعجبٍ وشك:

- تصدق بالله، أنا ابتديت أشك فيك أنت والدكتور ياقوت بتاعك ده، ليكون حبك من النظرة الأولى يا خالد.

لم يجد (خالد) ردًا على حديثها سوى أن يقول بعد أن نفذ صبره:

- ورد هو فين العشا؟

لترد بابتسامة مجنونة ومرحة:

- تقصد اللبن يا حبيبي؟!

ابتسم لها وأنير وجهه، ليقول بمزاحٍ:

- أيوه، فين اللبن يا بقرة؟!

لترد عليه تاركة إياه قائلة بعد أن زارها القفش:

- بقى كدا!! طب أبقى شوف مين اللي هيعيشك بقى.

- ورد.

جمدت مكانها لتغير نبرة صوته ثمَّ التفتت ناظرةً له، ليقول بعد أن تغيرت ملامحه:

- انت إيه اللي رجعك بدري اِنهارده؟

لم تكنْ تتوقع أبدًا أن يلاحظ ذلك ويتحدث فيه، لترد عليه بابتسامة:

- أنا سيبت الشغل في الصيدلية.

صدمته جملتها ليرد وكأنه لم يكنْ عرف سبب هذا، قائلًا بحزنٍ:

- ليه عملتي كدا؟!

ابتسمت ببؤس ثمَّ قالت بصوتٍ خافت:

- علشان أشوفك زي مانا شايفاك دلوقتي، جوزي اللي أنا أعرفه.
ارتطمت هذه الجملة بأذنيه، ثمَّ صمت دون أن يعرف بماذا يرد أو يقول، بل اِكتفى فقط بأن ينظر أسفله، لترد هي لتعيد الوضع إلى حالته حتَّى لا يسوء ثانيةً:
- يلا عشان نتعشى سوا، بقالنا كتير مقعدناش على سفرة واحدة، وخد بالك لو فضلت مكانك واتاخرت أكتر من كدا، هتاكل لوحدك من غير البقرة.
قالت جملتها الأخيرة ببعض من السعادة التي حاولت أن تصنعها بإتقان من أجله، ثمَّ ذهبت تجاه منضدة الطعام وتركته، في حين ما حاول هو أن يبتسم لجملتها ولكنه لم يستطعْ، فقد شعر بالذنب بسبب ما فعلته لأجله، وبسبب هذه التضحيات التي تفعلها معه منذ أن أتت إلى حياته.
اِرتفع صوت هاتفه ثانيةً ليعيده إلى اِنتباهه، ثمَّ نظر به ليجد رسالة جديدة من نفس الشخص الذي حدثه منذ لحظات، حيث كتب عندما وجده قد رأى رسالته دون رد:
«؟؟
أستاذ خالد؟!».
ضغط (خالد) على لوحة المفاتيح محاولًا الكتابة، فهو لا يتعود على هذه الأمور، كاتبًا:
- تمام حضرتك، مفيش أي مشكلة.

Typing..

- تمام، أنا هعملك دلوقتي Share location بالموقع وعنوان البيت وهستنى الأخبار، تصبح على خير يا أستاذ خالد.

نظر (خالد) أمامه في شرود.

- هتيجي يا خالد ولا أدخل أنام؟!

انتفض (خالد) من مكانه بعد جملة (ورد) متجاهلًا كل ما حدث معه داخل محادثة الواتس أب راكضًا نحو زوجته ليأكلان سويًّا.

* * *

- أنت متأكد من اللي أنت بتقوله ده؟ كنت فايق يعني وهو بيقولك الكلام ده؟!

قالتها (علا) شقيقة (صادق) وهي تجلس معه داخل غرفته، ليرد عليه غاضبًا:

- علا لو هتهزري روحي أوضتك من دلوقتي، متخلنيش أندم إني اتكلمت معاكِ في حاجة زي دي.

حاولت تهدئته، ثمَّ قالت بمشاعر مختلطة من رفق واستعجاب وسعادة:

- طب خلاص اهدي، أنا بس مش مصدقة!! مش مصدقة إنك ممكن تخف وتبقى كويس وترجع صادق بتاع زمان، مش مصدقة إنك ممكن ترجع لجمهورك تاني.

نظر لها بيأس قد زاد وتراكم عليه أكثر بسبب كلماتها هذا، ليرد

بحزنٍ:

- هتصدقيني لو قولتلك إني مش عايز كل ده، وإني ممكن مرجعش أجري تاني لما أخف عشان مش هبقى عايز ده أصلًا، أنا لو هحتاج أبقى كويس بجد فمش هحتاج ده غير علشان نور يا علا، نور وبس هي اللي تستحق إنها تشوفني كويس، أنا ظلمتها أوي وجيتي عليها كتير، نور أكتر واحدة تستحق تفرح بيا لما أخف، عشان وقتها هتبقى بتلاقي نتيجة تعبها.

ابتسمت (علا) ابتسامة طفولية ثمَّ ردت:

- ده أنت طلعت بتحبها أوي يا صادق، طب ليه غاوي تتعبها معاك كل ده بدام أنت عارف إنها متستاهلش غير كل حاجة حلوة، ليه بتوجعها؟!

ليرد بصدق وحب مخبئ:

- عشان بحبها، بحبها أوي زي ما قولتي دلوقتي، أنا أول ما الدكتور ياقوت كلمني وقالي على موضوع العملية دي وأنا مجاش في بالي أي حد وقتها غيرك أنتِ ونور، جيتلك دلوقتي وكلمتك، وعارف إن العملية لو فشلت هتزعلي أوي وهتتعبي لكن مسيرك هترجعي تاني تديني أمل وهصدقك عشان أنتِ أختي، لكن نور، نور لو عرفت إني هعمل عملية وفضلت جنبي لحظة بلحظة وفجأة فضلت زي ما أنا ومحصلش أي نتيجة، هتتوجع أكتر وهتفضل مخبية زعلها ده وره حبها ليا، وساعتها هرجع تاني أحس إنها

بتعطف عليا.
لترد عليه وكأنها قد نضجت نضوج أصحاب الخصل البيضاء:
- غلط يا صادق، ربنا مخلقناش هنا عشان نمشي كل الطرق وإحنا مرتاحين لازم نتعب شوية
ليقول (صادق) مبتسمًا بحزنٍ:
- وهو أنا متعبتش يا نور؟! ده أنت عارفه كل حاجة يعني، عارفه حاجات نور نفسها متعرفهاش، ولا نسيتي أميرة.
«الفرق الوحيد الذي تجده بين الأخت الحنونة الجيدة والأعياد الموسمية هو أن هذه الأعياد تُسعدك خلال أيام قليلة فقط، أما هذه النوعية من الأخوات تكاد تعطيك سعادتها الشخصية فوق سعادتك أنت، الأخت الحنونة عيد».
- حظًا لمن خُلق له أختًا تسمع أحاديثه التي لا يقدر علي التفوه بها إلَّا لها، حظًا لمن زُين منزله بشقيقةٍ مزينه-
- متزعلش مني، أنت عارف إني مقصدش.
قالتها (علا) لأخيها دون أن ينظر لها، لتكمل حديثها محاولةً أن تعيده لما كان:
- طب قولي، الدكتور ياقوت طمنك على نتايج العملية؟
أخذ أنفاسه ليرد وهو يعبث بميدالياته، قائلًا بلا مبالاة نحو صحته:
- طمني، قالي إن في ناس كتير من أقرايبه وأصحابه عملوا العملية عند الدكتور ده، وإن نسبة كبيرة منهم عماليتهم نجحت وبقوا

كويسين فعلًا، لكن بردوا كان فيه ناس بتروح وترجع زي ما هي، ويمكن كمان بيزيد عليها وجع جديد، وهو اِنعدام الأمل.
لترد بسرعة دون أن تفكر، قائلة وهي تخلق بعض الأمل داخل منه:
- يا حبيبي طبيعي، أي حاجة في الدنيا بيحتمل فيها الحلو والوحش، طب والله أنا حاسة إن الدكتور ياقوت ده وشه خير عليك من ساعة ما عرفته، وإنك بإذن ربنا هتبقى زي الناس اللي عملت العملية دي وبقت كويسة، بس أنا هطلب منك طلب وعشان خاطري حاول تحققهولي، وعايزاك بردوا تبقى عارف إن الطلب ده مش علشاني، ده علشانك أنت عشان هيريحك بجد.
نظر لها متأملًا وجهها ومنتظرًا أن تكمل، لتقول بعقلانية وحب:
- نور لازم تعرف يا صادق، مينفعش واحدة تفضل شايلاك طول الفترة دي وتحرمها من إنها تفرح ولو حتَّى كانت نسبة الفرحة دي ١ ٪ هي بردوا من حقها تزعل وتيأس وتتوجع عليك، عشان في الأول هي اِختارت إنها تحبك، فلازم تتحمل نتيجة اِختيارها ده حتَّى لو كان حبها ليك هيموتها، مش هو ده الحب يا صادق اللي أنت كنت بتكملني عنه دايمًا وبتعرفني شكله عامل إزاي، وهو إننا زي ما بنكون مع الناس اللي بنحبهم في أسعد لحظاتهم لازم بردوا نكون معاهم ومنسيبهمش في لحظاتهم الصعبة، متحرمهاش بقى من واجبها في إنها تشاركك وجعك.

لقد بحث عقله في قاموس حديثه عمَّا يرد به على شقيقته وحديثها هذا لكنه لم يجدْ فاكتفى فقط بأن ينظر لها مفكرًا فيما قالته، ثمَّ رفع عينه أعلى رأسها قليلًا ناظرًا إلى صورة (نور) المُعلقة فوق سريره.

-ظل هكذا، ينظر قليلًا ثمَّ يفكر قليلًا ثمَّ ينظر مرة أخرى-

* * *

- ممكن متخافش، أنا جنبك ومش هسيبك مهما حصل، خليك مقتنع يا صادق إن لو حصل وجالك كل الأمراض المزمنة اللي في الدنيا هفضل أحبك وعايزاك، المرض مش أقوى من حبي ليك يا صادق، ومش عايزاك ترد علي أي حاجة من اللي بقولهالك دي، أنا هعدي عليك بكرة الصبح ونتكلم وبإذن الله كل حاجة هتبقى كويسة، اطمن، تصبحي على خير.

أنهت (نور) اتصالها مع (صادق) بعدما حكى لها كل شيء أخبره به الطبيب (ياقوت) عن العملية، بدأ عقلها يفكر قليلًا في الأمر، إلى نظرت حولها سريعًا وكأنها قد وجدت حلًا لشيء ما تفكر فيه. قفذت من على سريرها سريعا تاركةً الفراش، لم تمر بضعة دقائق وكانت بين سجادة الصلاة داخل غرفتها، يحتضن جبينها بالمأذنة المرسومة على السجادة، لقد كان يُسمع صوت همسها السريع والكثير وهي تردد الدعوات الممتلئة باسم (صادق) إلى أن اِستمرت في صلاتها والدموع تسقط أسفلها على السجادة، شعورها بالصلاة

في هذه اللحظة كان صادقًا داخل منها، ربما لم تكنْ تصلي بمفردها الآن، بل كان شيئًا ما يصلي معها في هذا الوقت، شيئًا نابع من داخلها.

« هذه هي أكبر مشكلاتي مع البشر منذ أن خلقت إلى هذه الحياة يا -أنت- يقتربون ممن خلقهم أثناء تعاستهم فقط، كيف!! كيف عندما تأتي اللحظة ويتحدثون إليه فيها تكون وجوههم بائسة هكذا؟ كيف تسقط قطرات أعينهم بين الصفح في كُتب الديانات التي لم تُفتح إلَّا في هذه الأوقات، بعد أن كانت هذه الكتب تجلس على الأرفف مثل باقي الأشياء الأخرى بالغرف «.

-لقد تُربت كتب الديانات إلى أن كادت تُحنط-

أنهت (نور) صلاتها ثمَّ ظلت جالسة على ركبتيها فوق سجادة الصلاة، رافعةً أيديها أمام وجهها ورأسها بالأعلى، قائلةً بكل ما تشعر به من حب وصدق وبصوت امتلئ بالشغف:

- يارب، اِشفيه يارب وأبعد عنه كل سوء، يارب، خفف عنه وجعه وامحي مرضه، وانشر خيرك عليه واملي حياته بنتيجة صبره، يارب نور طريق مشافش نورك من زمان، زيد صبره وإيمانه بيك يارب.

وما أن كادت تُنزل يدها وتحمل السجادة لتقف، حتَّى ظهرت والدتها أمامها فجأة، وكما تعودت (نور) أن تفعل دون أن تشعر، لقد اِرتفعت ابتسامتها التي كادت تملئ النور بغرفتها، وارتفعت أكثر حينما أخبرتها والدتها، بصوتٍ ملائكي:

- متخافيش، هيبقى كويس.
لمعت عين (نور) بشدة وهي تنظر إلى والدتها المضيئة أمامها، بل وقد زادت ضحكتها بشدة إلى أن اِرتفع صوتها، ليقطع سعادتها اِرتفاع صوت هاتفها بجانبها، مدت يدها وأمسكت به لترى بأنه رقمٍ مجهول لا تعرفه، أجابت على الاتصال قائلة وهيٍ تنظر بسعادة أمامها إلى اللاشيء:
- أيوه، مين معايا؟
سُمع صوت من يتحدث معها والذي تبين بأنه صوت اِمرأة شابة، قالت بجرأة وصوت حاد قوي:
- إزيك يا نور، أنا واحدة متعرفيهاش بس أنا فيه حاجة معايا تخصك ولازم أديهالك، ولو الحاجة دي تهمك أوي، يبقى تقابليني بكرة بليل ضروري.
اِنعقد حاجبي (نور) ثمَّ ردت باستعجاب:
- أفندم!! مين حضرتك، وأنا هعرف إزاي إذا كانت الحاجة اللي معاكِ دي تهمني ولا لأ وأنا معرفش هي إيه أصلًا؟
زاد صوت المرأة قوة وجرأة، لتقول بهدوء كهربي:
- مش مهم تعرفي أنا مين، ولو على الحاجة، فسهل أوي تعرفي هي تهمك ولا لأ، الحاجة دي ليها علاقة بصادق، ها تهمك؟؟
صمتت (نور) فجأة عندما سمعت اسم (صادق) لتستكمل الفتاة حديثها بثقةٍ:

- علي العموم أنا هعمل اللي عليا بردوا، بكرة بليل هستناكِ عشان أديلك الحاجة وأفهمك إيه الموضوع بالظبط، وسواء جيتي أو مجتيش فدى مصلحتك وأنتِ حرة فيها، هعمللك Share location بالمكان اللي هقابلك فيه بكرة، سلام.

* * *

- إيه رأيك يا ريس؟! عجبتك!
قالتها نفس الممثلة التي تنكرت في هيئة المرأة العجوز داخل الصيدلية التي كانت تعمل بها (ورد) ليرد عليها (بدير السيد) قائلًا بسعادة بعد استماعه لمكالمة الممثلة مع (نور):
- يا بنتي أنتِ عارفة رأيي فيكِ من ساعة ما شوفتك في المعهد، أنتِ اتخلقتي عشان تمثلي على خلق الله يا بنتي، بس أوعي في يوم تمثلي عليا.
خرجت ضحكتها الباردة، ثمَّ استكملت بجرأة:
- ليه هو أنا أقدر بردوا؟ ده أنت الممثل الكبير يا ريس.
ارتفعت ضحكاتهم بشدة، ثمَّ التفت (بدير) إلى أحد موظفيه قائلًا وهو يعطيه الهاتف الذي تحدثت منه الممثلة إلى (نور):
- خد يا بني الموبايل ده، ارمي الخط اللي فيه اللي كلمنا بيه خالد ونور، وجهزلي الخطوط الجديدة.

* * *

أنزلت (نور) هاتفها ثمَّ نظرت إليه لبرهه وهي تفكر فيما قالته

هذه الفتاة، ثمَّ رفعت عيناها أمامها سريعًا وهي تبحث عن والدتها لكنها لم تجدها، أدارت وجهها وهي تبحث عنها بعنف بالخلف لكنها لم تجدها أيضًا.
مرت بضع دقائق على تخبئة (نور) لنفسها ولجسدها في فراشها، تحتضن بوسادتها بشدة وهي تبكي وترتعش من الخوف، تنظر حولها وأمامها في كل مكان وكأن أحدًا ما سوف يأتي من ورائها ويطعنها، لقد كانت تخبئ جسدها كله بغطاء فراشها، إلى أن اِنتفض جسدها فجأة عندما لمستها ذراع والدتها خلف منها.
- إيه يا حبيبتي!! مالك!! عاملة في نفسك كدا ليه يا نور؟
قالتها والدتها بحزن وهي تضع يدها على رأسها، لتمسك (نور) بها بشدة مثلما كانت تفعل مع وسادتها وكأنها كانت تتمنى أن تأتي والدتها في هذه اللحظة، لترد (نور) بكلمات متقطعة بسبب بكائها الشديد:
- متسبنيش تاني يا ماما، متسبنيش ونبي أنا خايفة ومحتاجكِ جنبي أوي.
لتقول الأم في حنانٍ وقلق:
- خايفة ليه يا نور!! إيه اللي حصل؟
لترد (نور) وهي تلتفت أمامها وورائها بفزعٍ:
- خايفة من بكرة أوي، خايفة من الناس ومن اللي ممكن يعملوه فيا، الناس بقت وحشة أوي يا ماما، وأنتِ سيبتيني لوحدي،

سبتيني ليه يا أمي، أنا معتش لاقية حاجة أستخبي فيها بعد حضنك، ونبي يا ماما متمشيش، عشان خاطري متبعديش عني.
حاوطت والدتها جسد ابنتها كاملًا بذراعيها، وأخذت تسير بأصابعها بين شعرها ناظرةً لها بحزنٍ، ثمَّ حاولت أن تهدئها بحديثها قائلة:
- متخافيش يا حبيبتي، أنتِ في حضن ماما ومش هتطلعي منه أبدًا، اطمني، متخافيش يا نور.
بدأت (نور) تغمض عيناها قليلًا، لكن ما زال جسدها ينتفض مرة كل ثوان لخوفها من هذا الاتصال ونتيجته، ومِمَّا سيحدث بالغد، ربما قد هدأ قلبها بعد أن شعرت باطمئنان والدتها، فلم تكنْ لتهدأ أبدًا لولا كونها بجانبها.
لا تعلم بأنه لا يوجد أحدًا بجانبها في هذه اللحظة، وبأنه لا توجد أيضًا من سارت بأصابعها بين شعرها، وحاوطت جسدها بذراعيها، لا يوجد أي شخص.
-إنها تنام بمفردها الآن-

* * *

- إيه حكاية المكالمات والرسايل اللي بتشقلب حال الناس اِنهارده دي؟!!
قالها (ياقوت) لنفسه بغضب وهو يتابع حالة أبطاله في البيوت الثلاثة أمامه، حيث (خالد) و(ورد) وهما يأكلان سويًّا في سعادة

كادت أن تُفقد، و(صادق) الذي تغيرت حالته بعد اِتصاله مع (نور) حيث اِستلقى على سريره شاردًا في مصباح غرفته بالأعلى بوجهٍ بائس حزين يفكر، إضافة إلى (أميرة) التي كانت تعافر مع النوم بشدة وهي تقرأ في رسائلها القديمة داخل غرفتها، حيث عودة إلى حياتها مع (صادق).

لقد شعر الطبيب بأنه لا يوجد شيء يستحق أن يُكتب ويكون جزءًا من الفيلم بسبب ما يشاهده أمامه على شاشات المراقبة، لقد اِشتاق لصنع الانبهار والإثارة بكتاباته، فما هذه الرتابة بالأحداث التي لا تُدهش طفلًا صغيرًا، لم يكنْ يعرف ما يفعله (بدير السيد) وصنعه للأحداث المثيرة.

أشعل سيجارته بعد ثوان ثمَّ توقف ليبدأ السير داخل أنحاء مكتبه، إنه الأمر الذي اِعتاد عليه في التفكير والنظر إلى الأمور، حيث السير في كل ركن من مكتبه، لقد تمنى في ذلك الوقت أن تتوقف الموسيقى بجانبه عن الارتفاع حتَّى يتوقف عقله عن التفكير تمامًا، فالموسيقى تربكه وتخلق أمامه الأشياء ليداعبها عقله أو تداعبه هي، لكنه أيضًا لا يستطيع العيش دون موسيقى، الموسيقي هي بهارات حياته التي تعطي لها طعمًا لذيذًا، ولكن ماذا بعد؟!

ازدات خطواته داخل المكتب الذي امتلئ بفقعات الدُخان الرُصاصية نتيجة إشعال سجائره، رأسه لا تتوقف عن تغيير

أوضاعها من حين إلى حين، فكانت لبرهةٍ تنظر إلى مصباح مكتبه، ولبرهةٍ أخرى إلى لوحات زوجته، وأخرى إلى شاشات المراقبة وحياة أبطاله الرتيبة والمملة، إلى أن توقف جسده في النهاية أمام ذلك البرواز الخشبي الكبير والذي تبين بأنه يُغطي بشيء حريري عندما يكون خارج المنزل، رأسه الآن لا تتحرك، رأسه جمدت، أزال الغطاء الحريري من فوق اللوح الخشبي ثمَّ بدأ يحدق، عينه لا تتوقف عن التحديق إلى صور أبطاله الثلاثة (خالد - أميرة - صادق) وأنصافهم الثلاثة (ورد - نور - نادر) بجانب الأوراق الكثيرة المتناثرة والملصوقة على هذا البروار والتي تبينت بأنها أوراقًا خاصة لمشاهد الفيلم الذي يكتبه.

قُل لي يا -أنت- أتذكر هذه الوصف؟

«يدٍ كبيرة تمسك بقلمٍ من الحبر وتكتب هذه الكلمات التي كان يرددها هو، ثمَّ وقوف صاحب القلم الذي لم يتبين منه سوى قدمه وجزءًا من رأسه من الخلف أمام بروازًا خشبيًا كبير وُضع عليه صور كل من...».

تذكرته؟ هل ترى بأنه لا يشبه حالة طبيبنا الآن؟ أحسنت يا «أنت» إنه يشبهها بالفعل، لذا أريدك أن تحفظ هذا الوصف أيضًا، فسوف تحتاجه فيما بعد.

أزال (ياقوت) غطاء قلمه ليصبح سن القلم عاريًا، ثمَّ نظر قليلًا إلى البرواز أمامه، وبدأ يكتب على بعض الأوراق كلمة «Done».

كانت كتابته تحديدًا على ورقتين، كُتب عليهما:
«مشهد اِتصال صادق بنور لإخبارها بأمر العملية».
«مشهد عودة الحب بين خالد وورد».
ليصبح هذا ما قد خرج إلى الأوراق اليوم، مشهدان سخيفان.

* * *

- أشرقت الشمس.

دخل ضياء الشمس إلى غرفة (أميرة) التي كانت تنام في فراشها محتضنةً بكتاب رسائلها التي ظلت تقرأ فيه طوال الليل، ثمَّ استيقظت بعد دقائق وهي تحدق بكتابها وكأنها لم تصدق بأنها ظلت تقرأ فيه حتَّى نام بين أحضانها، وضعته سريعًا فوق الحافظة الصغيرة بجانب سريرها، أمام بروازها مع (نادر) ثمَّ ذهبت للقيام بعادتها اليومية داخل المطبخ وهي إعداد القهوة الساخنة، ظلت واقفةً بضع دقائق تنتظر القهوة، ثمَّ أخذت تشرد بعيدًا وكأنها تتذكر شيئًا ما.

- أميرة، أنا عندي خبر مش هيعجبك؟

قالها (صادق) إلى (أميرة) بيأسٍ وحزن، ليستكمل حديثه بعد أن انتظرت هي أن يوضح لها الأمر:

- أنا عندي كانسر في العضم، تعبت من فترة وكنت فاكر إن ده تعب عادي أو شوية إرهاق بسبب التمرين وهيعدوا وهرجع كويس، لكن الدكتور قال غير كدا، وعلى فكرة، المرض بنسبة كبيرة

كمان، أميرة، أنتِ ممكن تسيبيني بسبب حاجة زي دي؟ أنا عارف إنك مصدومة وإن الموضوع صعب عليكِ بس أنتِ ممكن تمشي!! مبترديش ليه يا أميرة!! أميرة...

قطع شرودها صوت جهاز إعداد القهوة، في حين ما بدأت يدها تمنع دموعها التي كادت تسقط الآن.

أخذت تسكب قهوتها داخل الفنجان الذي طُبع عليه صورتها مع (صادق) إلى أن بدأت تشعر بأنه أصبح يطاردها في كل مكان دون توقف، حملت فنجانها بسرعةٍ لتسقط الشراب الساخن داخل فنجانًا أخر يجعلها لا ترى (صادق) أمامها، ثمَّ عادت إلى غرفتها لتجلس في فراشها تحتسي القهوة وتستكمل قراءة رسائلها، كان كُتب في الصفحة التي أمامها الآن:

«عارفة يا أميرة من كُتر حُبي ليكِ بقى نفسي في إيه بجد، بقى نفسي أجري كل العالم ده وأنا برمي صورك في كل حتة، عشان في النهاية لما أجي أبص للكوكب، ملاقيهوش دايرة أو كرة عادية، لأ، ألاقيه صورتك».

نظرت (أميرة) أمامها وهي تبتسم بشدة لما قرأته، وكأنها قد شعرت بأن هذه الكلمات ما زالت طازجة وقيلت لها الآن في هذه اللحظة، (أميرة) هي تلك الفتاة التي إن وُضعت على إحدى كفتي الميزان أمام مئة رجل على الكفة المقابلة ستعلو كفتها بشدة وتغرق الكفة المقابلة بين الأعماق، فتاة جريئة لم يخرجْ مثلها الكثير

من داخل رحم الأمهات، إن أحبت، سُتطعن جسدها بيدها من ناحيةِ اليسار وتُخرج قلبها وتُغلفه في صندوقٍ بنفسجي وتهديه لمن تحب، وإن كرهت، ستتعاقد حينها مع فهوات براكين العالم أجمع وتطلق نيرانها في وجهك، منذ أن أدركت هذه الحياة وهي ترى كل شيء ذهبي في عينها، المنزل لا يشبه منازل أصدقائها بل ربما منازلهم هي غرفٍ صغيرة داخل قصرها الكبير، المال أمامها في كل حين لا ينقص مهما أسرفت منه، لا تمتلك سيارة واحدة فقط، كل هذا الثراء بسبب طبيعة عمل والديها، والتي لا تراهما هي إلّا مرةً واحدة كل شهر بسبب سفرهما الدائم خارج البلاد.

«أحيانًا تكون بحوذتنا أشياءً كثيرة لا نريد أن نملكها، في حين ما نتمني دومًا أن يكون بحوذتنا أشياءً لم نذوقها أبدًا، الأغرب في ذلك الأمر هو أن هذه الأشياء التي نمكلها دومًا ولا نريدها تكون هي الأمنية الوحيدة لدى غيرنا، وهذه الأشياء التي نتمناها كل صباحٍ ومساء، يبغضها الآخرين لكونها معهم، ما هذا العبث؟».

استمرت (أميرة) في قراءة رسائلها بسعادة كبرى حتَّى أنها قد نسيت قهوتها تمامًا، إلى أن قتل سعادتها سريعًا ذلك الذي رأته أمامها في كتاب رسائلها، لقد وجدت صفحة ما في كتابها نقصت صورة كانت قد لصقت بمنتصفها فيما مضى، ليتبين بأن الصفحة قد قُطعت من الوسط واختفت هذه الصورة، لتصدم (أميرة) ثانيةً عندما رأت ما كتبه (صادق) أسفل الصورة التي اختفت،

الذي كان:
«دي صورتنا بعد ما مر علينا سنتين ونص، بحبك أوي».
غضبت (أميرة) بشدة بعدما تذكرت الصورة التي كانت في هذه الصفحة، ثمَّ أخذت تبحث بين أوراق الرسائل بشدة على هذه الصورة لكنها لم تجدها، ألقت كتاب رسائلها على الفراش وأخدت تبحث في أدراج حافظتها الصغيرة، تخرج ما وُضع بداخلها وتلقيه على الأرض، الأول، ثمَّ الثاني، والثالث لا توجد به أيضًا، أدراج المكتب لا توجد به شيئًا، حقيبتها، وبين أدواتها، وداخل حافظة ملابسها، ولكن لا شيء.
مرت دقائق وهي تبحث عن هذه الصورة التي تبين بأنها كانت تحبها كثيرًا، ثمَّ جلست على فراشها لتستريح وهي تأخذ أنفاسها بسرعة وكأنها كانت تركض، ناظرةً إلى أنحاء غرفتها وما فعلته بها من أجل ذكرى قديمة من (صادق) لتنتقل عيناها بعد ذلك إلى كتاب رسائلها على الفراش والذي كان مفتوحًا على هذا القطع الذي قطع شيئًا ما داخل منها، قائلةً وهي تنظر له بتعبٍ وجُهد:
- هتكوني روحتي فين يعني!! حد سرقك؟
أعلت صوتها في جملتها الأخيرة بانفعال وغضب كبير وهي تُطيح برسائلها بعيدًا لتصطدم ببرواز صورتها مع (نادر) إلى أن سقطا هما الاثنين.
هذه كانت نهاية البرواز والرسائل، على الأرض.

*   *   *

أمسك (بدير) بهاتفه وفتح رسائله على موقع ال WhatsApp وأخذ يكتب رسالةً، كانت:

- في مشهد هيتصور كمان ساعتين في كافيتيريا هبعتلك عنوانها دلوقتي، عايزك تروح بسرعة وتتابع التصوير مع المخرج المنفذ بنفسك.

ليرد المُرسل إليه والذي سُجل على هاتف (بدير) باسم «رقم ٤». كاتبًا:

- تمام يا فندم.

أتذكر يا «أنت» ؟ أنه نفس الاسم الذي سجله (ياقوت) لمن أخبره بأن كاميرات المراقبة أصبحت جاهزة!

تُري من يكون ؟ من ؟!

*   *   *

الكاميرات تحاوط أنحاء المكان كله بحذر، اختبئ المعدون والمصورون خلف الزجاج الذي لا يتبين من يقف خلفه، على عكس استطاعة من خلفه من رؤية كل شيء أمامهم، وقفت الممثلة البارعة خلف الزجاج أيضًا برفقة المخرج المنفذ لتراجع مشهدها الحقيقي الذي لم يكتب، مشهدها التي تمثل وحدها به على الجميع، خاصةً على تلك التي كانت تجلس بمفردها بعيدًا.

-تجلس منتظرة-

جلست (نور) بمفردها في كافيه علوي مفتوح محاط بالزجاج، تنظر في ساعتها وهي تخرج أنفاسها بغضب وملل، ثمَّ تلتفت لتنظر حولها في كل مكان بحثًا عن تلك الفتاة التي تنتظرها منذ ساعة ونصف والتي أربكت حالتها منذ الأمس وجعلتها تؤجل ميعادها مع (صادق) لتعرف منها ماذا تريد؟

أخذت (نور) تبحث في عقلها عن سبب يجعلها تدرك لما كل هذا الانتظار حتَّى الآن، بالتأكيد سيكون هو نفس السبب الذي جعلها تنصت لما قالته هذه الفتاة وتأتي لتقابلها اليوم، لقد كان هذا السبب هو (صادق).

الوقت ما زال يمر ولم يأتِ أحدًا حتَّى الآن، هل يعقل أن يكون الأمر هو لعبةً سخيفة من أحدٍ ما ؟ ولكن كيف، لقد قالت بأن الأمر له علاقة ب(صادق) معنى ذلك بأنها تعرفه، ولكن لماذا لما تأتي هي حتَّى الآن؟

أخذت تراودها هذه الشكوك الكثيرة، عقلها سيتم تفجيره بعد ثوان إذا لم تأتِ هذه الفتاة، حديث الجالسون من حولها يزعجها، الألم برأسها يتزايد كل لحظة تظل فيها جالسةً لتنتظر شيء لا تعرفه.

«اجعلني أنتظرك أيامًا وشهورًا وأعوامًا وقرونًا كاملة، ولكن أخبرني حينها سبب هذا الانتظار، فالانتظار دون معرفة، انتظارًا قاتل».

فقدت (نور) كامل طاقتها على الصبر مِمَّا جعلها تحمل حقيبتها

وتقف لتغادر هذا المكان، لتوقفها فجأة فتاةً جميلة، اِرتدت ملابس حديثة نصفها رياضي، رُبط شعرها الأحمر القاتم برباط رياضي أبيض.
لقد نجحت هذه الممثلة مرة أخرى في أن تجعل من يقف أمامها يصدق منها أي شيء بأي ثوب وبأي حالة، حتَّى وإن كانت أحاديثها كتلة خرافات، الكاميرات تصور كل شيء يحدث الآن، (نور) تظهر على الشاشة بوضوح دون علمًا منها، برفقة صاحبة الشعر الأحمر التي قالت بثقلٍ وثقة:
- آنسة نور؟
نظرت (نور) لها بشدة بعد أن جُمدت مكانها عندما رأت هيئتها الرياضية، فالآن لم يعدْ الأمر لعبةً سخيفة كما كانت تظن، إنها بالفعل تعرف (صادق).
هزت (نور) رأسها إيجابًا دون أن تنطق بكلمة واحدة، ثمَّ سريعًا ما أخرجت الفتاة صورةً ما من حقيبتها وأعطتها إليها مقلوبة على ظهرها.
أخذت (نور) تمد يدها ببطء لتمسك بالصورة وهي تحدق بشدة الفتاة، قلبت (نور) الصورة لتحدق بها.
ماذا!!!!!
-صادق برفقة أميرة!!-

* * *

اِرتدت (أميرة) ثياب العمل الخاصة بها بالشركة، ثمَّ اِحتست كوب قهوتها الخامس خلال ساعة واحدة، عددًا قليل يعبر عن غضبها التي اِستيقظت عليه صباح اليوم بسبب ما حدث في كتاب رسائلها.

خرجت من باب منزلها ثمَّ ركبت سيارتها الثانية وأمسكت بهاتفها وجائت برقم (نادر) أقصد «Nader8Atata» لتتصل به، ظلت تضع الهاتف على أذنيها مستمعةً إلى أجراس الهاتف التي تزيد من غضبها، هذه هي المرة الأولى التي لا يرد فيها عليها بعد أن كان يرد بعد أول جرسٍ في الاتصال، ماذا يحدث معها في هذا اليوم الأول لها بالعمل في الشركة؟ أيريدها الجميع أن تذهب إلى الشركة غاضبة؟ جرس الهاتف ما زال يتردد ويزعج أذنيها، جرس، جرس، جرس.

إلى أن أنتهى الاتصال بإلقاء هاتفها بغضبٍ على المقعد بجانبها، لتلقي أيضًا بجملتها الأخيرة وهي تشغل السيارة مستعدةً للذهاب:

- عنك ما رديت يا أخي، ده أنت غتت فعلًا.

* * *

استمر (نادر) في اِحتساء قهوته بعد أن تجاهل اتصال (أميرة) أثناء جلوسه في ذلك الكافيه العلوي المفتوح المحاط بالزجاج، نعم يا «أنت» إنه نفس الكافيتريا الت تجلس فيها (نور).

قطعت أنظاره فجأة رؤية (نور) تجلس أمامه على المنضدة برفقة الممثلة، بدأ يغير وضعيته سريعًا بعد أن رأتها عينه إلى أن كاد يسقط كوب القهوة من سرعته، فقد أخذ يمسك بهاتفه وينظر إلى نفسه وهو يهندم ملابسه ومظهره وكأنه قد تبقى وقت قليل على موعد زفافه.

-ولكن لا عجبًا على هؤلاء الذين يتحولون في ثوان إلى حيواناتٍ جائعة عند شم رائحة فتاة حتَّى وإن كانت قبيحة، مع الاعتذار لكل الحيوانات-

عاد ينظر ثانيةً تجاه منضدة (نور) ليدرك بأنها في حالةٍ ليست جيدة، وبأنها إلى حدٍ كبير تبكي بشدة، ولكن ما أعقد حاجبيه هو جلوس تلك الفتاة أَمامها دون أن تهدئ من حالتها أو تخفف عنها بل ظلت فقط تبتسم لحالتها عندما لم تكنْ تنظر (نور) لها. ظل يجلس ويشاهد هذا المشهد الذي يُصور دون أن يدرك هو وجود أي كاميرات من حوله، فلم يكنْ يستطيع أي من الجالسون رؤيتها أو لمحها.

انتفض جسده سريعًا وجائته السعادة عندما وجد الفتاة وقفت واستعدت للمغادرة وترك (نور) بمفردها هناك، وما أن تأكد من رحيل هذه الفتاة حتَّى وقف سريعًا متجهًا ناحية المنضدة الخاصة ب(نور) قائلًا بابتسامة سخيفة فور وصوله إليها:

- آنسة نور؟؟

لترد عليه بعد أن رفعت جبينها من الاحتضان بالمنضدة، قائلًا بانفعال لتخفي ابتسامته:

- أيوه آنسة زفت!! عايزين م...

توقفت عن اِستكمال جملتها عندما رفعت رأسها ووجدت (نادر) يقف أمامها مدوهشًا بسبب غضبها، ليقول بخوف وبعين متسعة:

- أنا أسف، سلام.

- استني.

توقف جسده مكانه ولعن عقله في ذلك الوقت على فعلته، ليحدث نفسه قائلًا بهمسٍ:

- أنا إيه اللي خلاني أتهبب وأجيلها بس، أنا كدا حظي مبيوقعنيش غير مع التعبانين نفسيًّا!

استكملت حديثها دون أن تنتظر اِلتفاته لها، قائلة محاولة أن تتذكر:

- مش أنت اللي قابلتك في الشركة إنبارح؟!

أدار وجهه قائلًا والخوف على وجهه:

- أيوه أنا نادر اللي كنت مع أميرة، ووقفت معاكِ بعد الاجتماع عشان رقم الدكتور ياقوت، أنا بس خدت بالي إنك تعبانة أو فيكِ حاجة وأنا قاعد قصادك فقولت أجي أطمن، بس خلاص أنا همشي.

وما أن كاد يغادر حتَّى ردت عليه قائلة وكأنها سعدت لوجود

شخصٍ له علاقة ب (أميرة) لتطلق غضبها به:
- تعالى أقعد.
نظر لها قليلًا بابتسامة ثمَّ بعض الخوف ثانيةً، ليقرر العودة لها والجلوس معها، لتستكمل قائلةً:
- أنا أسفة على اللي حصل دلوقتي، أنا بس متعصبة شوية
ليرد بتقطع والخوف ما زال فوق لسانه:
- لا ولا يهمك عادي، أنا متعود على كدا، بس ممكن أعرف إيه اللي مضايقك يمكن أقدر أساعدك؟
نظرت له بشدة لتعود ملامح خوفه ثانيةً، قائلةً بقوة وجرأة:
- أميرة.
انكمش وجهه فجأة وارتفع حاجبه مستعجبًا، ليرد:
- أفندم!! مالها أميرة؟!
نظرت له قليلًا ومن ثمَّ إلى الصورة بعد ذلك، ثمَّ أعطته إياها لينظر بها في ثوان لم تطل حتَّى وضعها أمامه لينظر إلى (نور) قائلًا ليصدمها:
- بردوا إيه المشكلة؟
مالت برأسها في تعجب، ثمَّ قالت بسخريةٍ:
- إيه المشكلة!! جره إيه يا أستاذ إنت عندك نقص في الرجولة ولا إيه؟!
ليرد عليها وقد خرجت بعض الرجولة منه:

- حاسبي على كلامك لو سمحت!! أنا ساكت من ساعتها، وهفضل ساكت، بس وأنتِ بتكلميني باحترام.
خرجت ضحكة ساخرة منها، ثمَّ قالت وهي تحدق في عينه بسخافة:
- أنا مش فاهماك بجد! يعني أنا أوريك صورة للبنت اللي أنت بتحبها وهي مع واحد غيرك تقوم ترد عليا وتقولي إيه المشكلة ومش عايزني أستغرب؟
لم يكنْ يستطيع صنع الدقة والحذر بكلماته حتَّى تفهمه (نور) بل كان بغلًا كبيرًا يردد الكلمات دون وعي، ليرد دون وعي:
- أيوه، لإني عارف حكاية الصورة دي، وعارف إنها كانت مرتبطة بصادق وبتحبه من أيام الجامعة.
زاد استعجاب (نور) ثانيةً من ذلك الكائن الذي يجلس أمامها، لترد بشك في كونه رجلًا:
- عارف!! وهي دي حاجة عادية بالنسبالك؟
بدأ يتحدث بعقلانية وتفكير، قائلة بوعي قد جاءه فجأة:
- أنا مش فاهم اللي فيها يعني، ما كله واحد عنده ماضي وحاجات كتير مر بيها زمان
لترد (نور) بسرعة قائلة باندفاع:
- ماضي عن ماضي يفرق.
ليقول بعقلانية لا أعرف أنا من أين اِشتراها:

- نفس الماضي على فكرة، ماضي صادق اللي أنتِ بتحبيه هو نفس ماضي أميرة اللي قدامك في الصورة دي، وهي حكتلي كل حاجة عنها في أول علاقتنا، زي مانا بردوا كنت صريح معاها وحكيتلها كل حاجة عني.

لترد (نور) وقد انفجر داخلها كاملًا وانطلق غضبها، قائلة والدموع في عينها تصدم (نادر):

- لكن هو محكاش، عمره ما قال أي حاجة، كان دايمًا بيحس إن الناس اللي بتفضفض دي ناس ضعيفة وملهاش شخصية عشان بترمي كل حياتها لأي حد يقولهم احكوا، عمره ما أقتنع إن المفروض أكون مختلفة عن الناس دي وإن أنا مش أي حد هيسمعه، لكن هو طول عمره كدا، خواف، كان دايمًا بيخاف إن أي حد يستغله لما يحكيله ويعرف أي حاجة عنه، عمره ما شافني غير، عمره ما شافني غير زيي زي أي حد ممكن يخاف منه، اللي كان بيجنني بقى، إنه دايمًا كان بيقولي اِحكي وقولي عشان أنا لو عرفت حاجة عنك من غير ما أنتِ تقوليلي هيبقى أخر يوم ما بينا، لحد ما رميتله كل حياتي قدامه، ليه بقى وقتها مشافنيش ضعيفة ومليش شخصية زي ما كان بيقول على نفسه؟

ظل (نادر) ينظر لها بيأس دون أن يعرف بماذا يرد، إلى أن حاول شراء بعض الكلمات ليخفف عنها قائلًا:

- طب اهدي، أنا مش عايزك تزعلي، أصل كل اللي تاعبك ومزعلك

ده خلاص عدي وانتهى، لكن أنتوا دلوقتي مع بعض، وهو مفيش في حياته غيرك.

لترد بعد أن نقلت بعض حطامها من قلبها إلى لسانها:

- ومين قالك إن ده بس اللي مزعلني؟ أنت بس عمرك ما جربت إحساس إنك تفضل شايل شخص جوه قلبك ومحافظ عليه وهو مستكتر بس إنه يشليك جواه.

لم يفكر كثيرًا بالأمر حتَّى رد عليها مستعجبًا:

- قصدك إيه؟ صادق مبيحبكيش!

لترد عليه بيأس قتلها:

- ولا بيكرهني، وده اللي قاتلني، إني بقت حاسة إني ماشية على حبل رفيع أوي وخايفة أقع من عليه، وهو بس اللي بإيده يمشي معايا ويسندني ومقعش أو يسيب طرف الحبل خالص ويوقعني منه، بس أنا مش هسكت!!

قالت جملتها الأخيرة وهي تزيل دموعها مستعيدةً قوتها بتغيير نبرة صوتها، ليرد عليها هو ووالدتها التي جُسدت خلفه تمامًا أمام (نور):

- هتعملي إيه؟!

قالها الاثنين معًا الأم و(نادر) في وقت واحد، استعجبت (نور) من رؤية والدتها التي خلقت ابتسامتها المعتادة، لترد بفرحةٍ ممزوجة ببعض الدموع:

- ماما؟! وحشتيني.
- أفندم!!
قالها (نادر) ناظرًا لها وملتفتًا خلفه باحثًا عمَّا تنظر له (نور) لتخرج الأم بحديثها قائلة بغضبٍ:
- مش ده موضوعنا يا نور، أنتِ مفيش فايدة فيكِ أبدًا؟ عايزة كل الناس تبقى شبهك وخلاص، كل اللي بتعمليه لازم كل الناس تعمله، لازم كل الناس تحبك زي ما أنتِ بتحبيهم بالظبط؟
لترد عليها وهي تضحك من حزنها:
- بس هو مش بيحبني أصلًا؟
اِنعقد وجه (نادر) بالحزن، ليقول وكأنه ينظر إلى بؤسه في المرآة:
- مين قالك كدا بس؟ على فكرة أنا حاسس بيكِ جدًا، أصل أميرة ساعات بتعمل معايا كدا وأصعب كمان، وبتيجي عليا لحظات بحس وقتها إنها مبتحبنيش ومش عايزاني، بس علشان أنا عارفها ببعد نفسي عن التفكير في الحاجات دي، وأنتِ كمان لازم تبعدي عنها.
غضبت والدتها ثانيةً من جملتها الأخيرة، لترد بانفعال:
- اسمعي يا نور، أنا قولتهالك زمان قبل كدا، لو كنتي فاكرة إن أي حاجة هتتمنيها في حياتك هتتحقق بالشكل اللي أنتِ أتمنيتي بيها بالظبط، تبقى غلطانة، ربنا مبيديناش كل حاجة، عشان يشوفنا هنكره نعمته دي ولا هنقول لأ مش عايزينها غير بالطريقة اللي

حلمناها بيه وبس.
سقطت أول دمعة من (نور) ثمَّ قالت بانكسارٍ:
- أنا معتش بعوز حاجة أصلًا، علشان مبقتش بعرف أحلم.
ليرد (نادر) معطيًا لها بعض الأمل:
- متقوليش كدا، أنتِ لسة صغيرة وقدامك سنين كتير تحققي فيها كل اللي أنتِ عايزاه، وبعدين قوليلي، إزاي صادق ميحبش واحدة بالطيبة والحب ده كله، أنسة نور!! أنتِ سمعاني!!
عادت (نور) إلى اِنتباهها بعدما اختفت والدتها، لترد وهي تحاول التماسك:
- أيوه، سمعاك.
كرر (نادر) سؤاله محدقًا بوجهها:
- كنت بقولك إزاي صادق ميحبكيش بطيبتك وحبك ده؟
مسحت (نور) دموعها من فوق عينها، ثمَّ نظرت إليه بابتسامة قوية وكأنها قد تخلصت من حزنها، قائلةً جملتها التي جعلته يصمت تمامًا:
- صادق بيحبني.
أخذت أنفاسها المخنوقة، ثمَّ استكملت بصوتٍ طفئت كل مصابيحه:
- بس ربنا يبعد عنك صدمة التغيُر المُفاجئ في ناس بتعزهم، عشان دي مبتوجعش، دي بتقتل.

«اِبتسم المخرج المنفذ الذي لم يتبين وجهه بدقة، لقد كان مجهولًا إلى حد كبير، أقسم أنني قد رأيته من قبل، ولكن أين؟ لا أستطيع أن أتذكر».

كان خلف الزجاج يتابع حالة (نور) و(نادر) برفقة الممثلة (إيمان) خلف الزجاج معه، لقد شعرا بالسعادة بعد رؤية هذا المشهد الذي تبين بأنه قد نال رضاهم وبشدة، وسريعًا ما أخبر المعدون بحمل أجهزة التصوير والمعدات لمغادرة هذا المكان.

-فقد انتهى التصوير هُنا-

* * *

جلس (ياقوت) أمام موظفينه الثلاثة في الشركة، قائلًا متأملًا وجوههم الثلاثة:

- حياتنا بالظبط عاملة زي أفلام السينما، وكل اللي بنشوفه في حياتنا هو السيناريو أو الإسكريبت اللي الأبطال بيمثلوه في الفيلم، فيه اللي عايش وهو عارف ومتأكد إن الحياة يوم ما قررت توزع الأدوار، إدتله دور البطولة عشان يستحق إنه يكون بطل، وفيه بقى اللي بيعافر وبيجتهد مع كل طوب الأرض علشان فرصة صغيرة، لكن بردوا بيفضل وصيف، ومجرد أداة بتحرك حياة البطل الأساسي، دور ثانوي مش أكتر، بس ده ميمنعش طبعًا إن الوصيف ده بردوا، جزء من الفيلم، لو اختفى، الفيلم هيقع.

أخذ أنفاسه ثمَّ أكمل، قائلًا بابتسامة وقورة مثله بعد أن أعجب

بطريقته الجذابة معهم:
- شغلنا بقى في الشركة هنا حالة شاذة شوية، مش زي الأفلام يعني، لأنها مبتقبلش أي وصيف.
- الأبطال بس.
قالها (خالد) بثقة الكاتب الصحفي، ليرد (ياقوت) سعيدًا بجوابه:
- بالظبط كدا زي ما خالد قال، الأبطال بس.
لترد (أميرة) متسائلة باستعجابٍ:
- بس حضرتك مش شايف إن بالطريقة دي مش هنكون بندي الفرصة لكل الناس اللي عندهم موهبة إلَّا ولو كانت قوية أوي، وده عكس شروط الشركة اللي إحنا مشينا عليها من الأول، إن الشركة هنا هتكون عاملة زي رحم الأم، فالبتالي هنقبل الكُل حتَّى ولو كان ضعيف فنيًّا.
ابتسم (ياقوت) إلى (أميرة) وشخصيتها التي لا يتواجد الكثير منها هذا العالم:
- ومين قالك إننا هنعمل غير كدا يا أميرة؟ أنا لما قولت عايز الكل يكونوا أبطال كان قصدي إن إحنا اللي هنخليهم كدا، أنتِ وخالد وصادق وكل اللي شغالين هنا في الشركة، إحنا هنا الأبطال دلوقتي، وهما دورهم الوصيف، ووجودنا كلنا سوا هيخلينا كلنا أبطال، أمال أنا اِخترتكم أنتوا التلاتة بالذات ليه؟
- إن شاء الله نكون قد ثقة حضرتك فينا يا دكتور.

قالها (صادق) بحماسه المعتاد، ليرد الطبيب قائلًا:

- لازم يا صادق، لازم تكونوا قد الثقة دي، أنتوا متعرفوش كم الناس اللي مستنيين العمل ده ينجح ويشوفوه بعينهم.

اِستعجب (خالد) من جملته، ليطلق جملته التي أربكت الطبيب الذي لا يرتبك بسهولة:

- عمل إيه ده يا دكتور ياقوت؟!

اِنعقد حاجبيه مرتبكًا، ثمَّ قال محاولًا التماسك:

- إيي، الشركة دي، كيان الشركة دي يعتبر عمل ضخم وإنجاز كبير، لازم يوم ما يظهر للنور، الكل يتمني، إن يكون جزء منه، فهمتوا حاجة؟

* * *

جلست داخل غرفتها الذي حل الظلام بها في كل ركن ما عدا فقط مصباحها الأصفر الذي وُضع بجانب سريرها التي تجلس عليه، ظلت (نور) هكذا منذ أن عادت من الخارج بعد مقابلة هذه الفتاة التي غيرت مجري الأمور لديها، أولهم هو تجاهل موعدها مع (صادق).

جلست بين الظلام واضعةً رأسها على ركبتيها المضمومتين والتي أمسكتهما بذراعيها بشدة وكأنها تحضتن نفسها لعدم وجود من يحتضنها الآن، دموعها تزداد لحظة بعد لحظة منذ أن عادت إلى منزلها، لكنها لم تستعجبْ حالتها التي أصبحت عليها بعدما

أدركت بأنها ستظل هكذا على حالتها هذه منذ الفترة التي تعرفت فيها على (صادق) وحتَّى الآن، تصحو كل يوم لترتدي ملابسها وتخرج ذاهبةً إليه لتعود حزينةً مثلما هي الآن، هكذا كانت نتيجة حبها له.

رفعت رأسها قليلًا ناظرةً أمامها بحزنٍ إلى هاتين الصورتين على سريرها، تنتقل عيناها بيأس وحزن إلى صورة منهما، وبغضب وانفجار إلى الصورة الأخرى، لقد كانت واحدة لها برفقة (صادق) وحالتهما السعيدة، والصورة الأخرى كانت له بجانب (أميرة) في حالتهما السعيدة أيضًا، الأمور أمامها قد فقدت اتزانها، فما الفرق بين الصورتين التي اختفلت الفتاة فيهما والرجل معهما هو نفسه لم يتغير، نفس السعادة علي وجهه كانت في الصورتين، لم يختلف شيئًا سوى لون ثيابه فقط، الآن قد عرفت قيمة حبها بالنسبة له، وبأن طريقته معها لم تكنْ نقصًا للحب بداخله أو تأثرًا وانكسارًا بسبب مرضه، وإنما كانت بسبب وجود شخصًا أخرى داخل قلبه، شخصًا ظل يحبه بدلًا منها وهي معه، وما أن زاد غضبها سريعًا حتَّى أمسكت بصورتها معه بقوة وبدأت تمزقها قطعًا صغيرة وهي تبكي، الصورة تُقطع الآن ودموع (نور) تسقط لأجلها، سقطت أجزاء الصورة سريعًا أمامها ثمَّ بدأت تهدأ بعد ذلك محاولةً أن تستعيد بعض قوتها بعد أن أدركت بأنها لا يجب أن تترك نفسها كثيراً لحالة الحزن التي تشعر بها لتستطيع العيش

مثلما يعيش هو.
«كيف للإنسان أن ينام تعيسًا بسبب شخصًا لم يذق سوى السعادة في نومه؟ البلهاء فقط هو من يفعلون ذلك».
بدأت تمحي أثر الدموع على وجهها بقوة وكأنها كانت تستمد طاقتها التي ستواجهه بها في الغد، ليقطعها فجأة صوت هاتفها المحمول معلنًا عن اتصال أحدًا بها، لقد اِنتفض جسدها فور سماع الهاتف، فمكالمة الأمس جعلتها تكره كل المكالمات وتفزع منها، وما أن كادت تنظر به حتَّى تغيرت ملامح وجهها بالغضب عندما رأت اسم (صادق) على هاتفها.
ضغطت بسرعةٍ على أيقونة رفض اِستجابة الاتصال، قائلةً وهي تلقيه أمامها ناظرةً لصورته مع (أميرة) بحدةٍ وانتقام:
- معلش، استحمل شوية لحد ما أقابلك، بكرة تشوف الوش اللي عمر ما حد شافه قبل كدا مني، وأنت اتكتبلك تبقى أول واحد يشوف الوش ده.
-اِحذر الطيبون إذا غضبوا، لأنهم حينها لن يلقبوا بالطيبون-

* * *

الليل قد حل الآن، لقد ذهبت الشمس إلى فراشها ليقوم القمر بوظيفتها بدلًا عنها، المطفئة الخاصة بموت السجائر أصبحت جاهزة لوظيفتها أيضًا، الموسيقى تُعلي صوتها وكأنها تريد أن تقاتل، الدخان سيملئ غرفة المكتب بعد قليل، جلس الطبيب

على مقعده أمام شاشات المراقبة ليشاهد ما يحدث لأبطاله الآن، ربما لو كان يعلم ما يحدث لهم في هذه الأوقات وبأنه لن يفهم شيئًا عندما يراهم، لما جاء ليشاهد حالتهم في ذلك الوقت، للأسف، لم يكنْ يعلم أن هناك مؤلفًا أخر غيره في نفس الفيلم.

* * *

حاول (صادق) الاتصال بها مرة أخرى ثمَّ أخرى لكنه لم يرَ أمامه سوى الرفض الذي اِستعجبه كثيرًا وهو بين سريره يتألم.
ظل بين فراشه يبكي بشدةٍ من ذلك الألم الذي بدأ يشعر به مجددًا في أحضان عظامه، جسده لا يكف عن التحرك والفرك بشدة بين فراشه، ظهره يرتفع قليلًا إلى الأعلى متألمًا ثمَّ يسقط فجأة على سريره ليزيده الألم، لم يكف صوته عن محاولة كتم صراخه الذي كره دائمًا أن يحل به، محاولًا وبقوة أن يمحي دموعه الكثيرة ويهدئ قبل أن يسمع به أحدًا في البيت ثمَّ يأتي ويراه هكذا، ولكن لا جدوي، فالصراخ يتزايد، جسده يركض في سريره بشدة دون توقف، وجهه قد غُسل جيدًا من ماء عينه التي ظلت تحدق بسقف غرفته الرياضية، عيناه تنتقل بنظراتها كثيرة بين إنجازاته طوال حياته وذكراه المحطمة التي ما زالت تحيا معه في هذه الغرفة، الآن قد أدرك بأنه لم يُخلقْ في هذه الحياة إلَّا ليتألم فقط دون أن يشعر بأحدٍ بألمه
المرض يزيد من لكمه أكثر، الصراخ قد أوشك على فضح حالته،

يتمنى كثيرًا بأن يموت الآن قبل أن يدخل أحدًا ويراه ضعيفًا وبهذه الحالة.
ولكن ماذا تمنى في هذه الحياة وتحقق؟ لا شيء.
أغلق (صادق) عينيه بشده ليخفي بكائه عندما دخلت شقيقته (علا) لتطمئن عليه، جالسةً بجانبه وهي تحاول أن تُهدئ من حالته التي ازدادت سوءًا لأنها قد رأته ضعيفًا، إلى أن بدأت عيناه تُفتح قليلًا بمفردها وكأنها تقاومه.
-العين تريد أن تنظر إلى من عشقت رؤيتها-
ظل يبكي بشدة وهو ينظر من بعيد إلى صورة (أميرة) الوحيدة التي لصقها أمامه بين كل الصور الخاصة برياضته وحياته مع (نور).

* * *

الموسيقى ترتفع بشدة داخل مكتب الطبيب، الموسيقى تُعلي نغماتها بقوة وتُعلن بداية الحرب والقتال، ملحمة نفسية تدور وتلف داخل ستة أجساد في وقت واحد، لم يُعدْ هناك سوى بعض الربكة وحبات القلق والخوف، الخوف يسير داخل عين (ياقوت) بقوة، مقدار عدم فهمه لأحداث أبطاله يزداد في عقله كل لحظة، اِحتضان السجائر بالمطفئة الخاصة بها يزداد هو الأخر، غرفة المكتب امتلئت عن أخرها بدخان السجائر القلقة والمفكرة، الموسيقى تناطح الجميع، الخوف هو الظاهر علي الساحة الآن،

السجائر تزداد، الدخان هو صاحب الاحتواء، المشاهدة ما زالت مستمرة من قبل الطبيب الذي لا يفهم ما يراه.
حدث نفسه قائلًا بغضبٍ وتعجب:
- أنا عايز أفهم بس مبترديش على صادق ليه يا نور!! ليه؟!

* * *

اتخذ جسد (أميرة) نفس الوضعية التي بدأ يأخذها هذه الأيام، نائمةً بين الفراش مُتعبة ومحتضنةً بكتاب رسائلها التي أصبحت تُنهي يومها به كل يوم، أكواب القهوة كانت أكثر الأشياء عددًا داخل غرفتها، على المكتب وعلى الحافظة البُنية الصغيرة، تواجد كوبين أسفل غطاء قدماها على الأرض -الشبشب الأرنبي- لقد أصبحت غرفةً بالقهوة الآن، النور الأصفر ما زال مستيقظًا، كتاب الرسائل ظل مفتوح على صفحةٍ منه كُتب بها:
«يوم ما أموت متعيطيش يا أميرة، عشان أنا قولتلك كتير قبل كدا إني دموعك غالية عندي أوي، لما أموت، أنا هكون لسة جواكِ زي ما أنا، هفضل روحك، أنتِ بس متتخليش عن الكتاب ده أبدًا، متتخليش عن رسالة واحدة أو حتَّى تضيعي صورة منه، عشان بكدا هتكوني بتتخلي عني، لما أموت متخافيش، لإني هكون لسة جنبك وبطمنك، وهتلاقي صوتي حواليكِ بيقولك.
أنا هنا.
أنا هنا، أنا هنا.

أنا.

هنا».

* * *

السجائر، الدخان، الموسيقى، الركبة والخوف، عدم الفهم، المشاهدة، المراقبة، الموسيقى ثانيةً، ولكن هذه المرة وقفت (قوت) خلف باب المكتب تستمع إلى ما يفعله زوجها، لا تسمع سوى الموسيقى، أيعقل أن يشغلها هذه الأيام كثيرًا حتَّى لا تعلم هي ما يفعله بالداخل؟ خاصةً بأنه بدأ يرتبك ويغير وضعيته كلما دخلت عليه هذه الأيام، ظلت تحاول الاستماع، لكنها لم تستطع الفهم، ظلت، ولكن بلا فائدة، تمنت، ولكن لم يحدثْ، ملت، فذهبت، ثمَّ مرةً أخرى تعود الأشياء بالداخل إلى عملها، السجائر، الدخان، الموسيقى، الركبة والخوف، عدم الفهم، المشاهدة، المراقبة، الموسيقى ثانيةً، السجائر، الدخان، المو....

تشابهت المشاعر في ذلك اليوم، إلى أن أصبحت تُكرر نفسها داخل عقل وقلب الطبيب.

* * *

ارتفع صوت رنين الباب في شقته، لم تكد تمر بعض ثوانٍ حتَّى فتح (خالد) باب الشقة لكنه لم يجد أحدًا أمامه، تقدم خطوتين بالخارج ليتأكد من عدم وجود أشخاصًا أمام شقته، وما أن كاد يعود إلى الداخل بعدما أدرك ذلك حتَّى وجد ظرفًا أبيض وُضع

أسفل الأرض، لا تقلق يا «أنت» لم أكنْ أنا من أرسلته، ربما كان يحب أحدهم إرسال الطوابع مثلي.
-اِبتسامة لك-
نظر إليه بعض ثوان ثمَّ هبط بجسده ليمسك به ويرى ما بداخله، وبعد أن فتحه:
«إزيك، يا خالد، عايزك وأنت بتغطي الموقع وبتجمع الأخبار تحط أي صور أو أي أوراق مهمة على الفلاشة دي، يعني إنجازك للمهمة متوقف على إنك تملي الفلاشة بكل حاجة، ربنا معاك يا بطل».
قرأ (خالد) بعينه ما كُتب داخل ذلك الظرف ثمَّ أخرج الفلاشة أمامه ونظر لها وهو يفكر فيما سيفعله بعد دقائق.
بدأ يرتدي ثيابه الخاصة لهذا النوع من المهمات السرية التي يعشقها، خاصةً وبأنه يعشق أن يُظهر حقيقة الأمور التي أُخفي حقيقتها، اِرتدي ثيابه كاملةً والتي كانت سوداء إلى حد كبير، ثمَّ ربط حذائه وهو يأخذ أنفاسه بسبب وزنه الزائد، وما أن اِتجه نحو باب غرفته للمغادرة حتَّى وقف لينظر إلى (ورد) محدقًا لها بشدة، متأملًا وجهها وهي نائمة ومستغرقةً في النوم.
لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:
سامحيني إذا لم أعودْ، فدائمًا ما أشعر بالخطر.
وبأنني سأفقد الحياة وستفقدني الحياة عندما أقوم بهذا النوع

من المهمات السرية.
أريدك فقط أن تعلمي بأنني لم أنتظرْ أن تحضري لي طفلًا حتَّى أحبك.
فمن البداية أحببتك دون طفل، وسأموت وأنا أحبك، حتَّى وإن أزيل رحمك وأصبحتِّي عقيمة.
أغلق مصباح غرفته سريعًا، ثمَّ اِرتدي الكاب الأسود فوق رأسه، تاركًا الغرفة ومنزله، وذاهبًا إلى أداء مهمته الأولى في العمل الجديد.
-أو لكي يصور مشهده القادم-

* * *

- حتَّى أنت كمان يا عم خالد!! رايح فين متأخر كدا وإيه حكاية المكالمة اللي جاتلك إنبارح وشقلبت حالك بالمنظر ده؟ أنا معتش فاهم حاجة، كان لازم الواحد يقرر يكتب حياة ناس حقيقية يعني، ده الخيال طلع أرحم من الواقع بكتير.
أطفئ (ياقوت) سيجارته الذي لم يعرفْ عددها بغضب، ثمَّ بدأ يكتب شيئًا ما داخل ورقة من أوراقه.
قام من جلسته التي طالت واتجه نحو بروازه الخشبي ممسكًا بالورقة التي كتب عليها ذلك الشيء ولصقها بجانب الأوراق الكثيرة الخاصة بالفيلم، ثمَّ أمسك بقلمه كالمعتاد وأزال غطائه من فوق رأسه حتَّى أصبح السن عاريًّا ليكتب على الورقة Done.

تبين ما كُتب على الورقة، حيث كان:
«مشهد صادق وهو يتألم من مرضه داخل غرفته».
أهذا ما يستحق الكتابة اليوم؟ مشهدًا واحدًا يسقط بعض الدموع ثمَّ لا شيء بعد ذلك؟
اتجه (ياقوت) بقلمه بعد ذلك ناحية صورة (خالد) و(صادق) ووضع فوقهما علامة اِستفهام بعد أن أدرك أن وراءهما أسرارًا تستحق الركض لمعرفتها، ثمَّ أعاد الغطاء فوق رأس القلم، لقد ارتدى القلم ثيابه، بينما ظل (ياقوت) واقفًا أمام البرواز الخشبي، مُحدقًا إلى أبطاله، ومُفكرًا في أحداث فيلمه الذي سيخلقه مجنونًا قريبًا.

* * *

عاد إلى منزله مفكرًا فيما حدث معه اليوم، ثمَّ فتح باب شقته ليصبح بالصالة، استعجب (نادر) قليلاً هدوء وصمت المنزل الذي حل به فجأة، ثمَّ أخذ يبحث بعينه عن شقيقته، أمام التلفاز مثلما تفعل دائمًا، في المطبخ، داخل شرفة منزلهما تجلس وتشاهد السماء منتظرةً موعد الشروق، ولكن لا، لم تكنْ هناك في أي من هذه الأماكن الذي تعود دومًا أن يعود إلى البيت ويجدها فيها، أين هي إذًا؟!
تجمدت قدماه مكانها فجأة بعد أن كانت تتحرك بسرعة، فقد أوقفه شيئًا ما، شيئًا لم يُجمد جسده فقط، بل جمد كل الأشياء

من حوله معه، ظل ينظر ويحدق بعينه أمام ما أوقفه في هذه اللحظة، عينه تنتقل بالأسفل والأعلى وكأنه يحفظ جيدًا ما يشاهده، أو ليشبع غايته قليلًا فيما يشاهده، لم يكنْ يعلم ماذا يفعل حينها، أيظل مكانه واقفًا ويشاهد فقط، أو يعطي لقدماه أمرًا يُنفذ بالتحرك إلى الداخل، وفرصة لفعل ما يتمنى أن يفعله جسده، وحياه لغريزته التي لم تجرب أبدًا ذلك الذي تراه عينه التي امتلئت بالنيران الآن.

ولكن لم يعدْ هناك اختيارًا آخر، لقد أُصدر الأمر الآن، واتخذ القرار وسينفذ بعد ثوان، عقله يدرك جيدًا ما سيحدث بعد قليل، الآن سيفعل ما يريد أن يفعله منذ سنوات مع الأخريات التي رفضوه، لقد تحركت قدماه إلى الداخل، لقد أصبح بالداخل بالفعل، أغلق الباب جيدًا، وليصبح هو الآن.

أمام، شقيقته.

النائمة.

* * *

- أيوه بقى، هو ده، إيه الحلاوة اللي أنا شايفها دي، الله ينور عليكم يا أبطالي والله، عندنا شوية أبطال ولا أحسن ممثلين خبرة، كان عنده حق ياقوت لما اختارهم فعلًا، دكتور نفسي بردوا وبيفهم في الناس أحسن مني، بس للأسف، مشكلته الوحيدة، إنه مبيعرفش يستخدمهم زي ما أنا بعمل، يلا مش مهم، المهم إني

طاير من السعادة دلوقتي.
أخذ (بدير) أنفاسه ثمَّ أكمل بوجهٍ حاد وبصوتٍ غليظ مختل:
- اِنهارده، هيتم حرق ناس كتير أوي، وللأسف، لسه متصنعش أي حاجة تقدر تطفي أنواع الحرايق اللي زي دي.
قالها داخل غرفة التحكم وهو يتابع حالة أبطال فيلمه القادم، ولكن الفرق الوحيد الذي بين شاشات مراقبته والشاشات التي يمتلكها (ياقوت) داخل مكتبه هو أن (ياقوت) لا يراقب سوى ثلاثة أبطالًا فقط، أما عن مخرج الفيلم فقد كان يشاهد الجميع، حيث وُضع أمامه شاشات كاملةً للبيوت الخمسة الخاصة بأبطاله الستة:
(خالد - ورد) - (أميرة) - (صادق) - (نادر) - (نور).
ومن يعلم، ماذا يُخفي هذا الرجل ثانيةً، ومن يراقب داخل هذه الغرفة الإلكترونية غير هذه المنازل الخمسة؟ أنا نفسي لا أعرف أين تكون هذه الغرفة؟ وماذا بها؟ وكيف يبدو شكلها وشكل العاملين بها؟ بالتأكيد جميعهم مختلون، أخبرك يا «أنت» بأننا جميعا يتم اللعب بنا، حتَّى أنا.
ولكن أتدرك يا -أنت- لقد كان الطبيب (ياقوت) مُحقًا عندما قال بأن الأبطال الثانوية التي تساعد البطل -الوصيف- تعتبر جزءًا هامًا من الفيلم السينمائي، إذا اختفت، اختفى الفيلم معها، لذا لم يكنْ يقبل (بدير السيد) أن يحدث أي عائق يأتي بمشروعه على

الأرض فراقب الجميع، المشروع الفني الضخم الذي سيغير مجرى الحياة فور ظهوره، المشروع الذي سيُغير ويُعلم ويُظهر ويكشف ويوضح ويقتل ويُحي ويفعل كل الأشياء بمن سيشاهدونه، المشروع الذي سيشاهده العالم أجمع في وقتٍ واحد، لن تشاهده مجموعات قليلة وأفرادًا متشابهة في الجنس وعدد من البلاد فقط، بل سيشاهده الكوكب المستدير كُله، الكوكب الأزرق الممزوج بالأخضر سيشاهد هذا الفيلم بنفسه.

والآن، أخبرني يا -أنت- هل ما زالت تشعر بعد بأنك لست مراقبًا؟ وبأن حيطان غرفتك خاليةً تمامًا من هذا الذباب الإلكتروني الصغير الذي لا يُرى؟ وبأنك أيضًا تحمل في جوف عقلك أسرارًا لا يعرفها سوى أنت دون أن أعلم -أنا- بها، أقصد دون أن يعلم هذا الرجل السينمائي الغامض بها، عمتًا، لقد نصحتك كثيرًا، ونبهتك إلى الخطر القريب منك مرات عديدة، لك اِختيارك إذن، دعنا الآن من كل هذه الآمور، وهيا لنشاهد حفلتنا التي لم تنتهِ بعد، دعنا نتابع تلك المباراه الطويلة بين هؤلاء الفرق الستة الذين يلاعبون بعضهم في وقتٍ وآن واحد، المعركة ما زالت طويلة وجنود الحرب يستعدون للحرب، الصراع اشتعل كثيرًا طوال هذا الوقت لكنه أيضًا لن ينطفئ داخل منهم، الموسيقى لا تمل بعد من الارتفاع، الموسيقى تُعلن مشاركتها في هذا المعركة بأنفاسها الطويلة، ولكن قبل العودة للمشاهدة دعني أطمئن عليك يا -أنت- فأنت هو

من يهمني في كل ذلك.
هيا تخيل طريقتنا المُعتادة دائمًا، أقترب منك ثمَّ أحدثك بمهس في أذنيك، أريدك أن تتعود على طريقتنا يا -أنت- فسأكون أمامك كثيرًا الفترة القادمة، هيا أخبرني.
هل ما زالت تبحث عن نفسك طوال سيرك هنا، أم أنك وجدتها؟
لا تقل!! هل وجدتني؟!

* * *

التنهيدة الرابعة

الإنسان خائن مهما ثُبت حجم إخلاصه، غريزته أثبتت ذلك.

كالعادة، الغرفة البيضاء ثانيةً، والشمس التي تتشجار خلف الستائر البيضاء كعادتها مثل كل صباح، الباب الذي أغلق بإحكام جيدًا حتَّى لا أستطيع الخروج إلى هذا العالم الذي حرموني منه، وكأنهم هم أصحاب خلقه وليس هو -من في السماء- الجرح في ذراعي الأيسر ما زال يؤلمني بشدةٍ، ماذا فعلت في هذه الدنيا حتَّى يخسر طفلًا مثلي كل هذا العالم ويحصل فقط على جرح صغيرًا مؤلم كهذا ؟ نعم أنا ذاك الطفل الكبير يا «أنت» ألا تتذكر؟ «ستراني طفلًا هادئًا شقيًّا».

ماذا فعلت أنا يا -أنت- حتَّى تُرسم نهايتي بهذه القسوة؟

لا شيء، نعم، لم أفعل أي شيء سيئ قط، هم من فعلوا كل شيء بي، حولوني إلى كرة صغيرة وأخذوا يلعبون بها ويدحرجونها أمامهم بأقدامهم، لم يكتفوا بذلك، فقد حملني أحدهم وأنا كرةً هكذا وأسقطني من الطابق العاشر في عمارة بيته، كانت المرة الأولى التي شعرت بها بشعور الطير الذي أصيب بالنيران من صائدًا ماهر، ولكن الفرق بيني وبين هذا الطائر بأنني أصبحت أصاب كل يوم دون أن أموت مثله.

-دائمًا ما كنت أتمنى أن أطير وأحلق عاليًا، ولكن ليس هذا الطير

الذي يُسقطني-
لقد أسقطني ذلك الطفل من شرفة بيته الممتلئة بالورود التي كانت تشاهدني بحزنٍ وبكاء، كان يراهن صديقه بأن أسقطِ على الأرض دون أن يحدثَ شيئًا لي، دون أن أتألم أو أُصاب، وقد كسب رهانه بالفعل.
-فأنا ما زلت حيًّا ميتًا-
وهكذا ظلت تتعامل هذه الحياة ومن يعيشون بها بهذه الطريقة معي، يحملوني مثل الكرة الصغيرة ويسقطوني من أماكن عالية، أماكن قد فرغت من أمامها أي حبال أو سلوك كهربائية أستطيع التشبث بها لأنقذني من هذا الارتطام الجسدي الوهمي، لإنقاذي من ارتطام داخلي بما يفعلونه معي كل يوم.
لقد جاء الوقت لأعرفك بنفسي يا -أنت- لقد جاء الوقت حتَّى لا أصبح مجهولًا أمامك، أنا.
لا أعرف، لا أعرف حقًا ماذا يكون اسمي، ذلك بسبب كثرة هؤلاء الناس الذين اتخذوا من داخلي بيتًا كبيرًا ليعيشون فيه معًا، يفرحون ويبكون بداخل دمي، يتبادلون المشاعر الحقيقية والمشاعر المزيفة الأكثر من الحقيقية داخل غرفة عظامي، عُنقي أصبح غرف نومهم الدافئة، أطراف أصابعي هي غرف اِستقبال ضيوفهم، المعدة كانت غرفة طعامهم، كانوا أيضًا يمتلكون حمامًا وغرفة سُفرة وغرفة متعلقات قديمة داخل مني.

-وهكذا قُسمت جميع أعضائي، ملاجئًا لهم-
أصبحت أشعر أن بداخلي تسكن اِمرأة عجوز جميلة، اكتسب شعرها الناعم لون الشمس اللامع الأصفر، لقد كان شعرًا ذهبيًّا ينساب فوق عين زرقاء تشبه أمواج البحر الهائجة، والتي تغرق -أنت- في أعماقها متمنيًّا ألا يراك أحدًا حتَّى لا ينقذك من الغرق بها، كيف كانت هذه المرأة عجوزًا بعد أن عادلت شفتاه الحمراء ذلك النبيذ الأحمر؟
-سُحقًا لكل من قال بأن جمال السيدات يختفي فور سيرهن في طريق الكبر، أقسم بأنه قد فُقعت أعينهم-
أصبح يسكن بداخلي صحفيًّا جادًا يعشق إظهار الحقَّائق المُختبئة، وراقصةً لا تشعر بكونها حرة إلَّا عندما يختلط جسدها بهواء السماء، لقد سكنني رياضيًّا يعشق الركض ليضربه الهواء المقابل في وجهه وينسيه ما مر به طوال حياته، لقد سكنتني اِمرأة وضعت حجابًا فوق ذكرياتها قبل أن تضعه فوق خصلات شعرها الناعمة، وفتاة عاشت لتكون كتفًا يحمل الجميع ويسنده دون أن تجد كتفًا يحملها لثوان، سكنني شابًا لم يعترف أحدًا بكونه حيًّا أو موجودًا بينهم وأمام أعينهم، اعتبروه مهمشا كالهواء، سكنني طبيبًا نفسي يداوي الجميع إلَّا نفسه، ومُخرجًا سينمائي أراد أن يُغير العالم دون أن يُغير من نفسه أولًا، إلَّا أن أدركت في النهاية بأنني قد خُلقت في هذا العالم لكي أرسم كل ما تراه عيني بألوان

ماء على ورقة بيضاء مُربعة مثلما كانت تفعل زوجة الطبيب النفسي، فالرسم فقط هو من يستحق العيش، نعم، أعترف بأنني لم أخلق إلا لكي أرسم فقط، وأعيش بكل هدوء، بين أقلامي وفرشاتي، والورقة البيضاء، والقلم.

بدأ الطفل يُغير وضعيته دخل الغرفة وهو يأخذ أنفاسه ببطء، شاعرًا ببعض الألم في ذراعه الأيسر، متجاهلًا إياه عائدًا للكتابة وهو يحمل أوراقه بين قدميه المتداخلة في بعضها، ليكتب وهو يردد ما يكتبه بصوتٍ منخفض مثلما تعود:

الآن أسرد لك يا -أنت- كامل أحداث حياتي منذ أن خُلقت، الآن تراني طفلًا صغيرًا يبلغ من العمر اِثنتي عشر عامًا بعد أن رأيتني وأنا اِمرأة عجوز عاشت ثمَّانون عامًا، وما زلت أيضًا سأظهر لك وأتحدث معك بشخصياتٍ عديدة ومختلفة الأعمار حتَّى لا تستطيع معرفتي، أعلم جيدًا يا -أنت- بأنك كلما اِستمريت في السير في هذا الطريق وقراءة هذه الأوراق كلما اِزداد عدم فهمك للأمور وما تقرأه عينك، ولكن اِعذرني، وظيفة «الحبكة» تتطلب ذلك يا -أنت- الأهم هُنا هو أنك يجب أن تُشكرني كثيرًا بعد كل ما أفعله معك، أعلمك الصبر وأعطي لعقلك مجالًا ليفكر قليلًا في حقيقة شخصيتي التي لا أريدك أن تحكم عليها مبكرًا، ولكن حتَّى وإن كانت هذه الحقيقة سخيفة مثلما هي الآن داخل رأسك ألا تريد أن تشكرني؟! ألا تعلم أنك هكذا تُحزن طفلًا صغيرًا

يكاد الماء يسقط من عينيه بسببك؟
حسنًا، لا أريد شيئًا منك، لكنك بهذه الطريقة ستجعلني أتعامل معك مثلما كان يتعامل الطبيب والمخرج مع أبطال عملهما.
اقترب، اقترب يا -أنت- سأهمس لك بما أقصده، نعم، أحسنت.
لقد كنت أقصد بأنني من الممكن أن -أراقبك- مثلما كانوا يفعلون، ماذا؟! هل أنت خائف؟!! لا تُقل!!
-أنت- بنفسه يخاف ويخشي بهذه السهولة؟ لالا يا -أنت- إن هذا يضحكني كثيرًا، صدقني أنا لا أستهزأ بك، أنا حقًا أضحك، أقسم لك بأنني أضحك الآن.
استمر الطفل في أخذ أنفاسه والرجوع إلى حالة هدوئه بعد أن اِرتفعت ضحكاته الساخرة وهو يكتب، وما أن كاد يعود إلى الكتابة حتَّى التفت برأسه سريعًا ناظرًا إلى باب غرفته وكأنه قد سمع صوت أحدهم وهو يسير في الطُرقة أمام غرفته، فالأصوات بالخارج تكاد تُسمع بسهولة خاصةً في ذلك الطابق الهادئ لقلة عدد المرضى به لكونه طابق الحالات الخطرة، إلى أن أمسك بقلمه بقوة وعاد يكتب بسرعة مرة أخرى بعد أن تأكد من أن هناك أحدًا ما قادم إليه، إنه الطبيب النفسي برفقة نساءه الممرضات والضخمين الذان يحملانه دائمًا بين ذراعيه، فقد عاد موعد الحقن، كتب بسرعةٍ:
أُعذرني يا -أَنت- يجب أن أغادر الآن، فقد جاء موعد آلمي، أريدك

فقط بألا تكرهني بسبب طريقتي معك أو طريقة أسلوبي في سرد أحداث روايتي، لكنهم هم من فعلوا ذلك بي، هم من جعلونني هكذا أقسم لك، أريدك فقط أن تعرف بأنني أحبك، ولكن ليس كثيرًا، فبعض المشاعر بداخلي قد ماتت منذ أن أتيت إلى هُنا، هيا الآن، دعني أذهب، انتظر، انتظر، لقد نسيت شيئًا.

- الحرف الأول من اسم (نور)

لا تنس لعبتنا يا - أنت - لا تنسي الصبر - اِبتسامة لك -

هيا الآن، فقد اقتربت أصواتهم كثيرًا ويجب ألا يعلم الطبيب بأن الأوراق والقلم قد عادت لي مجددًا.

- الكتابة هي مرضي الوحيد الذي لا أجد له علاجًا -

وأنا مريضٌ بها بشدة، وداعًا يا - أنت - سأشتاق لك كثيرًا، لنا لقاءً أخر، هيا دعني أخفي الأوراق والقلم أسفل سروالي، إنه مكانًا جيد ولن يبحثوا فيه مُطلقًا، وإلا لقمت حينها باتهماهم جميعًا بالتحرش.

الأوراق والقلم أصبحت داخل السروال، الباب الأبيض قد فُتح سريعًا، لقد دخل الطبيب برفقه عصابته، لماذا كانوا ينظرون لي هكذا، ماذا فعلت لهم؟ آنا لا أكرههم، لأنني لا أستطيع حقًا كره أشخاصًا مثلي أو حتَّى كائنات غيري لا تشبهني، هل أنا مريضٌ حقًا حتَّى يعطوني حقنةً مثل هذه كل يوم، لماذا يمنعوني دومًا من أن أحدق بالشمس، ألَا يكفي بأنهم قد وضعوا أمامها هذه

الستائر المُقيدة، لماذا يفعلون معي كل هذا، ولماذا ينظر لي هذا الطبيب النفسي هكذا كل مرة يراني بها، الطبيب الذي لطالما شعرت دومًا بأنني أعرفه جيدًا، وبأنني قد رأيته من قبل، وبأنه أيضًا يعرفني وعلى صلةً بي، لكني لا أتذكره، لا أستطيع ذلك.
أشعر بأنني لا أراه بوضوح، أشعر بأنه قد ضُعف بصري.
- متى سيكف هذا العالم عن اِعتباري كره صغيرة يلعبون بها -

* * *

«لم يكنْ يعلم الحقيقة كاملةً، فخُدعَ»
فتح (خالد) باب المنزل الخاص ب»عزت عبد الحميد» بطريقة السارق وليس الساكن، وبإبره حادة رفيعة وليس بالمفتاح الخاص، ليصبح بعد وقت قليل داخل شقة السينارسيت المقتول، أخبركم بأنه لم يكنْ يظهر شيء يندرج تحت قائمة وصف هذا المكان تحديدًا، فالظلام قد نقل مسكنه إلى هُنا، أخرج الصحفي كشاف النور الصغير لتظهر أمامه بعض ملامح هذا البيت، ولكن أحيانًا لا تسير الأشياء مثلما تريد -أنت- فالصحفي كان ضعيف البصر، لا تكفي كرة النور الصغيرة التي اِنطلقت من الكشاف أن تكشف له الطريق جيدًا، نبضات قلبه لم تكف عن الركض أثناء ما كان جسده يسير ببطء، ما هذا الشعور الغير المعتاد الذي يشعر به الآن، هل توقفه عن القيام بأداء عمله بهذه الطريقة السرية قد خلق بداخله هذان الأخوين القاتلين -الخوف والقلق- حاول أن

يتجاهل هذا الشعور بالخوف والقلق بقدر ما يستطيع، يُحدق بعينيه بشدة ويضيقها ناظرًا إلى هذه الشرائط الصفراء الطويلة التي وُضعت من قبل رجال الشرطة والتي وظيفتها منع دخول أحدًا إلى موقع حدوث الجريمة، لتكسر قدميه هذه القاعدة بخطواتٍ بطيئة ويجتاز الشرائط الصفراء التي عُلقت أمام باب المكتب، أي أن حدوث الجريمة خلف هذا الباب، لماذا توجد الحقيقة دائمًا خلف الأشياء أو بينها، لماذا لا تكون في المقدمة، لماذا لا تشذ عن هذه القاعدة وتكون الحقيقة ظاهرةً ولو لمرة واحدة؟

استمر (خالد) في السير داخل غرفة المكتب مُشيرًا بكشافه إلى جميع أركان الغرفة ليأمن نفسه، غُلف الشباك أيضًا بهذه الشرائط الصفراء، ليبدأ الصحفي في فحصه جيدًا وهو يمرر يده ذات القفذات البيضاء على حواف الشباك وعلى جميع أطرافه، إلى أن اِكتشفت عينيه فجأة ذلك الكسر العميق بمنتصف الزجاج، كان الزجاج ضخمًا ليجعله يدرك بأن هذا الكسر الكبير ربما يكون مدخل القاتل إلى هذه الغرفة، لم يترك نفسه للنظر كثيرًا إلى هذه الأشياء التي تخص الشرطة حتَّى أخرج كاميرا التصوير من حقيبة ظهره وأخذ يصور الزجاج عدة صور مُختلفة الزوايا بدقة وعن قُرب، ثمَّ بدأ يعود إلى الخلف مُتجهًا بالكشاف نحو المكتب، تواجدت عدة كتب على المكتب بعشوائية، ثمَّ أخذ يبحث

ويتفقد، الأبچورة، الأوراق، الأقلام المتناثرة، المستندات الكثيرة التي أوضح ما بداخلها أنها أرشيف قديم لأعمال المجني عليه، أين الخيوط، أين الروابط المفقودة لهذه الجريمة، أين الحقيقة التي اِستدعت أحدهم لقتل لمؤلف ليس معروفا كهذا، ازدادت أنفاسه في الخروج بقوة، ربما لم يُكنْ هناك صوتًا في هذا الوقت غير صوت أنفاسه الراكضة، قطرات العرق على جبينه تحولت إلى قطرات أمطار، الوقت يمر بسرعة الضوء في هذه اللحظات، الرعب أقل قوةً من أن يقف ليواجه هذا الظلام الدامس، اتجه بأصابعه سريعًا نحو أحد أدراج هذا المكتب ليتفقده، لكنه الحظ السيئ الذي جعله يفتح كل الأشياء هذا اليوم بشيء أخر غير مفتاحه الأصلي، فالدُرج مُغلق، وقد عُلمته مهنته جيدًا أن الأشياء المُغلقة بإحكام تُخفي ورائها دائمًا حقيقة كاملة، الإبرة الرفيعة مرة أخرى، السارق الذي بداخله يحاول إظهار الحقيقة، الإبرة تداعب ثقب الدُرج برفق، المُداعبة ما زالت مُستمرة، العرق يكثر، عيناه تحاول رؤية الثقب جيدًا، عمليةً الفتح طالت عدة ثوان، الأنفاس تتزايد، ضربات القلب ما زالت تؤدي رياضتها المفضلة، والآن، أُنجبت الحقيقة.

اندفعت يد (خالد) بقوة للخلف أثناء محاولة فتح دُرج المُكتب المُغلق، خرج جزءًا صغيرًا من الدُرج بمفرده إلى الخارج أثر هذا الاندفاع، أصابع الصحفي تُكمل الوظيفة وتُخرج الجزء المُتبقى

بالداخل، أشار بكشافه داخل الدُرج الخشبي ليظهر أمامه رابطًا جيدًا للقضية خلق ابتسامته سريعًا، لقد كان هذا الرابط هو مُستندًا من الأوراق الذي كُتب عليها من الخارج

-كُل ما يُخص أحداث الفيلم الواقعي وحياه أبطاله-

«أحيانًا ظهور الحقيقة لا يكون بالشيء الجيد، وإنما هو بداية طريق تمنى إخفاء الحقيقة مُجددًا».

أخرج (خالد) كاميرا التصوير بسرعةٍ كبيرة بعدما وضع مُستند الأوراق أمامه والذي هو بمثابة كنزًا وإثباتًا له في وظيفته الجديدة، بدأ يلتقط الصور لكل ورقةً في هذا المُستند الذي سيغير مجرى الأمور بالنسبة له، بدأ يجمع الحقيقة بقدر ما يقدر على فعل ذلك، الورقة الأولى، يلقط ثمَّ يُقلب، الثانية، يلقط ثمَّ يُقلب، الثالثة، يلقط ثمَّ يُقلب، الرابعة، يلقط!! لم يُقلب هذه المرة.

جُمدت كاميرا التصوير فوق عينيه فجأة أثناء اِلتقاطه للصور، ما هذا الذي يراه، هل ضعُف بصره إلى هذا الحد الذي يجعله يرى ما يراه الآن، اِبتسامة الإنجاز قد اختفت، صدمة ما رآه قد أتت، الشعور الرائع بالحقيقة بُدل بشعور الخوف من الحقيقة، إنها الورقة الخاصة بصور أبطال الفيلم الذي سيراه الجميع قريبًا، فكيف له ولزوجته أن توجد صورتهما بين هؤلاء الستة!!

ألقى كاميرته على المكتب سريعًا ثمَّ أمسك بكشافه بقوة وبدأ يُقرب وجهه من الأوراق بشدة وهو يضع الكشاف في وجهه

ووجه زوجته بين الصور، ظل يُحدق، عيناه تتسعان من صدمتها، لقد تأكد بالفعل، إنهما الذان علي الورق وليسا شبيهين، إنهما هما، الزوجين!! ليس ذلك فقط.
بل كُل رفاقه في الشركة أيضًا، لقد كان بجانبهما صور (أميرة - صادق - نادر - نور) أيضًا
ما هذا الفخ، ماذا فعل بهم رجل الأعمال هذا، ماذا فعل بهم هذا الطبيب النفسي أو هذا المريض النفسي، ما الذي يحدث، ما هذه الروابط اللعينة، الضوضاء في رأسه تتزايد، صوت مذيعة التلفاز التي أعلنت بالأمس عن هذا الفيلم يتردد في أذنيه، الضوضاء ازدادت عندما طابق حديثها بالكلام الموجود بين الأوراق.
«بل وستصور أحداث هذا الفيلم بالتحديد داخل منازل أبطال هذا العمل والذي صُرح أيضًا بأنهم ليسوا أبطالًا سينمائيين بالوسط الفني بل أشخاصًا عاديون ذو مهنٍ مختلفة».
لم يكد (خالد) يأتي بصفحة أخرى في هذه الأوراق حتَّى سمع صوت سحب زلاقة المسدس للوراء -تعمير المسدس- داخل غرفة المكتب، ارتفع حاجبيه إلى الأعلى واتسعت عيناه بشدة ثمَّ بدأ يرفع أنظاره ببطء للنظر ناحية الباب، لقد رأت عينيه ما جعله يكره وظيفته للمرة الأولى منذ أن عمل بها، فالآن لم يعدْ بمفرده داخل الغرفة، الآن أصبح برفقة مُقنعَين ارتدي كلاً منهما ثوبًا أسودًا وقناعًا أبيض سخيف يبتسم بشدة ويُخفي ملامح وجههما

كُلها، هل كانت حياه هذا الكاتب السينمائي تهم الكثيرون لهذه الدرجة؟ أم أن القضية نفسها هي ما تهم الجميع؟
المُقنعان يرفعان أسلحتهما أمام وجه الصحفي الآن، تجمدت أصابع الصحفي ممسكةً بالأوراق التي صدمته قبل أن يصدمه هذان الاثنان، اليوم صادم بالنسبة له، اِبتسامات الأقنعة تكاد تقتله قبل أن تقتله الرصاصات، أمتارًا قليلة تفصله بينه وبين الموت الواقف أمامه، هل هذا موعد الفناء؟ هل قد أُصدر موعد الرحيل عن العالم هذا اليوم؟ أم أنه لا حظٍ لظهور الحقيقة في هذه الحياة؟
ربما قد أدرك بأن العودة للمنزل أصبحت أمرًا مستحيلًا بعد الآن، فالأصابع تُعلن اِستعدادها للضغط على زناد الموت.

* * *

«أحيانًا لا يكون الأخ ظهرًا يسند، ولا تكون الأخت بديلةً للأم».
ظل واقفًا أمام شقيقته داخل غرفتها، يتأمل جسدها الرفيع المُلقى على فراشها الأبيض، غريزة الشهوة داخل منه فاقت واجبه بأن يُغطي جسدها المكشوف الآن، قدمه تتحرك ببطء نحو الفراش، سنتيمترات قليلة تفصل الأخ عن الأخت، أو الرجل عن المرأة، فالمسمى الحقيقي لهما لم يُعدْ حقيقيًا.
جلس (نادر) على فراشها أسفل أقدام شقيقته المكشوفة قليلًا، نيران عينه تحرق نعومة أقدامها، تتنقل نظراته بداية من خُصلات

شعرها الناعم حتَّى أطراف أصابع قدماها، صراع الهرمونات داخل منه أنساه كونه يجلس أمام شقيقته، عقله يُعلي صوته بشدة ويخبره بقوةٍ: ماذا تفعل؟ هل جُننت؟ ابتعد؟ إنها شقيقتك؟ نصفك؟ إنها أنت؟ ماذا تفعل؟

ولكن أحيانًا ما تقوله الحقَّائق العقلية والثوابت التي لا تتغير تُصمته الشهوة تمامًا، خاصةً للذين قد خُلقوا ليُحرَمون، ظل جالسًا على الفراش ينظر إلى ذلك الجسد الذي لا يمنعه من الهجوم عليه سوى كونه جسد شقيقته، تخرج أنفاسه ببطء وبقوة لتحتضن بالعرق المرتبك، أنظاره تحاول عدم القيام بوظيفتها، وضعية جسده تتغير بارتباك وشعور خانق، ينظر أمامه مرةً واضعًا يده على وجهه وإلى شقيقته مرة أخرى مُحدقًا لها، إلى أن تجاهل كل ما يشعر به الآن ليقوم بشيء يخلصه من هذه اللحظات التي تربكه، لقد أعطى الأمر لأصابع يده بأن تقترب لأقدامها، الأصابع تسير ببطء، عيناه ترتفع بحذر نحو وجهها ليتأكد من نومها، الأصابع تقترب، عيناه تتأكد من وجه شقيقته، الأصابع، عيناه، الأصباع، عيناه، الأصابع، عيناه، الأصابع.

لا تخف يا «أنت» لقد حدث ما كنت تتمناه، ذلك إذا لم تكنْ تتمني العكس.

استيقظت شقيقته بعدما أنقذها القلق الذي جائها فجأة، ليسحب هو يده بقوة معيدها إليه، لتدهش شقيقته بعد ذلك

من كونه يجلس أمامها مرتبكًا، مِمَّا جعلها تطلق كلماتها وهي تغطي جسدها سريعًا بغطاء فراشها، قائلة بقلقٍ واستعجاب:
- نادر!! أنت دخلت هنا ليه!! هو فيه حاجة؟
امتلئ الخوف كل ممرات جسده، قائلًا محاولاً التماسك:
- لا مفيش أي حاجة، أنا بس كنت راجع من بره وقولت أجي أطمن عليكِ وأغطيكِ عشان عارف إنك بتوقعي الغطا على طول.
- ربنا يخليك ليا يا حبيبي يارب، طب إيه أقوم أحضرلك تاكل؟
قالتها باطمئنان قد أعطاه شقيقها لها، ليرد هو بسرعة مقتربًا منها:
- لا لا، خليكِ، أنا كلت بره، أنا بس عايز...
ظل ينظر لها متأملًا وجهها، عائدًا لشعوره ثانيةً وكأنه قد نسى أنها استيقظت، لترد قائلة بقلقٍ بعد أن أرسل إليها شَكًّا جديدًا:
- عايز إيه، أنت كويس!!
أبعد نظراته سريعًا وهو يهبط ظهره قليلًا ثمَّ وضع يده على وجهه في خنقة، لتستكمل شقيقته الحديث بقلق واستعجاب، قائلة:
- مالك يا نادر!! حصل إيه مخليك كدا؟
أطلق أنفاسه العارقة، ثمَّ قال مصطنعًا وجهًا بائسًا:
- أنا تعبان أوي يا أمنية وحاسس إني لوحدي، ماليش حضن أترمي فيه، حتَّى حضن أمي اللي كنت بصبر نفسي بيه، سافر

معاها عشان يراعي أمها المريضة بقالها سنتين، مع إن إحنا أولى بحضنها ورعايتها دي.
لترد بتلقائية لا تخرج إليّ من ابنة حسنة:
- متقولش كدا يا نادر، أنت عارف كويس إن ماما مينفعش تسيب أمها اللي عاشت عشانها في عز مرضها، زي ما إحنا هنعمل بالظبط ومش هنسيبها أبدًا لو حصلها حاجة بعد الشر، ولا أنت ناوي تجوز وتنسانا يا أستاذ؟
نظر لها بشدة مُفكرًا في جملتها، قائلًا باستخفافٍ:
- أتجوز !! أتجوز إيه بس يا أمنية، أنا بقيت حاسس إني عامل زي الطاعون، الكل خايف يقرب مني عشان حياته متنتهيش على طول، في ناس كتير أوي مش حاطة في دماغها الجواز ولا بتفكر فيه عشان عارفه ومتأكدة إن كدا كدا مسيرهم هيتجوزوا مهما طال بيهم الوقت أي كانت بقى طريقة جوازهم دي، لكن أنا بقيت متأكد إني هفضل لوحدي لحد ما أبقى عجوز، مش هلاقي حتَّى اللي يحس بموتي لما ييجي، لغاية ما أي حد يحس بيا وهو جاي يزورني بعد كام سنة، وقتها هكون عفنت، أنا عامل زي البيت اللي بعمود واحد يا أمنية، مع إن أي بيت في الدنيا مينفعش يقوم غير بعمودين يوقفوه على رجله.
اقتربت (أمنية) منه قليلًا ثمَّ وضعت يدها على ظهره لتهدئ من حالته، قائلةً برفق وحنان أم غائبة:

- إيه اللي بتقوله ده يا نادر؟ كل ده ليه أصلًا!! ما أنا قولتلك قبل كدا مليون مرة إحنا بس اللي بنوقف حياتنا علي غيرنا، وبرغم كدا هي لسه ماشية بينا بحالتنا دي وإحنا مكسورين، معنى كدا بردوا إنها ممكن تمشي بينا وإحنا أقوية ومش هاممنا وجود حد معين معانا، اسمع كلامي عشان خاطري يا نادر، بُعد الناس اللي بتبعد عنك دي هي أكتر حاجة تأكدلك إن فيه ناس كويسة جدًا هتقرب منك وفي طريقها ليك، قابلهم بقى، واطمن، أنا جنبك ومش هسيبك أبدًا.

قالتها وهي تقربه من أحضانها اكثر، لينسى هو كل حديثها وما به مُفكرًا بها فقط، ثمَّ أغمض عينيه بقوة تاركًا نفسه ليشعر بالأحضان التي تمني أن يشعر بها دومًا، مخرجًا أنفاسه بقوة وهو يتنفس رائحتها، أصبح يشعر داخل منها بأنه بين أحضان فتاة يعشقها وليست شقيقته كما هو الحال، ليرفع ذراعه سريعًا حول جسدها ليحيط بها وهو مُغلق العينين، مِمَّا جعل شقيقته تعقد حاجبيها مستعجبة، ممسكة بيده لتزيلها بعيدًا عنها، قائلةً ببعض القلق والدهشة:

- يلا يا نادر، قوم ارتاح دلوقتي، وبكرة جهز نفسك عشان نروح نشوف ماما سوا.

- أنا بحبك أوي!

قالها بقوة دون أن يُنصت لما قالته، لترد عليه باستعجابٍ:

- وأنا كمان بحبك يا نادر والله، يلا قوم عشان...!
ليقاطعها بلسانا سقط عقله:
- يبقى نتجوز يا أمنية.
«أحيانًا يوجد أشخاصًا بُدلت رؤوسهم برؤوس بعض الكلاب التي من الممكن أن تأكل أصحابها إذا صُرعت، مع احترامي الكامل لهذه الكائنات».
- أنت اِتجننت !! أنت إزاي تقول كدا لأختك!! أنا مش أميرة يا نادر فوق.
وقف على أقدامه سريعًا، قائلًا وكأنه قد جُن أو صُرع:
- ما أنا عارف إنك مش هي، وفايق أوي وشايفك كويس، عشان كدا بقولك أنا عايزك.
دفع بجسده سريعًا نحوها، لتخرج هي من أسفل ذراعه لتصبح في الجانب الأخر الذي يقابله ليتوسطهما الفراش، قائلةً بخوفٍ:
- عشان خاطري اِهدي، أنا حاسة بيك كويس، وعارفة إنك مش في وعيك، اهدى يا نادر، كل حاجة هتتحل.
قالت جملتها الأخيرة وهي تركض نحو باب الغرفة سريعًا ليتبعها (نادر) بقوة وهو يُسد طريقها أمام الباب، قائلًا وكأنه قد نسي كينونته تمامًا:
- رايحة فين!! بقولك أنا عايزك.
صرخت في وجهه بقوة، قائلة بانفعال:

- وأنا بقولك فوق أنا أختك يا غبي.
ليرد بصوتٍ بارد مختل:
- أنا فايق كويس وعارف إنك أختي، بس اللي جوايا مش فايق ومبيفرقش بين اللي بيشوفه، وأنا مش هطلعك من هنا غير لما يفوق هو كمان.
انعقد حاجبيها بحزن، لتقول بقلب يركض وعين أوشكت أن تمطر:
- هتندم والله، هتندم يا نادر.
« أُعذرني يا -أنت- على ما أجعلك تراه الآن، ولكن أقسم لك بأنني لم أتمنى يومًا أن أكتبه، ولكن هذا ما حدث معهم بالفعل، لقد مروا بهذه الأشياء، لقد كُسروا وحُطموا، مات هؤلاء جميعا وظلوا أحيائًا معنا، لقد طُحنوا مثل حبات القمح الأصفر، لكنهم لم يصبحوا يومًا دقيق خبزًا أبيض، بقدر ما أصبحوا طعامًا أسود لم يذقه فمك من قبل».
-اِبتسامة لك-
ظلت تتراجع بظهرها نحو الفراش بخطواتٍ قليلة، لقد حضر بكائها سريعًا، هي تدرك جيدًا بأنه لا يوجد أيٍ زجاجات نبيذًا أو خمرًا في هذا العالم من الممكن أن تحوله إلى وحشًا بهذه الصورة، فكيف أصبح هكذا الآن؟
- عشان خاطري يا نادر، وحياة ماما تمشي من هنا وأنا مش هقول لأي حد، عشان خاطري.

أطلقت كلماتها المتوسلة وهي تسير في أنحاء الغرفة بخوفٍ، لكنه لم ينصت، ظلت تتراجع، وظل هو يتقدم نحوها، تُردد كلمات التوسل، ويرد هو بالصمت والتأمل في جسدها التي حاولت هي أن تخفيه بذراعيها، أصابعه تفك أزرار قميصه ببطء، يدها تمنع عيناها عن النظر إلى رؤية أخيها هكذا، البكاء يزداد، والإنسان يفقد إنسانيته ويصبح كائنًا لم يكتشفه العلماء يومًا، العالم يتأرجح في عينه بشدة، السقف بالأسفل والأرض بالأعلى مرة أخرى، الفراش هو غايته الكبري الآن، البكاء يزداد، لا يريد شيئًا سوى أن يُجرب شعور الفراش وهو بين أعماق اِمرأة مهما كانت قرابتها له، لا يريد سوى أن يجرب فراشًا ليس فراشه، أو فراشًا لا يحويه هو بمفرده، بل يحويه برفقة شخصًا أخر، والآن.
-لقد سقطت بديلة الأم بظهرها على الفراش، وانفكت أزرار قميصه كُلها-

* * *

أمسك الصحفي بالأبچورة التي وُضعت أمامه على المكتب ودفعها بعيدًا في وجه المُقنعَين، ثمَّ تقدم أحدهما نحوه بسرعة ليركله بقوة كالكرة في وجهه، مِمَّا جعله يسقط جالسًا على مقعد المكتب، وما أن كاد المُقنع يطلق النيران على (خالد) حتَّى ركل يده بقوة ليبتعد المسدس بعيدًا عنه، ثمَّ بقدمه الأخرى الضخمة ركل جسده في منتصف بطنه مِمَّا أسقطه على حافظة الأوراق

الخشبية ذات الأوجه الزجاجية ليصبح المُقنع ضمن أحد أوراقها.
-إنه الوقت المناسب حتَّى تتحرك الكاميرات ولكن بحرص داخل منزل السيناريست المقتول-
لم يكد (خالد) يلتفت لينظر إلى المُقنع الأخر، حتَّى وجد لكمةً قوية منه تحتضن بوجهه لتعيده بعض الخطوات إلى الوراء، ثمَّ ركلة أخرى من قدم المُقنع ألصقت جسد الصحفي بجدران غرفة المكتب -لا ليس أنتِ الآن أرجوكِ- لقد سقطت النظارة من على وجه الصحفي، بدأ يشعر قليلاً بألمٍ هذه الضربات، يجاهد بقوة في رؤية هذا المُقنع الواقف أمامه، لقد لعن نظره في هذا الوقت الذي جعله يراه لغوشةً وخطوطًا مموجة، ليجده بعد ذلك ينظر إليه وهو يميل برأسه قليلًا بذلك القناع الأبيض مُستعدًا لرفع قدمه مرةً أخرى ليركله ثانيةً، وما أن كاد يفعل المُقنع ذلك حتَّى أمسك (خالد) بقدمه بقوة مُعيقًا حركته وهو ينظر له بغضبٍ وحدة، أخذ أنفاسه بقوة وهو يحدق بالمُقنع وكأنه يخبره بهذه الهدية التي سيعطيها له الآن، فما أن كاد يمسك بقدميه حتَّى جعل عظامها تسير عكس اِتجاهها وزاويتها الصحيحة مِمَّا جعل مشط قدميه يخرج صوت تمزقه، مِمَّا أخرج تلك الصرخة القوية من المُقنع الذي تبعها بعد ذلك كسر عظام ركبته أيضًا ليسقط على الأرض صارخًا متألمًا.
هبط (خالد) بجسده على الأرض باحثًا عن نظارته، ثمَّ بدأ يغلق

مستند الأوراق ويحمله بعدما ارتدى حافظة عينه، متجهًا للخروج من المكتب سريعًا وهو يضرب المُقنع الملقى على الأرض بقوة في وجهه ليفقده وعيه.

-لقد كانت تقوم الكاميرات الصغيرة المتناثرة أعلى جدران الغرفة بوظيفتها جيدًا في تصوير هذا المشهد الملحمي-

أقدام (خالد) تتحرك بسرعة للخروج من هذا المنزل اللعين، قطرات العرق على وجهه تزداد أكثر من بدايتها، مسافة قليلة تفصله عن الوصول إلى باب المنزل بالخارج، ولكن ما أن كاد يصل حتَّى اِرتطمت قدماه بمقعدٍ خشبي بالخارج جعله يسقط على وجهه متألمًا، الأوراق تناثرت بعد جمعها، الورقة الخاصة بصورة أبطال الفيلم أمام عينه الآن، لقد تجمعت أسوء حظوظه في هذا اليوم، بصره الضعيف، جسده السمين الذي يحمله بصعوبة، الظلام المُعتم، صدمته بكونه أحد أبطال فيلمًا واقعي وأن ذلك بمثابة كشفًا وفضيحة كبرى لكل ما يحدث في حياته وبيته، وهؤلاء المُقنعون الذين ظهروا له من حيث لا يدري.

ظل يتألم قليلًا على الأرض وهو يأخذ أنفاسه، ليتمنى بعد ذلك أن تفقد أذنيه وظيفتها السمعية بعد هذه الأشياء التي ظل يسمعها وتصدمه كل دقائق، فقد سمع صوت قداحة النيران تُعلن عن وظيفتها، لا يعقل، مُقنعًا جديد يقف أمامه حاملًا زجاجة خضراء من الوقود وُضع في رأسها قماشةً صغيرة، إنه الحظ

السيئ السادس له في هذه اليوم، اتسعت عين (خالد) عندما رأى المُقنع يُشعل القماشة أمامه الآن - ما هذه الأنواع المؤلمة من طرق الموت في هذا اليوم، إما إطلاق الرصاص أو الحرق بالنيران، لماذا لا يجربون طرقًا سريعًا لا تجعله يتألم حينما يموت، ولكن لا جدوى، فالمُقنع يستعد لقذف الزجاجة نحو الصحفي، لقد ألقاها بالفعل، وما أن كادت تحتضن به حتَّى أدار جسده على الأرض مبتعدًا عنها، احتضنت النيران بغطاء الأرض الحريري، نوعًا غبيًا من القماش يزيد من إشعال النيران، النيران أصبحت قريبة منه بما يكفي، النيران تحتضن بكل الأوراق على الأرض، ما عدا الورقة الخاصة بالصور التي أنقذها (خالد) سريعًا من بين النيران، لا يريد الخروج من هنا دون أي دليل ولو بسيط، المُقنع الثالث يتجه نحوه، اللعنة، ضربات وجه وركلات قوية ثانيةً، هو لا يريد أن يتألم، يريد أن يموت سريعاً دون إصابة أو ألم، خاصةً بعد أن أدرك أن هؤلاء المُقنعون قد دربوا جيدًا لهذه الأنواع من القتال، وبأنهم لا يريدون موته بقدر ما يريدون إيذاءه، وإلَّا لأطلق المقنعان النيران عليه في البداية، المُقنع يقترب أكثر مِمَّا كان، القناع المُبتسم السخيف مرةً أخرى، لم يعدْ يمتلك الصحفي قوة على أن يعافر معهم في هذه المعركة السخيفة، المُقنع يخرج سكينًا حاد من أعلى سرواله، (خالد) ينظر حوله باحثًا في كل مكان بعدما نظر بارتباك إلى السكين، أيشاء القدر أن ينقذه

ويهديه حظًا جيدًا هذه المرة السابعة؟ المُقنع يقف أمامه رافعًا سكينه للأعلى، (خالد) يبحث حوله عن شيء ينقذه، النيران تزيد من العرق فوق جبينه، لحظات قليلة وتحتضن السكين بالصحفي السمين، لحظات قليلة ويكون الموت الحتمي.

-ولكن الحظ السابع، لم يشبه باقي آخوته-

أطلق (خالد) الست رصاصات بقوة ودون توقف ليسقط المُقنع أمامه ميتًا، لقد أدرك الآن أنه لا يوجد من يستحق الشكر في هذه اليوم غير هذه الضحية صاحبة البيت، ذلك فقط لأن السيناريست المتوفي قد وضع هذا المسدس الذي قتل به (خالد) ذلك المُقنع أسفل هذه الحافظة الصغيرة بالصالة، لم يكن يعلم بأن المتوفي لم يحب تواجد الأسلحة في بيته، وبأنه لا يقم بهذه الفعلة ووضع هذا المسدس في هذا البيت إلا مُخرجًا سينمائيًّا جيد يدرك ماذا يفعل.

-اِبتسامة لك-

«هل شعرت من قبل بأن الصراعات في حياتك تتوالى خلف بعضها لدرجة أن تتجمع كُلها في يومٍ واحد وخلال دقائق صغيرة؟ إن كنت قد شعرت بذلك وخرجت منها حيًّا حتَّى الآن، فدعني أسميك بطلًا، أم أنك أصبحت تكره كلمة «بطل» بسبب ما يحدث لأبطال هذه الرواية؟».

هذا ما قد شعر به (خالد) بعد مقتل المُقنع الثالث، توالت

الصراعات أمامه في هذا اليوم في أقل من نصف ساعة، فرائحة الغاز قد أتت من المطبخ بقوة معلنة مشاركتها في هذا الحفل الذي لا ينتهي، ما الذي يحدث لكل هذا؟ من الذي دبر لكل هذا بكل ذلك الإتقان؟ نهض سريعًا من وضعيته على الأرض حاملًا حقيبته وورقة الصور متجهًا نحو باب المنزل وهو يقفذ من فوق النيران المشتعلة، ولكن ما أن كاد يفتح باب المنزل حتَّى وجده مُغلقًا بإحكام مثلما فتحه عندما جاء في البداية، لقد وضع المُقنعون خطةً جيدة ونفذوها هذا اليوم، أو أن مُخرج هذا العمل هو من أبدع في رسمها، ركل (خالد) باب المنزل بقوة وغضب وهو يخرج أنفاسه راكضةً، إنه يوم الإبرة الرفيعة فقط، أخذ يمسح ماء عرقه من على وجهه، يحاول فتح باب المنزل بالطريقة المعتادة، الإبرة في الثقب، المداعبة مرة ثانية، الإبرة تحاول الفتح، يداها ترتعشان بقوة كبيرة، الإبرة تسقط على الأرض من أثر الرعشة والسرعة، تَنفس بقوة كبيرة وخنفة مكبوتة، حمل الإبرة ثانيةً واستمر في محاولة فتح الباب، الغاز يركض داخل أنفه بقوة، النيران تأتي بالعرق الكثير، دقائق قليلة ويصبح منزل الكاتب السينمائي على الأرض، دقائق قليلة وتحتضن النيران بالغاز ويتحول المكان إلى كومة تراب، ولكن الإبرة الحادة قد نجحت كعادتها على فتح الأشياء، خرج (خالد) سريعًا وهو يركض بقوةٍ هابطًا على دَرج سُلم البيت، الدَرج يقل درجة تلو الأخرى، الغاز يقترب من

النيران، السُلم طويلًا بدرجة تُرهق الجسد السمين، النيران تزداد في الاشتعال أعلى المنزل، الكاميرات المُختبئة بالشارع خلف الأشجار والسيارات جاهزة لتصوير المشهد المُفضل لدي (بدير السيد)، السُلم أوشك على الانتهاء، ثوانٍ قليلة وينتهي دَرج السُلم ويكون الشارع بعد ذلك، ثوانٍ ويُخلق للصحفي حياة جديدة بعد أن عاش الموت، جسده السمين لا يكف عن المحاولة، بصره الضعيف لا يكف عن التجنب، السقوط هذه المرة هو موت حتمي، الموت قادم، لا محالة، اقترب الغاز من النيران، لحظاتٍ ويحدث الاحتواء الساخن المشتعل، لحظات وتُصدر النيران دخانها، وثمَّ.

-ينفجر المكان، ويندفع خالد على وجهه محتضنًا بأرض الشارع بقوة متجنبًا نيران الانفجار-

سقطت كاميرا التصوير الخاصة ب(خالد) على الأرض بعد أن كُسرت بعض أجزائها، عينه الثالثة ملقاه أمامه بعد أن اِنكسرت إحدى حدقاتها الزجاجية، حقيبة العمل السوداء تشاركه في الانبطاح والاحتضان بالأرض، كل ذلك برفقة هذه الورقة الخاصة بالصور أمامه، الورقة التي كلما سقط هو كلما وجدها أمامه، وكأنها ستصبح من اليوم لعنةً لن تتركه أبدًا، الورقة على بُعد سنتيمترات منه، ينظر لها وهو يحدق بزوجته كثيرًا، يحاول التماسك والثبات ليقف على أصابعه، لكنه السقوط في كل مرة يحاول الوقوف فيها، عينه تستعد إلى وظيفتها، قطراته تسقط

واحدة تلو الأخرى، البكاء قادم بعد كل هذا التماسك والشعور بالقوة، الزحف قد بدأ، الآن بدأ يزحف وهو يتألم متجهًا ناحية الورقة، البكاء يزداد، يشعر بأن أحدًا ما قد أمسك بالورقة وألقاها ببحرٍ ما حتَّى يجدها الآن أمامه في صورة موجات قليلة تتدحرج في عينه، النيران خلفه تزداد وتخرج دُخانها، بكاء الرجل القوي يزداد أكثر، كُل ذلك ظهر علي شاشات الكاميرات في صورة مُبدعة لمخرج عشق كونه ساديًا، يتلذذ برؤية كل من يحيطونه يبكون ويتألمون ولا يموتون، فالموت بالنسبة له فقدان للعذاب الذي سيقوم به معهم، الموت سيجعله رحيمًا، رفيقًا إذا مات كل من يعيشون حوله.

أمسكت أصابع (خالد) بالورقة ليتوقف بكائه سريعًا عندما وقفت أحد الأحذية السوداء فوق أصابعه، اتسعت عيناه وارتفع حاجبيه دون أن يرفع رأسه وينظر بالأعلى، توقفت بعض قطرات عينه على خده الأيسر من صدمة ما يحدث، الحذاء الأسود يدهس أصابعه، يستحيل!

«معنى كونه حذاء أسود، أنه مُقنعًا آخر جديد!!!».

لا يُعقل، لقد صُدم (خالد) عندما رفع رأسه بالأعلى متألمًا بعدما زاد صاحب الحذاء من قوة قدمه على أصابعه، فما قد خطر بباله صحيحًا، مُقنعًا آخر وقناعًا سخيفًا مرة أخرى، غضب (خالد) بقوة وحاول أن يسحب يده من تحت قدم هذا المُقنع بصرخات

صنعت من الغيظ، لدرجة أنه قد بدأ يُعلي صوته من شدة غضبه وكأن النيران خلفه قد عينته للعمل لديها ليشتعل هو الآخر أيضًا، ولكن لا جدوى من قوة أُهدرت وصحة أُفنت وجسد كان يوشك على أن يُطلق ويُطعن وُيشعل.

ركل المُقنع قدمه الأخرى بوجه (خالد) مِمَّا أفقدت من طاقته قليلًا، لكنه ظل مُمسكًا بالورقة محتفظًا ببعض تماسكه، فهذه الورقة أداه اِنتقام بالنسبة له، التمسك بالورقة ما زال قائمًا، النيران خلفيةً جيدة لهذا النوع من المشاهد، القائمون على التصوير يحتسون العصائر والقهوة ويشعلون السجائر، الكاميرات تحوي الحدث، وثمَّ ركلة ثانية بالقدم في الوجه.

بعض الدماء بدأت تجلس على الخد الأيسر بدل من الدموع، أصابع الكف اليسري تنفك عن بعضها، المُقنع يهبط ويسحب الورقة من بين أصابع الصحفي دون جهد منه، الصحفي يحاول إمساك أحد أقدام المُقنع، القناع السخيف ما زال يبتسم وهو يميل برأسه ناظرًا بالأسفل، قوة المُقنع ما زالت جيدة حتَّى يستطيع أن يُخرج قدمه بسهولة من هذه التقيد الضعيف، المُقنع يسير هادئًا متجهًا نحو دراجته النارية، إنها الثقة التي انتقلت داخل جسده أثناء السير، الصحفي يحاول القيام والاستمرار في المعركة ولكن الوقوع أقوي، ما زالت عينيه تنظر لمغادرة المُقنع بدراجته النارية، المُقنع أمواجًا تتحرك في عين الصحفي، المُقنع قد اختفي،

النيران لم تمُت بعد، الكاميرات سعيدة بالمشهد المُشتعل، الظلام المُعتم ثانيةً.
فعين الصحفي قد أُغلقت.

* * *

«لا يوجد قسوةً أشد من تلك التي يسببها أقرب الأشخاص لك، أولئك الذي لم تتوقع منهم أبدًا أن يقسون عليك، فقسوا وبشدة».
جلست شقيقة (نادر) أسفل سريرها على الأرض وهي تضم قدماها نحو بعضهما، تحاوط ذراعيها بجسدها محاولةً إخفاء الأجزاء المكشوفة منه، خاصةً بعد أن قُطعت أغلب ثيابها، وجهها يُغسل بقطرات عينها بشدة، وكأن أحدًا ما قد دخل عينها وفتح صنبور الماء بداخلها دون أن يُغلقه، ثيابها المُمزقة تُشعرها بأنها كانت في معركةٍ قاتلة مع أحد الكلاب الذي لم يشم رائحة اللحم منذ أعوام، ولسوء الحظ أن يكون هذا الكلب هو أخيها الوحيد، عقلها لا يكف عن التفكير فيما حدث منذ قليل، عينها اتسعت من صدمتها، تفاصيل الحدث تركض أمام عينها ساخرةً، الفراش الذي لم تستطعْ البقاء فيه بعد أن لُوث نقائه فهبطت لتجلس على الأرض، أصوات أخيها الوحشية تتردد في أذنيها بقسوةٍ تفزعها، صرخاتها التي لم تهز جسده لحظةً، جسدها الذي تتمنى أن تخلعه عنها وتلقيه بأكياس القمامة السوداء -فقد اِنتهت صلاحيته- تتمنى الآن أن يحدث شيئًا داخل رأسها يُعيق عقلها

عن إتمام وظيفته، فلم تُعدْ تحتمل هذه الرعشة بجسدها الذي ظل ينتفض منذ ما حدث، ما زال الصنبور داخل عينها مُفتوحًا، وما زالت الثياب كما هي ممزقةً كما مُزقت نفسها الملائكية، عقلها لا يقدر على اِستيعاب ما حدث حتَّى الآن، بالتأكيد هذا أسوء كابوسًا زارها في حياتها منذ أن خُلقت، الموت أصبح أمنيتها الوحيدة الآن.

قطرات عينه القليلة تسقط أثناء جلوسه في الصالة، أزرار القميص ما زالت مُنفكة حتَّى الآن مثلما اِنفكت أزرار شهامته، وضعية جسده تتغير من ثانية إلى أخرى في حالة من اللاوعي وعدم تصديق ما فعله بشقيقته منذ قليل، عقله يكاد يطعنه بكلماته الثقيلة التي تتردد داخله، شيئًا ما يحدثه بغضب، شيئًا ما يجلد قلبه بسوط الكلمات الحاد.

-كيف فعلت ذلك؟ ألم تُخبرها دائمًا بأنه قد خرج عمودها الفقري ليعيش أمامها في هذه الحياة وليس داخل جسدها، ألم تُخبرها دائمًا بأنك هذا العمود الفقري، كيف كان ذلك بعدما حُطم قلبها بقدميك، كيف تجرأت على تلويث شيئًا أبيض ونقي، كل ذلك لأنك قد حُرمت من أن تُرضي غرائزك، الآن قد حصلت عليه؟ حسنًا، رحب إذن بما ستُحرم منه جديدًا، ودع الحنان الذي لم تجده في أي فتاة حولك، ودع القوة التي كانت تدهس مخاوفك بأقدامها، ودع الحُب الذي تمنيت أن تحصل عليه حتَّى ولو من

شقيقةٍ، ودع كل النقاء واللون الأبيض، ورحب بثيابك السوداء فوق قلبك-
معركةً قاتلة تدور داخل رأسه دون توقف، الجلد بسوط الكلمات ما زال ينهال على قلبه، الشعور بالندم يأخذ القصاص منه مُعيدًا حق شقيقته إليها، لم تكفِ قطرات عينه على غسل وجهه القبيح والوحشي، ربما لا يحتاج وجهه وجسده إلَّا أي شيء سوى أن تحتضن النيران بهما، النيران هي الحل الوحيد لإطفاء هذه النار المُشتعلة داخل منه.
-ما أقسى أن تُطفئ النار بالنار-
كتمت صوت نحيبها وبكائها بقوة وخوف من يدها الاثنين عندما سمعت صوت فتح وإغلاق باب المنزل، لتدرك حينها بأن أخيها -الذي قد نسى بأنه أخيها- قد ذهب وترك المنزل في هذه اللحظة، فرصةً جيدة لها حتَّى تستطيع إخراج ما بداخلها من صراخ كانت تكتمها خوفًا من أن يسمعها فيدخل لها ثانيةً، رؤيته أصبحت مستحيلة بعد الآن، كونه أخيها وشقيقها يُشعل حريقها بعنفٍ.
«لم تعُد تحتمل اِغتصابًا آخر يُمزق روحها، أين هي هذه الروح من الأساس؟ لقد مُزقت قطعًا وتطايرت في الهواء ثمَّ سقطت في جوف النيران، لم تعدْ تحتمل أي شيء يحدث لها، فالحياة قد كافئتها بما هو كافٍ وبما لا تستحق هي أن تُكافئ به، الحياة قد لعبت معها دور الخائن والتَارك في آنٍ واحد، الحياة قد اِنتصرت

عليها دون أي هجوم أو دفاع منها، انتصرت وفقط».
صراختها ترتفع بقوة مع زيادة بكائها، تلعن نفسها وهي تضرب وتلطم وجهها بذراعها عدة مرات، ازداد الغضب بداخلها إلي أن أوقفها من الأرض لتحمل غطاء فراشها بقوة وترميه علي الأرض، الوسادات على الأرض، لا تريد كل هذا التلوث، أنفاسها تخرج زاحفةً، صراختها تسقط مقتولة، الفراش يُنظف بقوة هيستيرية وبكاء شديد، كل شيء يجب أن يُنظف الآن، ولكن.
«هل تكون النظافة أداةً كافية ليعود النقاء مُجدداً؟».

* * *

اِرتفع صوت جرس الباب بقوة واستمرار، الظلام قد غطى معظم أنحاء البيت، صوت الجرس ما زال يرتفع، الجرس يُصدر صوته بقوة، الجرس يرن، الجرس.
استيقظت (ورد) مفزوعة نتيجة لارتفاع صوت الجرس، ثمَّ نظرت بجانبها مستعجبة لعدم وجود (خالد) في الفراش، اتجهت نحو باب المنزل في الصالة لترى من بالخارج بعدما أشعلت النور بالمنزل، وما أن فتحت الباب سريعًا حتَّى ظهر (خالد) أمامها بوجهٍ مخدوش وإصابات عديدة بجانب ثيابه المُتربة التي تناثرت عليها بعض الدماء، عينها اتسعت من صدمتها وما تراه، فمها قد فقد قدرته على النطق وإخراج الكلمات، جُمد جسدها في موقعه لا يتحرك من أثر الصدمة.

- خالد!!!!!

قالتها مصدومة بعد أن اِندفع جسدها بقوة لتحمل زوجها الذي سقط أمامها فجأة بعد لحظات نظرٍ قليلة.

«السقوط اِحتمالًا مؤكدًا بعد لحظات تعبٍ طويلة، ولكن قوتك تكمن في ألا تجعله موجودًا وقت طويل داخل منك لتعود إلى مواجهة الصراعات مُجددًا ثمَّ تسقط ثمَّ تصارع ثانيةً وتسقط ثمَّ تصارع مرة أخرى وتسقط ثمَّ تصارع وتسقط ثمَّ، لا صراع، فحينها هو موعد السقوط الحتمي».

* * *

- أشرقت الشمس.

خرجت (أميرة) من منزلها بوجهٍ مُبكر غاضب وهي تستعد للذهاب إلى عملها في الشركة، لم تستطعْ أن تمحو من عقلها عدم استجابة (نادر) على كل هذه المكالمات منها طوال ليلة أمس، كان من المفترض أن يتصل بها هو عند رؤيته لهذه الاتصالات، ذلك ما يفعله الرجال من وجهة نظرها.

أقسمت بداخلها انها لن تدع الأمر يسير هكذا في طريق التجاهل دون أن يمر عليها أولًا، لقد قررت أن تُنكد وانتهى الأمر.

ليشاء القدر بعد ذلك أن يحقق رغبتها وقَسمها أمام عينها، فقد تجمد جسدها فجأة عندما رأت (نادر) مُستغرقًا في النوم داخل سيارتها أمام بيتها، ياله من سخيف حقًا، ما هذه الوضعية التي

أخذها هو الآن، وما هذا الفم المفتوح دون فائدة، أقسم بأنه إذا شعرت إحدى الحشرات بالحزن وقررت الانتحار فعليها بهذا الفم الأبله، لقد شعرت بسيارتها تبكي أثر ما يفعله بها ذلك الذي لا تطيقه، تقدمت بعض خطوات لتصبح أمامه، قائلةً وهي تنظر بقرفٍ:

- أنت يا بني!! أنت يا عم اصحي، ما تصحي بقى يا نادر أنتِ في لوكاندا ولا إيه!!

اِهتز جسده مفزوعًا، ماسحًا عينه بأصابعه، قائلًا وهو يحاول فتح عينه:

- إيه يا بنتي ده!! فيه حد يصحي حد كدا؟

لترد بطريقةٍ ساخرة:

- وفيه حد ينام في الشارع قدام بيوت الناس كدا؟ إيه، العِشق لحس دماغك ولا إيه!

نظر لها بجرأة على عكس عادته معها، ثمَّ رد ببرودٍ:

- لا متخافيش، العِشق دخل المصحة، وبدأ يتعالج كمان، والمفاجأة بقى إنه شكله هيخف

أربكتها كلماته وقوته الجديدة التي لم تعتادها منه، في حين ما أدار وجهه عنها وهو يُخرج أحد السجائر من بيتها المعدني، لتستكمل بهدوءٍ:

- ممكن أعرف أنت مبتردش عليا من إنبارح ليه؟

رد بالصمت ثمَّ أمسك بقداحته وبدأ يُشعل النيران في رأس السيجارة من الأمام، ثمَّ أطلق بعض الدخان ليرتطم بالزجاج أمامه.
تحركت (أميرة) من مكانها متجهةً للناحية الأخرى من السيارة تجاه المقعد الأخر بجانبه، ثمَّ فتحت باب السيارة وجلست بجانبه بغضبٍ لأنه لم يرد، مستكملة وهي تهزه بيدها:
- بكلمك على فكرة!
أطلق غبارته الثانية، ثمَّ قال ببرود وثِقل لم يلق به:
- وتفتكري إن فيه حاجة أهم من السجاير ممكن أسمحلها تعطلني وأنا ببوسها؟!
عقدت حاجبيها من فلسفته الفارغة التي تخرج لأول مرة منه، ثمَّ قالت بعين حادة ملئها الشك:
- فيه إيه يا نادر؟! أنا حاساك مش تمام كدا، لا بترد عليا من إنبارح، ولا قابلتني، ونايم في العربية وسط الشارع وكأنك كنت بايت هنا من إنبارح، بلاش الطريقة اللي مش بتاعتك دي وخليك واضح معايا، عشان أنا حافظاك كويس.
هرب من كلماتها في سيجارته، ثمَّ قال وهو ينظر لها بعد أن شعر أنها من الممكن أن تلاحظ شيئاً عليه:
- مفيش حاجة يا أميرة، أنا كويس، ومعرفتش أرد عليكِ إنبارح عشان جالي شغل مهم إنبارح في شركة أمن كانوا عايزين شوية

حاجات في سيستم المراقبة.
لترد بحدية:
- وفيها إيه!! ما أنت طول عمرك بتبقى مطحون في الشغل وبترن عليا من نفسك بالعشرين مرة، إيه، مصدقتش إن أنا اللي برن عليك المرة دي ولا إيه؟
أخرج أنفاسه وهو يُخزن عبئ الغضب داخل منه فوق بعضه، ثمَّ قال بهدوء:
- لا يا أميرة صدقت، وعمومًا دي كانت أول مرة عشان كان الشغل كتير.
علامات الكذب كانت تلمع على وجهه في عينها، مِمَّا جعلها تأخذ أنفاسه مستكملة:
- ماشي يا باشمهندس، ربنا يعينك، إيه بقى اللي خلاك تنام النومة دي قدام البيت؟ الشغل كان كتير وكنت عايز تريح، فقولت بيتي أقرب من بيتك تقف تريح عنده؟
ارتفع مُعدل الغضب داخل منه هذه المرة، ثمَّ قال مُنفجرًا:
- ما خلاص بقى يا أميرة، هو فيه إيه!! أنتِ ليه بتعملي كدا؟ ليه دايمًا بتتعاملي معايا علي إني واحد شغال عندك، مسمحولك تهزقي وتهيني وتعملي كل حاجة زي ما أنتِ عايزة، ليه!! ليه دايمًا شايفاني أقل منك، وليه على طول شايفة نفسك أعلى من كل الناس؟

لم تترك له فرصة لاستكمال كلماته، فقالت وهي تنظر له دون اعتبار لكلماته:

- ومين قالك إني شايفة الناس أصلًا أو حطاهم في دماغي، يا بني الناس دي أقل بكتير من إني أحطهم في دماغي أو أشغل بالي بيهم، أنا بالنسبالي الناس دي مش موجودين أصلًا

ليرد متأملًا وجهها وناظرًا لعينيها:

- بس أنا مش زي باقي الناس يا أميرة، أنا غيرهم، هو مش ده كلامك ليا أول ما اتقابلنا، ولا أنتِ نسيتي؟

ضغطت على شفتيها في خنقة من إسطواناته التي حفظتها جيدًا، ثمَّ قالت وهي تأخذ أنفاسها:

- والله شكلك أنت اللي نسيت كلامنا وشروطنا وقتها، بس معلش، هفكرك، وقتها يا نادر قولتلك إني مش زي أي واحدة أنت عرفتها قبل كدا، وإني مبياكلش معايا شغل المراهقة المتأخرة دي.

غيرت نبرة صوتها الحاد لتستكمل بهدوءٍ:

- وإني صعبة، ومش أي حد يستحمل حياتي ولا يدخلها، عارفة إنك قولتلي وقتها إنك مستعد تستحمل وتشيل أي حاجة لحد ما أتغير شوية، وإني حتَّى لو مبحبكش، أسيبلك أنت حقك إنك تحبني وتفضل معايا، ساعتها كان في بالك إن ممكن حبك الكبير وكل اللي أنت كنت ناوي تعمله علشاني وعملته فعلًا، كان ممكن يخليني أتغير، وأحبك، وأنا فعلًا حاوت أعمل ده.

نظرت له بيأسٍ، ثمَّ قالت بحزن لا يظهر كثيرًا:
- بس للأسف، معرفتش يا نادر، ومش أنت السبب على فكرة، بالعكس، أنت خلتني أتأكد من حاجة مهمة جدًا كان نفسي أتأكد منها طول حياتي، وأتأكدت دلوقتي.
ظل يحدق بها، قائلًا بصوتٍ خافت:
- حاجة إيه؟
ابتسمت لنفسها، ثمَّ قالت دون أن تنظر له:
- خلتني أتأكد إني الحاجة الوحيدة اللي ممكن تأذي أي حد يفكر إنه يقرب منها، عارف، أوقات بتمر علينا لحظات تصدم، بتحسسنا وقتها إن الدنيا خلاص وقفت، واتجمدت زي مكعبات التلج بالظبط، مبنبقاش وقتها قادرين نسمع دوشة العالم اللي حوالينا، مبتديلناش فرصة حتَّى نتلفت بعينا على أي حاجة بتحاوطنا، بنكون اِتجمدنا فعلًا قدام الشيء اللي بيصدمنا، مش بس كدا، دي ممكن كمان تحولنا لشوية مكعبات تلج، ميبقاش عندها فرصة واحدة إنها تحس بالصدمة من تاني، لأن إحساسها اِتجمد خلاص، وبطلت تحس، أهو أنا بقى كمية الصدمات اللي خدتها في حياتي، كافية تخليني محسش بطعم الأكل نفسه، مستنيني أحبك إزاي بقى؟
ظهرت ملامح الحُزن واليأس على وجهه، ليرد بحبٍ:
- طب وليه خلتيني جنبك؟

أدارت جسدها نحوه بسرعة، ثمَّ قالت باندفاع وثقة في حديثها:
- لأ يا نادر، مش أنا اللي خليتك تفضل جنبي، ومش أنا اللي ظهرت فجأة من الأول، أنا نصحتك كتير وقتها وقولتلك خلينا أصحاب أحسن، اللي خلاك تفضل كدا هو أنت، نفسك اللي جواك اللي أول ما بتحب بترمي كُل مشاعرها للحد اللي بتحبه، ودي أكتر حاجة أنا بكرهها في حياتي، عشان لو حصل واللي أنت حبيته ده محبكش، مشاعرك دي هتتفرم، ومش هتشوفها تاني غير وهي متفحمة بين صوابعه.
ابتسم لكلماتها متجاهلًا حزنه، ثمَّ قال وهو ينظر لها بابتسامة خفيفة:
- وده اللي أنتِ بتعملي معايا دلوقتي صح؟
غيرت وضعيتها لتصبح عينها على الزجاج الأمامي ثمَّ اندفعت أنفاسها بقوة، لتقول بعد نفاذ طاقتها:
- مفيش فايدة، عارف يا نادر أنت إيه مشكلتك الوحيدة؟ إنك حاسس إن فيه مؤامرة كونية اتعملت عليك، خصوصًا من كل البنات اللي أنت عرفتهم في حياتك، بتحس إنه مش من الطبيعي إن كُل أما تحب واحدة ترفضك وتقولك خلينا أصحاب أو أخوات، أو مينفعش أنا وانت يا نادر، بتحس من جواك إنك منبوذ وإنك مُلوث لدرجة إنك ممكن توسخ أي حد في الدنيا دي بوجودك معاه، حتَّى معايا، عُمرك ما حسيت ناحيتي غير إني واحدة عايزة

تنتقم منك وشايفاك أقل منها وأوحش منها، مع إن كل ده مش صح ومجرد أوهام جواك.
أطلق غضبه في وجهها ثانيةً، قائلًا وقد اتسعت عيناه واحمرت:
- لأ صح، وإلَّا مكنتيش سيبتي صادق زمان لما قالك أنه عنده كانسر.
اتسعت عيناها من صدمتها ولم تستطعْ النطق، ليستكمل كلماته بغضبٍ:
- أنتِ فعلًا بتأذي أي حد يفكر يقرب منك، أنتِ الانتقام جواكِ أكبر من تسامحك للناس يا أميرة، انتقمتي من صادق لأسباب كانت مخلياكِ مش عارفة تعيشي من غير ما تاخدي حقوق الناس منه، انتقمتي منه عشان بتكرهي الرجالة، عقلك مش بيبطل يوسوسلك إنك لو حصل واتجوزتي، ممكن ترجعي بيتك وتلاقي جوزك مع واحدة غيرك في سريرك، نفس اللي حصل بالظبط وخلاكِ تنتقم من أبوكِ لما شوفتيه مع أعز أصحاب الست اللي خلفتك في سريرها، سجنتيه بعد ما اِتبرعتي بكل فلوسه للجمعيات، ودلوقتي جاية تنتقمي مني أنا كمان.
تجاهلت كُل التخيلات التي ظهرت أمامها، ثمَّ قطعت حديثه قائلةً بقوةٍ:
- أنت مين بقى!! ها!! فهمني وقولي أنتِ عملت إيه يخليني أفكر ولو حتَّى خمس دقايق إني أنتقم منك، على الأقل الناس اللي

أنت قولتهم دول غلطوا وكانوا يستحقوا يتعمل فيهم كدا، لكن حتَّى الغلط أنت مش عارفه تعمله عشان تعمل الصح.
تجمدت معالم جسده وكأنها فقدت وظائفها الحركية، فهي لم ترَ ما فعله ليلة أمس، لتستكمل دون تفكير وكأنها تزيد من اِتساع الألم بداخله:
- عارف ليه!! عشان أنت أصلًا مش عايش يا نادر ومش حاسس بالحياة ولا بأي حد حواليك، وطول ما أنت عايش وسط المؤامرة دي، عُمرك ما هتعرف تعيش، ويكون في علمك، أنا اللي بيعايرني بأسراري اللي محدش يعرفها غيره، بيشوف وش أنا نفسي، مبحبش أشوفه في نفسي، سلام يا باشمهندس.
نزلت من السيارة واتجهت نحو منزلها مُجددًا، فقد شعرت أنها لو ذهبت إلى العمل في هذه اليوم، سيتم فصلها بعد خمسة دقائق، فهي لا تطيق رؤية حد.
- مكنتش أعرف إنك هتتضايقي كدا يا أميرة لما أكنسل ومردش عليكِ، حسيتي بالانكسار شوية؟
أدارت وجهها لتنظر له بعد أن كادت تصل إلى باب منزلها، ثمَّ ردت بابتسامة قوية:
- لأ وحياتك عندي، أنا كنت بتعشي مع الملايكة ساعتها.

* * *

جلست (نور) مع شقيقة (صادق) في منزله، لم تكنْ تشعر

بجلوسها معها أو كلماتها الكثيرة التي ظلت تُخرجها (علا) لم تكنْ تفعل أي شيء سوى الشرود والتفكير فقط فيما قد أتت من أجله، دقائق قليلة ويهبط (صادق) من غرفته وتراه أمامها، دقائق قليلة ويحرر كُل ما سُجن داخل منها، دقائق قليلة وتتأكد من الحقيقة التي تسكنها.

- بس يا ستي هو ده اللي حصل، اتصلنا بالدكاترة عشان ييجوا يشوفوه، وأول ما خرجوا قالوا إنه لازم يعمل العملية اللي الدكتور ياقوت قال عليها دي، حالته كانت وحشة أوي إنبارح يا نور، أول مرة أتخض عليه كدا، حسيت إنك كان لازم تبقى معاه إنبارح عشان تهديه، نور!! نور أنتِ سامعاني!!

شردت بجملة (علا) الأخيرة وهي تفكر في مرض (صادق) فهل هو بالفعل لا يأمل سوى وجودها بجانبه؟ أم بوجود من في هذه الصور التي في حقيبتها التي الآن؟

- سمعاكِ، إديني جيت أهو عشان أطمن عليه، هو فين؟

وما أن كادت (علا) تتحدث حتَّى رأت (صادق) أمامها يسير بصعوبة وبخطواتٍ صعبة.

- نزل أهو، إيه ده يا صادق أنت لابس هدوم الشغل ليه؟ أنت يا بني غاوي تتعبنا وخلاص، هو مش الدكتور قال مفيش خروج لمدة أسبوعين، شوفتي يا ست نور؟

قفذت (علا) من مكانها لتسند أخيها، بينما ظلت (نور) تجلس

مكانها وهي تنظر له بشدةٍ دون أن تتحرك، ربما كانت هذه هي المرة الأولى التي يسنده أحدًا غيره أثناء وجودها معه، ذلك ما جعل (صادق) يستعجب سكونها وهدوئها ويظل ينظر لها مستعجبًا.

- نور!!

قالها (صادق) بعد أن غادرت شقيقته وبعد أن جلس مكانه منذ ثوانٍ ليُعيد انتباه (نور) من شرودها الذي طال، لترد وهي تحاول أن تبعد هذا الارتباك عنها، قائلة بصوت مُتعب وعلى غير عادته:

- أيوه، معاك.

اِنعقد حاجبيه، ثمَّ قال باستعجاب وقلق من تغير حالتها:

- معايا فين يا نور، سرحانة في إيه من ساعتها؟

لم تكنْ تنظر إليه أثناء حديثهما، ثمَّ قالت ببرود هادئ:

- مفيش، مش سرحانة، علا قالتلي إنك تعبت إنبارح، ألف سلامة عليك.

عقد حاجبيه مستعجبًا حالتها وابتسامتها الباردة، ثمَّ رد عائدًا بظهره للوراء:

- الله يسلمك، طب بما إنك مش عايزة تقولي مالك، ممكن أعرف مجتيش إنبارح ليه زي ما قولتيلي؟!

ظلت تنظر إلى قدمه وهي تفكر في مرضه، ثمَّ قالت بشرود:

- معلش، كنت تعبانة شوية.

تقدم بظهره ثانيةً للأمام، ثمَّ قال ببعض القلق:
- فيه إيه يا نور!! أنتِ مخبية عليا إيه؟
دائمًا ما كان يكره تغير حالات الأشخاص المقربون منه فجأة، يشعر حينها بأنها هناك كارثة كبري ستحدث قريبًا، رفعت (نور) عيناها وهي تحدق بعينه بابتسامة قوية، قائلةً بابتسامة:
- تعرف إنك أول مرة تقولي مالك من ساعة ما عرفتك، ده معناه إنك أول مرة تحس إن فيه حاجة جوايا مش مظبوطة، معناه إنك أول مرة تحس بيا أصلًا.
زادت علامات الاستعجاب على وجهه، وارتفع حاجبيه ثمَّ قال وهو يأخذ أنفاسه:
- إيه لازمته الكلام ده يا نور؟
أخذت أنفاسها والابتسامة ما زالت على وجهها، لترد بقوةً تغطي ضعف كبير داخل منها:
- قولي يا صادق، من ساعة اليوم اللي قررت فيه إننا ناخد هُدنة من علاقتنا، واتفقت معايا إننا نتعامل مع بعض على إننا اتنين أصحاب قريبين أوي، القرار اللي أنت خدته لوحدك ونفذته بردوا لوحدك، لأنك عارف كويس إني معملتش بيه وفضلت زي ما أنا، متغيرتش
حاولت التماسك بعد أن كادت تحن ثمَّ أبعدت عيناها عنه، وقالت بجرأةٍ:

- وقتها أنتِ قولتلي إنك خدت القرار ده عشان متظلمنيش، وعشان شايف إني مش قد إني أخفف عنك أو بمعنى أصح، مش عايز تأذيني بتعبك، وإنك مش شايف إن الراجل اللي يستحق يكون سندي وأبو ولادي يكون شبهك ويسيبلهم مرض ميفارقهمش طول ما هما عايشين، مع إني عُمر ما قلبي عرف يشوف حد غيرك، ودايمًا كان حالف ميشوفش غيرك.

أبعد عينه عنها ثمَّ وضع أصابعه على قدمه بعد أن شعر بالألم قليلًا، ثمَّ استكملت:

- ده الكلام اللي أنت قولتهولي يومها بالظبط، الكلام اللي أنا عمري ما نسيته ولا هنساه أبدًا، قولي بقى، هو أنت فعلًا قررت إننا نكون أصحاب علشان مرضك وعلشان متتعبنيش ولا تشيلني فوق طاقتي؟

انعقد حاجبيه ثمَّ قال مستعجبًا:

- مش فاهم!!

استمرت في حديثها وهي تفتح حقيبتها وتخرج صورته مع (أميرة):

- يعني مكنش فيه أي حاجة تانية في حياتك قررت بسببها إنك تبعدني عنك؟

نظر (صادق) إلى ما تمسكه (نور) بين أصابعها دون أن يعرف ما هو، ثمَّ تقدم بظهره إلى الأمام ناسيًا ألم قدمه، وقال بصوتٍ اِرتبك كثيرًا:

- قصدك إيه يا أميرة!!
اِتسع وجهها مدهوشًا، ثمَّ قالت باندفاع:
- بالظبط كدا، هي فعلاً اسمها أميرة.
«وهكذا نكون في هذه الدُنيا، نسير لُنصدم، ونُجمد من أثر الصدمة».
لم يشعرْ (صادق) بما قاله الآن، ولم يفهم كيف قاله أو أخرجه من فمه، فهناك لحظات تتحدث فيها ألسنتنا ولا نتحدث نحن، لا نشعر حينها ماذا قيل وماذا سيقال؟
اتسعت عين (صادق) بعد أن كشفت (نور) عن صورته مع (أميرة) بعد أن أخطأ في اسمها، إنها صورته مع (أميرة) بعد سنتين من ارتبطاهما، يتذكر الصورة جيدًا، ولكن كيف جائتها؟ غير معقول! لماذا فعلت (أميرة) هذا الأمر؟
نظر أسفل الأرض في حرج وهو يمسك قدمه بأصابعه، بينما بدأت دموع (نور) تسقط سريعًا أثر ما حدث:
- مكنتش متخيلة إنك تجاوبني بصراحة بالسرعة دي، مع إني عارفة إن لسانك قال اسمها غصب عنك، وإنك بتتمني دلوقتي إنه يتشل عشان قالي على سرك اللي فضلت مخبيه عليًّا، وإنك لسه فاكرها يا صادق وعمرك ما نسيتها أبدًا.
رفع عينه في وجهها، ثمَّ قال وهو يحاول أن يوضح لها الأمر:
- نور، افهمي، أميرة دي كانت ماضي قديم، وأنا نسي...

قاطعته بغضبٍ وبقوة:
- ماضي إزاي وأنت لسه فاكرها، إزاي ماضي وأنت لسه قايل اسمها بدل اسمي دلوقتي، أنا كنت فاكرة زيك كدا بالظبط أول ما عرفت، وقولت إني لما أجي وأتكلم معاك هتقولي إنها كانت ماضي قديم، وساعتها كنت هزعل منك شوية وبعدها كنت أنا اللي هصالحك عليا بنفسي زي ما أتعودت أعمل، مكنتش مُتخيلة إنها لسة جواك لحد دلوقتي، وإن أكيد لسة فيه صور زي دي بتبص عليها كل يوم في أوضتك ولو حتَّى صورة واحدة.
ظل عيناه تتسع من إدراكها الجيد والصحيح، ثمَّ استكملت بحزنٍ وبؤس:
- أنت عارف بقى إيه اللي يوجع بجد؟ إني برغم أي حاجة كنت بتعملها معايا وبرغم طريقتك بعد ما بعدتني عنك علشانها، كنت بقنع نفسي كل يوم، كل يوم، إنك قاعد في أوضتك وبتبص لصورنا إحنا، زي ما كنت بقنع عينيا إنها متحاولش تنام غير وهي شايفاك، وإنك لسه بتحبني زي ما كنت بتقولي وأنت في عز وجعك.
وقف من جلسته ثمَّ انتقل بجانبها متألمًا من قدميه، ثمَّ قال برفق محاولًا أن يُصلح الأمور:
- عشان خاطري يا نور افهمي، أنا فعلًا مكدبتش عليكِ لما قولتلك نتعامل على إننا أصحاب عشان كنت خايف عليكِ، وعشان كنت

بدأت أحس إنك أنتِ اللي مريضة بالمرض ده من كتر ما كنتي بتحاولي تشيلي مني وتحطي في نفسك، وبعدين هو أنا لو كنت بعمل كدا عشان أقرب من واحدة تانية زي ما بتقولي، كنت ليه هقولك خلينا سوا بس نبقى أصحاب؟ ما أنا كنت بعدتك عني خالص عشان أعرف أخد راحتِّي معاها.

غيرت وضعيتها لتصبح أمامه ناظرةً في عينه، ثمَّ قالت بابتسامة:

- أنت عملت كدا غصب عنك، عشان عارف كويس أوي إنك مش قد عِندي، وإن لو أمراض الدنيا كُلها اتجمعت فيك أنا مش هسيبك وهفضل معاك، ودليل على ده إنك حتَّى لما عملت كدا وخلتنا أصحاب، متغيرش أي حاجة، فضلت مريضة في نظرك عشان بحاول أتعبلك وتخف، وفضلت تتعامل معايا على إننا أصحاب وأقل من ده كمان، الحاجة الوحيدة اللي اتغيرت، إنك قدرت تبعدني عشان تبقى معاها.

أمسك بيدها واستمر في محاولاته التي لا يشعر بها، هو يعلم جيدًا بأنه لن يجد من يحبه في هذا العالم مثلما أحبته (نور) وبأنه أيضًا قد أحبها من كُل قلبه، ولكنه هذا الجرح العميق داخل منه التي تسببت (أميرة) في وجوده، فما زال يشعر بها عندما يشعر بألمه.

-كيف للإنسان أن يظل عاشقًا لشخصٍ قد خدش روحه؟-

كيف للإنسان ألا يستطيع نسيان ما يريد ويحاول أن ينساه،

كيف تظل ذكراه التي ماتت حية بداخله حتَّى الآن، ولماذا لا يشعر بهذا الألم في جرحه بقدر ما يشعر بحبه لها إلى (أميرة)؟ هو يريد أن يترك نفسه للحب الذي بداخله نحو (نور) لكنه لا يستطيع، شيئًا ما يربطه ويظل يسحبه ويجمده عندما يكاد يشعر بالحب نحوها، شيئًا يجعله يتوقف، يتراجع، يعود إلى ذلك الجرح العميق في قلبه والذي يرى (أميرة) تبتسم له فيه.

- أرجوكِ يا نور، متحاوليش تخلي زعلك ووجعك يعموكِ عن الحقيقة اللي بقولهالك، أنتِ لازم تصدقيني.

استمر في محاولاته التي قد نسى ألمه بسببها، لترد (نور) عليه بقوتها التي غَلبت ضعفها:

- الحقيقة قدامي وقدامك أهي، ليه بتحاول تكدبها وتخبي كل حاجة تاني؟ أنت ليه أناني أوي كدا؟ ليه عايزني أفضل أتعبلك وأنت بتتعب لناس غيري؟

نظر لها بحزنٍ، ثمَّ قال بانكسار:

- أنتِ للدرجادي معتيش واثقة فيا؟

لترد بعصبية سريعة وقوة غاضبة:

- وأنت سيبتلي إيه تاني يخليني أثق فيك؟

نظر الاثنين لبعضهما بشدة، قطرات عينها قد جَفت بسبب قوتها، وقطرات عينه قد ظهرت بسبب ألم قدمه ومرضه وألمه منها أيضًا، استكملت حديثها بحزنٍ وقوة:

- أنت خدت كُل حاجة، خليتني فاضية من أي مشاعر ممكن أديهالك بعد كدا، عشان معتش ينفع أديك أي حاجة أصلًا، ياريت تكون تكون مرتاح دلوقتي بعد ما حولتني من واحدة كانت طيبة وبتخاف من ضل الناس على الأرض، لواحدة مُستعدة تجرح وتنيم كل الناس موجوعة، عشان خلاص، اتعلمت الدرس، والفضل يرجعلك.

* * *

- معلش يا ورد ونبي، ممكن تودي الدوا ده للحجة أميمة اللي في أخر الشارع، الواد حازم بقاله ساعة بيتغدي ولسه مجاش، والحجة لازم تاخد الدوا في ميعاده.

قالها الطبيب (عمر) صاحب الصيدلية التي تعمل بها (ورد) لترد في طاعةٍ وخجلٍ قد وضعها فيه:

- حاضر يا دكتور.

صعدت (ورد) على درجات السلم في إحدى العمارات، لقد أوشكت الدرجات أن تصل بها إلى شقة المرأة المريضة، ولكن فجأة، سقط الدواء منها من أثر الصدمة.

لقد وجدت رجلًا سمينًا أُلقى على الأرض مصابًا أمام شقته، ركضت سريعًا نحوه وهبطت بظهرها قليلًا لتتفقد حالته بعد أن فزعت من رؤيته، لكنها لم تخف لتعودها على مثل هذه الأمور في عملها بالمشفى:

- يا أستاذ، أنت كويس!! يا أستاذ.

استرخي ذلك الرجل على الفراش بعد أن حملته (ورد) داخل شقته، لحيته الطويلة أظهرت حالة اكتئابه، الخدوش في معظم وجهه وأسفل رقبته تكشف عن معركة أو صراع كان هو أحد أطرافها، ملابسه المُتربة والمقطوعة تخلق الاستعجاب وعدم الفهم لديها، كان مُغلق العينين مُستغرقًا في النوم، لم يكن يُشعر بجسده على الفراش.

وضعت (ورد) بعض اللاصقات الطبية الطويلة والمستديرة على خده الأيسر وفي منتصف جبينه فوق بعض الجروح، ثمَّ جلست على -مقعدٍ- بجانبه وهي تمسك قماشة بيضاء أخذت تُغرقها في وعاءٍ معدني امتلئ بالماء حتَّى المنتصف، ثمَّ تَفردها بشكلٍ مُستطيلي وتضعها فوق جبينه لتقتل حرارته الزائدة، ثمَّ أمسكت بمنديلٍ صغير وأخذت تَبله ببعض الرشَات الصغيرة من زجاجة -رائحته- الخاصة، ثمَّ بدأت تسير بالمنديل على رقبته فوق أحد الخدوش الصغيرة، تُزيل قطرات الدماء وتضع قطرات رائحته التي بدأت تتنفسها هي.

- أه، أنا فين، أنتِ مين؟!

قالها ذلك الرجل متألمًا دون أن يستطيع فتح عينه، لتظل هي تنظر إليه وتحدق بعينه دون رد، ليستمر في حديثه:

- ورد!! يا ورد!!

عادت (ورد) من شرودها في لقائها الأول ب(خالد) فور سماع اِسمها من زوجها النائم على الفراش بجانبها، حيث اِسترخى (خالد) على الفراش بعد أن حملته (ورد) ليلة أمس، لحيته الخفيفة أظهرت بعض الإصابات الصغيرة أسفلها، الخدوش في معظم وجهه وأسفل رقبته تكشف عن معركة أو صراع كان هو أحد اطرافها، بدلت زوجته ملابسه المُترَبة والمقطوعة ببچامة سماوية اللون، كان مُغلق العينين مُستغرقًا في النوم، لم يكنْ يُشعر بجسده على الفراش.

وضعت زوجته بعض اللاصقات الطبية الطويلة والمستديرة على خده الأيسر وفي منتصف جبينه فوق بعض الجروح، ثمَّ جلست على -الفراش- بجانبه وهي تمسك قماشة بيضاء أخذت تُغرقها في وعاءٍ معدني امتلئ بالماء حتَّى المنتصف، ثمَّ تَفردها بشكلٍ مُستطيلي وتضعها فوق جبينه لتقتل حرارته الزائدة، ثمَّ أمسكت بمنديلٍ صغير وأخذت تَبله ببعض الرشَات الصغيرة من زجاجة -رائحتها- الخاصة، ثمَّ بدأت تسير بالمنديل على رقبته فوق أحد الخدوش الصغيرة، تُزيل قطرات الدماء وتضع قطرات رائحتها الوردية التي بدأ يتنفسها هو.

-ربما أدركت الآن بأنها لم تتعرف عليه إلَّا لكي تداوي آلامه فقط، الآن، ومنذ اللحظة التي عرفته فيها-

- أنت صحيت يا حبيبي؟؟ متتحركش، خليك مرتاح مكانك.

قالتها (ورد) بهمس حنون، ليرد عليها بصوت متعب:
- اطمني، أنا كويس، متخافيش عليا.
قالها (خالد) وهو يرفع ظهره للأعلى مستندًا بظهره على السرير، لترد (ورد) بحُبٍ:
- ولما مخافش عليك، تفتكر مين هيبقى فاضلي أخاف عليه.
نظر لها بتأمل، ثمَّ قال بابتسامةٍ:
- خوفتي عليا بجد؟!
أخذت أنفاسها ثمَّ غيرت وضعيتها وهي تفتح ذراعيه لتلقي بجسدها بين أحضانه، ثمَّ قالت بسعادة طفلة أشهر لم ترَ والدها منذ مدة:
- ما هو أنا حضرتك لو قولت أه، هتقوم تقلقني عليك تاني، أصل أنت شكلك بقيت بتحب تشوفي خوفي عليك.
- الصراحة أه.
قالها وهو يضحك بهدوء واضعًا أصابعه بين شعرها، لترد بسرعة:
- بقى كدا، طب إيه رأيك بقى إني مش هخا...!!
تجمد جسدها مكانها عندما رفعت رأسها لتنظر إليه، ربما قد ضاعت الآن ولم تجدها، هي تدرك جيدًا أنها هناك، داخل عينه، إن بحثت عن نفسها ستجدها وتعود إلى حالتها وتفقد شرودها هذا، لكنها لا تسطيع، عينيه التي تملئها السلام تكاد تشبه حيطان بيت دون أثاث أو فراش، لكن يكفي أنها حيطان دافئة، تحميها

وتخُفي جسدها عن أعين الناس، لذا أحبت أن تفقد نفسها داخل عينه.

- بحبك يا ورد.

قالها وهو يَغرق في عينيها، لترد غارقةً معه في نفس البحر:

- وأنا بموت فيك، ياللي خليتني ورد.

ضحك وظهرت أسنانه، قائلًا:

- مش ملاحظة إنك بتوهي فيا بسرعة يا ورد، يعني هو للدرجادي أنا حلو حتَّى وأنا متشلفَط كدا.

- يووووه، أنا بكرهك.

قالتها وهي تضربه في جسده، لتُصحح خطأها سريعًا بعد أن سمعت تألمه من ضربتها:

- أنا أسفة، بحبك والله.

- موجعتنيش أصلًا.

قالها وهو يضحك ناظرًا لها لتضربه ثانية، ليقول متألمًا:

- لا خلاص، دي وجعتني بجد، تعالى.

أعادها بين أحضانه ثانيةً، أنفاسهما تحتضن بعضهما بسبب احتضانهم واحتوائهم، عيناهما لا تكف عن النظر إلى معشوقتها.

-يذوبان-

ربما قد شعر بأن الخدوش على وجهه وأسفل رقبته وبين جسده قد اختفت بسبب احتضانه لها، ربما قد التحم كل ألم به فور

لمسها له، وليس بسبب ما فعلته معه من دواء واهتمام طوال الليل، نعم.

-لا علاج مثل علاج احتوائها لجسدي-

- أنت مش كنت وعدتني تبطل الطريقة دي يا خالد؟

قالتها وهي بين أحضانه، واضعةً أصابعها فوق الجرح أسفل رقبته، ليرد عليها وهو يأخذ أنفاسه محاولًا الهروب منها:

- طريقة إيه؟

لترد خالقة ليلة أمس بكل تفاصيلها أمام عينه:

- طريقتك في الشغل يا خالد، الشغل والمهمات اللي بيخلوك تمشي في طريق كله مطبقات بتوقعك وترجعك ليا بالمنظر ده، أنا مش هستنى مترجعليش لما يبقى وراك حاجة زي دي تاني، أنت عارف أنا ممكن يحصلي إيه ساعتها؟ هجيلك، وهحصلك، بس مش هبقى راضية عنك.

أخذ أنفاسه ثانيةً، ثمَّ وضع كفه الأيمن الكبير على خدها الأيمن الصغير، قائلًا محاولًا أن يطمئنها:

- متقوليش كدا يا ورد، أنا عمري ما هسيبك أبدًا.

لترد بصوتٍ حزين:

- ساعتها هيبقى غصب عنك، ومش هتقدر تقول للموت لأ؛ لأنه هيكون قدرك.

ليقول بابتسامةٍ هاربة:

- وأنا أهو يا ستي قدامك، متخافيش، لسة قدري مجاش يعني.
نظرت له بحزنٍ وبغضب، وقد أوشكت على البكاء، قائلةً بانعقاد حاجبين:
- متهزرس يا خالد لو سمحت، أنا بتكلم بجد.
غير وضعيته متألمًا بعد أن أدرات وجهها عنه، لتنظر له بقلق دون أن تلمسه، ثمَّ قال بصوت دافئ:
- صدقيني يا حبيبتي، أنا مرجعتش للشغل القديم ده، والمهمة بتاعة إنبارح دي كانت شغل تبع الشركة الجديدة، وأنتِ جيتي معايا بنفسك وفهمتي كل حاجة، مش معقول شركة محترمة زي دي هتخليني أشتغل بالطريقة اللي كنت بشتغل بيها أنا وزمايلي زمان.
وضع أصابعها على خصلات شعرها، ثمَّ اقترب منها وهو يقول بصوتٍ هامس يطمئنها:
- عشان خاطري اِطمني، أنا مش ممكن أعمل أي حاجة تأذيكِ، وعشان عارف إن أي حاجة هتحصلي هتأذيكِ وهتوجعك أوي، فا أنا مستحيل أعملها، صدقيني يا ورد.
نظرت له بتأملٍ، ثمَّ قالت وحُب وكأنها تتوه في وجهه:
- وأنا عُمري ما عرفت أكدبك أبدًا، وعارفة إنك مش هتحرمني منك دلوقتي.
نظر لها بارتباك وقَلق مُفكرًا فيما حدث له ليلة أمس، ما زال

الصوت اللعين يتردد في أذنه بإزعاج:
«بل وستصور أحداث هذا الفيلم بالتحديد داخل منازل أبطال هذا العمل والذي صُرح أيضًا بأنهم ليسوا أبطالًا سينمائيين بالوسط الفني بل أشخاصًا عاديون ذو مهنٍ مختلفة».
ما زالت صورته وصورة زوجته على الورق تطارده داخل عينه أثناء كونها بين أحضانه الآن، ملامح وجهه تغيرت إلى الخوف وهو ينظر إلى كل أركان غرفة نومهم، السقف، الجدران، الأبجورة ذات المصباح الأصفر الهادئ، حافظة ملابسهم، السقف مرة أخرى، السقف، السقف، السقف، السقف.
عقله لا يكف عن تكرار أسئلته، أين أنتِ أيتها الكاميرات الصغيرة ؟ هل تراقبيننا الآن؟ لا، راقبيني أنا فقط، لا تنظري إلى زوجتي؟ لا تجعليها تلمع في عينك، أنا فقط، لا تصوريها، أرجوكِ، أنا فقط، لا تصورينا، سأخبئها في جسدي، سأخلط جسدها بين عظامي، سأخبئها من عينيك، راقبيني أنا فقط، أرجوكِ، لن تريها، لا تفعلي، سأحتضنها بقوة، سأحتضنها، أنا فقط، أين أنتِ ؟ أرجوكِ، السقف، سأحتضنها.
- إيه يا خالد، هتكسر عضمي، نسيت تعبك وافتكرتك حضني بس ولا إيه؟
أعادته هذه الكلمات إلى انتباهه بعد أن كان يضم (ورد) داخله بشدةٍ وهو يبحث بعينيه عن شيئًا ربما يصورهما الآن، ليرد قائلًا

محاولًا الثبات على حالته ووضعيته:
- معلش بقى يا ستي، حضنك اللي حلو أعمل إيه؟
أغلقت عيناها قليلًا وكأنها لا تصدقه، ثمَّ قالت بطريقة طفولية:
- بكاش أوش، أنت مكنش ينفع تشتغل صحفي، المفروض كنت تشتغل أي شغلانة بيتقال فيها كلام حلو، كان زمانك معاك دهب قد كدا.
ارتفعت ضحكته ثمَّ جلس علي الفراش، قائلًا وهو يأخد أنفاسه:
- بقى كدا، ماشي يا ست ورد، ممكن بقى تروحي تحضريلنا أي حاجة ناكلها، عشان الشلفطة اللي في وشي دي مجوعاني أوي.
اِندفعت من على الفراش بسرعة، قائلةً بحنانٍ:
- من عينيا يا حبيبي، ثواني ويكون الأكل جاهز، يا بكاش.
ليرد بيغظ فيها:
- كدا! طب معتش فيه كلام حلو يا ورد.
اِرتفع صوتها مهددًا:
- الأكل يا خالد.
قالتها وهي تنظر له بحدةٍ وكأنها قد تحولت إلى شرطي يهدده، ليرد هو بضعف مجرمًا:
- بموت فيكِ يا حبيبتي.
ارتفعت شفتاه، وظهرت ابتسامتها، قائلة بسعادةٍ:
- أيوه كدا يا حبيبي، ثواني واحضرلك الأكل.

تغيرت ملامح جسده واختفت ابتسامته فور خروج زوجته، ثمَّ ظل جالسًا مكانه يفكر فيما حدث معه ليلة أمس، المَقنعون، جريمة قتل السيناريست، الأوراق، المستندات التي احتضنت بها النيران، ودليله الوحيد وسلاحه الذي كان سيحارب به من فعلوا به كل ذلك -ورقة الصور- الآن لم يعد بين أصابعه، الطبيب ياقوت، الشركة، العمل، يوم الاحتفال بهم، يوم الاجتماع.
ظل يفكر في كل شيء، الأمور داخل عقله مثل الكرة داخل الملعب، تندفع من المرمى إلى المرمي الأخر، لا شيء يجعله يعرف الحقيقة أو جزء صغيرًا منها، لا شيء، لا شيء، لا، بل يوجد شيء.
جُمدت رأسه عندما التفت بجانبه ونظر على الحافظة الصغيرة ليجد -الفلاشة- بجانب الأبچورة.
إنها الدليل الوحيد المُتبقى له من كل ما حدث، جزءًا صغير متبقى مِمَّا قد أرسله له الطبيب ياقوت في هذا اليوم الذي لن ينساه.
اندفع جسده سريعًا ناسيًا آلامه وإصاباته ثمَّ اتجه نحو حافظة ملابسه الخاصة، وأخرج جهازه الإلكتروني الأسود -اللاب توب- ثمَّ عاد إلى الفراش مُجددًا بعد أن وضعه أمامه ورفع نصفه العلوي إلى الأعلى -الشاشة- ضاغطًا علي زر «power».
الثوان تمر، أصابعه المرتبكة تعبث بالفلاشة بشدة، الجهاز ما زال يفتح، عقله يفكر، عينيه تنتقل من حين إلى أخر للنظر بالخارج في حذر وحرص من زوجته، أصابعه تكاد تطحن الفلاشة المعدنية،

الثوان تمر، عقله، زوجته، الجهاز، يديه، الفلاشة، عينيه، أصابعه، زوجته، الثوان.

لقد فُتح الجهاز، وضع الفلاشة في موضعها سريعًا، وأخذ يحرك السهم بأصابعه على النصف السُفلي من الجهاز -لوحة المفاتيح- ثمَّ بدأ يفتح ما بها ويرى محتواها، ضغط بأصبعه، عينيه تلمعان، حافظة وحيدة وضعت داخل هذه الفلاشة، فتحها، مقطع فيديو وحيد داخل الحافظة، فتحه، عينيه تلمعان وتشاهد الفيديو بتأمل، وجهه ينفرد وعينيه تتسعان من صدمتها، ما هذا؟ إنه هو و(ورد) في فراشهما داخل غرفتهما، كيف؟ أين هذه الكاميرات؟ أين؟ هو لا يراها، زاوية الكاميرا تأتي من مكان بعيد في أعلى الغرفة.

ماذا!!!!!!!!!!!

إنه السقف!

* * *

عاد (نادر) إلى منزله عصرًا وهو يفتح الباب بحرص، ثمَّ دخل ببطء وحذر إلى شقته وكأنها ليست شقته، بدأ يسير على أطرافه وهو يتأمل أركان البيت باحثًا عن شقيقته لكنه لم يجدها، ألقى أنظاره تجاه غرفتها ليجد بابها مفتوحًا، هل يتقدم ويسير إلى هناك أم لا؟ هل يجعلها تراه بعد ما فعله بها ليلة أمس أم أنها لم تعد تحب حتَّى أن تلمحه؟ هل تسامحه إذا اعتذر لها الآن عن

كل شيء أم ستصرخ في وجهه بغضبٍ؟ هي تنسى كل شيء فعله معها حقًا؟

ولكن كيف تنسى؟ فهو لم يسكب عليها كوبًا من الشاي، بل قد سكب نفسه عليها، فكيف تسامحه أو تنسى ما فعله؟

- أمنية؟ أنتِ فين!! أمنية أنتِ كويسة؟!

قال هذه الكلمات وهو ينادي عليها ناظرًا إلى باب غرفتها من بعيد دون أن يقابل أي رد منها، لم يتفاجئ بذلك بقدر ما كان يتوقعه، فهو يعرف جيدًا أن ما فعله لم يكنْ سهلًا.

جسدها ما زال يتنفض بقوة وفزع على الفراش الذي أصبح بلا غطاء، بل وقد سائت حالته أكثر عندما سمعت صوت الباب، لم تكنْ معركتها سهلة حتَّى يمر الأمر سريعًا هكذا، خاصةً وبأنها لم تختار أن تخوض معركة كهذه، معركة ألقت بروحها على الأرض مثلما يفعلون مع أكياس القمامة.

بدأ يتقدم ببطء تجاه غرفتها، ينظر إلى الأرض في خجل وإلى باب الغرفة بندمٍ لن يفارقه طوال حياته، بينما وقفت هي بسرعةٍ كبيرة متجهةً عند حافظة الملابس وفتحتها بقوة، أخرجت حقيبة سفرها من أسفل الحافظة وفتحتها بعد أن وضعتها علي فراشها، خطوات قليلة بينه وبين الغرفة التي كان بها ليلة أمس وحشًا بعينين من دم، خطوات قليلة ويكون بالداخل أخًا بعينٍ ملائكية بيضاء، هل يكمل هذه الخطوات القليلة المتبقية؟ أم يتراجع عن

قراره ويظل بصالة المنزل ينتظر خروجها فقط؟ وهل ستخرج بالفعل من غرفتها التي أصبحت بمثابة سجنٍ مظلم لها؟ أم إنها ستقضي باقي عمرها بالداخل حتَّى لا ترى وجهه أو تسمع صوته؟ قرر أن يكمل خطواته البطيئة متجهًا ناحيتها، ثمَّ أخذت هي تستمر في إلقاء كُل ملابسها داخل حقيبتها، تحمل الملابس بفزعٍ وسرعة ثمَّ تقذفها داخل الحقيبة بخروج أنفاسها الخائفة، دموعها لم تجفْ من الدموع حتَّى الآن، دموعها لم تكف عن وظيفتها بعد، الملابس بالحافظة أوشكت على الانتهاء، ووصوله إلى باب غرفتها أصبح سهلًا بعد انتهاء هذه الخطوات، لقد بدأ يرى بعض ملامح غرفتها، نظراتها لم تكف عن النظر إلى الباب في خوف من أن يكون أمامها، تريد أن تسرع قبل مجيئه، ما زال أمامها فرصة للهروب، الحقيبة امتلئت عن آخرها، الحقيبة أغلقت الآن، أخذت تُبدل ملابسها الممزقة بسرعةٍ كبيرة وهي تنظر إلى الباب، تتمنى ألا تراه مُجددًا حتَّى لا تسمع صوته التي كانت تحبه دافئًا حنونًا وأصبحت تكرهه لأنه قتلها، خطوات قدمه البطيئة قد انتهت، الآن هو داخل غرفتها متسع عينين، مصدومًا ومدهوشًا لما يراه.
بعض الملابس القليلة أُلقيت على الأرض!! حافظة الملابس فارغةً تمامًا من أي شيء يخص شقيقته!! حتَّى حقيبة السفر!! لقد اختفت!! أين شقيقته!! ماذا!!
هل تركت المنزل؟!

خرجت (أمنية) من باب غرفتها لتصبح بصالة البيت في «نفس اليوم» الذي تهجم عليها فيه بعد أن غادر هو المنزل بدقائق، ثمَّ وقعت عينها على الساعة أعلى الجدار لتجدها الرابعة -فجرًا- ماذا تفعل الآن بعد أن حملت حقيبتها وقررت أن تغادر تاركةً هذا البيت التي أصبحت تلعنه بسبب شقيقها؟ هل تخرج للظلام وتقابل أشخاصًا أخرىن مثل أخيها يلتهمونها مُجددًا؟ أم تبقى مكانها منتظرةً أن يعود شقيقها بعد أن غادر منذ دقائق؟ وجهها يرفض تمامًا أن يراه، لم تعد عيناها تقبل رؤيته، لم تعد أذنيه تشتاق لسماع صوته.

نظرت إلى الساعة مُجددًا ثمَّ أمسكت بحقيبتها بقوة من أصابعها واتجهت نحو باب الشقة بعد أن قررت المغادرة، لقد تجاهلت تأخر الوقت والظلام والذئاب البشرية بالخارج وقررت الرحيل، لم يعد هناك خوفًا بداخلها بعد الآن، لم يعدْ هناك شفقة أو رحمة، الدموع بعينها قد جُفت، أصابعها أزالت أثر البكاء فوق خديها، لم تعدْ هناك شقيقة حنونة، لقد قتلها شقيقها، لم يعد هناك قلب طيب.

فقد اِلتهم منذ قليل، وماتت مشاعرها.

- يعني يا ماما هي جاتلك الصبح؟

جلس (نادر) على فراش شقيقته في «اليوم التالي» من تهجمه عليه، كان الوقت -عصرًا- حينها، مُمسكًا بالصورة التي جمعته

مع شقيقته ووالدتهما، ثمَّ أكمل الحديث بالهاتف حيث كان يتحدث إلى والدته التي ردت قائلة بصوتٍ قلق:

- أيوه يا حبيبي متقلقش، والله هي معايا وقدامي أهي، فيه إيه يا نادر يا بني!! أنا مش فاهمة أي حاجة، من ساعة ما جات وهي قاعدة لوحدها ومبطلتش عياط، وكُل أما أقرب منها وأخدها في حضني، جسمها يتنفض وتبعدني عنها، إنتوا اتخانقتوا ولا إيه يا بني؟

لقد ألقى أحدًا بعض الوقود فوق أذنيه وأحرقهما حرقًا لا يتوقف عن الاشتعال، لقد صَدمته كلمات والدته، ثمَّ أكملت:

- نادر!! روحت فين؟

عاد من شروده وهو يتأمل وجه شقيقته التي وقع عليه قطرتين من عينه، قائلًا بارتباك:

- لا، خناق إيه بس يا أمي، مفيش أي حاجة والله، هي بس حصلها شوية مشاكل في الكلية مزعلاها شوية.

لترد لتصدمه مرةً أخرى قائلة بسرعةٍ:

- ما هو ده نفس الكلام اللي قالتهولي بردوا، أنا مش عارفة، هو الدكتور ده معندوش دم ولا أخلاق عشان يحرجها كدا وسط أصحابها؟ أنت لازم تروح وتعمل فيه شكوى يا نادر، أنت فاهم؟

الاشتعال في أذنيه ما زال قائمًا، هل قررت الحياة أن تنتقم منه الآن بهذه الطريقة التي تجعله يكره نفسه ويرى نفسه بلا قيمة

أمام قيمة شقيقته الثمَّينة؟
- يا بني أنت بتروح فين بس!
عادته كلمات أمه إلى انتباهه ثانيةً، ليرد بخنقةٍ:
- أنا معاكِ يا ماما والله، معلش أصل منمتش من إنبارح ومطبق طول الليل في الشغل، وحاضر اطمني ومتخافيش، أنا هروح الجامعة عندها وهشوف الموضوع ده، أنتِ بس خليكِ جنبها ومتسيبهاش، وعرفيها إن بحبها أوي، وإني مش هسيبها غير لما أجيبلها حقها، حتَّى لو كان الدكتور ده ميقصدش.
لترد الأم باكية:
- ربنا ينتقم منه يا بني وما يتهني ساعة واحدة في حياته بعد كدا.
لقد شعر في ذلك الوقت بأن الحياة بيتًا ضخمًا ينهال فوق جسده بغضب وقوه، دون أن يعطيه حتَّى فرصةً واحدة لمقاومة حطامه الكثير، لم يكنْ يتمنى أن يحيا إلى هذا الوقت الذي يسمع فيه دعوات أمه عليه لا إليه، ربما قد شعر بأنه كان يجب أن يخبرها الحقيقة حتَّى لا يسمع كلماتها هذه التي قتلته، ولكن حتَّى إذا كان قد فعل ذلك وأخبرها، ماذا كانت ستفعل هي حينها، بالتأكيد لم تكنْ لتقبله من جبينه بعد أن تسمع ما حدث، بالتأكيد كانت ستطلق نفس كلماتها التي قالتها منذ قليل دون أن تعرف أنها له، لقد كان سيكون نفس الألم الذي ظل يتألمه الآن.

لم تمر دقائق كثيرة حتَّى أعاد برواز صورته معهم إلى مكانها، ثمَّ أمسك بهاتفه المحمول وفتح النمط السري الخاص به وأنزل بإصبعه القائمة العلوية في الهاتف وضغط على أيقونة تشغيل الإنترنت، لم ينتظر استلام أي إشعارات أو رسائل لإقتناعه التام إنه ضمن مجموعة الأشخاص الذي لا يهتم بهم أحدًا على صفحات التواصل الاجتماعي، يفتحون حسابتهم علي جميع المواقع ويقلبون بكل منها بضعة دقائق، صور المشاهير والأصدقاء على موقع «الإنستجرام» الحياة اليومية التي يُعلنها الجميع في صورة منشوراتٍ يراها العامة كُلهم علي موقع «الفيس بوك» التويتات الزرقاء على «تويتر» الأزرق، لتنتهي الرحلة بجلسوهم داخل الموقع الأخضر وهم يقلبون في جميع حالات -الإستوري- أرقامهم المُسجلة على «الواتس آب».

لدي هؤلاء الأشخاص إدراكًا كبير بأنهم لو ظلوا هكذا «Online» طوال حياتهم فلن يحدثهم صاحب الأبليكشن أو حتَّى الأبليكشن نفسه، يكفي فقط أن يحدثهم القليلون أثناء بعض المناسبات مثل أعياد الميلاد والأعياد الرسمية وأيام الامتحانات لتبادل الأوراق الذي سيذاكرون -سيغشون- منها، وربما ينسون هذه المناسبات أيضًا ولا يتذكرونهم نهائيًّا، هؤلاء الأشخاص يشعرون بأنهم لن يشكلوا أي نقصًا لدى الأخرين إذا لم يتواجدوا بينهم على صفحات التواصل الاجتماعي، بل ومن الممكن أن يشعر أغلبهم بأنهم لن

يكونوا نقصًا فقط بين هذا الصفحات الاجتماعية، بل وفي الحياة نفسها أيضًا.
لذا.
-سُحقًا لهذه المواقع الاجتماعية التي يكون بها الأشخاص أشخاصًا أخرين غيرهم-
ظل (نادر) يُحدق في هاتفه كثيرًا إلى شيئًا ما، عقله في حالة تردد عما يريد أن يفعله.
بدأ يأخذ أنفاسه رافعًا رأسه إلى الأعلى ليعيدها ثانية وهو ينظر إلى ما أوقفه الآن، إنها محادثةً فارغة لشخصٍ ما، فهل يبدأ الحديث الآن وكتابة بعض الرسائل؟ لم يفكر كثيرًا بالأمر حتَّى أعطى عقله أمرًا لأصابعه بتنفيذ وفعل ما خطر بباله، كتب بأصابع سريعة:
- إزيك، أنا نادر.
طمنيني عملتي إيه؟؟

* * *

جلست (أميرة) على فراشها دون أن تُبدل ملابس العمل، لم تكف عن إطلاق أنفاسها بغضب لما حدث معها منذ قليل، تحاول جاهدةً أن توقف حديث (نادر) عن السير داخل عقلها لكنها لا تسطيع.
«أنتِ فعلًا بتأذي أي حد يفكر يقرب منك، أنتِ الانتقام جواكِ أكبر من تسامحك للناس يا أميرة».

«انتقمتي من صادق لأسباب كانت مخلياكِ مش عارفة تعيشي من غير ما تاخدي حقوق الناس منه، انتقمتي منه عشان بتكرهي الرجالة».

«نفس اللي حصل بالظبط وخلاكِ تنتقم من أبوكِ لما شوفتيه مع أعز اصحاب الست اللي خلفتك، سجنتيه بعد ما إتبرعتي بكل فلوسه للجمعيات».

ظلت هذه الكلمات تركض داخل رأسها دون توقف، إلى أن وجدت فجأة حلًا يُخلصها من كل ذلك، عينها لم تكف عن النظر أمامها وهي تفكر في ذلك الحل.

هل يجب أن يكون هناك تحقيق دائمًا لكل ما يراودنا ونشعر به؟ وهل من الممكن أن يكون ما قد فكر به العقل وخلقه داخل منه يكون خاطئًا بعض الشيء؟ أم أن العقل لا يصدر أمورًا خاطئة؟

تجاهلت كل ما يؤلم رأسها وفتحت هاتفها المحمول ثمَّ ضغطت على أيقونة الأرقام الخاصة بها، ثمَّ على مستطيل البحث بالأعلى لتكتب اسم من تريد الاتصال به، لقد ظهر الاسم أمامها سريعًا، فلا يوجد الكثيرون لديها يحملون الحرف الأول من اسمه، ظلت تحدق قليلًا بالهاتف دون أن تتحرك، عيناها تتأمل اسمه وكأنها تحفظه أكثر مِمَّا تحفظه، عقلها يحدثها، قلبها يطرق وتسمع صوته، هل تفعل؟

لم يعد هناك احتمالًا آخر بعد الآن، لقد اتصلت به، واستجاب

المُتصل لاتصالها.
- قبل ما تقول أي حاجة.
أنا محتاجة أقابلك ضروري جدًا.
مُمكن؟!

* * *

«من قال أن الأشخاص الذين صُنفوا أنهم أشخاصًا عُقلاء ولاتحمل عقولهم مرض أو قلة عقل هم عُقلاء بالفعل، وأن الأشخاص الذين وُضعوا في قائة المُختلون والذي رقص الجنون داخل رؤوسهم هم مجانين حقًا؟
لماذا لا يكون العكس؟».
تقدمت خطوات الطبيب (ياقوت) داخل طرقات مستشفى الصحة النفسية الخاصة به.
ارتدي سروالًا أسود وقميصًا أبيض وضع فوقه چاكيت رصاصي يليق به، نظر إلى ساعته السوداء بسرعة ليجدها الخامسة ونصف، خطواته تُسرع صعودها فوق درجات السلم، لقد اجتاز طابق الأطفال الأول الخاص بحالتهم الخاصة، خطوات قليلة تنقله من الطابق الثاني لكبار المسنين والقاعدين إلى طابقه الثالث الخاص الذي يتواجد فيه أغلب الوقت طبقًا لنوعية عمله كطبيبٍ نفسي.
لقد أصبح الآن في طُرقة الطابق الأخير بعد أن فُتح له الباب الإلكتروني بواسطة رجال الأمن المُختصين بحماية هذا الطابق

بالأخص، أنفاسه تخرج ببطء في شعورٍ من الراحة بعد صعود هذا السُلم، خاصةً أن المستشفى لا تحوي داخلها على مصعدٍ كهربائي رغم تطورها الكبير وبنائها الجديد، فقد رفض الطبيب هذه الفكرة حتَّى لا يُسهل على أحدٍ الدخول أو الخروج إلى مبنى المستشفى، بحيث لا يصبح هناك ملجًا لهروب أحد المرضى إلَّا ذلك السُلم الممتلئ برجال الأمن والأفراد ضخمة الجسد.

- إيه يا طارق قلقتني، اتصلت بيا ليه وقولتلي تعالي على المستشفى بسرعة؟ أنت مش عارف إني في أجازة مفتوحة ولا إيه؟

قالها (ياقوت) ببعضٍ من الغضب إلى (طارق) الطبيب المُتدرب الجديد، كان يرتدي ثوبًا طبيًّا أبيض -البالطو- فوق قميصه الأزرق وسرواله الأسود، (طارق) طبيبًا شاب يسير في منتصف طريقه العشرين، طويل القامة إلى حدٍ ليس كبير، أسود الشعر الناعم الذي أتى به يمينا في مظهر متحفظ أظهر اِحترامه، عينين واسعتين تشعر أمامها بالاطمئنان والهدوء، اكتسب وجهه ملامحًا هادئةً تجعلك تراه إنسانًا طيب دائمًا، صوته هادئًا مثل وجهه، ولكنه كان ثقيلًا يخرج لسانه الكلمات بصعوبة وثقل، يكاد يظهر عليه تأثره الشديد بحالة المرضى في ذلك الطابق.

- أنا بعتذر لحضرتك يا دكتور، بس كان لازم أعمل كدا، فيه حالة جديدة خطرة جدًا وكان لازم حضرتك تشوفها بنفسك.

قالها (طارق) بقلقٍ وهدوء وهو يُثبت نظارته الطبية فوق عينيه،

ليرد (ياقوت) بحدةٍ:
- وإيه الجديد يا طارق؟! حد قالك إننا شغالين في كارفور؟ أنت شغال في مصحة نفسية يا دكتور، وفي قسم الحالات الخطرة كمان، يعني ده أمر مش جديد علينا.
ليرد (طارق) بكلمات متقطعة ثقيلة:
- لكن الحالة دي مختلفة يا دكتور، وكمان دي متحجزتش في أي أوضة، دي اتحجزت في غرفة سبعة!
وقعت جملة الطبيب الشاب موقع صدمة وصمت على وجه الطبيب (ياقوت) فيبدو أن الأمر ليس عاديًّا كما كان يدرك، هو يعرف جيدًا أنه لا يوجد أحدًا يدخل هذه الغرفة إلا وكانت حالته خطرة بالفعل، وحينها يجب أن يراه هو بنفسه لكونه الطبيب المُختص المسئول عن حالة المرضى في هذا الطابق.
صمت (ياقوت) قليلًا وهو ينظر إلى (طارق) باهتمام ثمَّ قال بهدوء قد حل عليه فجأة:
- إيه نوع الحالة؟
ليرد (طارق) بقلقٍ وهو يعطي الطبيب ملف حالة المريض:
- ثانتوفوبيا.
بدأت قدميه في التقدم داخل طُرقة الطابق الخاص، عينه تتأمل مربعات الأبواب الصغيرة ذات القضبان المعدينة أثناء سيره، الغرُف تسير بجانبه على اليمين واليسار في طريقها المعاكس

لجسده، بعضًا من أجزاء المرضى تظهر في عين الطبيب من خلال الشبابيك المربعة، هناك من يظل واقفًا داخل غرفته ناظرًا إلى بابه المعدني وهو يميل رأسه بابتسامة مجنونة لا تختفي، وأخر يجلس مُتحدثًا إلى سريره في حالة من السعادة الهائلة وكأنه عشيقته، وثالث يقف فوق فراشه مستعدًا للقفز على الأرض ليسقط ميتًا ومنتحرًا، الأرض التي لا تبعد عن قدمه سوى بضعه سنتيمترات قليلة، ورابع يسبح على الأرض بعد أن رأها بحرًا عميقًا يستطيع مِمَّارسة هواية الغطس به، وأخر يحتضن بالجدًارن بشدة مثلما يحتضن الزوج زوجته بعد الزفاف، المتزوجون فقط من سيشعرون بهذا الاحتواء، وربما أيضًا بعض المراهقون وبعض الخارجين عن القواعد التي تكبتهم، عين الطبيب تتأمل أرقام الغرف يمينًا ويسارًا بحثًا عن الغرفة التي يريدها، عينه تتأمل بقوة وتركيز.

غرفة (١٧) يتبعها غرفة رقم (٧٧) يتبعها (٧٠) يتبعها ويتبعها ويتبعها.

-رُتبت الغرف حسب خطورة حالات المرضى، وليس على تتابع الأرقام-

خطوات قليلة تفصله عن الوصول إلى ما يريد، الشغف بعينيه يزداد لرؤية هذا المريض الذي نجح في أن يدخل هده الغرفة، عقله يشتاق لمعرفة أسباب ذلك بعد أن مر أمامه أصعب الحالات وأخطرها داخل تلك الغرفة، فماذا هناك بعد ما رآه إذن؟

خطوات قليلة ويصل إلى نهاية الطُرقة الطويلة، حيث الغرفة المحظورة هناك

-غرفة رقم ٧-

وُضع على باب الغرفة من الخارج ورقة مربعة بيضاء كُتب عليها

«لا يُسمح بالدخول إلى تلك الغرفة إلَّا للطبيب المعالج ورئيس الممرضين المتخصص بمتابعة الحالة،
مُنعت الزيارة نهائيًّا»

Access to this room is permitted only to the »
treating physician and the head of the specialized
,nurses to follow up the case
The visit was permanently banned

وقف (ياقوت) بمفرده متأملًا باب الغرفة، ثمَّ أخرج مسدسه من الخلف وسحبه من الأعلى ليتأكد من عمله وليجهزه لوظيفته، مُفتاح الغرفة بين يديه يستعد لفتح العالم الأخطر بالنسبة له، أطلق أنفاسه دفعةً واحدة، ثمَّ فتح الباب:

- ابتسم يا «أنت» فسوف تدخل الآن عالمي الخاص»

كانت الغُرفة بيضاء بطريقةٍ مُبالغ بها، لا يوجد أثر لونًا آخر بجانب الأبيض، طُرزت الستائر بالرسومات البيضاء على القماش الأبيض الذي لا يظهر ما وراءه، الشمس تتشاجر خلف تلك

الستائر لعدم استطاعتها الدخول في تلك الغرفة، وهو.
ذلك الذي جلس على الأرض أمام الستائر ناظرًا إلى الشمس بشغفٍ كبير، ظهره مُنحنيًا دون حركة، رقبته تهتز قليلًا كل ثلاث ثوان، خطوات الطبيب تتقدم إلى الداخل ببطء، يده تحاول أن تغلق الباب بحرص ودون صوت، وفجأة، تحدث الجالس دون أن يلتفت خلفه أو يتحرك حركة واحدة، قائلًا بصوتٍ مخيف مجنون:

- ساعات ذكر الأسد، بياكل أشبال الزعيم السابق اللي قبله في الغابة بعد ما يقتله، عشان أمهم تبقى صالحة للزواج منه بعد ما يموتوا، ومتبقاش شايفة حد غيره، حتَّى ولادها، طريقة ذكية بيستخدمها الأسد عشان يرضي شهواته، قولي بقى، عرفت أنت هتقتلني إزاي؟ ولا لسه ملقتش الطريقة اللي تخلص بيها مني؟ عموماً، سَمي وانت داخل، واتشاهد، أصل محدش عارف، مين فينا هيكون الأسد.

قالها المريض بصوتٍ قوي وواثق، شعوره بالاطمئنان إلى هذا الحد يُنفي كونه مريضًا بالخوف مثلما قال (طارق) ليرد (ياقوت) عليه بعد أن عقد حاجبيه استعجابًا لما سمعه، قائلًا بحرص بعد أن جمد جسده:

- متخافش، أنا مش جاي علشان هأذيك.

التفت المريض بسرعة بعد هذه الجملة، ليقول وهو ينظر بحدةٍ

وعي:

- إزاي!! ده أنت إنسان، يعني متعرفش غير الأذية، إيه اللي يضمنلي إنك متموتنيش؟

اِرتبك الطبيب قليلًا، ليرد على حديثه بابتسامة وبعض من إعطاء الثقة لمريضه:

- إني معرفكش مثلًا!

كان المريض ذو شعرًا كثيف وطويل وغير مهندم، عيناه واسعتنان بقدر اتساع محيط أو بحرًا ما، ربما لا لم يختلف مثلث برمودا عن عينيه في شيء، كلاهما يسرقانك فور مرورك من أمامهما، كانت عينيه غاضبتين لا تهتز، أسفلهما عتمة لا يُنيرها مصباح مهما كانت جودة إنارته، رسمت ابتسامته بسكين حاد من قِبل حدادًا محترف، أعتقد بأنه كان رجلا خمسيني أو يسير في منتصف الطريق الأربعين من عمره، صوته القوي الواثق كان يليق بشدة بمظهره الحاد، امتلك لحية طويلة لم تقترب من آله الحلاقة منذ سنوات، صوته الهادئ ما زال يتحدث بثقةٍ:

- مش شرط تعرفني عشان تأذيني، ما هو الأسد بردوا مكنش يعرف الزعيم اللي قبله، بس مصلحته كانت في موته وقتها، وأنا اللي بيكرهوني كتير، وممكن حد يكون بعتك ليا؟

اعتدل (ياقوت) في وقفته محاولًا الثبات، ثمَّ سأله بفضولٍ:

- هما مين دول اللي بيكرهوك؟

ليرد ساكن الغرفة بابتسامة شديدة:
- اِسالهم، أصلي مبحبش أوسخ لساني بأساميهم.
أخذ الطبيب أنفاسه بهدوء ثمَّ قال وهو يقترب قليلًا:
- طب ممكن تهدى ومتخافش، وعشان أثبتلك إني مش هأذيك.
نظر الطبيب إليه بحدة وهو يخرج سلاحه من الخلف، رافعًا إياه بطريقةٍ تطمئنه، ثمَّ انحني قليلاً بظهره وهو يرمي بالمسدس ناحية المريض:
- أدي سلاحي، خليه معاك عشان تدافع عن نفسك لو...!!
صعق(ياقوت) وتوقف عن حديثه بعدما رفع المريض المسدس في وجهه، نظر الطبيب له متسع العينين دون أن يهتز، هل أعطاه أداه موته بيده دون تفكير؟ تجاهل حالته ببعض الهدوء وهو يجلس على فراش المريض قائلًا دون أن ينظر له محاولًا سرقة انتباهه:
- قالولي إنك بتحب الأسلحة أوي، ليه؟!
ليرد المريض بثقةٍ وهو يُحدق بالطبيب، والمسدس ما زال مرفوعًا في وجهه:
- عشان بتحميني، الحاجة الوحيدة اللي عاشرتها وعمرها مأذتني.
نظر له الطبيب سريعًا ثمَّ قال بطريقةٍ ذكية تهدئه:
- طب ولو أنا مكنتش إديتك المسدس دلوقتي، مكنش ممكن أذيك بيه، زي ما أنت دلوقتي بردوا هتأذيني بيه؟

لم يرد حامل المسدس على جملته، بل اهتزت عينيه قليلًا لما قاله الطبيب، ثمَّ استمر (ياقوت) في حديثه ناظرًا بثقة:

- زي ما أنت شايف إنها ممكن تحميك وتبعدك عن أي حد ممكن يضرك، فلازم تبقى عارف كويس أوي إنها ممكن تأذيك وتموتك، وأظن إنك ملكش عمار مع الموت خالص، صح؟

ظهر غضبه فجأة بعد هذه الكلمات، ليقول بقوة وهو يخفض المسدس بسرعةٍ:

- مش هي اللي هتعمل كدا، عشان مبتكنش قاصدة إنها تعمل ده من الأول، لكن تقريبًا كدا مفيش حاجة بيستخدمها البشر إلا وبيحولوها لحاجة مُرة شبههم.

ليرد الطبيب ببرودٍ:

- يعني اللي اخترعها من البداية مكنش عارف إنها هتأذي أكتر ما هتحمي؟

ليرد بمنطقية صنعها له وحده:

- مفيش حد هيصنع حاجة هو عارف ومتأكد إنها هتاذي أكتر ما هتفيد، حتَّى لو كان عارف، المهم إنها بتحميني أنا وعُمرها ما هتأذيني.

ليرد الطبيب مُرسلًا له الكثير من الصدمة والصمت:

- لدرجة إنك تحول أوضتك كُلها لمخزن سلاح؟ قناصتين وخناجر وصناديق قنابل وأسلحة مفيش تاجر سلاح يعرف يجيبها!! كُل

ده ليه؟

اتسعت عين المريض من معرفة الطبيب لكُل شيء، ثمَّ أخذ يزحف بقدميه تجاه الستائر البيضاء ليحتمي بها بعد أن شعر بالخوف، ناسيًا المسدس مكانه، وناظرًا بابتسامة مجنونة للطبيب بعد أن أصبح جزءًا من جسده خلف الستائر، ثمَّ قال بصوتٍ هادئ:

- ودنك.

انعقد حاجبي الطبيب، ثمَّ قال باستعجابٍ:

- إيه!!

ليرد المريض مُرسلًا بعض الخوف إلى الطبيب:

- لو عايز تعرف الحقيقة، قرب وهات ودنك.

نظر (ياقوت) لسلاحه بنصف عين، ثمَّ قال بقلقٍ:

- إشمعنا؟

ابتسم وقال وهو يعبث بالستائر:

- ساعات الهمس بيكون أئمن بكتير من الصوت العالي، قَرب.

وقف الطبيب ببطء ثمَّ نظر إليه بحرص، بينما لم يُحرك المريض عينيه من عليه مُحدقًا له، عين الطبيب تنظر إلى مسدسه مرةً وإلى المريض مرةً أخرى، وبينما وصل الطبيب إليه حتَّى جلس على ركبتيه واضعًا يده الخلفية على المسدس ليأمن نفسه، وما أن اقترب الطبيب منه حتَّى تقدم المريض برأسه ناحية أذنه، قائلًا بهمسٍ:

- هتيجي عليك لحظة، الخوف هَيلمحك فجأة، حظك المِسود بقى لو عجبته وقتها، مش هيرحمك، هيفضل وراك لحد ما يبقى واقف قدامك زيي دلوقتي، ويقرر يحضنك لحد ما يفرفت ضلوعك، تقريبًا ده الحضن الوحيد اللي عُمرك ما هتتمني إنك تتحضنه، حُضنك بالخوف، خصوصاً، لو هتخاف من الموت.
تراجع الطبيب بعض الخطوات للوراء ببطء، ثمَّ قال بفضول وهو يُحدق بيعينه الواثقتين وابتسامته التي تربكه:
- امتى بتحس بالخوف؟
هز المريض رقبته بشدة وهو يتأمل الستائر والغرفة، مُفكرًا بصوتٍ في سؤاله وهو يصنع بعض النمنمات المجنونة، ليرد بعد أن هدئ وصنع وجهًا غاضب:
- أول ما عيني تلمح ضل البشر، البشر دول آله غريبة جدًا، على قد ما بتفيد، على ما بتعور أوي، والمشكلة إن تعاويرهم بتعلم فيك وبتفضل فاكرهم، على أساس إنهم حاجة عِدلة أوي يا أخي.
ليرد (ياقوت) قائلًا دون أن يعلم أن ما قاله سيغضبه:
- ووالدتك، ليه تكون دي نهايتها؟
نظر له بحدةٍ وعينٍ تفكر وتتذكر، بينما استعد الطبيب بسلاحه لأي رد فعل منه، ليرد المريض مُتذكرًا:
- مكنش قصدي، هي بردوا غلطت، مينفعش تعمل حاجة لحد وأنت عارف كويس إنها بتأذيه، وأنا لو مكنتش بطيق أشوف

أي بني أدم قدامي، فكنت بسمح لعيني إنها تشوفها هي بس، ومكنتش بخاف وهي قدامي، أصل فيه ناس كدا، مينفعش تنفذ عليهم شروطك اللي أنت بتنفذها على غيرهم من كتر ما بتعشقهم.
ابتسم في جملته الأخير ابتسامة صادقة وحالمة، ثمَّ أبعد نظراته عن الطبيب وظل يُحدق إلى الشمس التي ستذهب بعد قليل ويحل محلها القمر الأبيض الذي عاش يكرهه طوال حياته، فالقمر لا يفعل معه سوى كُل ما يكرهه في هذه الدنيا، القمر يُشعره بالثلج وسقيع البرد، بينما تحتويه الشمس بدفئها الحار الذي ينعشه، القمر لا يُضيء مثلما تُضيء زوجته الشمس، لقد عشق الشمس لأنها كانت تشبه أمه، مضيئةً وتُضيء.
- يومها، سمعت الدكاترة وهما بيقولوا إن حالتي بتسوء أكتر من الأول، والصراحة كان عندهم حق، أنا كنت بقعد أيام مدوقش الأكل عشان شامم فيه ريحة السم، أكتر من ريحة التوابل، شفايفي اتخشبت من قِلة المية اللي كانت طول الوقت قدامي وخايف أقربلها، حسيت في الفترة دي إن عيني رغم وسعها، إلَّا إنها كانت ممكن تضيق في أي لحظة من قِلة النوم، النوم ده كان بالنسبالي شيء مؤذي أوي، كنت بتفزع لما بحلم بواحد من أصحابي أو آخواتي بيقتلني، كل يوم كان بيعدي عليا كنت بخاف من الموت أكتر من اليوم اللي قبله، شكلي وأنا بطلع في الروح، جسمي اللي

مش هقدر أحركه وقتها وكأنه أتشل، كلامي اللي محدش هيعرف يفهمه لإني هبقى بهرتل وبخرف، مع إني متأكد إني هكون بقول حاجة نفسي فيها أوي، أو إني بستنجد بحد ينقذني من اللي أنا فيه، مع إني عارف إن مفيش حد يقدر يخلصني، كُله كوم وبعد ما أموت وأطلع فوق كُوم تاني، تخيلات مُرعبة مبتبطلش تنهش في عقلي، أنا فاكر الفترة دي كويس وعمري ما نسيتها، منستش شلكها وهي داخلة عليا وبتضحك ووشها منور زي الشمس، سنانها كانت باينة من كُتر السعادة اللي كانت جواها ليا، كان يوم عيد ميلادي.

حمل الطبيب سلاحه وأعاده إلى ظهره ثانيةً بعد أن اطمئن، ثمَّ أكمل اِستماعه لحديث المريض بإنصات:

- جاتلي لوحدها وهي شايلة شمعة صغيرة بين إيديها، ومنعت أي حد يدخل معاها اليوم ده، على قد ما كانت فرحانة وقتها، على قد ما أنا حسيت بالخوف اللي كان مخلي كل حتة في جسمها ترتعش، عقلها كان بيقولها اِرجعي، هو ابنك بس ممكن يأذيكِ، لكن هي كانت مصرة تحاول، وتقتل الخوف اللي جوايا، كان نفسي أسمع عقلها وهو بيحذرها عشان أحذرها أنا كمان وأقولها أرجعي، عشان لو أذيتك، مش هحس بنفسي وأنا بأذيكِ، الخوف اللي جوايا أكبر مية مرة من حبي ليكِ، يمكن مكنتش أذيتها لو كانت جاتلي وقتها من غير الشمعة دي، الشمعة اللي

مشوفتهاش هدية قد ما شوفتها سلاح ممكن يقتلني ويحرقني، عارف يعني إيه تقتل حد كان جايلك بشمعة عشان يحتفل بيك، من ساعتها مبقتش أشوف الشمس تنور زي الأول، كل حاجة اطفت، والشمس مبقتش تُشرق من بعدها.

سقطت بعض دموعه علي خده دون أن يُشعر وهو يتأمل الشمس، ثمَّ عاد إلى انتباه فجأة بعد أن أدرك وجود الطبيب الذي كان يُنصت بحزن لكُل ما يسمعه، ليستكمل المريض حديثه قائلًا بتماسك وبصوتٍ منخفض:

- تعرف إني مكنتش بقدر أدخل الحمام عشان خايف.

«الثانتوفوبيا»

- هو رهاب الموت أو قلق الموت، وهو شعور الأشخص بالفزع أو الخوف أو الرعب عند التفكير في عملية الموت، أثبت طبيب الأعصاب «سيغموند فرويد» النمساوي أن تعبير الناس عن خوفهم من الموت ما هو إلَّا تمويه لمصدر أعمق من القلق، وبأن ما يخشاه الناس ليس في الواقع هو الموت لأن من وجهة نظر فرويد أنه لا يوجد أحدًا لا يؤمن بأنه سيموت، ذلك لأن الشخص الخائف من الموت لم يمت من قبل، وإنما الناس الذين يعبرون عن مخاوف متعلقة بالموت هم في الواقع يحاولون التعامل مع بعض من صراعات الطفولة التي لا يمكن التصالح معها أبدًا.

وقف (ياقوت) مصدومًا مِمَّا سمعه ثمَّ تراجع للوراء جالسًا على

الفراش، بينما توقفت دموع المريض على خده دون أن تتحرك أو تجف، وكأنها تخبره بأن هذا مكانها، ستظل هنا دومًا فوق خده وجبينه ولن تذهب، ليرد الطبيب بهدوءٍ بائس:

- كُنت بتخاف من إيه؟

ابتسم المريض وارتفعت ضحكته، ثمَّ أطلق جملته بقوةٍ وجنون:

- كُلهم، كُلهم يا دكتور.

أخذ المريض أنفاسه وهو يضحك ويعبث بالستائر كطفلٍ بائس شقي، وصوت اِمراة عجوز جميلة مرت من الحزن ثمَّانون عامًا:

- أصل أنت متعرفهمش، دول كانوا بيقعدوا طول الليل يخططوا إزاي يقتلوني؟

ليرد ياقوت بعد أن زاره القلق والركبة والاندهاش لما سمعه، قائلًا بفضول وعدم فهم ازداد بداخله كثيراً:

- هُما مين؟!

ابتسم وقال بثقةٍ:

- مِسيرك تعرفهم، بس ساعتها، حاول تبقى ذكي قبل ما تواجههم، عشان متقعش في الفخ زيي، دول محتاجين قلم وورقة وتخطيط عالي يا دكتور.

ظل (ياقوت) ينظر إليه بشدة دون أن يتحرك، وكأن جسده قد لُصق بالفراش ولن ينفك منه، بينما أبعد المريض نظراته عن الطبيب ثمَّ عاد إلى موضعه في البداية قبل أن يتحدث معه، ناظراً

أمامه إلى الستائر مجمدًا، في حين ما وقف (ياقوت) واتجه ناحية باب الغرفة، ناظرًا أمامه إلى الباب المعدني مُفكرًا فيما قد حدث وراءه، إلى أن وقف مكانه قليلًا ليلتفت ببطء إلى المريض ليجده يلوح أمامه لشيء ما لم يراه هو جيدًا، لكنه أدرك أنه ربما يكون الشمس.

- قولي، أنت ليه مخوفتش مني؟

قالها (ياقوت) وهو ينظر إلى المريض وهو يلوح أمامه، ليرد المريض عليه وقد توقفت يده عن التلويح، قائلًا بهمسٍ دون أن يلتفت:

- أبقى كداب لو قولت مخوفتش، بس بعد كدا اِطمنت، أصلك أنت كمان بتكرههم عشان أذوك.

ليرد الطبيب بعد أن انعقد حاجبيه:

بس أنا محدش أزاني!

ابتسم المريض ثمَّ أدار نصف وجهه، قائلًا بثقةٍ:

- يبقى هيأذوك يا دكتور، اطمن.

صمت الطبيب ولم ينطق بكلمة واحدة، مُفكرًا في كُل ما قاله هذا الرجل له، ربما لم يكنْ أخطر حالة قد أتت إلى هذه الغرفة الخاصة، لكنه كان حالة مُختلفة ولم يراها من قبل، حالة جعلته يسأل عقله أسئلة عديدة:

«هل يمكن للخوف أن يخدش روح الإنسان بهذه الطريقة؟ هل من الممكن للأضرار التي أحدثها البعض لك، تجعلك ترى البشرية

كُلها قد أضرتك؟ وهل قد تأتي لحظة عليك تقرر فيها بأن تنتقم ممن يجرأ على أن يقترب منك؟ حتَّى وإن كان يقترب ليعطيك بعض الحلوى!».

أُغلق الباب المعدني.

في حين ما ظل مريض ٧ أمام الستائر البيضاء.

يلوح للشمس بعد ذهابها.

عطَل (طارق) الطبيب الشاب عمل كاميرات المراقبة بالطابق الأخير في المستشفى بعد مرور بضعة دقائق منذ مغادرة (ياقوت) ثمَّ ذهب نحو غرفة مريض «الثانتوفوبيا» حاملًا بين يديه إبرة حادة رفيعة، وما أن وصل إلى الغرفة حتَّى نظر إلى بابها قليلًا وهو يقرأ الورقة البيضاء التي لُصقت عليه، عينه تتأمل رقم الكمال سبعة، إلى إن بدأ يحاول فتح الباب المعدني بواسطة الإبرة الحادة، قطرات التوتر فوق جبينه تسقط واحدة تلو الأخرى، أصابعه ترتفع مرةً لتُثبت نظارته الطبية ثمَّ تهبط مرةً ثانية لتستمر في محاولة فتح الغرفة، الطُرقة الطويلة مُظلمة بما يكفي حتَّى لا يراه أحدًا، الكاميرات أصبحت كفيفة الآن ولا ترى أي شيء، الإبرة الحادة تحاول جاهدة فتح الباب، قطرات العرق تزداد، الباب المعدني ليس سهلًا، إضافة إلَّا أنه لم يتعود علي فعل هذه لأشياء من قبل لتحفظه الشديد، الأنفاس تزداد وتخرج مصطدمةً بالورقة التي لُصقت على الباب، الإبرة الرفيعة تعبث بالثقب، ما

أجمل هذه العلاقة التي يخلقها ثالث غيرهما، الإبرة تداعب، عين الطبيب تتنقل بخوف وقلق، لتهدأ بعد ذلك وتشعر بالاطمئنان بعد أن تمَّ فتح الباب، اِبتلع ماء فمه بعد أن كاد يجف، لا يوجد وقت حتَّى يأخذ أنفاسه، الباب وما وراءه أهم من كل شيء، بدأ يفتح الباب ببطء، الغرفة تظهر، اللون الأبيض بالجدران، ها هو الفراش، ها هو القمر خلف الستائر، وها هو يقف أمام الستائر مُبتسمًا بميل رقبته للطبيب الشاب، الطبيب الشاب ينظر له بخوفٍ وقلق وكأنه يعرفه جيدًا، المريض يبتسم وينظر له دون حركة.

وفجأة.

تحرك المريض نحو الطبيب

* * *

جلست في كافيه اِحتضنت أنظاره بالنيل، تحتسي القهوة كعادتها المُدمنة وهي تفكر، عيناها ثابتتان عقلها يُقلب ويحرك الذكريات بداخله، لم تكنْ تشعر بمذاق القهوة جيدًا في هذه اللحظة الطويلة من التفكير، إلى أن ألقت ورائها كل ما كان يدور في بالها، ثمَّ أخذت تتفقد بعينها مداخل الكافيه في كُل ركن، عيناها قالت وبكل وضوح أنها هُنا لمقابلة أحدهم وانتظاره منذ عشرون دقيقة، تعجبت هذا التأخير في الوقت الذي تكرهه هي، فدائمًا ما تستعجب نفسها صادقة في مواعيدها التي تأخذها مع الغير،

لا تقدم ولا تأخر دقيقةً على الوقت الذي حُدد بينها وبين من ستقابله، ومع ذلك فهي لم تقابل حتَّى الآن من يصبح صادقًا في مواعيده معها مثلما تفعل هي معه، حتَّى هو، فهل ربما لا يأتي؟ قطعت أنظارها جلوس شابًا وفتاة على المنضدة المقابلة أمامها، كانا يتشاجران بقوة أوقفت عيناها لتشاهدهما رغم أنها ليست فضولية، لكنها اِستعجبت كثيرًا أن يكونا هذان الاثنين حبيبان ويتعاملان بهذه القسوة، فقد كانت يداه تتحرك سريعًا في وجه رفيقته، هل لو كانا حبيبان حقًا وكان يعاملها في البداية معاملة الجني الذي يخرج لتحقيق الأمنيات فكيف يتحول الآن إلى وحشًا بهذه الصورة ؟ ربما لن تمر دقائق طويلة حتَّى تخرج من رأسه قرونًا شيطانية حادة مع عينين حمراوتان وقلبٍ محترق، أو ربما لن يكون هناك قلبًا من الأساس، ظلت تتأمل ملامح الفتاة الخائفة والحزن الذي جلس بوجهها، إلى أن أعاده إلى اِنتباهها، لقد كان من تنتظره.

- أميرة، أميرة!!!

قالها وهو يقف بجانبها مُستعجبًا حالتها، لتعود إلى اِنتباهها بعد شرودها إلى هذان الاثنين وتشرد بعد ذلك إلى وجهه الذي افتقدته كثيرًا عن قرب من وجهها، ظلت تنظر له بالأعلى وهي تجلس، لقد شعرت بأن عينيه أصبحت جزءًا مكونًا من السماء خلفه، جزءًا لامعًا لم يفقد بريقه لحظة واحدة، لتقرر وبكل هدوء لم

تعتاد عليه أبدًا -إلَّا معه- أن تقول برفق واشتياق:
- إزيك يا صادق؟؟
أخذ أنفاسه وهو ينظر لها، ثمَّ اتجه نحو المقعد الأخر ليجلس عليه، بينما انعقدا حاجبيها عندما لاحظت عرجته، ليقول متأملاً وجهها:
- إزيك أنتِ يا أميرة؟
«أخبرك بأن اللحظة التي لم يتقابل فيها اثنين عشقًا بعضهما بعنف منذ سنوات طويلة، هي لحظةً يزور فيها الحاضر بيت الماضي ثانيةً، الشريط الحالي يعود كاملًا إلى الوراء، ولكن الفرق، إن الاثنين ليس هما من يجلسان أمام بعضهما، بل قلب كل منهما».
- هتفضلي سرحانة كدا كتير؟ قولتيلي إنك عايزاني في موضوع مهم جدًا، قلقتيني!!
قالها (صادق) بصوتٍ قد اٍفتقد محادثة من تجلس أمامه، لترد (أميرة) بعد لحظات نظر طويلة، قائلةً بشغفٍ:
- بجد؟
انعقد حاجبيه قائلًا بتعجب:
- بجد إيه!!
لترد والشغف في صوتها يزداد:
- بجد لسه بتقلق عليا؟!

أخرج أنفاسه ثمَّ أبعد عينيه فجأة، قائلًا بقوة لم يريدها قلبه:
- أنا مقولتش كدا، أنا قلقت طبيعي، أنتِ فجأة كلمتيني وقولتي إنك!
قاطعته بقوة بعد أن تقدمت برأسها بعض خطوات للأمام، متأملة عينه بشدة:
- وَحشتني.
«ستُعامِل الجميع بقسوة وعُنف وبطريقةٍ لم تكن أبدًا طريقتك من البداية، إلَّا ذلك الشخص الذي يتجمد جسدك عند رؤيته، ستحبه عيناك ودمائك وقلبك وعقلك وكُل ما تملك، إلَّا أن تشعر بأنك لم تعدْ تملك شيئًا، بعد أن مَلكك كُلك».
تجمد جسده على المقعد، ثمَّ وقعت عيناه بعينها بعد كلمتها الذي سَعد وحَزن بعد أن سمعها، لتكمل هي بكل ما تشعر به من اشتياق وشغف:
- هو ده الموضوع المهم والضروري جدًا اللي أنا عايزاك فيه، أنت أكيد طول الليل قعدت تفكر في الحاجة اللي أنا عايزاك فيها وكلمتك بسببها فجأة بعد المدة دي كلها، لاقيت إيه ممكن يخليني أعمل كدا؟
تأمل عيناها ثمَّ قال بابتسامة خفيفة:
- فكرت في كُل حاجة، إلَّا إني أوحشك.
ظهرت بعض علامات اليأس على وجهها، ليستكمل وهو يأخذ

أنفاسه:

- مش هكدب عليكِ وأقولك إني مفكرتش في ده ولا إني حسيت إني ممكن أكون وحشتك فعلًا، فكرت فعلًا، بس لاقيت عقلي بيطلعني من التفكير ده بسرعة أوي، وبيقولي فوق، دي أميرة يا صادق، مفيش حد بيوحشها، مفيش حد بينقصها ولا عدم وجوده بيأثر فيها، مش ده كلامك.

تجمدت ملامح وجهها قليلًا بسبب ما قاله بقسوة وجرأه، ثمَّ ارتفعت ابتسامتها ببطء لما أصبح يُقال لها ممن حولها، قائلةً بحزنٍ ثابت:

- مش مصدقاك، عارف ليه؟

غيرت نبرة صوتها بهدوء ورفق، قائلةً وهي تحدق بيعنيه التي تنظر لها بتأمل:

- عشان أنت أنضف قلب أنا دخلت فيه يا صادق يا علي، وأنت نفسك مش هتقدر تكرهني ولا تشوفني وحشة كدا.

تجمدت عيناه أمامها ثانيةً، ثمَّ ابتسمت هي بشدة بعد أن شعرت بحقيقة حديثها في عينه، مستكملة:

- عمومًا مش مهم!! ممكن تطمني عليك؟

اعتدل في جلسته مُمسكًا بقدماه في ألم، ثمَّ قال وكأنه قد نسى كل ما حدث بينهما من قبل:

- أنا كويس، وأكيد أنتِ عارفة جزء كبير من حياتي يعني، أنتِ

لسة شايفاني قريب.
لترد بسعادة:
- فرحت أوي لما شوفتك، خصوصًا لما لاقيتك سمحت للدنيا إنها تشوفك من تاني بعد ما كنت منعتها منك، وفرحت أكتر لما نزلت الشغل ورجعت تعمل الحاجة اللي بتحبها.
ارتفعت شفتاه ببرود، ثمَّ قال بسخرية:
- طبعًا، زي ما أنتِ أكيد فرحانة بالشغل اللي حبيبك جابهولك.
تغيرت ملامح وجهها بدرجةٍ كبيرة، وكأنها قد عادت الفتاة التي تتعامل مع غيرها بقسوة وغضب، ثمَّ قالت بحدةٍ:
- متقولش حبيبي، عشان إحنا مفيش أي حاجة بينا أساسًا، أنت عارف كويس أوي إني مبحبش الناس اللي بتحكم علي الأمور من بعيد من غير ما تقرب.
ليرد بصوتٍ بارد:
- وأنا مش عايز أحكم أصلًا يا أميرة، أنا مين في حياتك يعني عشان أحكم، أنا مين علشان أقرب؟؟
أخرجت أنفاسها بغضبٍ، أصابعها تُعارك بعضها بقسوة، ثمَّ قالت بأمل:
- صادق، ممكن منتكلمش في الموضوع ده، أنا مكلماك عشان أنسى كل القرف اللي بشوفه في حياتي الفترة دي.
ليرد وكأنه قد وجد الفرصة ليسترد حقه منها:

- زي ما نسيتيني زمان، صح؟

لم تتحرك عيناها وهي تنظر له مبتسمة، قائلةً بصدق ودون تردد:

- أنا عمري ما نسيتك أبدًا.

تأمل وجهها المُبتسم وعيناها المشتاقاتان، لتستكمل بصوتٍ اشتاقه هو كثيرًا:

- حاولت، بس معرفتش، كُل مرة كنت بدخل فيها أوضتي علشان أنام، كنت بشوفك قاعد على سريري، مربع وبتبُصلي، فاضطر وقتها إني أنام على الأرض عشان خايفة إنك تكون موجود في سريري فعلًا فأنام عليك من غير ما أقصد، مقدرتش أبطل أشوفك، كنت دايمًا بشوفك جوه فناجين القهوة اللي أنا عمري ما حبيتها أصلًا، وشربتها بس عشان كنت فاكراها بتنسى زي ما معظم الكتب كانت بتقول، تخاريف، مبتنسيش خالص على فكرة، وطعمها مُر كمان.

حاولت أن تسلك طريق الهروب من دموعها في حديثها بالضحك والبعد عن عينه، لكنها لم تستطع فعادت إلى طريقه ثانيةً، مستكملة وهي تتأمل وجهه:

- شوفتك في كُل حاجة، في لبسي، في ريحتي اللي بدأت أحس إنها بتاعتك وإني بكدا بقيت بحط برفيوم رجالي، شوفتك وسط كل الأكل اللي مبحبوش، فبدأت أكله كتير جدًا، شوفتك في عين

كُل شخص فقير فبدأت اديله صدقة، فخدت ثواب عند ربنا، يعني حتَّى وأنت بعيد عني كنت بتخليني أعمل حاجات حلوة، شوفت أنا نسيتك إزاي ؟ ممكن بقى تجاوبني على سؤال كدا قبل ما أعيط دلوقتي حالًا وأنا أصلًا معيطش بقالي كام سنة.

صمتت لبرهة وقد عُلقت الدموع في عينها كالملابس التي تُعلق ظُهرًا لتُجفف من المياه التي تحتضن بها، ثمَّ استكملت مبتسمة:

- أنا امتى هبطل أشوفك؟

الابتسامة والدموع المتماسكة في وجهها تقابل صمته ونظره لها دون رد، أصابعه تمسك قدمه دون شعور منه، ربما تعودت أن تفعل ذلك بمفردها لتعوده على الألم، نظر لها بشغف ثمَّ أخذ أنفاسه قائلًا بانكسارٍ:

- أنا هعمل عملية قريب.

اتسعت عيناها ببطء، ثمَّ زادت الدموع بعيناها دون سقوط وانتقلت بأنظارها إلى الشاب والفتاة الذي قد انتهى شجارهما باحتضان أصابعهما معًا، لقد تصالحا بعد أن كان سيقتان بعضهما، ليستكمل هو دون أن ينظر لها:

- واحتمال كبير العملية متنجحش، وممكن مقدرش أمشي بعدها.

لم تترك فرصةً أخرى للحديث ولسماع شيئًا أخر، حتَّى دفعت يدها نحو يده بسرعة ثمَّ أمسكتها بقوة، ليستعجب هو ما فعلته ناظرًا ليدها مدوهشًا وإلى وجهها الذي لم يعدْ ينظر لشيء سوى

أصابعها التي بدأت تطمئن أصابعه.
ماذا يجري داخل منه؟ ما الذي يمنعه من سحب أصابعه ويده من بين أصابعها مثلما كان يفعل مع (نور)؟
إنه الشعور اللعين بالحنين لما مضى، الشعور بالشغف نحو عودة الذكريات ثانيةً، ها هو يتحكم فيه ويحركه دون مقاومة منه، ها هو العشق يقتل قوته وتكبره التي كانت تظهر دائمًا مع (نور).
ها هو الضعف داخل قلبه، أو القوة بالنسبة له.
- متخافش، كُل حاجة هتبقى كويسة والله، والعملية هتنجح وهترجع تجري تاني، لسه في بطولات كتير محتاجاك، أنا جنبك.
إنها هذه الكلمة العظيمة «أنا جنبك» الكلمة التي تكفي أن تُذيب أطنان هائلة من الحديد الأسود الثقيل علي قلبك، الكلمة التي تُشعرك بالونس رغم كونك وحيدًا يقتلك الظلام، الكلمة التي تخبرك بأنك ما زالت حيًّا، ما زال هناك ما يستعدي أن تسير من أجله، معه، وله، الكلمة التي تكشف عن ابتسامتك الحقيقية فور سماعها، الكلمة التي تجعلك ترى الأمل مُجسدًا أمامك في صورة شخص مثلك، من قال بأن كُل «أنا جنبك» ليست حقيقية؟ من قال أن جميعها مُزيفة وقِيلت من قبل أشخاص مزيفون؟ ما زال هناك العديد من «أنا جنبك» بصورةٍ حقيقية، ما زال هناك كثيرا من النقاء مصحوبًا بهذه الكلمة.
لم تكنْ أصابعه تفعل شيء سوى أنها تُحضن بواسطة أصابعها،

لكنها بدأت تتبادل هذا الاحتواء الذي اشتاقت له بعد هذا الشعور بالاطمئنان والأمل والونس، لتستكمل (أميرة) حديثها، قائلةً بفضول لم تعتاد عليه:

- صادق، مين نور دي؟!!

ارتفعت رأسه فجأة، ثمَّ حدقت عينيه بها بشدة، وانتفضت أصابعه بين يدها

الآن، ملامح وجهه قد تغيرت، الآن لم يعدْ يشعر بذلك الدفئ بين أصابعهما.

لقد صمتا الاثنين، وظلا ينظران لبعضهما.

* * *

- أسف إني عطلتك عن شغلك، بس أنا حسيتك متضايقة وعايزة تتكلمي، فحبيت إننا نتقابل أحسن ما نتكلم شات.

قالها (نادر) رغمًا عنه لشعوره بالسعادة لموافقتها أن تقابله في نفس المكان الذي تقابلا فيه أول مرة، لترد (نور) عليه بصوتٍ بائس يملئه الهواء:

- لا، معطلتنيش ولا حاجة، أنا كدا كدا مروحتش المدرسة اِنهارده.

انعقد حاجبيه ثمَّ رد مستعجبًا:

- طب ليه؟

نظرت له قليلًا ثمَّ قالت ببؤسٍ وابتسامة حزينة:

- اتخانقت مع صادق.

وما أن كادت ابتسامته السعيدة تظهر حتَّى أخفاها بسرعة مصطنعًا الحزن:

- ليه كدا بس؟ كان لازم تتفاهمي معاه براحة يا نور.

اندفعت في وجهه غاضبةً:

- يعني إيه اِهدي! ده ناداني باسمها قبل ما أتكلم معاه في أي حاجة أصلًا، ودي بقى أكتر حد توجع الواحد، إن أكتر حد بتحبه يغلط في اسمك، ساعتها بتحس إنك ولا حاجة بالنسبة له وإنك أقل بكتير من الحجم اللي بتبقى راسمه لنفسك عنده، في الأخر عايزني أصدقه إن كل ده كان ماضي وإن معتش فيه أي حاجة بينهم، مع إني متأكدة إنهم لسه على علاقة ببعض

ظهرت علامات الخوف على وجهه، ثمَّ قال بقلقٍ:

- هو اللي قالك كدا؟

لترد متذكرة أحداثها مع (صادق):

- هو قال كدا من زمان، قال كدا لما فكر إنه يبعدني عنه بحجة إني مش هقدر أستحمل مرضه، لما كان بيعاملني معاملة زفت عشان يكرهني فيه، قال كدا لما غلط في اسمي وقال اسمها، لما شوفته فرحان وبيضحك في صورته معاها، ومكنش في عينه حتَّى ربع الفرحة دي في صورنا سوا، مكنش لسه محتاج يقولها.

تقدم برأسه للأمام ثمَّ أخذ أنفاسه، محاولًا تهدئتها:

- طب مش ممكن فعلًا يكون مش عايز يتعبك معاه وهيرجعلك

تاني لو طلع من عمليته كويس.
زاد غضبها أكثر لتقول بعصبيةٍ:
- وأنا مش هستناه لما يقرر، أنا مش موجودة على حسب مزاجه وراحته، لما متقفش جنب اللي بتحبه وهو مكسور ملهاش لازمة تقف جنبه وهو فرحان، الحُب مش كدا، ده إذا كان عايزني أصلًا وهو كويس.
غيرت نبرة صوتها الحزينة لتكمل بتعجبٍ:
- وبعدين أنت إزاي لسه مش متأكد بعد كل اللي بتعمله أميرة معاك، إيه!! هي كمان تعبانة ومستنية تبقى كويسة عشان ترجعلك؟
نظر لها مستعجبًا، ثمَّ قال بابتسامة حزينة:
- لا اطمني، أميرة مبتحبنيش أصلًا.
لترد بقوة وإصرار على ما تشعر به:
- بدل بقى ما تزعل إنها مبتحبكش، فكر مع نفسك هي ليه بتعمل ده في نفس الوقت اللي صادق بيتعامل معايا فيه كدا، ساعتها هتتأكد.
صمت قليلًا وهو يحدق بعينها مُفكرًا بحديثها ومدى صحته، بينما ظلت هي تنتقل بعينها في الهواء، تتأمل ما يحدث ويدور حولها، محاولةً أن تتجاهل ما تفكر فيه، وتجاهد في نسيان كُل ما له علاقة ب (صادق)، هي تدرك جيدًا أنه من الصعب أن ينسى

الإنسان ذلك الشخص الذي قيده بحُب داخل قلبه، لكنها تدرك أيضًا أنه ليس مستحيلًا أن تُحطم هذه القيود، وسوف تحطمها.
«عارف ليه!! عشان أنت أصلًا مش عايش يا نادر ومش حاسس بالحياة ولا بأي حد حواليك، وطول ما أنت عايش وسط المؤامرة دي، عُمرك ما هتعرف تعيش».
« لكن حتَّى الغلط اأنت مش عارفه تعمله عشان تعمل الصح».
ظل (نادر) ينظر لها مُفكرًا في هذه الأحاديث التي بدأت تراوده بعد ما قالته (نور) له، هل حقًا كان حديث (أميرة) صحيحًا إلى هذه الدرجة؟ هل هو فاشل إلى هذا الحد الذي لا يستطيع أن يفشل فيه؟ هل هو ضعيف لدرجة لا تجعله يستطيع حتَّى أن يُخطأ؟ ولكن كيف يكون ذلك صحيحًا بعد أن ارتكب مع شقيقته خطأ صُنف بعده شيطانًا أسود؟
بدأت عينيه تنتقل في الهواء، تتأمل ما يحدث ويدور حوله، لم يعد ينظر أحدًا إلى الأخر، لم يعد يشعر أحدًا منهما بوجود الأخر أمامه، كل منهما أصبح يفكر، الأسئلة ما زالت تقتله داخل عقله.
ما هذه الحياة التي يعيشها؟ ما هذه الحياة التي ليست حياة في نظره أبدًا؟ ولكن لا، لا بد من التغيير، لا بد وأن يشعر بالحياة حتَّى وإن كان ذلك بطريقة خاطئة، نعم لا بد أن يُخطأ، لا بد أن يغير مسار حياته، لا بد أن يملئ ذلك الثقب العميق داخل منه، ثقب النقص من كُل الأشياء، ثقب الحرمان الذي فرضه عليه بشر

مثله.
-ليس هناك أفضل من أن تُخفي نقصًا داخل منك بنقصٍ أخر في غيرك-
- نور، عندك مانع نسافر دلوقتي؟؟
قالها مُندفعًا دون تفكير، لترد عليه باستعجاب شديد:
- نسافر!! نسافر فين؟
- أي حتة نغير فيها جو ونطلع من الحالة اللي إحنا فيها دي، لحد اِمتى هنفضل ننام كل يوم وإحنا مكسورين والناس اللي كاسرينا عايشين حياتهم عادي؟ مبسوطين وولا في بالهم إحنا حاسين بإيه، ها قولت إيه؟
صمتت قليلاً وهي تنظر له ثمَّ أخذت تفكر فيما قاله، لترد بصوتٍ يريد أن يستريح:
- هنروح فين؟!
ليرد عليها بسرعة وكأنه شعر بالوصول إلى ما يريده:
- إسكندرية، أنا لما بتخنق بروح هناك، بسيبلها نفسي عشان تنسيني وتريحني، أنا متأكد إنك هترتاحي هناك.
حدقت بعينه أكثر ثمَّ قالت بتعجب وتفكير:
- إسكندرية؟!
ارتفع صوت «أنغام» المُسافر في مُسجل السيارة، السيارة تحمل اِثنين في طريقها إلى المدينة الفاضلة، فقد اِتُخذ القرار منذ قليل،

وقت قليل ويصبحا في المدينة الزرقاء الساحرة، المدينة التي تحمل عبئ الجميع دومًا ولا أحد يحمل عبئها، المدينة البحر، المدينة الذكريات الخالدة، إنها الإسكندرية.

لقد قرر الاثنين أن يجربوا النسيان معًا هذه المرة، تاركًا كلًّا منهما حياته ورائه دون التفكير فيها، فقد أخذ التفكير في غيرهما مساحة كبيرة يَجب أن تنتهي، صوت أنغام يرتفع في السيارة ليشاركهما الرحلة، كلماتها تجعل (نور) تشرد بعيداً مفكرةً في كُل حرف تسمعه وتشعر بأنه قد كُتب لها، ظلت تفكر فيما سيحدث بعد ساعات بعد أن تركت نفسها تحيا من جديد، في نفس الوقت الذي قد بدأ فيه (نادر) ينظر للحياة بعين جديدة، عينًا ليست عينه، إنما عين من تجلسه بجانبه.

* * *

أنا عايشة حالة مش عارفة إيه أخرها
مش عايزة حاجة من الدنيا تاني غيرها
عايشة وخلاص مش عارفة إيه هيجرى
ولا عندي أي فكرة بكرة مخبيلنا إيه.

* * *

لم يتوقف عن التحديق لها وهي بجانبه، ابتسامته لا تفارقه كُلما تأملها، لقد نسى الطريق والسفر وهي بجانبه، صورة (أميرة) المُعلقة تتأرجح داخل السيارة دون أن تشغل باله، بينما ظل

يتطاير شعر (نور) بشدة خارج شباك السيارة، لم تكنْ تنظر له ولا لشيء أخر غيره، كانت تنظر فقط لطريقها الجديد وحياتها الجديد، أنفاسها التي بدأت تأخذها دون تعب أو خنقة، ابتسامتها أوشكت أن تُرسم أبديًا طوال حياتها، لقد بدأت تُمحيَ ذكراها بمفردها، الشغف يُنسيها من تكون في هذه اللحظة، الشغف ينسيه ما فعله وما ممر به، الشغف يسرقهما.

* * *

بتكون معايا بنسى اسمي ومكاني
وبقول كفايا لحظة تعيشها عشاني
إحساسي بيك بالعالم واللي فيه.

* * *

هل للإنسان هذه القدرة الكافية على أن يُمحي آلام إنسانًا غيره بهذه السرعة؟ هل للإنسان أن يُسرق راضيًا بهذه السرقة هكذا؟ تشابهت الأحاسيس والمشاعر نفسها داخل كلًّا منهما مثلما تشابهت الآلام من قبل، كُل شيء داخل الأخر كان يطابق نفس الشيء لدى الأخر، الرهبة، مِمَّا هو قادم، النسيان، لما مضى دون أن يُجدي نفعًا، السعادة، تركض بعد أن كانت قعيدة، الشغف، يَكثر إلى حدٍ خلق القشعريرة بالجسد، الجنون، لن يستطيع أحدًا أن يوقفه.

-الخوف مِن جنونِ مَن حُرِمَ-

* * *

خليك معايا م الدنيا حبيبي خدني.
ما أنت حبيبي ومكانك هو حضني.
والعمر إيه ده يا دوب بنعيشه مرة.
ومعاك أنا ببقى حرة مبخافش من السنين.

* * *

لقد أزالت ممحاه سعادتهما أثر الحزن بداخلهما، لم يعدْ هناك سوى بقايا ذكريات ستصبح قديمة بعد قليل، النظرات تكثر منهما، الابتسامات تُرسم، ثقب النقص والحرمان سيردمه الأخر للأخر، قلب كل منهما يريد أن يُجرب، يريد أن يحيا ما لم يعيشه من قبله، التفكير في النتائج يقل، التفكير في الاختيار يزداد بزيادة التحديق، صوت أنغام يداعب مشاعرهما برفق، انتقل الچاكيت الخاص بجسده إلى جسد من عشقتها عينه، اِلتصقت رائحته برائحتها، لقد أصبحت الرائحة واحدة في هذه اللحظة.

دائمًا ما كُنت أقول أن الشغف أشبه بمُخدرٍ يُنسيك ما تتألم منه، ولكن الفرق، أن الشغف لذة تُخدر دون أن تؤذي، الشغف يسبب شغبًا داخليًا رائع، شغبًا تأمل أن تعيشه دومًا.

«شغف شغف شغف شغف، شَغب»

هل يحدث وتذوب الأجساد إن احتضنت ببعضها يومًا؟ أم إنها خرافات لا تحدث؟ في تلك الحالتين، فهذه أصدق خرافة قد

يعيشها الإنسان.
ألقت، جسدها، بين أحضانه، ناسيةً معه، ما ممر، وما، سيمُر.

* * *

خُد مني روحي خُد كل حاجة فيا.
مش عايزة حاجة غير بس اللحظة ديا.
مش فارقة روحي معاك يا حبيبي لفين.

* * *

- يعني إيه سافروا؟! أنت اِتجننت!!
أطلقها (ياقوت) بغضبٍ في وجه (بدير) الجالس في غرفة المكتب ببيت الطبيب، بينما صمت المخرج قليلًا بعدها وهو يزفر دخان سيجارته بوضعية باردة وقدمًا فوق قدم، ليرد بعد ذلك بهدوءٍ تام:
- اهدي شوية يا ياقوت، واقعد عشان نعرف نتكلم.
توالى الهدوء والبرود بصوته في إشعال غضب الطبيب، ليرد بعصبيةٍ:
- اهدى؟ جاي تحكيلي كُل المصايب دي وعايزني أهدى!
تقدم برأسه للأمام وهو ينظر له بابتسامة حادة:
- ومين قال إنها مصايب!! ليه متسميهاش فرص أو حظوظ حلوة عشان الفيلم ينجح
نظر له مستعجبًا ثمَّ قال بابتسامة خفيفة:

- حظوظ أه!! خالد اللي كان بينه وبين الموت خطوتين ويتفحم، ولما طلع منها عايش، طلع وهو معاه كل حاجة تخص الفيلم، اللي طلع هو واحد من أبطاله من غير ما يعرف، وأميرة ورجوعها المُفاجئ لصادق واللي مالوش أي مبررات لحد دلوقتي، ونادر الزفت واللي عمله مع أخته الوحيدة واللي أنا لحد دلوقتي مش قادر أتخيل أنت قدرت تعمل ده بالذات إزاي، لا مش كدا وبس، ده طلع عارف نور كويس أوي وكمان سافروا يغيروا جو مع بعض، وفي الأخر طلعت مراقبهم كلهم من غير ما يكون عندي أي فكرة، ده إيه الحظوظ الحلوة دي يا أخي، أنت لسه متأكد إني المؤلف ولا إيه؟!

أخذ (بدير) أنفاسه وهو يُطفئ سيجارته، ليقول بثقةٍ:

- بص يا ياقوت، أنا عارف كويس أوي إن اللي حصل مش سهل، وإنه ممكن يودي الفيلم في طريق مكناش حابين إننا نمشيه من الأول.

اتسعت عيناه من شدة غضبه، قائلًا بصوتٍ مرتفع:

- يا أخي يحرق الفيلم اللي يخلينا نعمل في الناس كدا، أنت إيه!! لسه مش قادر تفهم أنت عملت فيهم إيه؟

لم يكنْ (بدير) يهتز مِمَّا كان يصدر من (ياقوت) لدرجة وصلت إلى ظهور ابتسامته المجنونة بعد غضب الطبيب، ليقول بهدوءٍ:

- قولي يا ياقوت، أنت كان إيه اللي في دماغك من الأول لما قررنا

نعمل فيلم زي ده؟
صمت (ياقوت) وهو ينظر له دون أن يرد وكأنه لا يفهم ما يقوله، ليستكمل (بدير) موضحًا مع تحريك معالم جسده:
- يعني كنت عايز تقول إيه من كتابتك للفيلم ده؟
حرك الطبيب رقبته ببطء لتسقط عينه في وجهه، قائلًا بصوتٍ هادئ وواثق:
- غرايز الإنسان هي الحاجة الوحيدة اللي قادرة تتحكم فيه بدون أي مقاومة منه.
أظنك بأنك الآن يا «أنت» ستصبح مدركًا وواعيًا لكل شيء، فأنصت جيداً، تفاعل (بدير) مع جملته بسعادة، ثمَّ قال بسرعةٍ:
- حلو، يعني من الأخر، الإنسان عبد لغرايزه وشهواته، جواه حاجة صغيرة قد كدا، أول ما بتنور، بيتبرمج بس على إنه ينفذ أي شعور بيحسه من الحاجة دي، وبعد ما ينفذه، ممكن عادي يتحول لأكبر المعارضين للمشاعر دي، بس بعد ما يشبع غريزته، مش ده اللي تقصده؟؟
ظل ينظر له بشدةٍ دون أن يرد، مُنتظرًا أن يُكمل باقي حديثه، ليستكمل (بدير):
- طب زعلان ليه بقى!! ما هو ده نفس اللي عملناه معاهم بالظبط.
غير وضعيته متقدمًا للأمام على مقعده أمام المكتب، قائلًا

والغضب ما زال على وجهه:
- ده لما يكونوا هما نفسهم حاسين من جواهم إنهم عايزين يعملوا كل ده، مش إحنا اللي نحسسهم بيه فيقوموا يعملوه.
استمر في محاولاته الكثيرة لإقناعه، قائلًا بإحدى معتقداته المجنونة الذي يؤمن بها:
- ومين قال بس إننا هنجبرهم؟ يا ياقوت اِفهم، أنا يادوب بس نورتلهم الحاجة اللي جواهم دي واللي كانت كدا كدا موجودة جواهم من زمان وكان ممكن تنور في أي وقت ده إذا مكنتش نورت قبل كدا، بعد كدا سيبتهم يتصرفوا على حسب ما يحسوا، همنعهم يعني؟
ليرد (ياقوت) مُستحقرًا:
- لدرجة إنك تنورلهم طُرق تأذيهم بالمنظر ده؟
اندفع من مكانه واقفًا ثمَّ اتجه نحو مقعده، قائلًا وهو يقترب منه بسخرية وكأنه مظلومًا كبيرًا:
- والله ما بإيدي، ولو قصدك علي كل اللي حصلهم ده، فأنا والله ماليش أي دخل فيه، معرفش إزاي أميرة قدرت ترجع لصادق بعد كل اللي حصل بينهم، وإزاي فات علينا معرفة نادر ونور بالشكل ده، مكنش بإيدي أي حاجة أعملها وقتها، مكنش ينفع أمنعهم إنهم يسافروا، ساعتها كانوا كُلهم هيكشفونا، واللي عمله مع أخته ده أنا مدخلتش فيه بأي شكل، هو اللي عيل محروم،

هو اللي من جواه حس إنه عايز يعمل ده، لما لقى نفسه بياخد على قفاه من أي واحدة يعرفها.
أخفض صوته مقتربًا، ثمَّ أكمل بهمسٍ وجنون:
- غريزته اللي جواه هي السبب يا ياقوت، الغريزة اللي أول ما بتُقرص، بتعمي على طول
نظر له وكأنه لا يعرف بماذا يرد، ثمَّ قال بعد أن فكر قليلًا:
- وخالد، بردوا ملكش دخل في اللي حصله؟!
صمت قليلًا ثمَّ عاد إلى الوراء متجهًا إلى مكانه الذي كان يجلس فيه، قائلًا هو يعبث بمشعلة السجائر:
- دي الحاجة الوحيدة اللي أنا إدخلت فيها.
اندفع (ياقوت) في وجهه مُستغلًا وجود خطأ له:
- طب ليه؟ استفدت إيه لما راح هناك وشاف كُل حاجة تخص الفيلم؟
ليرد مُصطنعًا الصدق وبعض التردد:
- صدقني مكنتش أعرف إن أوراق الفيلم لسه موجودة عند السينارسيت القديم، وبعدين متزعلش مني يا ياقوت، أنت السبب في كل ده، أنت الي خلتني ألجأ للطريقة دي.
انعقد حاجبيه لعدم فهمه ما يقول، ليستكمل (بدير) حديثه بجرأةٍ:
- قلمك معتش زي الأول يا ياقوت، أنا عارف إنك بعدت فترة كبيرة

عن الكتابة وطبيعي إنها تأثر فيك، بس لو كُنا سكتنا علي ده، كان ممكن يخلي الفيلم اللي الناس كلها مستنياه فيلم كوميدي ومالوش لازمة، لو كُنا اكتفينا بالتفاهات اللي بيعملوها في بيوتهم مكنش ليها لازمة الحكاية من الأول يا ياقوت، كُنا نصور حياة بعض وخلاص بقى.
غير نبرة صوته سريعًا، مُستكملًا بنظراتٍ طيبة:
- وأنت صاحبي، مكنش ينفع أجي أقولك الكلام ده وإحنا في نص الفيلم يعني!! أكيد كنت هتزعل أو هتعتذر عن الفيلم.
هز (ياقوت) رأسه اِستخفافًا، ثمَّ قال وهو يعبث بقلمه دون أن ينظر إلى (بدير):
- عندك حق، فقررت بقى إنك تلعب دور المؤلف وتفضحهم بكتابتك، صح؟
ظهرت بعض علامات الغضب على وجهه، قائلًا باندفاع:
- أفضح مين بس يا ياقوت، وفضيحة إيه اللي بتتكلم عليها دي! الكلمة دي معتش ليها وجود من زمان أوي، قبل ما الناس تقرر إنها تفضح بعض بنفسها من غير ما حد يدخلها في ده، إحنا في القرن الواحد وعشرين، الناس بقت فاضحة نفسها بنفسها يا ياقوت، عايز تفهمني إن لسه فيه حد دلوقتي ميعرفش حاجة عن حياه التاني؟ مُستحيل، والسوشيال ميديا ومواقع التواصل الاجتماعي أكبر دليل على ده، كُل حاجة كانت بتحصل بين أي

اِتنين في السر بقت مُباحة قدامك وممكن تعملها شير عادي جدًا، أي حاجة تخطر على بالك مهما كان حجم خصوصيتها بالنسبالك بقى سهل الكُل يشوفها ويعرف إنك حاسس بيها، بقى سهل تقول أنا إتسابت بقى سهل تقول أنا مجروح بقى سهل تقول أنا بفكر في الانتحار من غير ما تخاف من هجوم تتار من البشر عليك، لإننا بقينا مُدركين جدًا إننا أقوى كائنات تتمنى الموت وأضعف كائنات تواجهه، كُل الأمور اللي كانت تخوف أي حد لما يتكلم فيها، بقت سهلة أوي، إحنا بقينا بنربي عيالنا على وجود الموبايلات في حياتهم يا ياقوت، صدقني، إحنا مش محتاجين كاميرات مراقبة أو تخطيط عشان نعرف حياتهم، لإن أنا وأنت وكُل الناس بقينا عارفين عن غيرنا أكتر من اللي نعرفه عن نفسنا، عارف أنت بقى إيه هي المشكلة في كُل ده؟ إن الناس معدتش واخدة بالها إنها بتفضح نفسها، من الأخر كدا، الفضايح مبقتش فضايح بالنسبالنا، تيجي أنت بقى وتقولي بتفضحهم!

ظل (ياقوت) يحدق في وجهه مُنصتًا لكل حرف يقوله ومُندهشًا من إقتناعه التام به، ليستكمل استماعه له:

- لا يا ياقوت، أنا مش بفضحهم لإنهم مش محتاجيني عشان أعمل ده، أنا بفيد غيرهم بيهم، لما كُل الناس تشوف حياة سِت بني أدمين زيهم من غير مونتاج أو حذف، ساعتها مُمكن يتحركوا ويتعظوا شوية، ساعتها مُمكن نشوف بني أدمين بجد، أمال إحنا

ليه مختارين الستة دول من الأول، عشان أنت عارف كويس أوي إنهم محققين تارجت هائل في حياتهم السودة، وبعدين هو مش أرسطو بيقول إن لكل إنسان نقط ضعف بتؤدي لانحداره، يعني غرايزه بردوا هي السبب، وإن هما اللي كدا أصلًا من الأول.
أخذ (ياقوت) أنفاسه معتدلًا ليقول دون أن يُفكر:
- بردوا مُصر تبعد إيدك وتطلعهم هما اللي اِختاروا اللي بقوا فيه بمزاجهم، ماشي، بما إنك بقيت كاتب وفيلسوف بالمنظر ده بقى، يبقى حلال عليك تأليف وإخراج.
وما أن كاد (بدير) يُشعل سيجارته الثانية حتَّى توقفت أصابعه وجُمدت مِمَّا سمعه، قائلًا بوجه حاد دون حركة:
- قصدك إيه؟!!
رد بصوتٍ مُستريح وكأنه يحاول أن يكون باردًا:
- قصدي إنك زي ما قولت من شوية، يا هزعل، يا هعتذر عن الفيلم، وأنا مش هقبل إني أهد حيطان ست بيوت وأخلي الدنيا كُلها تتفرج على اللي بيحصل وراها، وفي الأخر أرضي ضميري بشوية التخاريف اللي أنت عمال تقولهالي دي.
عاد بظهره إلى الوراء قائلًا باستعجاب:
- بس ده مكنش اتفاقنا من الأول يا ياقوت!
وقف غاضبًا ثمَّ اتجه نحوه وهو يُلقي كلماته بحدةٍ:
- هو فعلًا مكنش اتفاقنا، عشان لو كان اتفاقنا من الأول عُمري

ما كنت هوافق عليه، وأنت كمان لازم تعتذر وتبطل الجنون اللي أنت عايز تعمله ده، لأن ساعتها مش هيتقال عليك مبدع، ساعتها مش هتتشاف غير واحد مختل ومجنون.
أشعل سيجارته وهو ينظر له من بين النيران، ثمَّ وقف بهدوء وثقة، قائلًا وكأنه قد تحول إلى فيلسوفًا:
- وهو إيه في الدنيا مُش مختل وطبيعي يا دكتور؟ ذنبي إيه إن كُل قلب فيهم معندوش اِستعداد يشيل إنسان واحد بس، ذنبي إيه إن كُل واحد فيهم مش مُكتفي باللي بيحبه، ده إذا كان بيحبه، وحتَّى لو كانوا كُلهم مُكتفيين باللي بيحبوهم، فده مينمعش إن البني أدم خاين مهما قدرت تثبت حجم إخلاصه، غريزته أكدت ده يا ياقوت، واللي بيحصل مع أبطالنا دليل علي ده وأنت عارف،عمومًا، أنا هعمل نفسي مسمعتش كلامك، وهستناك تبعتلي باقي المشاهد بكره.
- يبقى هتستنى عُمرك كله يا بدير، عشان مفيش أي حاجة هتوصلك مني بعد كدا، وأهي فرصتك عشان تخلع من مؤلف قلمه ضعيف.
وما أن تحرك (بدير) نحو الباب للمغادرة حتَّى أوقفته كلمات (ياقوت) الغاضبة.
اِلتف جسد (بدير) ببطء ثمَّ اقترب منه بعد أن أقذف خيمة دخانه، قائلًا بصوت بارد:

- ياريت كان ينفع يا ياقوت، بس أنا مش متمسك بيك عشان قلمك، أنا متمسك بيك عشان اِسمك على بوستر الفيلم، ليه جمهوره، وأنت عارفني، بحب كراسي السينمات كلها مليانة، وبزعل أوي، لما أشوف كرسي واحد فاضي، عن إذنك.
ضاقت ملامح الطبيب من الغضب، ثمَّ لم يكد أن يرد بغضبه المعتاد حتَّى قاطعه المخرج بقوة، قائلًا بثقة:
- صحيح، متتأخرش عليا في المشاهد، يإما فيديوهات باقي الأبطال هتكون قدام مكاتبهم في شركتك اللي كدا وكدا، وانت لسه مش عارف هتعمل إيه مع خالد اللي عرف إنك بتصوره صوت وصورة، أه ، مش كدا وبس، اِحتمال لو إتاخرت، تلاقي جُثة خالد ملفوفة في بوكس شيك قدام باب البيت، أنت محتاج حاجة تحمسك للكتابة شوية اليومين دول، وأظن إن المدام متحبش تشوف حاجة زي دي، ده مش زوقها بردوا، ليلك سعيد يا دوك.
ابتعدت (قوت) عن باب المكتب بعد أن علمت بقدوم (بدير) وبعد أن أنهت وظيفتها في الاستماع لكل شيء دار بينهما، بينما قد اتسعت عين الطبيب وانعقدا حاجبيه لما سمعه منذ قليل، سائرًا بعض الخطوات التي لم يشعر بها نحو مقعده، غرفة المكتب تلتف من حوله ككرة البولينج التي تسير لتصطدم فقط، الأمور التائهة في رأسه أصبحت عديدة وبات من الصعب إيجاد حل لها.
في النهاية سقط جسده على المقعد رغمًا عنه.

ثمَّ أخذ يُفكر فيما قاله الرجل الذي تحول فجأة إلى شخصًا لا يعرفه.

* * *

- أشرقت الشمس.

وُضعت (ورد) على فراشٍ سماوي يشبه ردائها التي ألبسوها إياها اِستعدادًا للعملية.

الفراش السماوي يسير بها فوق السرير المُتحرك وعجلات الأقدام المعدنية، لقد ترك الخوف البشرية كُلها وجاء الآن ليجلس فوق وجهها بثقةٍ.

اِحتضنت دمعةً طويلة بخدها الأيمن لم تطل اِحتضانها به طويلًا، فقد أزالتها أصابعه الضخمة التي أخرجت ابتسامتها بعد لمس وجهها.

لقد عاد وجهها إلى ضيائه سريعًا فور اللمس، أمسكت كفه الضخم بيدها الوردية حتَّى لا يهرب عن وجهها.

هي تدرك جيدًا أن الاطمئنان الحقيقي يُولد هُنا، في أحضان كفه الذي يحوي وجهها بأصابعه.

المصابيح فوقها تبتسم لها وتخبرها ألا تخف، ولكن لا جدوى، فخوفها كان أكبر، كانت دائمًا تطمئن المرضى الخائفين بأن الأمور ستسير سريعًا وسيمر الوقت دون أن يشعر أحدهم أنه كان هناك عمليةً من الأساس وأنه لا داعي لكُل هذا الخوف في أعينهم،

كانت تطمئنهم بوجودها جانبهم داخل غرفة العمليات، هي الآن تطمئن بوجود زوجها في هذه اللحظة
ولكن ماذا عن الداخل! من سيكون برفقتها؟
لم تكنْ تُدرك حقيقة خوف المرضى إلَّا عندما جربته الآن، وهذا ما ينقص جميع البشر.
-يقللون من الأشياء إلَّا أن يجربونها ويمرون بها-
يَنقصهم وَعيهم.
الآن ستدخل هذه الغرفة نائمةً على فراشٍ للمرة الأولة بعد أن كانت دائمًا هي من تضع هذا الفراش لغيرها.
ثَبت (خالد) نظارته الطبية ثمَّ اِبتسم ببعض القلق وهو ينحني بوجهه مُقتربًا منها، ثمَّ قال بابتسامة وهمس:
- مَتخافيش.
لقد هاجر الخوف من وجهها بعد سماعها لهذه الكلمة، ولم يعد يشغلها أمرًا سوى أن تخرج من هذه الغرفة ويخبرونها بأن الأمر أصبح سهلًا، ويستطيعان الآن يكونا بينهما طفلًا صغير
فهي لا تريده حزينًا.
وفي نفس الوقت تريد أن تصبح أم.
* * *

في نفس المَشفى.
السرير المُتحرك يُسير به بشدة وكأنه يُركض في سباق مئة مترًا

مثلما كان يفعل النائم فوقه.
حاول (صادق) تحمل الآلم القاتل في جسده بكل ما يستطيع.
أوشك فمه أن يفقد قدرته على الحديث نتيجة المُخدر الذي أعطوه له منذ دقائق، ربما هذا أفضل ما صنعه الطب للبشر، وهو أنك لا تُشعر بالألم كاملًا.
صوت العجلات المتحركة أسفل أقدام السرير هي المسموعة في هذه اللحظة، توالت مصابيح السقف البيضاء في النظر له بعد كُل عشرة أمتار يسيرها الفراش به، عيناه تُغلق وتُفتح كُل ثوان من أثر المُخدر، دقائق قليلة وتُغلق تمامًا، سيتم العبث بجسده دون أن يُشعر به، الأدوات المعدنية ستحضنه دون أن يتألم بشيء.
صوت العجلات ما زال يرن في أذنه، لقد جعله الأمر يتذكر صوت أقدامه الراكضة، أصوات المُشجعين بدأت تسانده في هذه اللحظة، لقد اِشتاق لسماع الهاتف باسمه.
والآن، ابتسامته الخفيفة.
ما زال للإنسان حق الابتسامة أثناء صراعاته، ما زال له نفس الحق وهو داخل رحم المرض، ولكن هل سيخرجه هذا المرض من رحمه اليوم؟ أم سيظل كما هو طوال حياته، جنينًا داخل منه؟
- مَتخافش.
الآن قد شَعر بأن الأمور كُلها أصبحت على ما يرام بعد كلمتها هذه، ما زالت (أميرة) تمتلك القدرة على إطفاء زِر الظلام فوق

جدرانه بالداخل، ما زالت قادرةً على أن تُحييه من هذا الموت الذي يعيش فيه.
الآن لم يعد يتمنى شيئًا سوى الخروج من هذه الغرفة بدون هذا المرض السعيد بالالتصاق به، الآن لم يعد يأمل سوى أن يترك المرض بالداخل ويخرج هو بمفرده.
ليستطيع فقط أن يُشعر بهذه الحياة التي تُشعره هي بها.
الطريق إلي غُرف العمليات تَقل مسافته، السرائر المتحركة ستسكن بعد لحظات، ستختفي المصابيح العديدة بالخارج ويبقى فقط مصباح الغُرفة الوحيد، لن يعد للعجلات صوتًا بعد هذا السكون.
سيفترق النصفين عن أنصافهما.
اِثنين بالداخل لا يشغلهما سير الحياة بالخارج، واثنين بالخارج يقتلهما انتظار خروج من بالداخل.
أوشكت الطُرقة التي تنقلهم إلى غرُف العمليات على الانتهاء، السريرين أصبحا يسيران في نفس الطرقة.
«هل يتقابل المرض والألم وجهًا لوجه؟».
دموع (ورد) تتساقط كُلما اقتربت من غُرفة العمليات، أصابع (خالد) الضخمة تُزيل دموعها الوردية، لم يتمنَ في هذه اللحظة سوى أن يفقد بصره تمامًا حتَّى لا يرى الشخص الوحيد الذي عاش من أجله بهذا السوء، ربما لذلك قد عِشق ضَعف بصره في هذا الوقت.

«ما أسوء أن تتمنى أملًا لم تتمنَ يومًا سوى أن يتركك، ذلك بعد أن أدركت بأنه قد أصبح أملًا مُريحًا».
ما زال الألم يحتضن بعظام (صادق) بقوة، ومازال هو يُشعر بأن عظامه تتفتت متحولةً إلى حبات من الرمل الأصفر الساخن، عيناه أوشكت على رؤية الظلام فقط، فلم يعد يشعر بأصابع (أميرة) ولمستها، لم يعدْ يستطيع رؤية ملامح وجهها بوضوح .
وجهها الذي زاره القلق والخوف لرؤيته متألمًا هكذا، لم تكنْ تتمنى أن تعود له في هذا الحالة التي تؤلمها قبل أن تؤلمه، لكنها أدركت الآن بأنه قد كُتب عليها أن تمر وتشعر بهذا الألم معه، وبأن الهروب من البداية.
لم يُجدِ نفعًا.
المُخدر بأجسادهما سيخلق الظلام في عينهما الآن، لن يعد يشعر النائم بالواقف، الخطوات تَقل، السريران يقتربان من بعضهما، الخوف والقلق هو المرسوم على أوجه السائرين، الدموع الوردية، أصوات المشجعين، الأقدام المعدنية ذات العجلات، النظارة الطبية، الركض والسباق، السريران يقتربان، كفه الضخم، أصابعها التي لم يعدْ يشعر بها، أصابعه تُزيل دموعها، كفه يحتضن بخدها، عيناه تُغلق وتُفتح، المصابيح كُل عشرة أمتار.
وبسيرٍ أبطء من سير السلحفاه، يمران بجانب بعضهما.
إنها لحظة مقابلة المرض بالألم.

والآن، تَفرق الأنصاف، وسَكنت السرائر بعد توقف صوت العجلات داخل الغُرفتين.

- Cut

قالها بصوتٍ مُنخفض في سعادةٍ تامة، مُشيرًا لطاقم التصوير بالمغادرة، بينما اتجه هو نحو ركن الانتظار الخاص بغرف العمليات، خطوات قليلة تفصله علي المرور بين (أميرة) و(خالد)

أخبرني يا -أنت- هل يوجد أمتع من أن تسير أمام أشخاصًا تعرف تكوينهم الجيني دون أن يعرف أحدهم ماذا يكون اسمك ؟

ربما تشعر بهذه المُتعة عندما تمر بها يومًا ما، وقتها، أنصحك أن تبتسم كثيرًا.

-ابتسم لأنك تعلم، وهم لا يعلمون-

خطوات قليلة تفصله علي المرور بينهما، خطوات أقدامه واثقةً دون اِهتزاز، لا تردد ولا قلق ولا خوف، بل ثقةٍ وثباتًا وقوة هائلة.

ماذا!! ماذا سيفعل!! بل ماذا فعل حقًا!! ما هذا الجنون!

أخرج علبة سجائره المعدنية التي اِرتدت اللون الأسود، ثمَّ حمل بين أصابعه سيجارةً منها ووضعها بين شفتيه.

وماذا!! لقد أشعلها!

في المشفى!!

كيف؟!

وكيف سيمر بينهما وهو على علمٍ تام بأن (خالد) يعرفه جيدًا،

بل ربما يَحفظه، لقد رأى صورته على شاشة التلفاز قبل اِشتعال منزل المتوفي، وعرف اِسمه وتأكد منه من خلال الأوراق التي تركها له في المنزل يوم الاشتعال.

هل جُن؟

ولكنها المغامرة، هو يعشقها.

اقترب منهما كثيرًا، ثوانٍ ويمر بينهما.

اتسعت عين (أميرة) مستعجبة لرائحة السجائر التي تتجه نحوها، ثمَّ نظرت باستحقَّار لما يفعله صاحب البذلة السوداء القاتمة والنظارة البُنية التي تُظهر ظلال عينه.

رائحة الدخان قد وصلت إلى أنف (خالد)، اهتز جسده قليلًا مُستعجبًا لوجود من يُدخن في المستشفى وفي طابق العمليات بالأخص!

وما أن كاد يرفع رأسه لرؤية الفاعل حتَّى احتضنت نظارته بالأرض.

«أحيانًا يُخبرك الحظ بأنك لو جمعت كُل بطاقات اليانصيب لضمان الفوز بالمسابقة، فإنك لن تفوز أيضًا، ربما يسقط بعض الوقود من طفلٍ يحمله على بطاقاتك التي تُخبئها أنت ثمَّ يُلقى بعد ذلك أحد مشعلي السجائر بلفافته عليها بعد أن ترك كُل الشوارع ليرميها على هذه البطاقات التي تُخبئها أنت جيدًا، أو ربما تُؤجل المسابقة من الأساس، أو يسرق أحدًا المكافأة عندما تفوز».

-في النهاية لن تَرى نفسك سوى كائن فَقري-
ظل (خالد) يُحدق له محاولًا أن يراه لكنه لم يستطع، فكالعادة رأهُ أمواجًا تتحرك ببطء دون وضوح، بينما استمرت نظرات (أميرة) الحادة نحو ذلك الرجل الذي مر أمامها دون أن يلتفت لهما، وما أن ارتدى (خالد) نظارته حتَّى أصبح الرجل في عينه علي بُعد عشرة أمتار منه.
تجاهل كُلاً منهما إياها مُفكرًا في نصفه الآخر، بينما استمر ذلك الرجل في السير مُبتسمًا داخل طُرقات المَشفى، يترك عواصفه الدُخانية أثرًا باقيًا منه في الُطرقات، لقد انفردت الُطرقة به وكأنها قصدت أن تُفرغها له فقط، خطواته الواثقة تُشعر جدران المَشفى بالغيظ، الحِدة بعينه تَظهر بوضوح رغم اِرتداءه هذه النظارة، ربما لو جُسد الخوف أمامه الآن لركض هاربًا أو انحنى مُقبلًا قدميه، سعادته المُفرطة تظهر على وجهه نتيجة آخر ما تم تصويره في هذا المشفى وفي هذا الطابق الذي فَرغه تمامًا من أجل التصوير.
لم يترك فرصة لعقله يُفكر فيما سيحدث خلف غُرف العمليات وراءه، لم يقلق بشأن أبطاله بالداخل، ولم يُخمن حتَّى ما سيحل بأبطاله الذين ينتظرونهم بالخارج.
ففي أي حالة، سيفيده ما سيحدث.
وسيستغله جيدًا.

هكذا كان «بدير السيد».

* * *

ارتطمت أمواج البحر بأجسادهما لتزداد حبات الجنون داخلهم، وابتلت ثيابهم ببعض من قطرات الماء وبعض من قطرات العِشق، تناسي كلًا منهما قواعده وشروطه عن الحياة وبدأ يخلق قواعد جديدة، قواعد بلا قواعد، اِحتضنت أصابعهما ببعضهما ليجربان هذا الشعور من اللمس وما بعده من فِرط النشوة والمشاعر، لقد طرد البحر كُل زائرينه وتكرهما.

ربما أشعلت الشمس الرمال للجميع ثمَّ بَردت لهما بعد أن غادر الناس جميعًا.

كيف لها أن تغرق الآن في بحرين مُختلفين في آن واحد، بحر الشاطئ وبحر أحضانه الذي أنساها العوم؟

أقدامهما لم تكف عن السير والتقدم داخل ماء البحر، لقد تقدما كثيرًا إلَّا أن أصبحا لا يسمعان أصوات المدينة بالخارج، الآن فقط هو صوت اِرتطام البحر بهما، قدماها تقذف الماء في وجهه بضحكاتٍ مُرتفعة منها، حاول لمراتٍ أن يتجنب هذا الاصطدام بوجهه ولكن لا حل لاصطدام الحُب.

ضحكاتها ترتفع لتفوق ارتفاع الأمواج العالية، ضحكاتها تُجمده.

«هل يُحدث وتفقد القدرة على السير والنُطق بسبب الوقوع في حُب أحدهم؟».

لقد أذباته ضحكاتها بعدما جُمد منذ قليل، لقد أصبح لها القدرة الكاملة على تشكيله وفَكه في لحظات، وفي ثوانٍ قليلة هدأت ضحكاتها وهي تنظر له باستعجاب، قائلةً بتأمل وجهه:

- هتفضل مستغربني كدا كتير؟!

لم يترك عقله يعيده انتباهه، ليقول شاردًا في عيناها:

- أنا مش مَستغربك، أنا بس مش مصدق.

انعقد حاجبي (نور) ثمَّ اقتربت قائلةً بتعجبٍ:

- مش مصدق إيه!!

تجاهل إرتطام الأمواج بهما وعلوها فوق أجسادهم، قائلًا بشرود يزداد:

- مش مَصدق إن العِشق ممكن ييجي قبل الحُب.

ابتسمت له ولمعت عيناها بوجوده داخل حدقتها، قائلةً بثقة:

- ومين قال إني حبيتك؟

رد بالصمت ثمَّ تغيرت ملامح وجهه إلى التعجب والخوف، لتستكمل ضاحكة بهدوء وصوت مُنخفض:

- أنا لاقيتني فيك.

عاد الاطمئنان إلى وجه (نادر) وظهرت أسنانه، بينما لم تعطيه هي فرصةً للتكلم، لتعود لرفع الماء بقدمها في وجهه، الاصطدام ما زال قائمًا به، ومحاولات التَجنب والدفاع عنه وجهه.

باتت جميعها بالفشل.

مرت ساعة على عودتهما إلى الشاليه الذي أحضرها (نادر) إليه، أمواج البحر أمامه ما زالت ترتفع بقوة، لم يعلم حينها هل هذا ترحيب حافل بهما، أم هو غضب شديد لن يهدئ إلا برحيلهما.
وقف (نادر) أمام المشواه واضعًا قطع من السمك فوق النيران، أخذ يتجنب ويضرب الدُخان المُرتفع بيده وهو يُنهي إعداد الطعام.
ما زال عقله يداعبه رغم هذه المسافة التي قطعها للحصول على النسيان.
«هل يصبح السفر حلًا جيدًا لنسيان شيئًا لا يُمحى؟».
عقله يذكره بما يتمنى أن ينساه أو يسقط منه.
ما هذا الرجاء بمحو شيء قد عاش يتمناه «أميرة»؟
وما هذا التمنى ببقاء شيء لم يَعرفه إلا من ساعات «نور»؟
صورة (أميرة) أمامه على البحر تُهينه وتحدثه بأسوء الأساليب، صورتها كانت تملئ الأمواج الغاضبة بوضوح، بينما هدأت هذه الأمواج سريعًا عندما جَسدت عيناه صورة (نور).
لقد صَمت البحر!! أين صوت الأمواج؟ ما هذا الهدوء والسكينة الذي أصبح يشعر بهما في عينها؟ ولكن ما أسوء رائحة السمك التي أعادته إلى انتباهه بعد أن كاد يَحفظ ملامح وجهها، ما زال الُدخان يداعب وجهه في محاولةٍ للسكون داخل أنفه، ما زالت يده تضرب الدخان في محاولةٍ للتجنب.

بدأ يُنادي على (نور) للخروج حيث الطعام، ظَلت محاولته في النداء تتابع واحدة تِلو الأخرى، ولكن لا استجابة ولا رَد.
ارتبك داخله واهتزت عينه في خوف، هدَأ من قوة النيران قليلًا واتجه بسرعة داخل الشاليه ليتفقد حالتها، فتح الباب مَناديًا «نُور» ثمَّ لا رَد ثانيةً، ولكن.
ما هذا؟! لقد أجاب شخصًا أخر!
لا تقلق يا -أنت- إنه صوت مَسار إجباري في مُشغل المُوسيقى.
ما هذا الذي تفعله؟ وأين هي؟!
هل اكتفت بتشغيل هذه الأغنية الهادئة «أنا هويت» وأخذت لا تَرد على ندائه، بالتأكيد ليست في المَطبخ لأنه لا يوجد طعام بالداخل وهو نفسه يَعده بالخارج، وليست هناك تتأمل البحر وغروب الشمس لأن الشُرفة فارغة، أين هي إذن؟!
لم يترك عينه تبحث كثيرًا حتَّى انتقل بأنظاره سريعًا نحو غُرفة مفتوحةً على اليسار، لم يخرج منها شيئًا سوى نورًا أزرق قاتم، لم يكن سماويًّا حتَّى يُدرك أنه قادم من السماء أو البحر بالخارج، لذا قد أدرك بأنه نورًا من المِصباح.
تقدم خطواتٍ قليلة ببطء.
عينه ما زالت تُحدق نحو الغرفة والنور الأزرق.
لم يُحب صوت «مسار إجباري» الهادئ في هذا الوقت الذي يشعر فيه بالقلق.

*   *   *

أنا هويـــت وانتهيـــت

وليــه بـقى، لـوم العـــــذول.

*   *   *

هَوى قلبه على الأرض بينما ظل جسده واقفًا مكانه، مُحدقًا لها بعينين مُرتبكتين بعد هذا الوضع الذي رأهُ فيها، لقد كانت نائمةً على الفراش.

بملابسٍ سوداء شبه عارية.

وفجأة.

أشارت له بإصبعٍ واحد منها حتَّى يَتقدم نحوها.

هل هذا حقيقي؟ أم إنه يحلم؟!

فتاة أمامه بإرداتها لأول مرة!!

فتاة تريده!

بدأ في التَقدم.

*   *   *

يحب إني أقـــول ياريت

الحـــب ده عني يــــزول

ما دُمت أنا بهجره ارتضيت.

*   *   *

تقدمَ خطوتين وهو يزيل نِصف ثيابه العلوية من فوق جسده،

قدميه لم تَكنْ ثابتاتان بالقدر الذي كان عليه في تلك الليلة أمام شقيقته، لكنه شيئًا لا يُدعي للدهشة.
فالإجبار سهل أما المُتاح مُربك.
وصل إلى الفراش تائهًا ثمَّ اقتربت منه ليتوه أكثر، عيناها ستسقط في عينه الآن، لم يعد هناك مَنفذًا لخروج أنفاسهم سوا وجههما، جسدها النِحيف يلمع في عينه كبريق الذهب.
عيناها الجريئتان أذابته قبل أن يذوب بعد قليل.
اقتربت منه أكثر وهي تَلفُ قماشةٍ حمراء حول رقبته، أعجبه جنونها الذي أحبه دومًا في الفتايات الذي عاش يتمنى لماساتهم.
لَمستُها أرسلت بعض الأمواج الكهربائية داخل جسده، تقدمت بوجهها منه مُقتربة، قائلةً بهدوء وصوتٍ ناعم سَرقهُ:
- شَويت السمك؟!
صمت لثوان وهو يَغرق بين جسدها متأملًا عيناها، ثمَّ قال وهو يَدفعها أمامه على الفراش:
- هشوية دلوقتي.

* * *

خَلِي بقى
اللي يقول يقول.

* * *

اقترب برأسه من رأسها، جسده أصبح يعلوها بمسافةٍ لا تُصنف

مسافةً، لقد عَشق دومًا أن يجرب هذا الوضع برؤية الفريسة تحته، رائحتها كافيةً أن تُرسله إلى عالمٍ أزرق لا يوجد به سِواهم. يُفترض على صانعي العطور أن يحصلوا على موادهم الخام من رائحتها.

لقد أسكرته رائحتها قبل التذوق، تبادلا القُبلات الهادئة ثمَّ القبلات الجائعة، رأسه تسير على وجهها ثمَّ تهبط قليلًا بالأسفل، شَفتيه ترسم باللون الأزرق على رقبتها، أمسكت شَعره بشدة حتَّى يَرسم بشدة، لقد بدأ يشعر بأنفاسها حول أذنيه، قشعريرة الربكة تزول، وتُولد قشعريرة الشَغف، لقد بدأت تتوه معه في أحضانه، اللون الأزرق بالغرفة سببًا كافيًا لزيادة قطرات العَرق فوق وجههما، السمك بالخارج فوق النيران لا يشغل بال أحدٍ، السمك أوشك على الاشتعال، ما تبقى من ملابسه يُقذف على الأرض، ما كانت ترتديه اِحتضن بملابسه التي أُلقيت.

كُل شيء أصبح في حالة اِحتواء في هذه اللحظة، الثياب تحتضن بالثياب، والأجساد في الفراش أيضًا، الأجساد أصبحت على حقيقتها الآن.

-الأجساد لا ترتدي سوى الأجساد-

عاد بظهره إلى الوراء قليلًا، ثمَّ شَدها نحوه بعنف حتَّى التفتت بقدماها حول جسده.

والآن.

تقابلا وجهًا لوجه.
أمواج البحر ما زالت تندفع بقوة، لقد أوشكت على أن تقتحم الشالية بالكامل وتدخل غرفتهم،
ما هذا الترحيب الغريب؟!
الموسيقى في أغنية «أنا هويت» تُناسب الوضع جيدًا، السمك يشتعل، ما زالت النيران تداعب جسده بقوة، النيران بالطعام والنيران بالأجساد.
الوقت يَمر والحُب يَمر.
لقد اِنتصرت غريزتهما عليهما.
لم يَشغله تأوهاتها الكثيرة وصرخاتها بين أحضانه، لم يَشغله سوى هذه اللحظة التي عَشق أن يعيشها، أجسادهما تتحرك وتُحرك الفراش إلى أن سَقط، لم يتوقف السَرير عن الاهتزاز معهما حتَّى الآن، جسدها ينتفض من شراسة الهجوم عليه، عيناها تضيق من فرط الألم الذي عَشقته منه.
عيناه تُذيبها.
اختلط العرق بالعرق فأنجبا رائحة أفقدتهما وعيهما، جسدها المموج يقتله غيظًا، أوشكت أصابعه أن تقتلع شعرها الناعم من شدة تمسكه به.
القماشة الحمراء بمثابة مشنقةً يَشدها بقوة حول رقبتها البيضاء التي لُونت بالأزرق

قُلت لك من قبل يا «أنت».

-الخوف مِن جنونِ مَن حُرِمَ-

لم يفعل ما يشعر به بقدر ما فَعل ما كانت تطلب منه أن يفعل، لقد ظلت تملئ ذلك النقص داخلها، وداخله.

لقد أوشكت غريزتهما أن تُشبع، وأوشك الحرمان أن يهنأ من عطشه بعد سنوات الظمأ الكثيرة.

الأمواج تندفع بقوة، الأمواج تندفع بعنفٍ شديد، اِحترق جسد السمك بالكامل، والدُخان الآن يبكي من شدة حُزنه عليه، النيران تبتسم بحدة لما حل بالسمك فوقها، النيران تنفست تأوهات السمك بما يكفي.

الأمواج هدأت.

والنيران.

انطفأت بعد ساعاتٍ من الاشتعال.

لقد غَرُبت الشَمس.

* * *

أنا وحبيبي في الغـرام
مافيش كده ولا في المنام
أحبه حتَّى فى الخصام
وبعـده عني يا ناس حرام.

* * *

أتعرف يا -أنت- دائمًا ما كُنت أشعر بالوقاحة نحو الطبيب والمخرج كُلما تقدم موعد صدور هذا الفيلم، أيامًا قليلة وستصبح حياة بعض الأفراد متاحةً للجميع، أيامًا قليلة وسيحدق الجميع بهم، سيرون كُل ما كانوا يعيشونه هؤلاء الستة، شِجارهم وسعادتهم، لحظاتهم الضعيفة التي لم يعرف عنها أحدًا، لحظاتهم القوية، حُزنهم وقطرات أعينهم، أحلامهم، اِنحدارهم.

حقيقتهم التي يخبئونها عن أنفسهم.

لحظات حُبهم!!

كُل شيء سَيُرى، وبمساعدة هذه الكاميرات الصغيرة.

التي إنتشر القليل منها في هذه الغُرفة،

-غُرفة اللون الأزرق-

وستعرف فيما بعد.

كيف استطاعت الكاميرات أن تأتي ورائهما.

-ابتسامة لك-

* * *

استلقى الاثنين على الفراش بجانب بعضهما بعدما بَردت أجسادهما قليلًا، نام (نادر) على ظهره ناظرًا إلى المصباح الأزرق إلى سقف الغُرفة أو.

-إلى الكاميرا الزرقاء-

لقد نَسي (نور) بين أحضانه في هذه اللحظة بسبب هذا اللعين

«عقله».
لقد عاد يُذكره ثانيةً، ويرسم له صورة «أميرة» في كُل مكان، ويوضح له كم أصبح سيئًا إلى هذه الدرجة.
لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:
نعم، عَقلي مُحق.
ما الذي أصبحت أرتكبه من ذنبٍ كُل يوم؟ ولماذا أشعر بالخطيئة فقط بعد القيام بها؟
لماذا لا أشعر بها قبل ان أفعلها؟ وكيف أصبحت قُدرتي على التحكم بما أشعر به باردةً إلى هذا الحد؟ هل سأتحول وأصبح شيطانًا لا يدري بما يفعله إلا بعد فعله؟
اللعنة عليك يا من تُوسوس لي.
ولكن ما ذنبه!!
هو لا يُجبرني، هو فقط يحثني على السير في طريقٍ سيئ، وعليّ أنا أن أختار.
إنه يشبه تمامًا لصديقٍ سيئ يُكرر عليك كُل يوم أن تَذوب بين المواد المُخدرة وتجرب مُتعتها
إما أن تتجنب وإما أن يكون داخلك ضعيفًا، وتنفذ.
وتُسلم نفسك للهلاك.
- نادر!!
قالتها (نور) بين أحضانه مُستعجبةً شروده، ليرد بابتسامة خفيفة:

- إيه يا حبيبتي؟
سمعت كلمته فابتسمت وقالت بسعادة وطريقة طفولية:
- بحبك يا أكتر مَخلوق بيسرح في البشرية.
ابتسم ببرود، ثمَّ قال وهو يَمد يده لإحضار علبة سجائره:
- وأنا كمان.
«إذا أمتلك من لم يكنْ يملك، يَظهر القَرف»
انعقد حاجبيها لابتعاد ذراعيه عنها وخروجها من أحضانه، ثمَّ عاد لشروده ثانيةً وهو يُزفر عواصفه الدُخانية، بينما غيرت هي وضعيتها مُستندة بظهرها على السرير والفراش يُغطي جسدها العاري.
الاثنين الآن بنفس الوضعية في شرود.
أخذت تَشرد بعيدًا مُفكرة فيما تسير فيه بعد أن كانت قد فقدت قدرتها على التفكير والتذكير منذ أن أتت إلى هُنا.
صورة «صادق» تُحدق لها بنظراتٍ تُخيفها، عقلها يوضح لها كم أصبحت سيئة إلى هذه الدرجة بعد هذا النقاء التي كان يملئها.
لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
نعم، عَقلي مُحق.
هل جُننت قبل أن أقوم بما قُمت به منذ قليل ؟ كيف لم أرَ الحقيقة كاملةً قبل أن أفعل ذلك؟ أم أنها بالفعل كانت واضحة أمامي ولكن ما شعرت به جعلني لا أريد النظر لها جيدًا؟ ألم أكن

أريد النظر إلى الحقيقة لأنها سَتحرمني مِمَّا أشعر به وأريده؟ حتَّى وإن كان لديّ قلبي شغفًا لما كُنت أريده وفعلته فلماذا الآن أحتقره وأحتقر نفسي بعد القيام به؟
كيف أصبح باردًا بجانبي بهذه الطريقة؟ كيف لم يعد يحتمل حتَّى على أن يلمسني؟
يَستحيل!!
هل كان يريدني بهذه الطريقة فقط؟! هل مَل بعد أن أشبع ما كان يَشعر به؟
ولكن كيف!!
فأنا من فعلت ذلك معه من البداية؟ أنا من أخذته إلى هذا الطريق.
أنا من تسرعت وقُمت وفعلت.
لكنني ما زلت أشعر به مثلما كنت أشعر في البداية! ما زال هذا الشيء الذي أضاء بداخلي فور ظهوره مُضيئًا حتَّى الآن، ما زالت أشعر أنني أحبه، أو سأحبه.
اللعنة لكل ما أشعر به ويُسقطني، اللعنة لي، والآن.
هل أعود إلى نقائي الذي كنت أسعد به دومًا بعد ما فعلت من قُبح منذ لحظات؟ هل أعود إلى النقاء الذي أخذته من أمي؟
أمي!!!
ليتها لا تظهر لي مُجددًا بعد ما فعلته بروحي، ليتها لا تراني هكذا.

ماذا!!!!!!!!!

اِنقطع شرودها فجأة، واتسعت عيناها بشدة، الخوف يَطرق قلبها بقوة حتَّى كاد أن يكسر بابها.

لماذا!!

لماذا تظهرين الآن؟

لم تَمر ثوان على ظهور والدتها، حتَّى صرخت (نور) بقوة وهي تُلقي بجسدها العاري بين أحضان (نادر) ثمَّ أخذت تُخبئ رأسها به بشدة حتَّى لا تَظهر لوالدتها ولا تظهر والدتها لها عَقد حاجبيه واستعجب.

ثمَّ حاوطها بذراعه وطمئنها، لكنها ظلت تبكي.

بعض الرجال يتغيرون تمامًا بعد مِمَّارسة الحُب على عكس النساء في مثل هذه الأمور، إن كانت تُحبك أو لا فسوف تراك في الحالتين رجلًا أعطاها وأعطته، ستظل تتنفس رائحتك بها، وستظل ترى رائحتها تركض فوق رقبتك.

لن تزول ابتسامتها لكَ.

ولن تُشعرك بأنك كُنت مجرد لحظة، وانتهت.

سَتُشعرك بأنك كنت أقوى من جدًارن البيت حتَّى وإن كُنت ضعيف جنسيًّا، سعادتها ليست فيما قامت به معك، سعادتها في سعادتك لأنها بجانبك.

أما عن هؤلاء البَعض من الرجال -مع الاعتذار للمسمى- فلا

يكاد يَفرغ أحدهم من طاقته حتَّى يراها بجانبه في هيئة صديقه طويل اللحية والشارب، قِردًا قد أنهى صرخاته بعد جلوسه على أصابع الموز الصفراء بارتياحية.
أبعد كُل هذا الكَم من الاحتواء والحُب، لا يراها في عينيه سوى نِسنَاسًا أجرب!
ولكن كما قُولت لكِ يا عزيزتي.
لا يَفعل ذلك سوى البَعض، فهَناك أخرين لا يُخروجنكِ منهم مهما حَدث.
لأنه مَهما اكتفى فلَن يكتفي منك.
هو من البداية لم يراكِ جسدُا بَقدر ما رأكِ مِصباحًا يُنيره، وردةً تُعَطرهُ.
لقد أحبك بقلبه قبل عينيه، ثمَّ بيده لتُطمئنك قبل أن ترطم أجسادكما ببعضها.
وهكذا الآن أستطيع أن أوضح لك يا -أنت- الفرق الوَاضح بين «الاحتَّياج والرغبة» والذي يعادل الفرق بينهما نفس الفرق بين «التَمنى والانبهار».
الاحتَّياج هو أن تَتمنى أن تَجد من يَستطيع أن يَجدك لِنفسك قبل أن يَجدك له، الاحتَّياج هو قَلبك وحده يتصرف لا أنت ولا غرائزك أو شهاوتك، الاحتَّياج هو أن تريد لأنك تَحب، لأنك تَنقص بدون من تُريده ومَن معك، الاحتَّياج هو مِمَّارسة الحُب للُحب،

وليس للشهوة
أما عن الرغبة، فللأسف.
يكفي أن أقول لكَ بأن جروًا صغيرًا في الشارع يَستطيع أن يجذبك نحوه بطريقة سيره المُهتزة، الرغبة هو أنك تعشق الجَسد أكثر من غِطاء الجسد، ربما تزداد نَشوتك إذا وقعت عينيك علي مانيكان صامت يرتدي بعض الملابس المُثيرة في إحدى المحلات، لدرجة أنك من الممكن أن تَدخل وتسأل على ثمَّنه وعندما يُجيبك أحدهم ويُخبرك بسعر الثوب المُعلق بالخارج يزداد غضبك.
لأنك من البداية لم تسأل إلا على ثمَّن المانيكان، وليس الثوب الذي فوقه.
ولأن الإنسان يَرغب أكثر مِمَّا يحتاج فعلي أن أقول بأنه رُبما يتحول هذا السؤال قريبًا ويصبح منتشرًا:
من «هل تُحبني حقًا؟» إلى «هل ترغبني حقًا؟».
ووداعًا للقلب.
ومرحبًا أيتها الأعضاء.

* * *

انتفض جسد (أميرة) الجَالسة بجانب والدة وشقيقة (صادق) فور خروج الطبيب من غُرفة العمليات.
لم تعطيهما فرصة صغيرة ليطمئنا عليه قبلها، لتقول بسرعة وقلق:
- طَمنا يا دكتور!!

نظر الطبيب للثلاثة في صمتٍ قليل، الربكة والخوف والقلق هم المُسيطرين على الجلوس فوق وجوههم الآن، ليمحيهم الطبيب بجملته، قائلًا بوجهٍ مُبتسم وبشوش:
- مَبروك، العَملية نَجحت، صادق اتكتبله عُمر جديد.
انطلقت صرخة من أميرة تعبيرًا عن سعادتها، ثمَّ اِحتضنت ب(علا) بقوة في شعورٍ من السعادة الكاملة، بينما اِرتفعت أيدي الأم وهي تنظر بالأعلى شاكرةً وحامدة.
«أحيانًا تكون اللحظات السعيدة لبعض الأشخاص، لحظاتًا مُميتة لأشخاصٍ أخرين».

* * *

قفذ (خالد) على أصابعه قلقًا بعد خروج الطبيبة، قطرات العرق تهبط فوق جبينه بتوتر، ليقول بصوتٍ يأمل في الاطمئنان، صوتٍ لا يأمل سوى أن يداعب طفلًا صغيرًا:
- ها يا دكتور!! ورد عاملة إيه؟
نظرت الطبيبة له بصمتٍ قليل، الربكة والخوف والقلق هم المُسيطرين على الجلوس فوق وجهه الآن، لتتركهم الطبيبة جالسين، قائلةً بوجهٍ بائس وحزين:
-أنا أسفة يا أستاذ خالد، العَملية فَشلت، حمد لله على سلامة مدام ورد.
«عارف يا خالد أنا نِفسي في إيه؟ نِفسي ملامحك كُلها تتقسم على

ولاد كتير منك، عصبيتك ياخدها أول اِبن لينا رغم إني مبحبهاش، وحنانك تاخدها بنتنا عشان تجيبلنا أحفاد حنينين شبهك، وحُبك ياخده اِبننا الشقي اللي مش هيبطل يعملنا مشاكل مع كُل البنات اللي قَده، مش عايزة يبقى ليا ولاد على قد ما عايزة أشوفك فيهم يا حبيبي، نفسي أفرح وأنت فرحان بكلمة بابا اللي هتنور وشك، نفسي وشك ينور تاني يا خالد».
انطفئ وجهه فجأة، بينما ظل عقله يذكره بأجمل ما عاش مع زوجته الذي شعر بأن حظها قد ساء منذ أن ظهر في حياتها، لم تترك الدموع جزءًا في وجهه إلا وجلست عليه.
المكان يلتف من حوله كطفلٍ صغيرًا يلعب بشدة، وقع جسده البدين على مقعد الانتظار من شدة تعبه، عينه تتأمل مصابيح المُستشفي التي أوشكت على أن تنطفئ مثلما انطفئت الحياة في وجهه الآن، ليقطع شروده مرور اِمرأة أمسك بأصابعها طفلاً صغير يعبث بسيارة لُعبة، لم يراه جيدًا لضعف بصره، فأمسك بنظارته سريعًا ووضعها على عينه بقوة، ظل يَنظر للطفل في تأمل، لكن الطفل لم يلاحظه بقدر ما لاحظ قطرات عينه أولًا، مِمَّا جعل (خالد) يهتز بقوة مُنتفضًا ليزيل قطرات عينه ماسحًا خديه بأكمامه، صانعًا وجهًا ابتسم بقوة.
استمرت نظرات الطفل له بدهشة وعدم فهم، واستمرت نظرت «اللا أب» تتأمل وجهه بسعادة لم يشعر بها من قبل، لقد نسي

ألمه وصدمته والصورة السوداء التي رسمتها الحياة له منذ قليل وترك نفسه ليعيش هذه اللحظة.

انحنى الطفل بظهره على الأرض وهو يضع سيارته مُشغلًا إياها ودافعًا بها لتسير نحو (خالد) ليقابلها وهو يقع على الأرض من قوة اندفاعه نحوها.

أمسكها بسعادة طفلٍ كبير ناظرًا لصاحبها باكيًا بوجه اتسع من سعادته، ثمَّ بدأ يفعل مثلما فعل الطفل منذ قليل.

انحني بظهره، وضع السيارة على الأرض، شغلها، تأمل وجه الطفل بعشقٍ، الدموع ما زالت تسير، تمنى في هذه اللحظة أن يحتضنه فقط، لكنه لم يكن يَشعر بجسده المُجمد، وسريعًا، دفع بالسيارة في سعادة.

قابلها الطفل بابتسامة وأخذ يلوح له وهو يغادر، لتغادر ابتسامة (خالد) فور مغادرته.

حاول الوقوف على أقدامه ولكن السقوط أقوى خاصةً مع الأجساد السمينة، حاول ثانيةً ثمَّ الأخرى ثمَّ الأخرى، ولكن لا جدوى.

«هكذا كان يعيش طوال حياته، يحاول الوقوف بعد كُل سقوط يمر به، لكن الوقوف نفسه رفضه في اللحظة التي عشقه السقوط بها».

وقف على أصابعه بعد محاولات عديدة، النظارة الطبية لم تعد

بالأهمية الكافية على وجهه، فكل ما حوله أصبح أمواجًا متحركة ومموجة رغم ارتداءه لها.
«أهي الصدمة ما تجعل الإنسان لا يستطيع رؤية الحياة بوضوح حتَّى من وراء النظارات الطبية؟ أم إنه الأرق الذي أصبح يطارده دومًا أينما يسير؟».
حمل جسده متماسكًا أمام غُرفة زوجته، الزجاج بينهما يمنعه من اِحتضانها وإخفائها بين ضلوعه، دموعه لم تتوقف عن السقوط حتَّى الآن، عقله يفكر فيما ستشعر به عندما تستيقظ، لن يرى سوى حُزنها ودموعها وبؤسها لأنها لا تسطيع سعادته، لكنه لن يرى سوى أنه أصبح بمثابة حظها السيئ الذي يفعل بها كُل ذلك، ظل يتأملها باكيًا وهي نائمةً.
لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:
ماذا حدث حتَّى تنام امرأة مثلك بهذه الطريقة القبيحة؟ ماذا فعلتي بهذه الدُنيا حتَّى تُحرمين يا من لم تَحرمي؟ أهو القدر من يَفعل بنا كُل ذلك؟ أما إنه اِختبارًا من الممكن أن نجتازه ونحصل بعده على ما نريد؟
إم إنه أنا.
ذاك القبيح الحزين البائس، النُقطة السوداء في حياة كُل من هم في حياته.
أمن الممكن أن أؤلمك بعد كُل هذا الدواء منكِ؟ أهكذا أرد لكِ ما

فعلتيه معي؟
أهكذا لن تُقسم ملامحي على أطفالًا تَرينني فيهم مثلما كُنتي تتمنين دومًا؟
لماذا نحن؟ لماذا أنا وأنتِ وليس غيرنا؟ لماذا نُحرَم مِمَّا نرغب ونشتاق أن نراه؟
إنه ليس بالأمر العصيب المُستحيل!
هو طفلًا صغيرًا فقط، يشعرنا بأننا ما زالنا نحيا من أجل شيء صغير.
هو طفلًا يكره أن يتفوه باسمي ليُغني اسمك الوردي.
لماذا لا نَسعد دون أن نبكي لحظة واحدة؟
لماذا نبكي؟ ولماذا نَبكي دومًا من الأساس؟
أنهي تَحديقه بها داخل الغرفة، مُلقيًا على الأرض كُل ما كان يراوده، ثمَّ غادر، وتركها لينسى.
عودةً لزجاجات النبيذ الحَمراء مرةً أخرى، فمذاقها ألذ من مذاق هذه الحياه اللعينة.

* * *

جلس (ياقوت) داخل مكتب اللواء «حسين أحمد القاضي» أحد رجال المُخبرات القُدامي.
كانت جلسة الطبيب متوترة إلى حدٍ كبير، حاول جاهدًا أن يُثبت عينه ويُفقدها اهتزازها أمام اللواء.

كان رجلًا متوسط لون البشرة، البياض ما بين القَمحي والبُني، شعره لم يكنْ كاملًا بالأسود ولم يكثر الأبيض فيه، اختلط مَزيجه ما بين اللونين، بالإضافة إلى صلعة خفيفة بالمنتصف، ولحيةٍ ملساء كعادة العسكريين، سار من العُمر الطبيعي خمسة وعشرون، ومن العُمر العسكري أربعون، أمرًا كافي يجعله يعيش جُنديًا أكثر من أن يعيش إنسانًا طبيعي، خمسة وستون سنةً عاشها الرجل التي ما زلت تركض الدماء في وجهه وبقوة، كانت عينيه تلمع بقوة كنصلِ سكينٍ حاد، لم تكنْ تشبه الذخائر بقدر ما كانت تُشبه فوهات البنادق والأسلحة، وجهه لم يكن غاضبًا أو مُخيفًا، لكنه لم يكن يطمئن من يراه من شدة حدته.

- إيه يا ياقوت!! موضوع إيه ده اللي خطير ويهم وضع البلد؟

قالها اللواء بصوتٍ غليظ عسكري وهو يُحدق به، ليرد (ياقوت) في ربكة:

- الأول بس يا فندم عايز أعتذر لحضرتك إني جيت من غير ميعاد وقلقت سعادتك، بس مكنش ينفع أستني يوم واحد كمان.

مَال اللواء برقبته قليلًا متأملًا كلماته بعقله وليس بعينه، ثمَّ قال بفضولٍ:

- إيه الحكاية؟!

شعر بأنه لا يريد أن يتكلم أو يخبره شيئًا، لماذا لم يتعثر ببعض الحصى في الطريق أثناء قدومه لكي يمنعه من المجيء إلى هُنا؟

كيف نَدم على القدوم بعد كُل هذه الساعات من التفكير مع نفسه؟ كيف لم يرسم أمامه نتائج إفشاء الأسرار؟

«بعض القرارات لا تَندم على اتخاذها إلَّا بعد اتخاذها، حينها لا أحدًا يَستحق أن يحتضن الحذاء برأسه سوى أنت».

حاول (ياقوت) ألا يطيل النظر له دون أن يتكلم، خاصةً وبأنه يدرك أنه لا يوجد فرقًا بين ذلك الرجل وبين جهاز كشف الكذب، كلاهما قد اِكتسبا نفس الوظيفة بإتقان ولكن بطريقة عمل مختلفة، بجانب أنه رجلًا لا يأخذ الأمور بطريقة سيرها وإنما بطريقة السير التي كانت ستسيرها قبل أن تسير بهذه الطريقة.

- حضرتك عارف إني بلجأ ليك من زمان في أي مشكلة بمر بيها، وده لإني ببقى متأكد إني مش هلاقي حل للمشاكل دي غير عند معاليك، وعشان كمان بحب البلد دي بجد، ونفسي تتغير للأحسن.

ابتسم (حسين) ابتسامةً شعرت بالخوف لأنها رُسمت على وجهه، ثمَّ قال مُتقدمًا برأسه:

- طُول عمرك دماغك شغالة يا ياقوت، وبتعرف تلاقي الحل الصح لمشاكلك، المفروض أنت اللي كنت تقعد مكاني هنا بدماغك السِم دي.

ظهرت ضحكة خفيفة على وجه (ياقوت)، ليرد ببعض الحرج:

- إزاي بس يا فندم!! حضرتك الخير كله.

ليرد مازحًا:

- قصدك إني السِم كُله يا ياقوت ولا إيه؟
رد صامتًا وهو ينظر له مُبتسمًا، ليستكمل اللواء وهو يأخذ أنفاسه:
- ماشي يا دكتور، مقبولة منك، بس تعرف، مكدبوش لما قالولي إنك مش مجرد دكتور نفسي.
صمت لوهلة وهو يُحدق به بحدة، ثمَّ استكمل بهدوءٍ:
- وإنك ديب فاهم ألاعيب البشر كُلهم، وكإنك عِشت حياتهم كُلها ولبست شخصايتهم وظبطها على مقاسك كمان.

* * *

تَعرف الطبيب على اللواء في فترةٍ كانت تتردد فيها بعض الشخصيات المعروفة على عيادته الطبية من حينٍ إلى أخر، والتي كانت تؤثر بالسوء على النظام الأمني، لم تكنْ هذه الحالات عادية كغيرها حتَّى يكتفي بمعالجتهم فقط ثمَّ يتركهم يذهبون دون عودة ليكملون كوارثهم، فالحقيقة أن أسرار هؤلاء الرجال التي لم يعرفها فردًا واحدًا من أُسرهم، كانت استغلالًا سهلًا لطفلٍ صغيرًا يستطيع أن يدمرهم بها، لهذا كانت أسرار هؤلاء تستحق أن تُدفن داخلهم دون أن يظهر منها حاجب واحد، فسقوطهم في معرفة الجميع بها.

* * *

أخذ (ياقوت) القرار بأن يُخبره بما قده أتى من أجله، قائلًا بعد أن

أعطى لنفسه بعض الثقة وعدم الخوف مِمَّا سينتج عمَّا يقول:
- معاليك أكيد سمعت عن الفيلم الجديد اللي البلد كلها ملهاش كلام غير عليه.
ليرد بتلقائية وهو يُشعل سيجاره البُني الضخم:
- سمعت يا سيدي، ومستني أشوف أنت هتعمل فينا إيه بعد سنين بعدك عن الكتابة دي كلها.
اتسعت عيناه مصدومًا ليقول بدهشة:
- هو سيادتك عارف إن أنا اللي بكتب الفيلم؟! إزاي ده مفيش مخلوق يعرف!
نظر له اللواء متأملًا ومستعجبًا، قائلًا بثقةٍ:
- جره إيه يا ياقوت؟! أنت نسيت أنت في مكتب مين ولا إيه! تحب أقولك أنت كلت إيه اِنهارده؟
ارتفعت شفتيه ضاحكًا بعدما أدرك حقيقة الأمر، ليقول مازحًا:
- لا يا فندم مفيش داعي، أنا عارف إنك ممكن تجيبلي قايمة بالأكل اللي كان في بيوت الشعب المصري كُله اِنهارده.
«اصمت، اسمع، لا تتكلم، الجميع مُحاط بالأعين، الجميع مُراقب دون أن يدري».
ابتسم اللواء بعينه، ثمَّ أطلق أول عواصفه الثقيلة من سيجاره، قائلًا بهدوءٍ:
- طب قولي بقى، ماله الفيلم؟!

ظهرت علامات القلق مُجددًا علي وجه الطبيب، ثمَّ قال باندفاع بعد أن هدئ:

- فيه لعبة كبيرة أوي بتتعمل جوه الفيلم ده ومحدش حاسس بيها، لعبة ممكن تقلب البلد دي على بعضها، ومفيش بني أدم واحد ساعتها مش هيبقى عارف هو بيثور ليه، الفيلم ده مش مجرد فيلم يا فندم، دي فضيحة لناس كتير أوي ممكن تنهي حياتهم وللأسف أنا كنت واحد من مؤسسينها.

* * *

بعضهم من هؤلاء المعروفين قد هددوا (ياقوت) بالموت إذا تفوه لأحدهم بكلمةٍ واحدة عنهم، لكنه كما قال اللواء «ديب».

قام (ياقوت) حينها بعدة محاولات كثيرة ليصل لأحد الرجال الذي يثق في ردود أفعالهم وقراراتهم نحو هذه الأمور، إلى أن توصل بعد مشقة إلى «حسين القاضي» بعدما عرف وقتها أنه الإنسان الوحيد الذي لا تهاجمه الحيوانات المفترسة ذلك لأنه يشبههم، بل ربما أيضًا يعود لنسلهم.

لن أقل لك بأن الطبيب قد أفشي بأسرار مرضاه من صندوقه، بل قد جردهم تمامًا من كُل الأشياء التي عرفها عنهم، أسمائهم المُزيفة التي كانوا يصنعونها معه، وأسمائهم الحقيقية التي عرفها بطريقته، أعمارهم، طبيعة أعمالهم التي صُنعت فقط لتكون غطاء يُخفي الأعمال الحقيقية، العمليات التي سوف يقومون بها

عن قرب ونتيجتها على النظام والأمن.
حتَّى غرائزهم وأمراضهم ونقاط ضعفهم الذي جائوا بسببها إليه ليعالجون منها، أطلق سراحها جميعًا.
المُصدم في كل هذه الأمور كان نقاط ضعفهم هذه، خاصةً نقاط ضعفهم المرتبطة بغرائزهم وليس ما يتركبونه من جرمٍ أو شر.

* * *

عاد اللواء (حسين) بظهره مُستندًا على مقعده، عينه تُحدق بحدة إلى (ياقوت) بعد أن أخبره بكل ما كان يعرفه هو و(بدير) فقط، ليصبح هناك الآن حاملًا ثالثًا لهذا السر.
اِنكمش وجه الطبيب قليلًا عندما لاحظ تغير ملامح اللواء إلى الغضب، ليقول اللواء بحدةٍ:
- أنا مش مصدق يا ياقوت، أنت تعمل كدا!! طب إزاي؟ ده أنت اللي كنت دايمًا بتساعدنا عشان نقدر نقف قدام الناس اللي بتسوء سمعة البلد، تيجي أنت دلوقتي، وتقرر تعمل فضيحة عُمر التاريخ ما هينساها أبدًا، ده لو فِضل فيه تاريخ أساسًا بعد ظهورها!
لم ينظر (ياقوت) له، ظل ينصت دون أن يتكلم، بينما أخذ (حسين) أنفاسه بعصبية وهو يتحرك بجسده من شده غضبه، مُستكملًا:
- أنت عارف لو الفيلم ده اِتعرض والناس شافته إيه اللي ممكن يحصل؟ معتش حد هيطيق يبص في وش التاني حتَّى لو كان من

باقي عيلته، كُل الناس هيجيلها فزع من بعضها، وهيبقوا خايفين يقربوا من بعض لحسن يتأذوا، الشك هيموتهم وخوفهم من الخيانة وعدم وجود ناس مخلصة هيدمرهم، ده إذا فضل واحد فيهم بس مشكش في نفسه، ومشافش إنه ممكن يبقى أذي كبير بقربه من ناس تانيين.

تقدم برأسه خطوتين ثمَّ قال بهمس وغضب:

- أنت هتخلي الناس تشوف غيرها وحوش ممكن يقرقشوهم، وهما بردوا هيشوفوا نفسهم وحوش ممكن تإذي غيرهم، ليه ياقوت؟ ليه!

رفع (ياقوت) رأسه سريعًا بعد إنصاته، قائلًا مبررًا بقوةٍ:

- يا فندم أنا مكنش قصدي أي حاجة من اللي حصلت، ولا كان في بالي إن الموضوع يوصل للدرجة دي لإني مكنتش أعرف باللي بيحصل من ورايا، أنا عارف إني ممكن أكون غلط من الأول إني فكرت في إننا نقدم الفيلم بالطريقة دي، بس دي كانت مجرد تجربة سلمية جدًا، وكان كُل غرضي منها إني أوضح حقيقة معروفة لكن مش باينة، وهي حقيقة الخيانة، وكُل اتفاقي مع بدير كان مُقتصر على إننا نظهر جزء بسيط من حياه الناس دي عشان تفيد ناس غيرهم، وحطيت شروط كتير في اتفاقي معاه، لكن رغبته بنجاح الفيلم خلته ميعملش بشرط واحد من الشروط دي، والدليل على أن كل كلامي مفيهوش أي كدب إني جيت

لسعادتك دلوقتي وقولتلك كُل حاجة.
صمتا الاثنين قليلًا وهما ينظران لبعضها، اللواء يحدق في عينه بقوة وكأنه يستجوبها، والطبيب في صراع نفسي يحاول أن يخرج منه ثابتًا ومتماسكًا، اللواء يحرك يده ببطء نحو أحد أدراج مكتبه مُمسكًا بمسدسه، جهاز كشف الكذب داخل منه لا يطمئنه، عينه ما زالت تتأمل الخوف على وجهه الطبيب، أصابعه على المسدس تستعد لأي مقاومة، ليقرر فجأة أن يكسر هذا الصمت بجملة صادمة:
- وأنا إيه اللي يضمنلي إنك مبتصورنيش دلوقتي؟ وإنك مش عايزاني أبقى جزء في الفيلم السخيف ده؟!!
اتسعت عينه مِمَّا سمع، ثمَّ غير وضعيته قائلًا:
- أنت بتقول إيه بس يا فندم؟ هعمل كدا إزاي وأنا جاي أحكيلك كل حاجة تخص الفيلم دلوقتي، يا فندم أنا جاي بسلم نفسي ومستعد لأي عقاب حضرتك هتقرره.
بدأت أصابعه تترك المسدس ببطء بعد أن اطمئن قليلًا، ثمَّ قال متأملًا:
- لا يا ياقوت، مش هتسلم نفسك، بس هعاقبك، وعقابك هيكون تقيل أوي، وكل مشهد اِتصور لكل واحد من الستة دول هعتبره جريمة أنت عملتها، شوف بقى نصيبك هيبقى قد إيه.
أخذ أنفاسه، قائلًا بيأسٍ:

- وأنا مستعد لأي حاجة يا فندم، ومش هقبل لحظة إني كنت دايمًا بمنع غيري من إنهم يأذوا البلد، وأفضل أنا أدمرها بالمنظر ده.
نظر اللواء له ببعض الغضب، ثمَّ أبعد وجهه عنه قائلًا وهو يفكر:
- خلينا بقى نشوف هنعمل إيه مع شخصية زي بدير دي، بدير شكاك ومش سهل، وحبه للفن والإخراج جننه، لدرجة إنه بقى شايف إن من العادي يصور الناس في بيوتهم من وراهم، بدير مش سهل يقع، لكن هنوقعه، ومفيش غير طريقة واحدة.
تحرك بجسده قليلًا، ثمَّ قال بسرعةٍ:
- إيه هي يا فندم؟
ارتفعت ابتسامته الذكية، ثمَّ قال:
- لما بيبقى في خاين وسطنا بنعمل معاه إيه؟ مش بنحسسه بقيمته وبنديله أكبر من حجمه وبنفرشله الدنيا ورد وبعد كدا بنجيبه متربط هنا عشان يتأكد إنه من الأول مكنش يفرق عن الفران اللي في النهاية ملهاش جُحر غير المصيدة، وبما إنه طمعان في اسمك اللي هيوصله لنص النجاح وهيجيبله جمهور يتفرج على الفضيحة اللي بيسميها فن، يبقى نديهوله، وبدل ما أنت كنت مؤلف بجد، هتبقى مؤلف كدا وكدا.
انعقدا حاجبيه، ثمَّ قال مستفسرًا:
- مش فاهم معاليك، قصدك مثلًا إني همثل عليه؟!

اندفع بظهره للوراء، ثمَّ قال بسعادةٍ:
- بالظبط كدا!! هتمثل عليه! وأديك شايف، معتش حد دلوقتي مبيمثلش على التاني، كُله بيمثل على كُله يا دكتور.

* * *

كان أحد هؤلاء الرجال الذي صدم الطبيب من السبب الذي أحضره إلى هنا يعمل في أعمال غير قانونية، والأحب له كانت «غسيل الأموال» وتبديل الحقيقة بالزور، كان يمتلك أموالًا لا تسطيع -أنت- أن تعد عدد الأصفار في أرقامها، فروعًا لكل الأشياء التي من الممكن أن تخطر في عقلك، فروعًا لفنادق لا يدخلها إلَّا من هم يتكلمون بلغةٍ ليس لغة صاحب الفندق، فروعًا لكل شبكات المحمولة التي تعرفها، وشركات لا يفهم هو مجالها المختصة بها، سلاسل مطاعم كبيرة في كُل الأماكن، محلات ملابس في مباني اِحتوى الواحد منها على أكثر من سبعة عشر طابق، أماكن ترفيهية، حانات، جوامع وجوامع وجوامع، إلخ.
في النهاية جاء هذا الرجل إلى الطبيب وأخبره ذات يوم بكل جرئة وهو نائم أمامه:
«أنا شاذ، ومش عارف أعيش مع مراتي قد ما بعيش مع ابني».
صُعق الطبيب حينها صعقًا حرق لسانه، ولم يكنْ يعرف ماذا يقول أو يرد بعد سماع هذه الكلمات، ربما قد شعر بأنه يجب أن تعود أمه بعد موتها لتعلمه أصول النُطق من جديد!!

فقد شُل لسانه.
لم يستعجب تمامًا من كونه مِثلي أو من صراحته في اِعترافه بمثل هذا الأمر الذي كَثر المعترفين به.
ولكن مع ابنه؟ من أنجبه!!
هذه غريبة بعض الشيء، ليبقى في النهاية هذا السؤال قائمًا داخل عقله:
«ما الذي يدفع المرء للمثلية؟ خاصةً إذا كانت الحياة أمامه تعطيه فرصةً للاختيار من بين العديد من الجنس الآخر، أهي جينات زائدة ليست بمقدرته أن يقاومها لدرجة إنه يكرهها؟ أو حدثًا قديم قد حدث معه ولم يُمحِ فجعله مريضًا؟ أو ربما يكون الحرمان الجسدي فلم يجدْ سوى جسدًا من نفس جنسه الذي حُرِم أيضًا؟ أم أنها الرغبة نفسها؟ والغريزة التي تجعله يشعر أنه يريد القيام ذلك؟ أم أنها كُل هذه الأسباب؟».
ولهذا كان من السهل الإيقاع به والقبض عليه بعد أن كُشفت حقيقته واستُغلت ضده.
حالات كثيرة مثل هذه كانت تتوالى على ذلك الطبيب الذي كان ينجح في تخليصهم من مشاكلهم، ثمَّ وضعهم في السجن لمشاكل أخرى، وصراحةً فأنا لا أحب أن أكشف كل هذه الحالات حِفاظاً علي أسرار هؤلاء المرضي التي حصلت عليها بعد أن كَثر العرق علي جبين روحي، باستثناء ذلك الرجل الذي كشفت حكايته لك

منذ لحظات والذي من الممكن أن يكون أحد القُراء الآن، مُمسكًا بهذه الرواية ويقرأ هذه الكلمات فيرسل لي من يقتلني.
الأبله لا يعرف أنني ميت بالفعل.
-ابتسامة له-
والأهم من ذلك في عدم كشف هذه الحقًائق هو هذا الرفق بقلبي الرقيق الذي يجعلني أتوقف عن جعل الحياة سوداوية في عينيك، رغم أنها سوداوية بالفعل وأنت تعرف هذا جيدًا يا -أنت- حالات كثيرة أخطر من هذه كانت تأتي بهم إليه بوجهٍ خَجِل ورأسٍ لا تستطيع النظر بالأعلى، ليذهبون بعد أيامًا إلى منازلهم بوجه فرح وواثق ورأسٍ طالت رقبتها مثل النعام، ثمَّ تمر بضعة دقائق وتهبط الرأس ثانية.
بعد أن تحتضن السلاسل بأيديهم.

* * *

«Ekali –Babylon ft. Denzel Curry»
ارتفعت أصوات هذه الموسيقى الراقصة بقوة في أرجاء المكان، المكان أشبه بالحانات الغربية لما هو فيه، البعض يسمون الحفلات هُنا بال «Underground» ثياب الفتايات لم تَكتمل على أجسادهم، ربما قد نسى معظمهم باقيها في بيوتهم إذا لم تكنْ الثياب هكذا من الأساس، توالي الشباب والذين يلقبون أنفسهم ب «رجال المستقبل» في الرقص مع «الأمهات المستقبل أيضًا».

حديثي هذا خارج عن مُنطلق التعميم كما تعرف عني يا «أنت» أنا أكره كلمة (كُل).

لقد كانوا الفتية يحركون الفتايات بأنفسهم في وضعياتٍ لن تراها سوى في المجلات المهتمة بال «psycho behavior of animals» كانت حركة أجسادهم غريبة لا تُفهم، لم تكن برقصات ألمانية أو هَندية معروفة أو حتَّى بحركات قتالية صينية، وإنما تقريبًا كانت حركات ناتجة عن التصاق إحدى الحشرات بأجسادهم، أو وضع بعض حبات قاتلة الفئران بثايبهم التي ليست ثياب، لكنها لا تفعل ذلك مع الفئران نفسها وتميتها بسرعة!! فكيف تُنعشهم هكذا وتملئهم بالسعادة؟

ظل (نادر) و(نور) يقومان بكل ما هو يُنسيهم حقيقتهم وماضيهم الذي لم يمر عليه سوى يومين.

شِعرها يتاطير بشدة من قوة تحرك جسدها المُثير، لم تجذب ثيابها أحدًا من الحضور والمارين بجانبها، ليست لأنها قبيحة بالعكس، فقد التصقت ثيابها واحتضنت بجسدها لدرجة جعلتها موجةً مُشتعلة، وإنما لأنه لا يأتي أحدًا بمفرده في هذا النوع من الحفلات، أظن أنك فهمتني يا -أنت- رقبتها تدور حول نفسها بقوة مثلما تدور كرات البلياردوا الساقطة في منازلها -البوكيت- كانت تُسقط بجسدها في أحضان (نادر) ليتشاركا الرقص سويًّا، الموسيقى تُنعشهما بقدرٍ يُنسيهما من يكونان.

إلا أن اهتز هاتفه في جيبه مُعلنًا عن إتصال أحدهم، وما أن أخرجه حتَّى اِتسعت عينه بشدة، لقد صُدم فور رؤية اسم صاحب الاتصال، بل واتصل به عدة مرات أيضًا ولم ينتبه له!!
همس لها بصوت عالي أن يجيب على الاتصال ويعود سريعًا لتُهز رأسها إيجابًا.
لم تُعطِ نفسها فرصةً لتتوقف عن الرقص حتَّى يعود، ظلت تتحرك بقوة دون أن يظهر من وجهها شيئًا بعد أن غطاهُ شعرها.
«لم تكن هكذا يومًا ما، لكنه لونها بفرشاة».
- حاضر حاضر، مع السلامة.
قالها (نادر) لمن كان يُحدثه، ناظرًا أمامه بقلقٍ وغضب وكأنه تشاجر مع المُتصل، ثمَّ عاد إلى (نور) غاصبًا لتقابله بسعادة في منتصف قدومه إليها، خلق ابتسامةً تُخفي غضبه، ثمَّ أخذها بين أحضانه قائلًا بابتسامة:
- حبيبتي، إحنا لازم ننزل القاهرة بُكرة الصبح.

* * *

دخل (ياقوت) مكتبه بعد انتهاء لقاءه مع اللواء وعودته إلى المنزل، لم يتجه إلى غرفته أولًا مثلما كان يفعل، ثيابه ما زالت فوق جسده لم يبدلها بالرُوب الرُصاصي القاتم أو السماوي الفاتح، مكتبه هو من يستحق أن يحتويه الآن، ليس شخصًا أخر.
ضغط على مفتاح إنارة الأباچورة ليصدر ضوء أصفر خفيف، لم

يجلس على مقعد المكتب كالمعتاد، فلم يكنْ يطيق رؤية الأوراق والأقلام، لم يدرك لحظة أنه سيكره الكتابة يومًا ما، وبأنها لم تكنْ موهبة أو مجالًا أو حتَّى عملًا يحصل على الأموال منه، بل كانت شيئًا أكبر من ذلك، شيئًا يُخرج الروح من موضعها لتخرج وتسرد ما تشعر به ثمَّ تعود، ثمَّ تخرج وتسرد وتعود، وتخرج وتسرد وتعود.

«هكذا كانت حالته عندما كان يكتب، تخرج روحه منه ثمَّ تعود فور الانتهاء من السرد».

جلس على مقعدٍ خشبيًا مُهتز أمام شرفة منزله من الداخل، ظهره أصبح أمام الستائر البيضاء بالخلف، لقد أعطى ظهره للعالم كُله، لم يُعد هناك شيئًا يستحق أن يعطي له اهتمامًا ولو حتَّى بالنظر البسيط.

السيجارة تطلق بعض الخيم لتتناثر في أنحاء المكتب، المُقعد يهتز ببطء مُتقدمًا مرة للأمام ومرة للخلف، عقله لم يترْك حديث اللواء منذ أن غادر منزله وأثناء قيادته وحتَّى جلوسه الآن في غرفة المكتب.

لا يعرف ماذا يفعل؟ أو كيف فعل ذلك قبل ألا يعرف ماذا يفعل فيما قد فعل؟

وأثناء ما كان شاردًا لا يشغل باله بما حوله، انقلبت الأمور، وحدث ما لم يخطر بباله أن يحدث.

اقتربت ذراعي شخصًا ما من خلف الستائر وراءه إلى أن اخترقتها من المنتصف لتلتف حول رقبته، الذراع تخنقه بقوة، السيجارة تسقط على رأسها مرتطمة، اِتسعت عين الطبيب من صدمتها، بينما خرجت صرخات غاضبة من داخل أعماق من يخنقه، الطبيب يحاول المقاومة وفك الأصابع المتينة، جسد من يخنقه كان كافٍ ليقيد حركته من الخلف، لقد أوشكت رقبته أن تُصبح طعاماً لذيذًا، لقد أوشكت رقبته أن تنفصل عن باقي جسده، ما زالت صرخات المجهول ترتفع بقوة، ما زالت المقاومة قائمة.

«ما هذا الكره الذي يدفع للإنسان أن ينتقم من إنسانًا مثله بهذه الطريقة الوحشية؟ مهما فعل الإنسان الأخر له، هل يُعقل أن يُفني بهذه الطريقة؟».

ظل الطبيب يحاول ويجاهد في فك أصابعه، أنفاسه أوشكت على الانتهاء، الجدران من حوله تلتف وتدور بقوة.

أين ذهبت عواصف سيجارته؟ إنها تختفي!!

أين يذهب النور الأصفر الخفيف؟ إنه يقل في عينه!! أصابعه تفقد قدرتها على فك الأصابع المتينة المُلتفة حول رقبته، ثوان ولن يشعر بصوت الصرخات الغاضبة في أذنه، ثوان ويَسعد المُنتقم لما حَل بالمُنتَقم منه، سيختفي المكتب تمامًا ولن يراه ثانيةً، ستختفي الأوراق والأقلام، لم يكنْ يأمل في الموت بمثل هذه الطريقة.

«كان يأمل أن يموت بين قلمه وأوراقه».

كُل شيء يختفي في عينه.
-اللوحة الخشبية للأبطال وسير الأحداث-
اللوحات الخاصة بزوجته والأوراق، الألوان الذي عشقها ليست لأنها ألوانًا مُبهجة، بل لأنها كانت من اختيار «قوت» ثوان ولن يرى زوجته ثانيةً، أو ربما يراها إن قُتلت بعده من نفس الشخص، لقد كان يريد أن يهنأ بحُبها أكثر من هذا، ما زال لديه الكثير ليُشعرها به، ويشعر به معها.
«كيف للموت أن يمنعنا ممن سَرقوا قلوبنا، كيف للموت أن يفصلنا عنهم؟ لنُصبح أشلاءً، لا معنى لوجودنا في الحياة بدونهم. لماذا لا يموت المُحب فور موت مُن أحبه، لماذا يعيش إذن؟ ليتألم فقط!!
الصراع أوشك على الانتهاء، إنه موعد الفناء المُفاجئ، الأصابع، الصرخات، العينين المُتسعتين، السيجارة تنطفئ على الأرض، الأنفاس أوشكت على الانتهاء، الأنفاس تنقطع، الأنفاس تقل، الأنفاس، لم يَعد أنفاس.
لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:
إن كان لدي فرصةً واحدة لأكتب كلماتي الأخيرة قبل لحظة الفناء هذه فلن أكتب سوى هذه الكلمات.
هل أنت حزينًا على موتي الآن يا «أنت» أم أنني من البداية لم أستحق شيئًا سوى الموت؟

ولكن لماذا أستحقه يا -أنت- ؟ فلم أكن أريد سوى شيئًا بسيطاً فقط.
لم أكن أريد سوى أن أغير العالم إلى الأفضل، أو أرسمه من جديد بطريقة وألوان زوجتي العزيزة.
أليس هذا بسيطًا يا -أنت-؟».
لكنهم «البشر».
دائمًا ما كانوا يخبرونني أنني مُختل لأنني أريد القيام بذلك، وبأن هذه نُكتة سخيفة أؤمن بها بشدة، ولكن لماذا يا -أنت- هل هذا العالم جيدًا؟ هل أنا لا أراه جيدًا؟ هل أنا بالفعل،مُختل!
انقطعت أنفاس الطبيب النفسي (ياقوت صادق) وأغلقت الحياة بابها في وجهه.
«وداعًا أيتها الحياة اللعينة بالأرض ومرحبًا بك أيتها الهنيئة بالسماء».
اتجه المجهول داخل غُرفة المكتب ببطء، لم يكن هزيلًا أو نحيفًا، بالعكس، لكنه كان مُجهدًا ومُتعبًا بقوة، لدرجة أنه كان يحاول التماسك والثبات على جسده طوال خطواته، ظل يسير داخل الغرفة ويلتف حول نفسه دون أن يعرف أين يذهب، إلى أن سقط في النهاية على مقعد المكتب، نظر إلى الأعلى حيث سقف المكتب المموج والمتحرك، لم يكن يراه جيدًا، ولم يكن النور الأصفر قويًّا حتَّى يوضحه.

وفجأة.
ارتفع صوت تَعمير المُسدس.

* * *

لم يكن يشعر (صادق) بما يدور حوله وهو بين الفراش، ولهذا كان دائمًا ما يكره المرض بشدة، فكيف للإنسان ألا يتذكر أكثر من يومٍ ولا يشعر بمروره؟ كيف يتأكد بأنه لم يقم أحدًا بالعبث به أو بفعل شيئًا له أثناء نومه؟ لهذا كان يكره هذا المرض الذي يُدعى «ألزهايمر» ويشفق كثيرًا على من أصيبوا به.
لم يكن يطيق أحدًا من أصدقائه أو أسرته يخبره بتناول الأدوية إذا أصيب ولو ببعض الألم في رأسه «الصُّداع» هو يكره الأدوية بقدر ما تكره الزوجة الثانية الزوجة الأولى، لا يُحب مرورها داخل جسده، يبغض رائحتها ويكره من ينصحون بها، يكره الأطباء ورائحة المُستشفيات والانتظار في قائمة كُشف العيادات الخاصة، ربما يقتل أسرته إذا فاق ووجدهم قد أتوه به إلى هذا المَشفى، بل وأَجروا له عمليةً كبيرة أيضًا.
انتفضت (أميرة) من جلستها بعد أن رأت (صادق) يتأوه قليلًا ويتحرك ببطء في فراشه، مُندفعةً نحوه دون أن تَشعر (علا) النائمة بتحركها:
- صادق، أنت كويس؟
«لا يَشعر بالحَبيب إلّا الحَبيب».

قال بصوتٍ مُتقطع ومتألم:
- أنا فين؟!
أنهى جملته بألمٍ وضيق عينٍ، لترد (أميرة) بقلقٍ:
- اهدي يا حبيبي، أنت في المستشفى.
حاول أن يفتح عينه وينظر لها لكن المُخدر كان أقوى، ليرد بصوت مُنخفض:
- هو أنا عملت العملية؟!
ابتسمت له بعد أن لَمعت الدموع القليلة في عينها، قائلةً بسعادة وبصوتٍ مُريح يهمس:
- عَملتها، ونجحت يا صادق يا علي، مُبروك رجوعك للملاعب من تاني.
تأوه ثانيةً عندما كاد أن يبتسم، لتستكمل هي قائلة:
- اهدي عشان خاطري ومتتعبش نفسك، أنا عايزاك ترتاح خالص لحد ما تطلع من هنا وانت كويس.
أمسكت كفه الأيمن وانحنت لتُقبله من باطنه قبلةً شعر بدفئها، ثمَّ قالت بحبٍ:
- إن شاء الله هترجعلي حلو زي زمان.
خرجت ابتسامته هذه المرة دون أن يتألم، فربما قدي نسى الألم من فَرط حنانها الدافئ.
مر الوقت على جلوسها أمامه على مقعد صغير، لم ترفع عينها

في وجهه ولم تنظر له، بل ظلت تنظر لأصابعها التي استمرت في اللعب بها فوق يده، عادة قديمة تعشقها منذ أن تعرفت عليه، تسير بأصابعها بين خطوط كفه ببطء وتحرك رقبتها بميلٍ علي حسب طريق السير.

ظل ينظر لها مرةً ولما تفعله بيده مرة أخرى، عينه اتسعت قليلًا وأصبح يراها بوضوح، ابتسامته لها لا تفارقه.

- فرحانة بجد إني خفيت يا أميرة؟

قالها (صادق) ليتأكد من صدق حنانها، فما زال شعوره بعطف من حوله يطارده حتَّى الآن، لترد بعد أن نظرت له وبعد أن توقفت أصابعها عن اللعب:

- مش فرحانة على قد ما حاسة إني ربنا إداني فرصة جديدة عشان أصلح غلطتي

ليرد مُفكرًا فيما مضى:

- مِستغرب أوي اللحظة دي واللحظة اللي عمري ما نسيتها زمان أبدًا، يوم ما عرفتي إني تعبان.

شعرت ببعض الحرج وتذكرت فعلتها، لترد مبتسمة بضيقٍ من نفسها:

- ليك حق متنساس، وليك حق كمان تتفكر إني واحدة واطية عشان مشيت وسيبتك لما عرفت إنك تعبان تعب زي ده، بس ملكش حق تفضل فاكر كُل ده لما تعرف الحقيقة.

رد بالصمت وانعقد حاجبيه، لتستكمل موضحة:
- أيوه، أنت متعرفش إيه اللي خلاني أعمل كدا لما قولتلي..
أخذت أنفاسها ثمَّ استكملت:
- قبل ما قابلك في الكافيه زمان لما فضلنا واقفين قصاد بعض، كنت في سيرتك مع ناس أصحابي، لما كان ليا أصحاب يعني.
قالت الأخيرة بابتسامة سريعة، ثمَّ أكملت:
- حَكولي عنك، وقالولي إنك عارف بنات كتير أوي، وإنك بتضحك عليهم، وبتكلمهم كُلهم في وقت واحد وتعشمهم بحاجات مبتعملهاش، وتسيبهم بعد ما تشبع بيهم يومين وتدور علي غيرهم، وإنك كنت بتعمل ده عن طريق شهرتك وإنك رياضي يعني، الصراحة قدروا يكرهوني فيك بسهولة جدًا، شكلهم كانوا حاسين إني هنتقم منك.
زادت علمات الدهشة على وجهه، لتستكمل قبل أن يرد:
- متستغربش، أنا فعلًا في الأول قربت عشان أنتقم، وأخد حق كُل البنات اللي أنت عملت فيهم كدا، وحلفت إني مش هخليك تشوفني زي أي واحدة دخلت حياتك يومين وتسيبها بعد كدا، ده إذا كانت بتدخل بجد أصلًا.
«لم أعشق هذه الفتاة دون سبب، جرأتها ووضوحها وجنونها كانوا أكبر الأسباب في ذلك».
- خدت عهد مع نفسي إني هدخلني جوه منك وبعدين أطلعني

بمزاجي، عشان كدا مكنتش برد عليك بالأسبوع لما كنت بلاقيك واقف مع واحدة تانية، التجاهل وقتها كان هو الحل عشان يقربك مني وأسيبك بعد كدا، لحد ما جيت يومها وقولتلي إنك تعبان.

اِقتربت برأسها منه، ثمَّ قالت بهمس وهي تَغرق في عينه:

- أقسملك بالله إني حسيت وقتها إن أنا اللي جالي سرطان مش أنت.

نظر لها بشدة بعد أن أدرك قليلًا حقيقة الأمر، ثمَّ سقطت دمعة منها دون أن تشعر، أخبرك يا -أنت- بأنه قد حُطم شيئًا داخل مني فور سقوط هذه الدمعة من الفتاة الأقرب لقلبي، لتستكمل بابتسامة:

- عارف ليه؟ عشان كُنت حبيتك، عُمرك شوفت حد بيكره حد أوي، فيقوم يحبه أوي كدا، من ساعتها وأنا مش قادرة أشوف غير اللي عملته معاك، حسيت وقتها إن أنا كدا انتقمت منك فعلًا وإن قربي ليك هو اللي عمل فيك كدا، وإن أنا اللي مخلياك نايم دلوقتي بالمنظر ده، بس على قد ما حسيت بالذنب، على قد ما قلبك خدني ليك وخلاني أحبك وأنا جواك، خلاني أتمنى مطلعش منك بعد ما دخلتك.

اِرتفعت يده لتحتضن بوجهها ببطء، ثمَّ أغلقت عيناها فور الدفئ، بينما استمرت أصابعه في إزاله قطرات دموعها، ثمَّ قال

مُبتسمًا بعينٍ لَمعت الدموع بها:
- بَحبك يا أميرة، ومن كُتر ما قلبي حَبك مبقاش عارف يفتكرلك غير الحلو.
أسرعت في الرد باكية:
- والله وأنا بحبك أوي، وحِلفت بيني وبين نفسي إني عمري ما هبعد عنك تاني أبدًا، أنا معرفتش أعيش من بعدك لحظة.
تأمل وجهها قائلًا مُنتظرًا اِطمئنانًا أكثر:
- يعني مش هتسيبيني تاني بجد؟
اِبتسمت له بعينٍ عاشقة، ثمَّ قالت بحُب:
- أنا أصلًا مسيبتكش أولاني يا صادق، مش كُل اللي بيسيبوا بعض بيبطلوا تفكير في اللي سابوهم، وأنا مكنتش بفكر فيك وبس، أنا كُنت بشوفك معايا وبكلمك.
منذ أن عرفها وهو يدرك جيدًا أنه محظوظ لأنها تحبه، ذلك لأنه يعلم بأن فتاة مثلها من الصعب أن تُعطي قلبها لأي إنسان، ومعنى أنها أحبته فهذا الحظ بعينه، لهذا قد لَمعت عيناه بعد جملتها ليقول بسعادةٍ:
- بجد!
اقتربت منه أكثر ليصبح الفرق بينهما قليل، ثمَّ همست وردًا من صوتها:
- بجد يا حبيبي.

اِتسعت عيناه وضَحك، لتستكمل وقد ظهرت أسنانها:
- إيه!! لسه بتحبني أقولك يا حبيبي؟
هز رأسه إيجابًا وهو يبتسم، لتستكمل بعد إن اِنتقلت السعادة من مسكنها إلى وجهها:
- بَحبك يا حبيبي.
ظهرت أسنانه بقوة، ليرد ناسيًا مَرضه:
- وأنا كم.
تألم فجأة، وكره مرضه لأنه لم يساعده في حُبه لها، لتقف هي بسرعة واضعةً يدها على حافظة رأسه السماوية، ثمَّ قالت وهي تسير بأصابعها عليه:
- براحة يا حبيبي، كفاية كلام لحد كدا، لما نطلع من هنا ابقى قولي اللي أنت عايزه، عشان أنا كمان محتاجة أقولك أنا قد بقيت بَحبك أوي.
اِبتسم لها.
فظهرت أسنانها.

* * *

لن أبالغ إن أخبرتك بأنه ربما قد سقطت أمطار السماء على وجهها، على أن لا تكون عينها هي من تسببت في غَرق وجهها هكذا.
حاولت (ورد) أن تكتم صوت بكائها الخارج بقوة من داخلها، دموعها لا تريد أجازةً من وظيفتها، تريد أن تقف على أقدامها

وتخرج من هذه الغرفة بالمشفى لتركض بعيدًا هاربةً من هذا العالم الذي لم يحالفها الحظ معه، ولكن قسوة الألم كانت أكبر، لقد استيقظت الآن لتكره هذا العالم الذي جعلها تصحو لتجد نفسها وحيدة دون أن تشعر بقلق أحدهم عليها، لقد كانت تأمل أن تصحو وترى الخوف في أعين من يقتله هذا الخوف، ولكن ليس هناك أحدًا، لاَ أسرةً ولاَ أقرباء ولاَ جيران ولاَ معارف أو أصدقاء ينقصون دونها، أو تنقص حياتهم لاختفائها

لاَ زوج!

لكنها لم تحزن منه، هو مُحق، وتُشعر به جيدًا.

ولكن.

ما ذَنبها؟! ولماذا لا يشعر أحدًا بها؟

لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:

دائمًا ما كانت تُخبرني أسرتي بأنني فتاة بمئة رجلٍ، أسخف مقولة سمعتها طوال حياتي.

لماذا يقولون دائمًا «أنتِ فتاة بمئة رجل» رغم أنهم لن يقولوا أبدًا «أنت رجلًا بمئة فتاة»؟

سخافةً كُبرى صَنعها السُخفاء والبلهاء.

عِشت وأنا طفلةً صغيرة حياة لم تُخلق إلَّا للكبار، حياه مُبكرة على الصغار أمثالي حينها،

حَملتُ اسم «أم» وأنا في عُمر الخامسة عشر، كُنت أمٍ لأخٍ

صغيرًا أكل مني عشرة أعوامًا
وأخت عاشت رضيعة حتّى أكلت المُتبقى من عمري، وأصبحت تمتلك خمس سنوات
لقد عاشوا ينادوني «أمي» و»ماما» وجهلوا أُمنا الحقيقية.
ذلك لأنها كانت تعود مُتأخرًا بعد وجودها في القصور بين الأغنياء طوال اليوم.
كانت «خادمة».
سماها البعض ساقطةً أو عاهرة، فقط، لأنها كانت تعود بالليل، أقبح ما فيه الناس هو أنهم حينما يرون الحياة من مظهرها، فإنهم يرسمون سريعًا سيناريو بائسًا وظالمًا لها.
لا يرون الحقيقة سوى من خلف قلبهم، بل أحيانًا.
لم يكنْ يرونها من الأساس.
بل كانوا يصنعونها كالأساطير.
فلماذا عِشت نِصف عُمري كا «أم» مُزيفةً وحُرمت بأنها أعيشها حقيقةً؟
بالتأكيد ستختلف لذتها حينما ينطقونها أطفالًا اِنفصلوا من روحي وخَرجوا عن طريق الرحم داخل مني.
لماذا عِشتها في الوقت الذي لم أكن أريد أن أعيشها فيه، ولماذا لا أعشيها في الوقت التي أتمنى أن أسمعها فيه.
وأنا أتلذذ كلمةَ «أمي».

أو «ماما».
ظلت تكتم صوتها.
والدموع تسقط على وجهها الوردي.

* * *

مرت دقائق بعد اِرتفاع صوت تَعمير المُسدس في مكتب الطبيب، اِتسعت حينها عين (خالد) قليلاً مِمَّا رأه، بل وعين حامل السلاح أيضًا الذي هَمس بدهشة «خالد!!» عندما رَفع السلاح في وجهه وأدرك هيئته.
مرت دقائق،ودقائق،ودقائق.
جلس الصحفي على مقعدٍ من الاثنين المقابلين للمقعد الرئيسي، بينما انتهت (قوت) من وضع كوب الليمون البارد ليهدئ من حالته السيئة.
لم يكنْ يقدر على رَفع رأسه بعد كُل هذا الانحناء، لم يتوقف عن الإمساك بها بشدة، ليس فقط لأنها تؤلمه ولا يشعر بها فوق رقبته، وإنما لأنه أيضًا لا يقدر على رَفع عينه في وجه الطبيب (ياقوت).
الجالس على المَقعد الرئيسي.
-ابتسامة لك-
- الدوا اللي أنت طلبته أهو يا ياقوت، محتاج حاجة تانية؟
قالتها (قوت) دون وجود راحةٍ داخلها، ليرد زوجها مُبتسمًا وهو

يأخذ الدواء منها:
- شكرًا يا حبيبتي، روحي ارتاحي أنتِ، أنا هخلص الاجتماع مع خالد وهجيلك على طول.
حركت عيناها نحو (خالد) بقلقٍ وخوف وهي تشعر برغبةٍ في معرفة الحقيقة التي سوف يُجننها جهلها بها، كيف دخل الاثنين معًا إلى البيت دون أن تشعر بهما؟ أحيانًا لم تكنْ تشعر بعودة زوجها إلى البيت عدة مرات، ولكن هذه المرة لم يكنْ بمفرده! بالتأكيد كانت ستسمعهما إذا جاءا سويًّا، وما الذي حَدث لذلك البدين حتَّى يسوء بهذه الحالة؟
أدركت في النهاية حقيقة أنها ستظهل على جهلٍ بما حدث فور خروجها من المكتب، قائلةً بابتسامةٍ خفيفة مصنوعة:
- لو احتجت حاجة نادي عليا، عن إذنكم.
لم تُغير عين الطبيب زاوية النظر عن وجه (خالد) الذي بدأ في رَفع رأسه ببطء والنظر بنصف عينٍ، ولم تكنْ عين الطبيب كعادتها هادئة وسالمة في هذه المرة، لقد اكتسب ذلك الهدوء في عينه حتَّى يستريح له مرضاه، لكنها تحولت الآن إلى عينٍ غاضبة، عين تُفكر وتتأمل بحدة في ذلك الوجه المُبتل بقطرات الخوف والتوتر.
ظل الطبيب ينظر إلى (خالد) في حرص ليُطمئن نفسه وهو يُخرج قُرصًا من أقراص دواء
«Mg ٣ Night calm».

ثمَّ مَد يده حاملًا إياه، قائلًا بصوتٍ خافت:
- اِمسك، الدوا ده هيهديك شوية.
ظلت يده ممدودة قليلًا، الصحفي ينظر له نظرات كُره وغضب، أصابعه بدأت تتحرك ببطء ليمسك بقرص الدواء، لم تمر ثوان كثيرة حتَّى غَرق القُرص في جوف مَعدته.
اِعتدل الطبيب في جلسته مُقتربًا منه، ثمَّ قال متأملًا وجهه:
- ليه عملت كدا يا خالد؟ كان ممكن أقتلك من غير ما أبص في وشك وساعتها مكنتش هعرفك، ولولا إني عملت نفسي ميت، كان زمانك دلوقتي متكلبش، ومكنتش هتعرف تهرب، لإنك كنت هتفقد كُل طاقتك علي إنك تقاوم أو تهرب، ليه عملت كدا؟
اِندفع في وجهه بعينين متسعتين غاضبة، قائلًا بقوةٍ:
- أنت اللي ليه عملت كدا؟ هتستفاد إيه من كُل اللي عملته ده!
ظهرت علامات التوتر على وجهه لكنه جاهد في أن يتخلص منها، قائلًا ببعض التجاهل:
- عملت إيه؟!
ابتسم (خالد) بسخرية، ثمَّ قال وهو يُحدق بعينه:
- أنت لسه هتخبي يا حضرة المُؤلف؟
اِزدادت علامات التوتر على وجه (ياقوت)، ثمَّ استكمل (خالد) بعد أن تغيرت ملامحه من السخرية إلى الغضب:
- أنا عارف إني مَفيش شركة، وإن الستة اللي أنت اختارتهم عشان

يشتغلوا عندك في شغل مش موجود أصلًا، هما نفسهم الست أبطال اللي الناس مستنية تشوفهم وهما بيفضحوا نفسهم، قولي أنت بقى، ليه عملت كدا؟

أسرع (ياقوت) في الرد دون أن يُفكر، مُبررًا:

- افهمني يا خالد، أنا اِتخدعت في الفيلم ده زيكم بالظبط، واتلعب عليا زي ما اتلعب علي كُل واحد فيكم وأكتر، أنا مكنش في دماغي أي حاجة غير إني أجرب ال...

قاطعه مُندفعًا، ثمَّ قال مَدهوشًا:

- تجرب!!

ابتسم (خالد) ثانيةً ثمَّ قال بهمسٍ:

- طب إيه رأيك أجيب شوية كاميرات، وأحطهم في أوضة نومك وأنت مع الست اللي كانت هنا من شوية، أصلي محتاج أجرب وأتاكد من حاجة كدا.

اتسعت عين الطبيب وانفرد وجهه غاضبًا، ثمَّ رد بعصبية:

- خالد!! حاسب على كلامك!! أنا لسه راحمك من الموت.

قفز (خالد) على أقدامه بسرعة ثمَّ أمسك بمسدس الطبيب الموجود على المكتب، رافعًا إياه في وجهه، قائلًا بهدوء وهو يحدق في عينه:

- وأنا مش هرحمك.

اتسعت عين الطبيب ثانيةً، ثمَّ شعر ببعض الندم لأنه لم يجعل

رصاصته الستة تحتضن بجسده ورأسه.
«أحيانًا تود شنق نفسك بعد كُل هذا العَطاء المُهدر الذي تفعله لأناس لا يستحقون العَطاء نفسه».
ابتسم له في برود ثمَّ عاد بظهره مُستندًا على مقعده، ليقول بابتسامة:
- ماشي يا خالد، أنا مش هندم إني سيبتك عايش لحد دلوقتي، وموافق إنك تقتلني، أنا مبخافش من الموت.
قال جملته الأخيرة رغمًا عنه ليس لأنه يخشى الموت ويحب الحياة، بل لأنه ما زال يريد أن يعيش قليلًا، الحياة ما زالت تحتاجه وما زال يحتاج لها، لكنه قالها ليخلق بعض الربكة داخل منه، وقد نجح في ذلك بالفعل، استكمل حديثه محاولًا أن يكسب ثقته بطريقته الطبية:
- بس قبل ما تقتلني، لازم تعرف المفروض تقتل مين أهم مني.
انعقدا حاجبيه مستعجبًا، ثمَّ قال مُمسكًا بالمُسدس بقوة دون أن يُنزله:
- اتكلم.
أخذ الطبيب أنفاسه، ثمَّ قال ببعض التوتر:
- الموضوع كله زي ما قولتلك كان تجربة، وإثبات بعض الأشياء كانت المفروض تِوضح للناس أكتر من وجودها وخلاص.
ابتسم وقال بسخرية:

- وإيه هي بقى الأشياء يا دي يا دكتور؟
ارتبك قليلًا ثمَّ أخذ أنفاسه ثانية، قائلًا بعد أن شعر باللامبالاة:
- غرايز الإنسان البشرية، وقدرته في التحكم بنفسه لما يحس بيها، أنا عارف إنك مش هتفهم كُل الكلام ده خصوصًا في حالتك اللي أنت فيها دي، لكن اللي لازم تعرفه كويس أوي، إن إحنا في لعبة مش سهلة، وإننا كُلنا اِضحك علينا، وإني مكنتش ناوي أفضحكم زي ما بتقول، وكمان كنت هقولكم حقيقة الفيلم قبل ظهوره، وكنت همنعه من العرض لو كان واحد فيكم بس رفض إنه يتعرض، بس اللي لعب علينا اللعبة دي كلها، لعبها صح أوي، وخلانا منقدرش نتكلم طول ما أرواحنا في إيده.
زادت علامات التعجب وعدم الفهم على وجه (خالد) ليرد مُستفسرًا:
- مين ده؟!
سقطت عينهما في بعضهما بتأمل وتحديق قوي، ثمَّ قال الطبيب بجرأه:
- مُخرج الفيلم، اللي كَلمك يوم حريق بيت السيناريست وقالك إنه تبعي، المَشهد اللي اتصور كُل حتة فيه من ساعة ما دخلت البيت لحد ما بقى على الأرض.
اتسعت عينه قليلًا واهتزت حاملة السلاح، ليستكمل الطبيب بعد أن كاد يكتسب ثقته:

- بدير كان واحد من أخطر الحالات اللي مرت عليا، المشكلة مش في إنه مريض ممكن نسامحه بسبب مرضه، المشكلة إنه مُقتنع إن اللي هو فيه ده مش مرض وإنه طبيعي جدًا، هو أيوه مرض مالوش علاج أو دوا وممكن كمان ميتسماش مرض، لكن ممكن يتغير ويبطله.

ظهر الخوف على وجهه، قائلًا في فضولٍ:

- وإيه خلاه يوصل لكدا؟

لقد أدرك الطبيب اليوم إن الإنسان إذا قرر أن يُخرج سرًا واحدًا من أسراره، ستركض خلفه باقي الأسرار واحدة تلو الأخرى، ليقول بعد أن أخذ أنفاسه:

- بدير عايز ينتقم من البشرية بحالها، بسبب حاجات قديمة عملوها ناس معاه وهو صغير، مِنها إنهم صوروه في أكتر لحظات اِتكسر فيها، رجله لما اتكسرت بعد ما كَنس سلم مدرسته بجسمه لما وقع، وقتها، طَلع أقرب أصحابه موبايلتهم وفضلوا يصوروا فيه بدل ما واحد فيهم بس يمدلوا إيده ويقومه، وعِرف كمان إن واحد منهم هو اللي خطط للوقعة دي عشان يضحك المدرسة كلها عليه، ده لأن بدير كان ذكي وصاحبه ده بيغير منه، مش كدا وبس، بدير بيكره الجواز والستات بطريقة ممكن تخليك تقول عليه ضعيف جنسيًا، بس مش ده السبب، السبب إنه لما قرر يتجوز زمان من واحدة كان بيموت فيها، شافها وهي

مع أخوه الوحيد في سرير واحد يوم فرحه، ولما قرر يمشي وقتها ويسيب الفرح، لمح ناس من اللي المفروض كان يفرحوا بفرحه، بيضحكوا عليه وبيصوروه وهو بيعيط، عشان يتصدم في الآخر بواحد فيهم لقاه منزل صورته على النت وكاتب فوقها «أول مَرة نشوف عريس بيسيب فرحه ويفلسع، لأ وكمان كان بيعيط، يا ترى كنتي بتعيطي ليه يا اُلفت!» ها!! لسه شايف إن اللي حصله ده ميخلهوش يشوف الناس شوية ورق أسود لازم يتحرق.

بدأت يده تهبط ببطء بعد سماع حديث الطبيب الذي لم يجد ردًا عليه سوى بالسقوط علي المقعد مرة أخرى، ليرد (خالد) دون أن ينظر للطبيب، قائلًا بفقدان أمل:

- يعني إيه؟ هنسيبه يدمر حياتنا لمجرد إنه عايز ينتقم من ناس ملهاش ذنب!

أخذ (ياقوت) أنفاسه بعد أن اطمئن ثمَّ قال بشعور من اليأس نحو (خالد):

- بدير بقى شايف كُل الناس خاينة يا خالد، والأصعب إنه بقى شايف إنهم عايشين عشان يخونوه هو وبس مش حد تاني، عشان كدا قرر يخلي الناس كُلها تخون بعض عن طريق نقط ضعفهم ومشاكلهم.

تحرك وجه (خالد) بقوة ناظرًا للطبيب بصدمة، ثمَّ قال بقلقٍ:

- يعني ممكن يكون هو السبب في فشل عملية ورد؟ وعمل كدا

عشان يخلينا نبص لناس غيرنا!!
رد (ياقوت) بالصمت بعد أن اتسعت عيناه مِمَّا سمعه، لقد صُعق وصُدم بعد أن أدرك ما حدث إلى (ورد) والذي من الممكن أن يكون هو السبب فيه لأنه هو من وَضع طبيبها الخاص في طريقها.
ولكن كَيف !! لقد وعده (بدير) بأن هذا هو الأمر الوحيد الذي لن يتدخل فيه حتَّى لا يؤذي أبطاله، لكنه في النهاية (بدير) وهو يعرفه جيدًا.
مرت دقائق على جلوسهما أمام بعضهما، اِلتزم (خالد) الصمت التام أثناء تشغيل (ياقوت) تقنية ال «Speaker» ليسمعا سويًّا ما سيقال طوال المُكالمة وحتَّى يُطمئن (ياقوت) مِمَّا سيشعر به (خالد) وليتأكد من أنه أصبح بجانبه ومعه، وليس ضده وعليه.
- أهلًا بصديقي المؤلف العظيم، أخبارك إيه يا ياقوت؟
اتسعت عين (خالد) وظهرت عليه بعض علامات الخوف بعد أن خرج صوت (بدير) الواثق الذي أوضح جنونه، ليرد (ياقوت) وهو ينظر إلى (خالد)، قائلًا بثقةٍ دون أن يهتز:
- أنا مش بكلمك عشان تطمن عليا يا بدير، أنا بكلمك عشان أحاسبك.
تغير صوت (بدير) قليلاً، قائلًا بقلقٍ:
- تحاسبني! على إيه يا ياقوت؟

رد وهو يقترب من شاشة الهاتف، مُحدقًا بها بغضب وكأنه يرى (بدير) أمامه:
- أنت ليه كدبت عليا؟ أنت مش حلفتلي إن عملية ورد وصادق مش هيحصل فيها أي لعب وهتعدي بخير.
ليرد بصوتٍ مُستريح:
- ومين قال إني كدبت عليك يا ياقوت!! أنا فعلًا مدخلتش في أي حاجة تخص العمليتين دول، بالعكس، أنا جيبتلهم دكاترة لو فضلوا يلفوا الدنيا كلها عشان يلاقوهم مش هيعرفوا، ودليل على ده نجاح عملية صادق.
اِرتفعا حاجبي (خالد) مُستعجبًا وهو يُحدق بوجه (ياقوت) الذي رد بالصمت، ليستكمل (بدير):
- مش ذنبي بقى إن العملية التانية منجحتش، وإن العجل بتاع الهانم مش مكتوبله إنه يخلف.
وما أن كاد يندفع (خالد) بغضبه مُتحدثًا حتَّى أوقفه (ياقوت) بيده وهو يخبره بعينه أن يجلس ويهدئ، ليقول (ياقوت):
- هيخلف يا بدير، ولسانك الزِفر ده مش هينطق بكلمة وقتها.
ليرد ساخرًا:
- خلاص يا سيدي، اِعملهلها أنت.
نظر (خالد) باستحقَّار إلى الهاتف، بينما تأمله (ياقوت) بيأس وحزن، ليستكمل (بدير) قائلًا:

- المهم قولي، خالد جالك ولا لسه؟
نظر الاثنين لبعضهما بدهشةٍ وصدمة، وارتطم الخوف بوجه كُلًا منهما.
ليرد (ياقوت) مُصطنعًا بعض الثقة:
- لأ، مجاش.

* * *

تناثرت زجاجات النَبيذ حول (خالد).
أخذ يُقبلها وكأنه لم يَشرب من قبل، السائل الأحمر يُلون مَعدته، لا بد أن يَنسى ما يَمر به، ولا طريق يُنسيه سوى أن يعود لحياة الحانات مرةً أخرى.
لا يريد التفكير في المَراقبة أو الفضائح التي سيعيش فيها الفترة القادمة.
لا يريد التفكير في (ياقوت) أو (بدير) أو حتَّى (ورد).
لا يريد أن يشعر بما يَحدث بالخارج، لذا فقد جاء هنا.
لم تَكن حانةً حديثة مثل باقي الحانات الذي يَجلس فيها المراهقون، وإنما كانت تَقليدية قديمة، كانت تَميل إلى المَظهر الغَربي القديم، الألوان باهتة لكنها تُنسيك ما تُفكر فيه وتُشعرك بالنوم، غَلب اللون الأحمر والأصفر على البقية من أخوته، لم تكنْ هناك أغاني سريعة تُشعر جَسدك بالحركة وتدوعه للرقص، بل موسيقى حالمة وأغاني تتبع بعضها لتُذكر الجالسين بما يحاولون

نسيانه بواسطة النبيذ.
وهي.
تلك التي كانت تَرقص هُناك.
وَصل شَعرها البُني المُموج إلى ما بعد ظهرها بقليل، لم تَكنْ تهتم بتسريحه أو تَنعيمه، فاكتفت بكونه مهرولًا هكذا، ومع ذلك كانت جميلة، عيناها الواسعاتان كانت أشبه بمُحيطٍ مهجور استكشفته -أنت- فوددت أن تَغرق فيه، عيناها جريئتان لا تَخشى التحديق، لكنها تُخشيك أن تحدق بها، وجهها القَمحي الناعم يُثبت أنه ما زال للسلام مكانًا بيننا، كانت طويلة، نَحيفة الجَسد، مُثيرة، ثيابها كانت أشبه بالثياب الألمانية للراقصات المُحترفات، جِيب واسعة طويلة، سوداء اللون، بلوزة حمراء، ورباط رفيع من وردٍ أحمر وَضعته فوق شَعرها.
لقد كانت مُزينة بدرجة كَافية لكي تُنير.
اِنفردت بمَسرح الحانة الصغير وحدها وانفرد بها وحده، لم يَكنْ يأتي إليهذه الحانة إلا أصحاب الثقافات التي عرقلتهم الحياة بعوائقها فلم يجدوا طريقًا يُنسيهم إلَّا هذا المكان، لذا فإن كُنت لا تعرف شيئًا عن رقصات الفالس لوسوفا والتانغو والباسا دوبلي والرومبا والتشاتشا والسامبا، فلا مكان لك هُنا.
أخبرك يا -أنت- إن كُنت لم تأتِ هنا من قبل فقد أُهدر عُمرك، فكيف تحيا دون أن تشاهد رَقص هذه المرأة؟ لم يكنْ رقصًا شرقي

بملابس فاضحة، وإنما كان رقصًا حالمًا.
يكفيك أن تستريح بعد أن تشاهد حركات جسدها البطيئة، لقد صنعت هذه المرأة وتيرة خاصةً لنفسها، بُطئها في الحركة يخلق السكون في المكان، عيناها التي تُغلق بمفردها لتترك نفسها تُشعر بالرقص.
لقد كانت عَروس بحرٍ أو إحدى جِنيات الأفلام الكارتونية.
كانت «مَـريم».
ارتفع صوت «Billie Eilish» في أُغنية «Six Feet Under».
ثمَّ توقفت (مريم) عن الرقص فور انتهاء الموسيقى قبل تَشغيل هذه الأغينة، وما أن كادت تغادر المَسرح متهجةً نحو غرفتها، حتَّى لَمحت (خالد) بعينها نائمًا بين زجاجات النبيذ، انعقد حاجبيها ومالت برأسها وهي تُحدق به في محاولة للتأكد مُنه، نَفس الجَسد ولكن مع بعض التزايد القليل في الوزن، تغير شعره وأصبح خفيفًا عما كان من قبل.
اتجهت نحوه ببطء وهي تتأمله.
سقطت رأسه على البار المَعدني وأُغلقت عيناه من الأرق والتَعب.
انتهت خطواتها حتَّى أصبحت أمامه لا يفصلها عنه الكثير، ظلت تتأمله وتُحدق به وكأنها تتذكر شيئًا ما، ثمَّ رَفعت أصابعها ووضعتها على خده برفق، قائلةً بتَعجب وهدوء:
- خالد!

لم يوقظه سَماع اِسمه بل أيقظته لمستها، انتفض جسده غاضبًا وهو يمسك يدها بقوة لتنطلق صرخة منها، ثمَّ قال بخوفٍ وغضب:

- أنتِ مين وعايزة إيه؟

لترد متألمةً:

- اهدي يا خالد أنا مَريم اللي كُنت معاك في إعلام.

اِتسعت عيناه وانفكت أصابعه عن يدها تلقائيًّا، ثمَّ هَمس مصدومًا:

- مريم!

تحسست يدها متألمةً، ثمَّ قالت ببعض الغضب:

- أنت لسه هزارك تَقيل زي ما نت يا خالد يا عبد الله ؟ بس المُشكلة إنك معرفتنيش عشان تهزر معايا!! يبقى أكيد الناس قرفاك ومخوفاك منهم.

استقبل جُملتها بعينٍ مُتسعة، هل ما زال لها قدرةً على أن تَفهمه دون أن يتكلم؟ هل هي «مريم» بالفعل؟

قال بصوت خافت وكأنه لم يصدق أنه يراها حتَّى الآن:

- أنتِ مريم بجد؟

* * *

Help, I lost myself again

ساعدني، أنا أفقد نفسي مجددًا

But I remember you

لكني أتذكـرك

* * *

أخذت أنفاسها وهي تقفذ برشاقة على المقعد المُقابل له، لترد بابتسامة:

- لأ أنا مش مَريم بجد، أنا واحدة بتمثل إنها عارفاك، وجاية عشان تُشقطك، هل تَقبل؟

تاه في وجهها ولم يرد، إنها خِفتها وطريقتها الطفولية التي تعود عليها، لم يَكنْ يرتدي نظارته لكنه كان يراها جيدًا، ربما هذه المرة الأولى التي لم يحتاج فيها إلى نظارته، فقد كانت واضحةً أمامه، اِستعجبت شروده وتأمله ثمَّ لاحظت نظارته الطبية على البار، فأمسكتها ووضعتها على عينه بسعادة، ثمَّ قالت:

- طُول عُمرك مبتحبش العمليات، عشان كدا معملتش ليزك لحد دلوقتي.

ظل حاجبه يرتفع كُلما تأكد من إنها «مريم» التي تَعرفه جيدًا، لتستكمل وهي تسير في عينه بعينها، قائلةً بتأمل جريء:

- ها، إتاكدت إني مش بعبع ولا لسه؟

ما زال صوته خافتًا وهادئ من شدة الدهشة، ليرد متأملًا ملامح وجهها حتَّى يتذكرها:

- أنتِ لسه عايشة؟

نَفذ بعض صبرها، ثمَّ قالت بصوتٍ حَركي فقد سكونه:
- أنت مَجنون يا خالد، مأنا قُدامك أهو يا بني بحلاوتي ودلالي، وشقاوتي وجمالي،
انعقد حاجبيه ضاحكًا، ثمَّ استكملت:
- المفروض أنت اللي تعرفني أنت لسه عَايش ولا لأ؟
استعجبها ثمَّ قال مُبتسمًا:
- طب ما أنا قدامك أهو بردوا، بكرشي ونضارتي وكأبتي وكُل حاجة زيك يعني، أنا عايش.
مالت برأسها وهي تَضيق بعينها متأملةً ابتسامته المَصنوعة، إلى أن أدركت كَذبه الواضح، فقالت بصوتٍ هادئ وثابت:
- وأنا إيه اللي يخليني أصدق إنك عايش لمجرد إنك قدامي وبتكلمني، ما أنت ممكن بردوا تكلمني وتشوفني عادي وأنت مَيت، ولا إيه يا مَيت!
تَغيرت ملامح وجه وارتبك من وُضوحه الذي فَشل في أن يُخفيه، ليرد محاولًا الهروب:
- أنتِ بتعملي إيه هنا؟
هزت رقبتها قليلًا، ثمَّ قالت مُستمرة في جعله يشرد:
- لأ ده أنت كمان لسه بتعرف تَهرب من الكلام زي زمان، مَتغيرتش يا خالد.
أخرج أنفاسه بخنقة، ثمَّ قال بهدوء بعد أن فقد تحمله:

- عايزة إيه يا مريم؟
قالت بصوت حنون افتقده كثيرًا:
- عايزة أعرف مالك؟ أنت مش كويس، مش كويس خالص يا خالد، نَفسك المخنوق قال كدا، وعينك اللي ممكن تَغسل كوبيات المكان كله دلوقتي قالت كده بردوا، صوابعك مبطلتش رشعة من ساعة ما قعدت قدامك وده معناه إن نَفسيتك زفت، ده غير الأربعين سيجارة اللي أنت أكيد شربتهم في أقل من خمستاشر ساعة، ومتكدبش عشان وِشك شبه صفار البيض بالظبط.
ابتسم لها ناسيًا ما قالته الآن، ليرد بسعادة:
- لسة شاطرة وبتفهمي في لغة الجسد زي ما أنتِ.
وضعت قدمًا فوق قدم ثمَّ قالت مُصطنعة بعض التكبر:
- جدًا على فكرة وكان ممكن أكون مُعيدة في الكلية كمان بس أنا اللي ماليش خُلق وأنت عارف، أكيد يعني ميرضيكش إني افتح دماغ أي حد يضايقني وأجيب أجله، خصوصًا إن أنا والدكاترة ملناش عَمار مع بعض، يُكنوش فاكرني دُرتهم!
ظهرت أسنانه ضاحكًا، ثمَّ قال متسائلًا:
- أنتِ إيه اللي جابك هنا؟
عادت إلى وضعيتها السابقة، ثمَّ ردت وهي تأخذ أنفاسها، ثمَّ بَدلت شخصيتها المَرحة بالثابتة العاقلة:
- نفس اللي جابك.

ليرد مُبتسمًا بحُزنٍ:
- مفيش حد عنده نفس اللي عندي يا مريم، أنتِ قاعدة قدام لوح إزاز مليان شروخ، وبرغم كدا لسه متكسرش.
اقتربت منه موضحةً ليتبين فهمها للبشر جيدًا:
- إحنا كدا دايمًا، مبنشوفش الوجع غير فينا، وحتَّى لو بدأنا نقتنع بوجع غيرنا، بنعافر بردوا عشان وجعنا يبقى أكبر وجع بين كُل الأوجاع اللي عند غيرنا، كأنهم هيكافئوا أكتر حد يعيط أو يصرخ من وجعه.
نظر لها بنصف عين وهو يحاول الهرب مُستعدًا لإلقاء جملته وهو يقول مُتذكرًا:
- ساعات بحس إن أنتِ السبب في كُل اللي أنا فيه دلوقتي يا مريم، كان ممكن منبقاش كدا وإحنا مع بعض.
لم تأخذ وقتاً لتُفكر، ثمَّ ردت بسرعةٍ:
- وكان ممكن نبقى أسوء من كدا وإحنا سوا، متبصش على اِحتمال واحد بس يا خالد.

* * *

Don't come back, it won't end well

لا تـعد لن ينتهي الأمر جيدًا

But I wish you'd tell me too

لكن أتمنى لو أخبرتني أيضًا

Our love is six feet under

حُبنا ستة أقدام تحت.

* * *

انفرد وجهه ثمَّ قال باقتناع:

- أنا مُببصش غير على اللي أنا حاسس بيه بس يا مريم، وأنا محستش غير إني عايز أكون معاكِ.

ردت عليه دون أن تنظر له، قائلةً وهي تحاول أن تهرب وتوقفه عن حديثه:

- خالد..

ليقاطعها سريعًا قائلًا بثباتٍ:

- وَحشتيني يا مريم.

* * *

I can't help but wonder

لا يسعني إلَّا أن أتساءل

If our grave was watered by the rain

إن كان قَبرنا سُقي بالمطر

? Would roses bloom

هل الورود تَتفتح؟

? Could roses bloom

يمكن الورود تَتفتح؟

Again ?

مجددًا؟

*   *   *

انفرد وجهها حالمًا، وانعقد حاجبيها بحُزنٍ، ثمَّ استكمل حديثه متأملًا وجهها الذي طالما عشقه:

- تَقريبًا كدا كل الحاجات الحلوة اختفت من ساعة ما مشيتي، حرمتني منها، مش عارف بقى كُنتي مستكترها عليا، ولا كُنتي عيناها لحد غيري.

لترد وهي تُؤمن بما تقوله جيدًا:

- لا دي ولا دي، أنا كُنت خايفة عليك منها.

ضحك، ثمَّ قال مُبررًا:

- مكنتش بتإذيني يا مَريم.

خَفت صوتها وانكمش وجهها بحزن، ثمَّ قالت بهدوء:

- كانت هتإذيك يا خالد، عشان مَشاعري ومشاعرك مكنش ينفع يبقوا مع بعض.

اختفت ابتسامته، قائلًا بانفعال:

مين اللي قالك كدا!! ولا علشان أنتِ مِسيحية وأنا ومُسلم، وأنا خالد عبد الله، وأنتِ مَريم چورچ!!

«القَلب لا يَعرف ديانات، القَلب لا يعرف سوى الحُب».

نطرت له بيأس بعد أن أدركت أنه لم يَتغير حتَّى الآن وبأن قرارها

بالبعد عنه لم يُنسيه شيئًا، فهو ما زال كما هو من قبل، ثمَّ استكمل كلماته مُبتسمًا:

- كُنتي فاكرة إنك لم تَبعدي عني زمان هتقدري تخليني أنساكِ، فَشلتي علي فكرة، زي ما فَشلتي إنك تعيشي مع أهلك اللي خوفتي تواجهيهم بيا، وقررتي إنك تبقى لوحدك.

اِتسعت عيناها، وانعقد حاجبيها غاضبةً، بينما أمسك هو بكوب النبيذ وألقاه داخل منه بعنف، مُستكملًا وهو يقترب منها ناسيًا بأنه مَخمورًا:

- كتابنا وكتابكم مبيمنعوش الحُب يا مريم، كتابنا بيقول: «وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ...» وكتابكم بيقول: «المحبة هي القوة الوحيدة التي يمكنها قهر الشر، هل تعرفون ما يفعله الحب؟ إنه يضع حياته من أجل أحبائه».

لترد بسرعة موضحةً دون أن تُفكر:

- بس كتابنا ميقصدش الحُب اللي أنت شايفه ده يا خالد، كتابنا يقصد السلام والمحبة، والتعامل مع الخُطاه بالحُب عشان يدركوا الحُب ويمحوا خطايهم وأخطائهم.

عاد بظهره إلى الوراء بعد شعوره باللاجدوي، ثمَّ أخذ أنفاسه بخنقة، مُلقيًا رأسه على البار في تعب، لتنظر له بشفقةٍ وحزن مُقتربة منه وهي تضع يدها على خده بوجه حزين:

- أنت ليه بتعمل في نفسك كدا يا خالد؟
ليرد بحُزنٍ وصوت مُتقطع مُتعب:
- مش أنا اللي بعمل يا مَريم، اللي جوايا هو اللي بيعمل، هو اللي بيحركني في كُل مرة بشوفك فيها، غَصب عني، مَفيش حد بيقدر يقف قدام الحاجات اللي بيحس بيها، قوليلي أنتِ حَل يخلي اللي جوايا ميحبكيش.
لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
كيف تُريدني أنا أجد لكَ حلًا يَقتل حُبك لي.
وأنا أُحبك أكثر منك؟
كيف لي بهذه القوة التي ما زالت تَجعلني صامدةً أمامك.
أهكذا أقوم بواجي جيدًا نحو ديني وما رُبيت عليه؟
ولكن إذا كان هذا صحيحًا.
فلما كُل هذا الحُب بداخلي نحوك؟!
لماذا لا أراك سيئًا أو لماذا لا أراك من الأساس.
إنها مشاعري.
وغريزتي التي لا تشعر سوا بك ولا أستطيع إيقافها أو الوقوف أمامها.
«كيف للإنسان أن يَقتل ما يشعر به لأنهم أخبروه بقتله؟».
ولكن ما أريدك أن تَعرفه هو أنني أعشقك.
وبأنني لا أراني جهورةً أو ماسةً لامعة سوى في عينيك، وفقط.

أخبرك بأنني لم أشعر بالحُب تجاه أحدًا، مثلما أحببتك، وبأنه لم يُؤثر بي عشق أحدًا، مثلما شَعرت بحُبك وأقسم لكَ.
بأننا إذا خُلقنا من جديد، فلن أعيش سوى لأحبك وفقط.
حِينها، لن أختار سواك.
ولن يشاركني بك أحدًا.

* * *

Retrace my lips

تَقَفَّى شفتي

Erase your touch

محو لمستك

It's all too much for me

كل شيء أكثر من اللازم بالنسبة لي

Blow away

انفخه بعيدًا

Like smoke in air

كدخان في الهواء

* * *

أبعدت عيناها عنه قليلًا ثمَّ تأملته بقوة، لتقول مُترددة وكأنها لا تُريد أن تقول ما قالته:
- بُص لحد تاني، ارمي كُل الحب اللي جواك ده لحد ميكنش فيه

خطر عليكم وأنتوا مع بعض.
ابتسم متألمًا، ثمَّ قال وهو يضحك بسرخية:
- ما أنا رميت فعلًا، ورميت نفسي كُلها مش حُبي بس.
اتسعت عيناها قائلة باستعجابٍ حاولت أن تُخفيه:
- أنت اتجوزت!
رفع رأسه ببطء ثمَّ حَدق بعينها بشدة، قائلًا وهو يَشعر باليأس والبؤس:
- أنا مُت، مش اتجوزت.
لم تكن هي من تتحدث، بل كان داخلها:
أُخبرك بأنني مُت الآن مِثلك.
لأنه قد شاركني بك أحدًا.

* * *

? How can you die carelessly

كيف يُمكنك المـوت بلا مبالاة؟

* * *

استكمل حديثه بُحزنٍ:
- واكتشفت إني على قَد ما حبيتها على قد ما أذيتها أوي، يعني إيه الدنيا تَقف ضد شخص مبيعملش حاجة غير إنه يحب بجد، يعني إيه تحسي إن الدنيا رفضاكِ، وكإنك مرض خبيث مالوش دوا.

تقدم برأسه متأملًا وجهها الذي أصبح بائسًا منذ أن جلست معه، ثمَّ اقترب منها وهمس بلا مبالاة:

- يَعني إيه أفكر في الانتحار كُل يوم، ومعملوش بس عشان مش عايز أغضب ربنا، بس في النهاية بقتنع إني هييجي عليا يوم ومش هقدر أقاوم الحياة أكتر من كدا، فهنتحر، وهنسى غضب ربنا، وده بيبينلك إن لو الإنسان اللي ربنا خَلقه وأنعم عليه بالحياة، وصل لمرحلة يأس وتفكير في الانتحار، فده بيبقى إنسان أتشوه من جواه، ومات مليون مرة قبل ما يموت تاني بعد ما ينتحر.

عاد برأسه مُتجاهلًا حُزنه ومغيرًا مجرى الحديث:

- بس تَعرفي أنتِ انكتبلك عُمر جديد لما بَعدتي عني، كان عندك حَق، أنا اللي بيقرب مَني، بيعيش ميت، خصوصًا إن أنا أساسًا ميت زي ما أنتِ قولتي.

أمسكت يده بقوة في محاولةً للتخفيف عنه، ثمَّ قالت برفقٍ:

- يا حَبيبي افهم، مفيش حد في الدنيا دي كُلها يقدر ينكر أي مشاعر جوايا ناحيتك، وإني مهما قابلت، عُمر ما هسمح لغيرك يُدخل قلبي، بس في أوقات بتيجي علينا بنبقى مُضطرين نُضحي بحاجات بنتمناها عشان نبعد أي أذي ممكن يحصل لكُل الناس اللي بنحبهم.

أمسك يدها بقوة مثل المرة الأولى، قائلًا بغضبٍ:

- وليه أصلًا يبقى فيه أذي للناس اللي بنحبهم؟ عشان بنحب

بعض!! دي تخاريف.
ألقي يدها في جملته الأخيرة، ثمَّ استكمل بغضب مُتجاهلًا ألمها:
- لما تَعيشي طول عمرك مانعة نفسك من إنك تحبي، عشان بتحبي شخص مفيش حاجة مانعتك تبقى معاه غير شوية عادات وقواعد مُزيفة، تبقى تخاريف، لما تبقى العادات والقواعد المُزيفة دي مش موجودة في أي كتب نزلها ربنا، تبقى تخاريف، لما نحاول نقتل مَشاعرنا اللي إحنا من الأول مكنش لينا دخل في أحاسيسها، تبقى تخاريف، لما كُل ده يبقى سَمحه ربنا ومحرموش، وإحنا اللي نمنعه، تبقى كُل حاجة تخاريف يا مَريم.
«لا تربوا أولادكم كما رباكم أباؤكم، فقد خلقوا لزمان غير زمانكم».
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

* * *

Six feet under

ستة اقدام أسفل

I can't help but wonder

لا يسعني إلَّا أن أتساءل

If our grave was watered by the rain

إن كان قبرنا سُقي بالمطر

* * *

ردت صامتةً، ثمَّ حَدقت في عينيه وهي تأخذ أنفاسها، قائلةً

بثقتها الدائمة في نَفسها:

- علمونا وإحنا في إعلام، إن مش كُل اللي بيحصل وره الكاميرا حَقيقي ولازم يحصل في الواقع، بس كان لازم يَحصل عشان المهنة تَستمر، حاجات كتير في حياتنا صنعها البشر برغم إنها من الأول مكنتش موجودة، متخلقناش فلاقينها قدامنا ومعانا، بس كُنا بنبقى مضطرين نصنعها عشان الحياة تَستمر وتمشي، عارفة إنك ممكن تقولي دلوقتي إننا بدام اتخلقنا وملاقينهاش من الأول فكانت الحياة هتستمر عادي جدًا، بس صدقني، بدام اتوجدت وبقت معانا، فأكيد ربنا ليه حكمة في كدا، مش دايمًا كُنتي بتقولي وإحنا في الجامعة.

«كُل ما يُحدث هو حكمةً وكُل حكمةً هي حَظ».

ضغط على شفتيه يائسًا وهو يقول بغضبٍ ويأس:

- بس بُعدك عني مكنش حظ حلو يا مريم، إحساس صعب إنك يوم ما تحبي بجد تتكسري بالطريقة دي، وتتحرمي من الشخص اللي بتحبيه.

مالت برأسها في حنان:

- قصدك إني اِتحرمت منك يعني؟

ابتسم ساخرًا:

- ليه هو أنتِ اللي حبتيني!!

لترد بطفولة:

- أمال حَضرتك بس اللي بتعرف تحب ولا إيه؟

* * *

Bloom

انفخ

Bloom

انفخ

Again

مجددًا

* * *

نظر لها في سعادة متأملًا وجهها شاردًا، لتستكمل بمزاح:

- ما تروق كدا يا عم بكرشك ده.

عاد إلى اِنتباهه ضاحكًا، لتُكمل حديثها بمرحٍ في محاولةٌ لتُنسيه:

- أنا هموت وأعرف يا خالد ليه البنات كانوا بيموتوا عليك أيام الكُلية بالطريقة دي؟

أدرك أنها بدأت تسير في طريق المرح مُجددًا ليقرر أن يسير معها هذه المرة، قائلًا بضحكٍ:

- عشان الكِرش ده طبعًا، بيدفي على فكرة.

اِرتفعت ضحكاتها، ثمَّ ردت بحركات طفلة لم تكبر بعد:

- أه طبعًا أنت هتقولي، ولا البت اللي كانت كُل أما تقولها كلمة تُحط قبلها حرف الألف وأخرها هاء يعني مثلًا، عسل؟

ضحك قليلًا ثمَّ قال تلقائيًّا:
- أعسله.
فكرت قليلًا، ثمَّ قالت بسعادةٍ:
- مَريم!
اِبتسم لها وشرد:
- أمريمه.
استمرت في إلقاء مثل هذه الكلمات بسعادة وبطريقتها المجنونة:
- طب، كِرش!
اِرتفعت ضحكته القوية، ثمَّ قال محاولًا الهدوء:
- أكرشه، بَحبك.
قالها بسرعة قبل أن تخبره بكلمة أخرى، لترد في محاولة للنجاح:
- أبححبككبهك، مش عارفة أقولها.
ضحك ثمَّ رد متأملًا عيناها:
- أبحبحه يا مَريم.
اقتربت منه وهي تَعبث ببطنه كابنة صغيرة، ثمَّ قالت بسعادة كبيرة:
- أيوه يا خالد يا جامد.
هدئا قليلًا، وأخذا أنفاسهما، ثمَّ أمسك هو كوب النبيذ مُستمرًا في إلقاءه بداخله، لتسكمل بملامح صافية وشرود في وجهه:
- قولي بقى، مراتك عاملة إيه؟

تَجمدت يداه، وتجمد السائل في رئتيه، وعادت ملامحه إلى البؤس.

* * *

Help, I lost myself again

ساعدني، أنا أفقد نفسي مجددًا

But I remember you

لكن أنا أتذكرك

* * *

- أشرقت الشمس.

استمر (نادر) في تجهيز السيارة أمام الشاليه، كان في وقت الظهيرة، ثمَّ خرجت (نور) وهي تتأمل المنزل من بعيد وكأنها ستفتقده، لا تعلم هل الأيام التي عاشتها فيه برفقة (نادر) هي أيامًا جيدة تستحق الذكر؟ أم أيامًا لا تستحق سوى الدفن والنسيان؟

وقفت أمام (نادر) بعد أن وصلت إلى السيارة، ثمَّ نظرت له وكأنها تحفظ كل ملامح وجهه، لا تعرف لما كُل هذا التحديق؟ ولكنها شعرت بداخلها بشعور غريب بالخوف من العودة، وانتهاء كُل ما كانت تحلم به وتحقق فجأة.

لذا، فأحبت أن تنظر لوجهه ناسية كُل شيء.

- ها يا حبيبتي!! قفلتي الشاليه كويس؟

أحب أن يكسر هذا التأمل والتحديق في وجهه، قائلًا هذه الجملة وكأنه يهرب، لا يفكر إلَّا فيما سوف يعود له الآن، لترد بهدوء

وابتسامة حزينة:
- أه، قفلته، نادر هو إحنا ليه ماشيين؟ ليه راجعين هناك تاني؟
اِرتبك قليلًا ثمَّ أبعد أنظاره عنها وهو يأخذ أنفاسه، قائلًا وهو يعود للنظر لها:
- عشان لازم نرجع يا نور، حياتنا كلها هناك.
اِنعقد حاجبيها مستعجبًا، لترد ضاحكةً بسخرية:
- إيه ده بجد!! هو أنت لسه قايم تعرف دلوقتي إن حياتنا هناك؟ أنت مش قولتلي إن معتش ينفع حد فينا يبعد عن التاني، وإن وجودنا سوا هو أكتر حاجة صح.
اقترب منها وهو يضع كفه على خدها، ثمَّ عَدل شعرها بأصابعه، ممُسكًا بيدها بعد ذلك بعد أن تَعلم في الليالي السابقة التي عاشها معها أنه لا يوجد سوى طريقة واحدة لجعل المرأه تَصمت ولا تتحدث، وهي أن تجعلها تَشعر بالحنان والحُب، حتَّى وإن كنت أنت لا تشعر بهما بصدق، ليقول ببعض الحنان والحُب:
- طب مين قالك إني هبعد عنك أو هسيبك تعيشي من غيري لحظة واحدة، إحنا هناك بردوا هنكون سوا، وهننسى كُل حاجة جينا هنا عشان ننساها، بس هننساها وإحنا هناك ومش خايفين منها.
لتقول بحُزنٍ وخوف:
بس أنا بخاف من هناك يا نادر.

رد بالصمت، ثمَّ أطلق أنفاسه المتوترة، بينما ظلت هي تنظر له.

* * *

ظل (خالد) خائفًا مُجمدًا أمام (بدير) الذي أحاط بذراعيه حول رقبة (ورد) المُهددة بالموت بين يديه، احتضنت فوهة مُسدسه برأسها استعدادًا للفتك بجمجمتها، قطرات عينها تتساقط بشدة، المسافة بينها وبين زوجها تَبعد كثيرًا، لذا فإذا قرر أن يتقدم خطوة واحدة فلن تَلقي هي إلَّا الموت، لقد جُمدت قدماه وكأنها فقدت كُل الدروس التي تعلمتها عن السير، ضحكات المُخرج المجنونة ترتفع بشدة وتقتله غيظًا.

«قتل البشرية بالنسبة له هو الحَل الوحيد لتُنير هذه الحياة من جديد».

ما هذا الشعور الشديد بالفشل الذي يشعر به في هذه اللحظة؟ لقد فشل في أن يكون له طفلًا ؟ وفشل في أن ينتقم من الطبيب النفسي مرتين حينما قرر أن يأخذ حقه زوجته؟ والآن، ما هذا الفشل القاتل في إنقاذ زوجته من القتل؟

«ما هذا الشعور المُميت بالفشل الدائم؟».

ضحكات المُخرج تتوالى، بكاء الزوجة أصبح صوتًا يطعن الزوج، قطرات العرق على جبينه تُنزف من عقله، قدماه أوشكت على أن تتقدم، قدماه تقدمت خطوتين بالفعل، وما أن تَقدمت حتَّى أُطلقت النيران علي زوجته وتحطمت جمجمتها.

انتفض جسد (خالد) بشهقة كبيرة بعد أن أيقظته ضحكات المُخرج المجنونة، لم يكنْ يشعر بسقوط قطرات عينه فوق خديه وهو يأخذ أنفاسه بقوة، ما هذا الألم الذي يسببه لزوجته في الواقع والحُلم، ما هذا الألم الذي يَجلده هكذا؟

«لقد أنهكته الحياة بقدرٍ لم يعدْ يتحمله، بل ورسمت بفرشاها أمواجًا سوداء لن تُمحي من أسفل عينه ولن تُزيلها أي سعادةً حتَّى وإن كانت مُبهرة، إلَّا أن أصبح يأمل الموت قبل أن يتسبب في أي أذي لمن يعيشون حوله».

خاصةً زوجته.

اِلتفت حوله بعد أن ارتدى نظارته ليجد نفسه ما زال موجودًا في الحانة منذ ليلة الأمس، مُحاطًا بزجاجات النبيذ التي تُنسيه وتذكره، لم يعدْ هناك أحدًا سواه في هذا الوقت، ليُخرج كلماته محاولًا التذكر، قائلًا بصوتٍ مُنهك:

- مَريم.

اتسعت عينه مصدومًا بعد أن تذكر شيئًا قد خطر بباله، قائلًا بقوة:

- وَرد!!!!

«ما هذا التتابع المؤلم في أسماءٍ عَشقته أصحابها وأرهقهم وجوده معهم؟»

اِنتفض من موضعه واقفًا ليغادر ذلك المكان وهو يحاول مَنع

جسده عن السقوط الذي أصبح يعتاده.
ليصبح بعد نِصف ساعة أمام غرفتها.
ظلت أنفاسه تخرج بشدة من كثرة الركض، وظهرت اِبتسامته سريعًا فور وصوله إلى المَشفى ورؤيته لزوجته التي قابلته بابتسامة انتفضت على وجهها فور عودته.
«لقد عاد من جعلها لا تَشعر بسلام هذا العالم إلَّا معه».
إلَّا أن أختفت اِبتسامته سريعًا فور رؤية من كان داخل غرفتها ويجلس معها الآن، بل قد اِتسعت عينه من صدمتها لوجود هذا الشخص الذي قَتل ابتسامته حينما وَصل.
لقد كانت (أميرة) تجلس أمام (ورد)
- طب هرجع أنا بقى لصادق، وكويس إني اِطمنت عليكِ، خَلي بالك من نفسك ولو عوزتي حاجة أنا في الأوضة اللي جنبك.
قالتها (أميرة) برفق وعن قرب من (ورد) ثمَّ وقفت لتغادر الغرفة لتتركهما سويًا، وما أن وصلت نحو الباب حتَّى ابتسمت إلى (خالد) وقالت بوجه طيب:
- إزيك يا أستاذ خالد؟
رد بالصمت والنظر الشديد لها، لتَعقد حاجبيها مُستعجبة عدم رده وحالته، ثمَّ خرجت من الغُرفة متجاهلة كل شيء.
لقد أصبح يكره كُل من لهم علاقة بهذه اللعبة السخيفة، وبات يُشعر بالشك عند رؤيته أحدًا منهم حتَّى وإن كان مثله «مَجني

عليه».
« أصبح يَشعر بأن الجميع قد اِتفق على هَدمه».
أُغلق الباب بقوةٍ أخافت (ورد) وجعلت جسدها ينتفض، ثمَّ اندفع نحوها مُسرعًا، ليقول دون أن يُفكر في أن يطمئن على حالتها:
- كانت هِنا بتعمل إيه يا ورد؟
استعجبت تَصرفه، ثمَّ قالت بقلقٍ وعدم فهم:
- كانت بتطمن عليا، وجات تقعد معايا من الصبح لما لاقتني لوحدي من إنبارح، ومفيش حد جنبي.
لقد شَعر بأن هناك من أثقب رأسه ووضع أسلاكًا من الكهرباء في هذه الثقوب، فقد نَسي غضبه لرؤيته (أميرة) وتذكر وقاحته وما فعله مع نِصفه الآخر منذ الأمس حتَّى الآن.
لم يفكر كثيرًا فيما يفعله حتَّى جلس على ركبتيه وأمسك بيد زوجته وقبلها لثوانٍ طالت
ابتسمت هي حينما كان يقبلها ثمَّ أخفت ابتسامتها سريعًا حينما رَفع رأسه ونظر بعينها، قائلًا بابتسامة بائسة:
- أنا أسف، سَامحيني.
لم تستطع أن تُخفي حُزنها وإبقاء دموعها جالسةً داخل حدقتها، حتَّى قالت بحزنٍ وهي تبكي:
- سيبتني لوحدي ليه يا خالد؟ أنت مش قولتلي إن مهما حصل

مش هتزعل ومش هتسيبني لوحدي، ليه خلتني أحس بالذنب وأجرب إحساس الوحدة اللي موتني طول الليل؟
اقترب منها وهو يُقيد يدها بأصابعه، قائلًا هو يبكي:
- وحياتك غَصب عني، مَقدرتش أستني لما تفوقي وأشوفك وأنتِ مقهورة كدا، وقتها أنا اللي كنت هحس بالذنب.
لترد بانكسار:
- كان أهون عليا أشوفك مش طايقني على أنك ترجعني أحس تاني إني يتيمة
لم تكنْ تشعر بطعنات كلماتها له، ليقول محاولاً التماسك:
- أنتِ بتقولي إيه بس!! مش هطيقك إزاي؟ وإزاي تحسِ إنك يتيمة وأنا جنبك؟
بدأت دموعه في السقوط رغمًا عنه، قائلًا متجاهلاً ألمه ومحاولًا تخفيف ألمها:
مش دايمًا كُنتي بتقوليلي إن كان نفسك أبقى أبوكِ عشان أحسسك اللي أنتِ مقدرتيش تحسيه؟ وبقيت فعلًا، صح!! بقت أبوكِ ولا لأ يا ورد؟
أطلق كلماته الأخيرة بابتسامة حزينة، لترد والبكاء في عينها يزداد:
- ولسةَ زي ما أنت يا بابا.
أمرت كِلمتها عينه في أن تؤدي وظيفتها بإتقان، لتسقط قطرات عينه بفرطٍ وكثرة، ثمَّ حَمل جسده واقترب منها ليضعها بين

أحضانه بقوة، كان جسده يحتضنها بمفرده دون مقاومة أو شعوره منه من فرط اِشتياقه لها، وكان اِنكسارها يلتحم داخلها دون أن تشعر به.
اِستمرت دموعها في السقوط، واستمر اِحتوائه لها.

* * *

ظلت (أميرة) تحتضن أصابع (صادق) بأصابعها، بجانب اِبتسامة كُلًا منهما للأخر، وظل هو يتأمل وجهها السعيد به، وظلت هي تذوب في عينه، لقد شعرت عيناهم باشتياقٍ لم يشعران هما نفسهما به، وما أجمل اشتياق العينين.
«أحيانًا تقسو الحياة علينا قسوةَ تَخلق الدموع بأعيننا، لكننا لا ندرك أننا بالفعل كُنا نستحق هذه القسوة إلَّا بعد أن تزورنا السعادة التي تأتينا بعدها».
لكل قسوةٍ، لذة.
سيعيشها كُل من قَست الحياة عليهم.

* * *

لقد جُفت الدموع من صحراء وجهها المُزهرة بالورد الأصفر، انتهى حُزنها فور سَير أصابعه بين خُصلات شعرها كما تعودت، هكذا كانت (ورد) بعد أن وضع (خالد) رأسها فوق قدميه، وهكذا انتهى حُزنه، عندما شَعر بانتهاء حُزنها.
هدأت عيناها وأغلقت بابها الجلدي المُزين بالشعر القصير

الأسود -رموشها- ثمَّ نامت فوق قدميه أو فوق حنانه، بينما ظلت أصابعه تسير في طُرق شعرها.
«دائمًا ما تحرمنا الحياة من أشياءٍ لم نَعش إلَّا لنراها ونَعيشها، لكنها تكافئنا بعد ذلك بأشياء من دون وجودها معنا، لن تجف الدموع من أعيننا، ولن نَسعد أبدًا، بل سنموت بؤساء».
بعد كُل فقدٍ، حصول سَيملكه كُل من تمنوا فحرموا.

* * *

لم تكنْ (نور) تشعر بارتطام الهواء بوجهها بسبب شرودها، ولم يكنْ (نادر) يتمنى أن ينتهي الطريق ويعود إلى هناك، ولكن ما نهاية هذه القيادة المتأخرة والسير البطيء؟ بالتأكيد سيصل مهما تأخر الوقت.
«من الذي سيحفل بعودتها أولًا، أهي المصائب أو المصائر؟ وماذا سينتج عمَّا فعلته؟ لا تريد أن تعرف».
«هل هذا هو ما كان يتمنى أن يشعر به؟ أهذه هي الحياة التي كان يتحدثون عنها دومًا؟ ما أبشعها».
لم يلتفت أحدًا إلى الأخر، لم يلتفت الاثنين إلَّا لما يُفكران فيه.
«المشكلة العُظمى في اِختياراتنا، هي أنها تتعلق بما نشعر به، فلا نختار إلَّا لما تَنبض له قلوبنا، لنُدرك في النهاية بأنه كان الاختيار الخطأ، وبأننا بالفعل كُنا نعلم ذلك حينما اِخترناه، ولكننا أحببنا أن نُجرب هذا الخطأ».

الحياه تجارب.
ستدخلها طالبًا، فلا تخرج منها إلا مُعلم.
غير ذلك، أنت راسب.

* * *

احتضن (ياقوت) زوجته بقوة عكس كُل المرات.
«لم يكنْ يحتضنها، بل كان يدفنها داخل تُربته».
اِبتسم لوجهها التي لم تفصله عن وجهه إلَّا سنتيمترات، ثمَّ قال بحنان وصوتٍ يهمس بالحُب:
- أنا بعشقك
أنار وجهها بمصباح كلماته، لترد بهمس حنون:
- وأنا بتنفسك هَواك.
ابتسم لجملتها، قائلًا وهو يَغرق في عينها:
- لسة بتحبيني بعد السنين دي؟
مالت (قوت) برأسها، ثمَّ قالت وكأنها عادت أعوامًا إلى الوراء:
- أنا مقولتش بحبك، أنا قولت بتنفس هواك، يعني الهوا اللي أنت بتتنفسه ده، هو اللي بيخليني أموت فيك.
ابتسما لبعضهما بحُب، ثمَّ اِستكملت مَستمرة في دفن نفسها ورأسها في تربة جسده:
- أنا عاشية عشان أحبك، وأخلصلك بس يا ياقوت.
لَمعت عيناه بحُبها، ودفئت عيناها باحتواءه.

اِنتقل قلبه ليسكنها، وانتقل قلبها ليسكنه.
-ما أجمل أن تحيا بقلب من تُحب على أن تحيا بقلبك أنت-
«من قال أن الحُب لحظة، الحُب الحقيقي يحيا، حتَّى وإن تَبخر أصحاب هذا الحُب من العالم»
إن كُنت تُحب، فاقتل حُبك، العِشق هو مَن يستحقه حُبيبك.

* * *

- أشرقت الشمس.

خطوات قليلة تفصلها عن الوصول إلى مُنزله، دَقات حذائها العالي تُنعش الطرُقة التي تسيرها، عطرها جَذب الهواء نحوها ليُحدق بها، خطوات وتُزيل ذلك الشَال الأسود الذي يُدفئ أكتفاها لترتدي ذراعه بدلًا منه لتدفئها، خطوات تفصلها عن إلقاء جسدها بجسده مثلما تعودا، خطوات، ويكون الاحتواء.
وَصلت أمام باب منزله، اِلتفتت بعينها يمينًا ويسارًا بحدةٍ وحرص، ثمَّ ضغطت جرس منزله،
مرت ثوانٍ قليلة، ثمَّ انفتح الباب.
اِبتسم لها وقال بطريقته المجنونة وصوته الدافئ الذي يصنعه معها:
- وَحشتيني يا رُوحي.
قالها (بدير) إلى (قوت).
دَخلت ثمَّ أَغلق الباب بوجهٍ أَزال ابتسامته.

«الإنسان خائن مهما ثَبُت حجم إخلاصه،
غريزته،
أثبتت ذلك».

*   *   *

التنهيدة الخامسة

«تَنهيدة مُمَيزة»

«ع + ب + ث = ب + ش + ر»

«حرف العين»
-عِش كما أنت، أنت وفقط، لا تُغير منك من أجلهم، لا يهمك شيء غير الله-
«أنت».

أنصت لي قليلًا، فرغ عقلك تمامًا مِمَّا به الآن، أنصحك أن تحضر له أجود أنواع زجاجات التنظيف ذات الرائحة القوية، استرخِ جيدًا، اخلق لنفسك عددًا كافيًا من التنهيدات التي تخرج أنفاسك بها، يجب أن تستريح وأنت تستمع لي بقدر كافٍ خاصةً في هذه المرة وفي هذا الفصل المُميز الذي لم أضع به مشهدًا واحدًا، ذلك حتَّى أستطيع أن أخبرك بكل ما أريده دون الانشغال بأي شيء حتَّى وإن كانت أحداث روايتي نفسها، وحتَّى تستطيع أنت ألا تشغل بالك بشيء غير كلماتي التي ستقرؤها بعد ثوان، والآن لقد جاء الوقت لأكشف عن أحد مُعتقداتي الهامة، الآن سأحدثك عن الحقيقة التي لطالما رأها غيري أخدوعة وكذب، الحقيقة التي اتهمت من أجلها كثيرًا وأصبحت مجرمًا في حق الجميع قبل أن أكون ذلك في حق نفسي.

-أي هُم في نظر أنفسهم هم الأهم-
لا أدري هل حدث ذلك الاتهام بسبب عدم قدرتي على توضيح وإظهار هذه الحقيقة، أم بسبب أنه لم يُعد هناك أحد يتمنى أن يرى حقيقة الأمور من الأساس، ولكن ما أدركه أنا جيدًا هو أنني قررت إخراج هذه الحقيقة إلى النور، الحقيقة التي عاشت أعوامًا مُقيدة الأذرع داخل مني، الحقيقة التي أرهقت داخلي كثيرًا، حان الآن أن تستريح وتتحرر من آسرها، وأن تنفك سلاسلها وتصبح مُصدقة من قبل الجميع، خاصةً وبأنني أؤمن بمقولة «فرانسيس بيكون» عندما قال :
«قليل من العلم يجعلك ملحدًا، و لكن دراسة متعمقة به تجعلك مؤمنا بالله».
والآن يا -أنت- تخيل معي.
حاول بقدر ما تستطيع أن تتخيل ما أتخيله أنا في هذه اللحظة.
مقعدان من الخشب وُضعا أمام بعضهما، لم تكبر المسافة بينهما أكثر من بضعة سنتيمترات، رافق مُسجل الأغاني والموسيقى هذان المقعدان مُهديًا لهما بعض نغماته التي تجعلك تكشف عما في باطنك ولا تستطيع أن تُخفي ما هو في ظاهرك، كل ذلك يحدث هُنا.
داخل الغرفة البيضاء، وأمام الستائر البيضاء التي تُخفي الشمس من الخلف.

الغرفة التي صُرح بألا يدخلها أحدٌ أيًا كانت علاقته بالمريض، سوى الطبيب المتخصص بمتابعة الحالة وبعض الممرضين والممرضات المتخصصون في القيام بدور الرعاية، تخيل الآن بأنه رغم هذه القوانين الكثيرة هُنا، إلا أنني استطعت أن أُدخِل أحدهم إلى غرفتي دون أن يلاحظ ذلك أحد من رجال الأمن أو العاملين هنا، ليصبح ذلك الشخص جالسًا معي الآن على هذا المقعد الخشبي المُقابل للمقعد الخاص بي، نستمع إلى مسجل الموسيقى الغير موجود من الأساس وهو يصدر نغمات تثير الروعة داخلنا، أعرفك على زائري الأول في هذه الغرفة التي لطالما كرهت اللون الأبيض بسببها، أعرفك على -أنت- نعم؛ أنت هو من يجلس أمامي الآن، أنت هو زائري الوحيد، وقد جاء وقت الحديث بيننا بعد أن أصبحنا منفردين، اطمئن ولا تخشَ شيئًا، لن أؤذيك.. فهم لم يضعوني هنا لكوني شخصًا مختلًا أو مجنونًا، بل لأنني كنت في أنظارهم عاقلًا زيادةً عن اللزوم، حينها أدركت بأنه :

«كلما قد زاد كونك عاقلًا في هذه الحياة كلما ازداد إدراكهم بكونك مجنونًا ومختلًا».

لذا لا تخش شخصًا عاقلًا، ولا تخش أيضًا أن يسمعنا أحد ثمَّ يأتي ليجدك معي هنا فيرسل لك حينها اثنين من الرجال بأجساد ضخمة، فيحملك الاثنان بين ذراعيهما، بل ربما يحملك واحد فقط من كثرة قوته وسهولة حملك، ثمَّ يرمونك بعد ذلك داخل غرفةٍ ما

بجانبي، غرفة تشبه جميع الغرف هنا في هذا الطابق السخيف.
-غرفة بيضاء، كره من يسكنونها اللون الأبيض بسبب انتشاره بها-
والآن وبعد أن جلست أمامي يا -أنت- حان الوقت لإخراج أهم مُعتقداتي في هذه الحياة، والذي يتلخص معناه في جملةٍ واحدة، وهي :
«إن هذه الحياة ما هي إلا عبث».

* * *

«حرف الباء»
-بادر بمعرفة الحقيقة قبل أن يُعلموك بحقيقةٍ تسير بك إلى الهلاك-
١ - النصف الأول من المُعتقد:
«يوجد معنى للحياة»
كثيرون ممن سمعوا هذا الجملة مني أدركوا بأنني شخصًا متمردًا على فعلية وجود معنى واضح للحياة، وبأنني لم أقصد من جملتي هذه إلا أننا لم نُخلق إلا لكي نعاني ونستمر في هذه المعاناة أبديًا، دون إدراك أي معنى له جدوى تجعلنا ندرك حقيقة الخلق، ذلك المعتقد الذي ظنه البعض بي يشبه تمامًا المعتقد الذي رسمه «ألبير كامو» رسمةً تعبيرية للحياة في عينه، وبأن الحياة بالفعل بلا قيمة عنده، وبأننا لم نُخلق في هذه الحياة إلا لنعاني، حيث يرى ألبير كامو أنه حتى يخرج الإنسان من مأزق المجهود الروتيني

السيزيفي القاتل والخالي من الجدوى، فإن أمام البشر حلين لا ثالث لهما؛ إما الانتحار والتخلص من هذا الألم الذي يجعلك تتأكد أكثر من هذا المعتقد، أو التمرد والخروج تمامًا عن المألوف وبأن ترسم لنفسك صورًا تعبيرية للحياة ترى قيمتها في رسوماتك تلك، وهذا الحل الثاني هو ما فضّله كامو بعد أن أخرج حقيقة معتقده في أحد كتبه المعروفة وهي «أسطورة سيزيف»؛ وسيزيف هو أحد الشخصيات في الأساطير الإغريقية (الميثولوجيا الإغريقية) والتي تُعاقبه الآلهة بأن يحمل صخرة من أسفل جبل ما إلى أعلى قمته الشاهقة، ولكنه عندما كان يصل إلى هذه القمة كانت تتدحرج الصخرة عائدة إلى الوادي، فيعود لرفعها مرة أخرى، وهكذا ظل يفعل أبديًا دون أن يتوقف عن فعل ذلك في صورة تجسيد العذاب الأبدي. هكذا كان معتقد ألبير عن الحياة؛ صورة من المعاناة الأبدية، حياة لا قيمة لها، لا حقائق واضحة، لا وجود لما يسمى -الله- وهذا ما دفعه إلى قول:

«هل هذا الشعور بالعبث قد يؤدي إلى الانتحار؟ لا بل يؤدي إلى الثورة».

هكذا كنت أنا في أعين بعض الناس عندما قررت إخراج مُعتقدي، لكن الوقت الآن قد أتى لأكشف عن حقيقة الصورة كاملة، وإن كان البعض قد ظن هذا الظن بي فذلك لأنهم لم يروا صورة معتقدي واضحةً؛ فأنا لم أقصد بمعتقدي مثلما كان يقصد ألبير

تمامًا، بل كان قصدي هو:
«أن هذه الحياة أصبحت عبثًا كبيرًا».
ولم أكن أقصد.
«أن هذه الحياة كانت عبثًا منذ البداية أو أنها قد خُلقت عبثًا عندما خلقنا نحن عبثًا أيضًا».
هكذا اختلفت صورة معتقدي عن صورة معتقد ألبير عن الحياة، وإن كان هناك فرقًا بيننا فسيكون هذا الفرق الوحيد هو أنني قد آمنت بأن الحياة تحوي في داخلها على غرض منصوص من قبل سلطة أعلى -الله- مما يدفع للإيمان بوجود الله والانضمام لدين معين أو مفهوم يؤمن بأن هناك رب، خاصةً دين القرآن والإسلام الذي أنكر معتقد أن الحياة عبث لا معنى لها وبأن لهذه الأمور كلها حكمًا واضحة في ذلك أطلعها الله علينا في كتابه، فقد قال الله تعالي:
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾
ولذا فإن معنى الحياة وسبب الخلق الحقيقي هو إدراك معنى الحياة في الاختبار، والاختيار بين الاحتمالين (الجيد) و (السيئ)، والسير في طريقٍ واحد من أحد الطريقين الأبيض والأسود، والاقتناع بالرجوع إلى الخالق وعدم نسيان الآخرة والانشغال بالدنيا، والإيمان بوجود رب وإله واحد وضع لنا الكثير من الأشياء

التي لا بد من الإيمان بها؛ فالثواب والعقاب والاختبار والابتلاء والطاعة والإيمان والعبادة ثمَّ العبادة ثمَّ العبادة هي أشياء تظهر حكم الله في خلقه لنا، فقد قال الله تعالى:
(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ)
أي إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا وحينها يكون ذلك (اختيارهم) الذي اختاروه من بين (احتمالين) لا غيرهما أثناء سيرهما في (طريقين) عليهم حينها تحمل نتيجة اختيارهم في السير به، ويقول الله تعالى:
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾
أعتقد جيدًا إن كان ألبير كامو قد اطلع على هذه الآيات برفقة وجود هذا الكم من الفلسفة الكبيرة لديه لكان حينها قد وجد معنى واضحًا للحياة، ولكانت قد ماتت معاناته في محاولة إيجاد معنى لوجوده بالحياة، فوفقًا للعبثية فإن البشر يحاولون تاريخيًا العثور على معنى واضح لحياتهم، وغالبًا ما تؤدي نتائج هذا البحث تقليديًا إلى إحدى النتيجتين: إما أن الحياة لا معنى لها ولا بد حينها من الانتحار أو الثورة، أو كما قلت أن هناك سلطةً عُليا لا بد من الإيمان بها -الله- ولكن حتى إن كان ليس للحياة معنى مثلما كان يظن ألبير والبعض الآخرين، وإنه لابد من الخروج عن المألوف لإيجاد معنى واضحًا لها، فعلى من إذن سوف يثور ألبير

إذا لم يكن هناك سلطةً عُليا بالنسبة له؟
-إذا لم يكن هناك إله يؤمن به-
لنصل في النهاية إلي أننا لم نُخلق في هذا العالم إلا لأمر واحد فقط
وهو -أن نُختبر- لا غير ذلك.

* * *

«حرف الثاء»
-ثانية واحدة تَفرق بين ما قبل اختيارك وما بعده، لن تسطيع أن تُعيدها مرة أخرى، ففكر بها جيدًا، فالندم سيئ-
٢ - النصف الثاني من المُعتقد:
«حقيقة العبث»
«أن هذه الحياة أصبحت عبثًا كبيرًا».
لم أكن أقصد.
« أن هذه الحياة كانت عبثًا منذ البداية أو أنها قد خُلقت عبثًا عندما خلقنا نحن عبثًا أيضًا».
أعلم جيدًا يا -أنت- بأنك لم تفهم قصدي هُنا جيدًا، لذا دعني أكشف لك حقيقة معتقدي العبثي، ألفت انتباهي مؤخراً استنتاجي لتعريف العبث لدى رائد مدرسة العبثية «ألبير كامو» حيث كان يوضح بأن العبث:
هو ذاك الصراع القائم بين هذه الاضطرابات الداخلية والأحاسيس والرغبات (العقلانية) داخل النفس البشرية وبين مظهر العالم

(اللاعقلاني) وما يحدث به من خلل وحقائق ليست حقائق بالمرة، لذا فلا بد من الموت -الانتحار- لا غيره.

وهذا هو ما أقصد به أغلب معتقدي -وليس كاملًا- وهي أن الحياة أصبحت عبثًا كبيرًا رغم أنها لم تخلق عبثًا منذ البداية، ولكن إذا اعتبرنا أن هذه الأحاسيس والرغبات الداخلية بنا -جميعًا دون استثناء- هي كلها شيء عقلاني والسبب هو أننا نشعر بها فقط! فسيكون ذلك هو العبث، والعبث الأكبر هو أننا نرى مظهر العالم وما فُرض علينا به من سلطات -النظام- فُرضت عليها هذه الفروض من سلطة عُليا -الله- هو مظهر غير عقلاني والسبب هو أنه يكبت ما نشعر به فقط -الدين- !

حقيقة هذا الأمر المُرهق الذي يخص هذا الشعور بالعبث -بعيدًا عن الدين- هو أن هذه الحياة التي نعيشها عبارة عن كتلة من -الآراء المختلفة- لنا جميعًا وتنتج هذه الآراء عما يكمن داخل منا من أحاسيس ومشاعر ورغبات، فإن كنت قد قلتُ بأن هذه الحياة (أصبحت) عبثًا كبيرًا فالقصد بالعبث هنا هو كل ما فُرض من (أفراد) ولم يُفرض من (الله) هكذا هو معتقدي عن هذه الحياة وما وُضع بها من فروض وُضعت من قبل أفراد يشبهونني لحمًا وجسدًا، لأخبرك الآن بأن العبث الحقيقي في عيني هو «البشر» وقراراتهم التي تُعبر عن آراءهم المتغيرة في حين أنه يوجد من الأصل ثوابت إلهية وُضعت حتى يتم الفصل بها بين هؤلاء

الذين يختارون هذا الطريق (الجيد)، والآخرون الذين اختاروا الطريق الآخر (السيئ) العبث يكمن في كلمة «نحن» ليكون حينها تعميمًا منطقيًا وليس ظلمًا بسبب طُرق سيرنا عكس هذه الثوابت تبعًا لآرائنا فقط، لذا فإن طُلب مني بأن أضع تعريفًا ومفهومًا واضحًا للعبث فسيكون هذا المفهوم هو:

العبث هو البشر وتحطميهم لكل معاني الآشياء تبعًا لآرائهم، وتبديلهم للمعاني الحقيقية لمُسميات الآشياء المعروفة ثبوتًا، العبث هو طُرق سيرهم، أساليبهم، مشاعرهم ورغباتهم، العبث ليس هو الحياة بل هو الطريقة التي وُضعت من قبل البشر للعيش في هذه الحياة، وهذا ما قد خلق تمردي كاملًا على الحياة بأكملها بسبب من يعيشون بها، أتعرف لماذا يا -أنت- لبعض أمثلة قليلة لن تنتهي أبدًا، منها:

القوانين البشرية هي عبث -وليست القوانين الإلهية- ذلك لأنها صورة مُصغرة من الآراء، مما يوضح بديهيًا بأن العدل البشري هو عبث -وليست المساواة الإلهية- عندما يكثُر العدل على المساواة فالعدل عبث، الحُب عبث لأنه لم يعد يُبنى على حقيقة ما تشعر به النفس البشرية من حبٍ أكثر مما تشعر به النفس البشرية من رغبةٍ شهوانيةٍ ثمَّ بعد ذلك لا حب، الحُب عبث لأن يهدم أكثر مما ينشيء ويُسقط أكثر مما يقيم، الحُب عبث لأنه لم يعد يستحق هذا المُسمى الذي حُطم، الصداقة عبث لأنها الوحيدة التي لا

تستحق هذا المُسمى من البداية، فما فائدة العيش من دون أن تجد صديقًا يستحق هذا اللقب، لا يُشترط أن يشبهك تمامًا ولكن على الأقل يستحق أن يطلق عليه هذا المسمى، وأما عن عبث الصداقة الوحيد هو أننا جميعًا نتمنى أصدقاءً تشبهنا لأننا في نظر أنفسنا أصدقاء جيدون للجميع والجميع ليسوا أصدقاءً جيدون لنا وهذا نفسه ما يتمناه غيرنا، فمن هو الصديق إذن؟

-إنسان بلا صديق هو إنسان بلا ظل-

(كُل) العادات والتقاليد عبث لأنها لا تفعل شيئًا سوى الهدم والمحو، العادات تسبب الحرمان، التقاليد تسبب الفقدان، العبث هو ربطها بمبدأ (الأخلاق) وبأن وظيفتها الأسمى هي التحفظ والحفاظ، في حين أنه يوجد الكثير من الأشياء التي أُقيمت -دون عادات وتقاليد- على التفهم والمعرفة كانت أنجح وأعظم من تلك التي كان بها هذا المسمى السخيف، ومع العلم بأن هذه الأشياء التي نجحت دون هذا المسمى (العادات) كانت قد تمسكت وبُنيت في بدايتها على (فروض إلهية) وليس (فروض أفراد)، لذا لا بد أن نبدل مفهوم العادات والتقاليد بمفهوم آخر يوضح معناها أكثر من ذلك، مثل مثلًا: نعم وجدتها، العادات والتقاليد هي التقيُد، الانبهار عبث لإنه لحظي، والبدايات عبث لأنها خادعة غير حقيقية، الوعود عبث لأن الوفاء بها مُحتمل، الشروط عبث لأنها شروط، البكاء عبث لأنه بكاء.

«ما الذي يستحق أن تبكي عليه في هذا العالم غيرك؟ نعم أنت فقط من يستحق أن تبكي عليه، الجميع لا يستحقون أن يبكون إلا على أنفسهم، لا على غير ذلك».

العبث هو أنه قد أصبح من السهل أن تَقتل إنسانًا دون أن تُميته أو حتَّى أن تُسبب له أذىً جسديًا صغيرًا، العبث هو أن يكون السِلم هو سِلم غير أمن لذا فالسلم عبث، كيف للحب أن ينتهي دون أن يبدأ من الأساس؟ كيف تظهر الحقائق بعد موعدها الذي احتاجنا أن تظهر فيه؟ وكيف تكون الحقائق التي ظهرت ليست حقائق مطلقًا؟ الحياة أصبحت عبثًا لأننا أصبحنا نرسم طرقًا عديدة للسير بها، إذن فكل الطُرق عبث، الروتين عبث لأنه يُكرر، المُقارنة عبث لأننا لا نقف أمام الآخرين مثلما نقف أمام المرآة، المُقارنة عبث لأنها تحث على التشابه أكثر من الاختلاف، الاختلاف (المؤذي) عبث، المبادئ المصطنعة عبث، الخيانة عبث، الفراق عبث، الكلمة عبث، الأسماء عبث لأنها مجرد ألقاب، الأعمار عبث لأنها مجرد أرقام بلا قيمة ولا تستحق أن تمثل تعريفًا للشخصية وستدرك ذلك جيدًا عندما أحضر لك شابًا في العشرين من عمره فاق في خبرته وذكائه وما رآه، إلخ. حياة رجل صار ثمَّانين عامًا، النَقد عبث لأنه رأي مُتغير، الآلم عبث، المعاناة البشرية عبث، فما معنى أن يستطيع إنسان مثلي أن يُشعرني بالمعاناة؟ لا معنى سوى العبث، الصدق غير النابع

من الداخل عبث، مَنع وكبت الحرية (غير المؤذية) و (غير المُحرمة) عبث، الأحلام عبث إذا لم تُحقق وإلا لما كانت تخطر ببالنا من البداية، الوحدة عبث.
«ماذا فعلت لهذا العالم حتى يجعلك وحيدًا هكذا؛ تجلس في غرفتك باكيًا، تسافر منفردًا، تشاهد الأصدقاء الذين ليسوا أصدقاء أمامك وأنت تجلس وحدك؟ ما معني أن تكون وحيدًا داخل منك وليس خارجك فقط، لا يوجد من يُشعر بذلك الأرق القاتل في عينك، بذلك الحُزن السمين الذي يسير ببطء داخل طُرقك؟ ماذا فعلت حتى لا تجد من يستطيع إنارتك، من يقدر على إخراجك منك الذي يقتلك، الوحدة ليست أمرًا سيئًا إذا كنت قد اخترتها لنفسك عندما أدركت بشاعة هذا العالم، لكنها سيئة إذا أجبرك العالم عليها».
(كُل) التقدم عبث لأنه جعل النسبة الأكبر تسيره بطريقةٍ خاطئة، الهواتف المحمولة عبث لأنها تمنعك من رؤية الحقيقة كاملة، من رؤية الحقيقة من الأساس، الهواتف عبث لأنها لا تَشعر ولا تُشعِر، التقدم عبث لأنه جعل العالم يتقدم فيما لم يكن يريد أن يتقدم فيه، المواقع الاجتماعية عبث -كُلها بلا استثناء- فقد انقرضت الخصوصية وانقرضت الأسرار، الأسرار كلمة عظيمة وحياة أخرى لا يعرفها غير من عاشها، أتذكر الوقت الذي كنت عندما أسمع فيه هذه الكلمة حتى أشعر سريعًا بالربكة داخل مني، لقد كان

الفضول يشتاق إلى المعرفة في هذه اللحظة، الآن أصبح الجميع يعرف أسراره وأسرار غيره، الآن قد قُتل الفضول ودُفن، لم يعد هناك ما يسمى بالفضائح، كل الأشياء أصبحت مُباحة، المُباح والبوح قد كُثرا على التحفظ والصمت، انتقلت الحياة من البيت إلى الهاتف، الشارع في الهاتف، الغرفة في الهاتف، البنوك والمدارس والمستشفيات في الهاتف، الأموال في الهاتف، «نحن» أنفسنا في الهاتف، هل يحدث وتنتقل أقسام الشرطة في الهاتف يومًا ما؟!
ويُقال: اليوم سأرى قريبي بقسم الشرطة داخل حبسه أمام شاشة الهاتف، لقد أصبح يمكنه أن يُحدثني ڤيديو كُول!
لماذا قد يصبح -أصبح- العالم قريةً صغيرة وهو منذ البداية عالمًا كبيرًا، هذه الكلمة هائلة وضخمة -العالم- الآن أصبحت لا أرى أضأل منها في هذه الحياة العبثية التي لم تُخلق أبدًا عبثًا.
والآن قد ألقيت لك أهم معتقداتي في الحياة، المُعتقد الذي خلقني شخصًا متمردًا لا يقبل بفعلية إعتبار ما يحدث حوله شيئًا منطقيًا، وإنما هو عبث كبير يزداد كل يوم نتيجةً عمّا نفعله.
-عِش مُتمردًا تَعش حيًّا-
ونتيجة لهذا العبث سأخبرك الآن ما في باطن العبث الحقيقي، وهو إننا الآن نحيا في عالم منطقي وحياة منطقية بطريقةٍ عبثية لا منطق ولا عقل لها، ورغم ذلك فإننا ما زلنا نحيا رغم هذا العبث الكبير الذي نعيشه، وإن كان هناك أيضًا شيئًا أكثر عبثية

من أي شيء، فسيكون ذلك الشيء الذي لطالما كان يقتلني دون أن يقتلني، مستمتعًا بقتلي وإبقائي حيًا أتألم منه، لقد كانت هذه الكتلة الصغيرة داخل رأسي، والتي لم تكف أبدًا عن التساؤل بهذه الأسئلة السخيفة التي لا علاج لها والتي هي : ماذا لو؟ كيف؟ لماذا؟ هل؟ أين؟ متى؟ هل ممكن؟

-إنه عقلي اللعين-

لأدرك أنا في النهاية مقولة كاتبي وفيلسوفي المفضل «دوسوتوفيسكي «- بأن:

«الانغراق في الوعي مرض».

الآن أخبرك بأن العبث أيضًا هو ذلك الحديث وكل هذه الكلمات التي قرأتها -أنت- الآن، لأنها في النهاية هي مجرد رأي ووجهة نظر لي، ولا يوجد عبثًا أكبر من كُل الآراء ووجهات النظر كما أخبرتك، لآنها لا تعتبر سوى آراء تتغير وليست ثوابت ثابتة، أعلم أنه قد خطر ببالك الآن أو منذ دقائق أن تتأكد من أن هذه الأوراق التي اشتريتها هي بالفعل رواية درامية مُشوقة تحكي أحداثًا تشعرك بالاستمتاع وليس كتابًا فلسفيًا يُغلق عقلك بعض الشيء ويخلق بعض الملل داخل منه، لكنني إذا كنت أؤمن تمامًا بأنه لا يوجد شيء يحدث في هذه الحياة بمحض الصدفة واللاسبب، فعليه قد أصبحت لا أفعل أي شيء في هذه الحياة دون سبب أو مبرر واضح لفعل هذا الشيء، لذا فإن كنت لم ترَ أي عبثٍ أو تطبيقٍ

له ولمعتقدي في هذه الفصول الأربعة السابقة، فما زال أمامك فرصة لترى حقيقته بقية هذه الأوراق التي أحاول جاهدًا أن أكون مختلفًا في خلقها، ما زال أمامك فرصة لترى.
«العبث الذي لن ينتهي أبدًا».
الآن تستطيع الذهاب من هُنا، أشكرك على جعلي أستمتع بحديثي معك، وأعتذر إن كنت قد أزعجتك قليلًا، أو أنني لم أسمح لك بالدخول في مناقشتي في هذا المعتقد، لكنك الشخص الوحيد الذي كنت أتأكد جيدًا من أنه لن يقاطعني أبدًا حتى إذا انتهيت من كلامي، فالقارئ يسمع فقط يا -أنت- وهذه هي ميزته التي سوف تختفي سريعًا إذا رأى من قرأ له في إحدى محلات بيع الطعام، سيلتهمه حتمًا.
هيا، انس كل ما قرأته الآن، امحُه من ذاكرتك، أنصحك أن تحضر له أبشع أنواع زجاجات التنظيف ذات الرائحة النتنة حتى لا تسطيع التفكير فيه، التفكير الآن يجب أن ينصب كاملًا في أحداث الرواية وفقط.
-الرواية التي لم انتبه لحظةً لوجودي أجلس بين أوراقها ناسيًا روحي بها، إلا أن تركت نفسي بينها عندما انتهيت منها وأغلقتها على نفسي-
فأنا الآن.
لم.

أعد.

موجودًا.

*   *   *

التنهيدة السادسة

(جارِ الانتهاء من تصوير الفيلم)

هل يمكن للإنسان أن يحيا عاريًا رغم ارتدائه ثيابًا؟

للأسف، يمكن.

لقد تكرر الأمر معي ثانية.

«أنا لا أستطيع الكتابة».

الآن أريد الذهاب إلى أعلى أبراج العالم لأشنق نفسي فوقها وأظل أهتز مثل بندول ساعة كلاسيكية قديمة، أو أسقط نفسي من هناك حتى يصبح جسدي فتاتًا تحمله مجموعات النمل لتتعشي به في حفلة ليلية ضخمة، أقاموها فرحة لاصطيادهم فريسة لن تشعرهم بالجوع مدى الحياة.

لماذا هذا الشعور المؤلم القاتل يا قلمي؟

أنا لا أستطيع سرد حياة أبطالي، لا أستطيع استكمال روايتي، لا أستطيع التفكير.

المدهش والمرهق هو أنني أعرف كل شيء أريد كتابته، الخطوط الدرامية، الحبكة، العقدة، الصراع، الذروة، حتى النهاية، كل شيء يجلس في رأسي بعد أن حدث أمام عيني، أتذكره ويتذكرني، لم أنسَهُ يومًا، فلماذا هذا الشعور السخيف بعدم القدرة على الكتابة؟

تبا لكِ أيتها الغرفة.

 بياضك المبالغ فيه يجعل الأفكار في عقلي بيضاء مثلك.
هذه أول مرة أرى فيها اللون الأبيض لونا أسودًا، فالأفكار لا تعتبر أفكارًا إلا إذا شعرت -أنت- بربكتها وخطوطها الكثيرة المنحنية والمتداخلة في بعضها، الأفكار الحقيقية هي التي تغضبك، وتخرج نيرانك لتتشاجر معها، مع ملاحظة أن هذه النيران لن تنطفئ إلا عندما تنتهي مشاجراتك مع هذه الأفكار.
المشكلة أنك تعلم أن هذه المشاجرات داخل عقلك لن تنتهي معك.
ومع ذلك ما زلت تتشاجر!
اعذرني يا -أنت- اليوم لم أجدِ نفعًا صغيرًا من دخول القلم والأوراق إلى غرفتي، اليوم.. لم أكتب سوى بعض المدونات التي حلمت بها وأنا مستيقظ داخل أحلامي.
والآن.
سأجعلك تراها ولن أبخل عليك بزيارة أحلامي:
• الحلم الأول، أشعر وكأنني في رحلة داخل أعماق عقلي، رحلة منفردة، لم أصطحب أحدًا بها سوى جسدي، كنت أحمله ويحملني، وظللنا ننظر حيث البحر، أقسم بأنني لم أرَ لونه واضحًا هكذا مثلما رأيناه الآن، لقد فاق في زرقته زرقة السماء بالأعلى، أما عن السماء ذاتها، فقد غمزت لي، افتقدتني كثيرًا لأنني بدأت أهملها منذ أن تزوجنا، قالت أنني لم أحافظ على عهدنا قبل

الزواج، وهو ألا أبعد عيني عن سحابها ونجومها أبدا، إنها محقة، فقد غفوت قليلا، رأيت الشمس لامعة على عكس عادتها في الخفوت، كيف لي أن أراها بهذه الصورة التي كنا نرسمها فيما مضى ونحن أطفال؟ الخطوط الصفراء الطويلة والقصيرة، خط طويل مرة ثمَّ القصير يتبعه حول الدائرة، أخبرتني أمي كثيرًا بأنها خطوط وهمية ترسمها عقولنا وبأن الشمس ليست هكذا في الحقيقة، لقد كانت أمًا شقية وتكذب أحيانًا، فالشمس هكذا في عيني الآن.

- الحلم الثاني، لقد كتبت عني إحدى أشهر المجلات في أوروبا، حيث قالت «ChristenBell» ناشرة الخبر: تعودنا دومًا أن القصص الدرامية والروايات هي في النهاية روايات ومجرد قصص، لك أن تتخيل ما تقرأ، ولكن ليس لك أن تتمنى رؤية ما تخيلته في واقعك، أما عن هذا الكاتب فقد أخافني قلمه؛ إنه يسرد حياتنا بدقة!».

- الحلم الثالث، لقد صعدت على سور شرفتي في الدور السابع.

- الحلم الرابع، لقد حدثت «المعجزة» اليوم استطعت زيارة

العديد من الدول في رحلتي السياحية حول العالم، بدأت في كندا، أبهرني النوم داخل فندق ريتز كارلتون، كيف كنت أسمي نومي طوال هذه السنوات الماضية نومًا بالفعل! ربما كانت غفوة أو بعضًا من الإرهاق والتعب، ولكن نوما؟ لم أره سوى هناك، بالتأكيد كانوا يضعون مخدرًا بالفراش حتى يستطع نزال الفندق النوم أكثر مدة، وبهذا يبقون بالفندق مدة أطول، أشقياء كبار أصحاب هذا الفندق، وحتى لا أكون أنانيًا فأنا أنصح عشاق النوم بالمجيء إلى هنا، ولكن حاولوا كتمان أصواتكم أثناء النوم، فسيطول نومكم كثيرًا، ونحن لا نريد نظرات أجنبية غاضبة، حاولت التزلج فوق منحدرات توبوجان بمدينة كيبيك، لكنني لم أنل سوى السقوط، لن أسامحك يا أمي لأنكِ لم تعلميني هذه الأمور لكونك تخافين علي كثيرا؛ أولهم: الدراجة التي لم تحتضريها لي وأنا صغير، تمكنت من الرقص داخل مدينة بويرتو فالارتا بالمكسيك، أعجبت بعض الفتيات بسهولة تعلمي لبعض رقصاتهم بسرعة كبيرة، ما هذه السعادة! لقد كادت إحداهن أن تقع بحبي، وطلبت مني أن أغني لها أمام الجميع، ولكنها سريعًا ما ركضت خلف كل الحضور بمجرد أن بدأت في الغناء، ترى إلى أين ذهبوا حينها بعد سماع أول كلمة غنائية مني؟ بالتأكيد أدهشهم صوتي فذهبوا لإحضار بعض الهدايا لي، إنها روعة الأغاني المصرية، لقد كذب أحد أصدقائي عندما أخبرني بأن التاكو والجبن هما أفضل ما سيدخل معدتي

بالمكسيك، كيف لم يجرب ال Chilaquiles و Tamales، مع أنني تعجبت عندما أدركت بأن الأخيرة كانت عبارة عن ذرة مطبوخة بالقشر الخاص بها، ليتهم يعرفون ماذا نفعل بهذا القشر! التقطت العديد من -السيلفي- مع حقول الشاي التي لا تعرف لها نهاية في سيريلانكا، أخيرًا قد وجدت أناسًا يحبون الشاي مثلنا بل وأكثر، لم أسمح لنفسي بالسفر إلى بلدة أخرى بعد فيتنام، أدمنت القهوة الفيتنامية لدرجة أنني شربت عشرين كوبًا في ساعتين فقط، وددت لو تركوني بقية عمري في كهف هانغ سن دونغ في حديقة فيتنام الوطنية لأستكمل مسيرتي الكتابية هناك، ولكن حينها.. لن أكتب سوى القصص المرعبة.

أتعرف إذن يا -أنت- لماذا أطلقت كلمة «معجزة» على هذا الحلم بالسفر في بداية حديثي، لأنه في النهاية لم يبق سوى مجرد حلمٍ -أنا لم أسافر- فأنا أكره السفر والدوران حول العالم، أشبه الأسماك تماماً، إن خرجت من ماءُها.. ماتت، أعرف بأنني سأفعلها يومًا، ولكن حينما يموت هذا الكره بداخلي، وأستطع حينها قادراً علي العيش خارج مياهِ الخاصة.

• الحلم الخامس، سافرت إلى نيويورك حتى أشتري هدية لأمي في عيدها، لم يكن عيد الأم، كان عيد ميلادها، اشتريت ثوبًا قصيرًا أسودًا مع بعض التداخلات الذهبية، طُرِزَ بالورود الصفراء

حول الرقبة، كان ملتصقا وجذابا للغاية، شعرت بأنني عندما أخرجه لأريها إياه فلن أتلقى سوى بعض الكلمات القبيحة التي تسبني بها دائما، آخرها بأنني: «سافل ومطلع عينها» رغم كبر سني، وبالفعل لقد حدث ما شعرت به -لقد أطلقت الكلمات القبيحة- ومع هذا فأنا أعشق هذه الطفلة الكبيرة، والتي أشعر معها دوما بأنني أبوها، أكثر من شعوري بأنها أمي.

- الحلم السادس، لقد ماتت أمي، واليوم هو أول زيارة لها في أحلامي.

- الحلم السابع، لقد قفزت من سور شرفتي في الدور السابع -ولكنني لم أمت- فقد كنت أحلم من البداية.

وهكذا كان ما كتبته اليوم يا -أنت- مجرد أحلام.

السؤال هنا.

إلى متى سأظل أحلم فأكتب؟

إلى متى سأظل أكتب ما أحلم به؟

* * *

الحرف الأول من اسم (نادر)

يتبقى...

حرف واحد

وتصل إلى عنوان الرواية بعد كُل هذا البحث يا «أنت».
شيئاً أعجبني فنفذته: أحببت أن يكون الحرف الأخير خاصًا بفتاة الأوسكار، أظنك تعرفها جيدًا.

* * *

أزالت (قوت) شالها الأسود من فوق كتفها ثمَّ جلست في نظرات حادة إلى (بدير) الذي بدأ يقترب منها وهو يفتح ذراعيه ليأخذها بين أحضانه، قائلًا في سعادة:
- طب والله وحشت..!!
أوقفته بكف يدها ليرفع عينه مستعجبًا وهو ينظر لها بحدة، ثمَّ قالت بصوت فقد طيبته المعتادة:
- أنا مش جاية عشان كدة.
أخذ أنفاسه ببطء وهو يعود بظهره للجلوس أمامها، ثمَّ قال مبتسما ببرود:
- أومال؟!
اهتزت عيناها قليلًا من ثقته التي تخيفها دائمًا، لكن سرعان ما تجاهلت خوفها وتماسكت وهي تقول محدقة بقوة:
- عايزة أعرف إيه آخرة حكايتك إنت وياقوت؟ وإمتى هتنفذلي اللي اتفقنا عليه؟
استقبل جملتها صامتًا، ثمَّ بدأ يُخرِج إحدى سجائره ببطء شديد، ظل يقتلها صمته وبروده، فقد كان ينظر لها كلما ينفذ خطوة من

مراحل اشتعال السيجارة؛ أثناء خروجها من الحافظة المعدنية، وأثناء عودة الحافظة إلى جيبه، أثناء وضعها بين شفتيه حتى اشتعالها، بينما توالت هي في أخذ أنفاسها في غضب وتوتر لما يفعله، ليقول بعد أن أخرج أول أنفاسه في وجهها:

- لسة شوية، متستعجليش.

استعجبت جملته ثمَّ ردت بعصبية:

- يعني إيه مستعجلش!! أنا ماعدتش عارفة أعيش معاه إزاي وهو بيعمل إللي بيعمله ده!

ظل يقبل سيجارته ببرود، ثمَّ قال بابتسامة ولا مبالاة:

- معلش، كل أما تصبري، كل أما انتقامك يزيد، وكل أما انتقامك يزيد، كل ما هتسمعيه وهو بيستنجد بيكِ تحت رجلك شبه البط البلدي، طب هو فيه أجمل من كده، طب بذمتك مش هيصعب عليكِ وهو بطة؟

اندفعت في وجهه غاضبة وهي تقول:

- بطل بقى سخافتك دي يا بدير، أنا مش ناقصة.

ظل وجهه باردا وكأنه لم يعد يشعر بمشاعر من حوله، ثمَّ وقف واتجه نحوها ليجلس بجانبها ويحيط بذراعه عليها، قائلًا بصوت خافت طمئنها:

- إزاي عايزاني أبطل الحاجة إللي خلتك تتجوزيني يا حبيبتي؟

عدلت وضعيتها لتسقط عيناها في وجهه، ناظرة بتعجب وحزن،

ثمَّ قالت بطريقتها التي تعودت عليها مع (ياقوت):
- وهو إنت شايف إني حبيتك واتجوزتك عشان سخافتك وبرودك يا بدير!! تبقى غلطان .. وتبقى غلطان بردوا لو افتكرت إني قبلت بيك عشان بتساعدني ننتقم من ياقوت!
اقترب منها وهو يحدق بعينها ببعض من اللطف المصطنع، ثمَّ قال بصوت زاد هدوءه أكثر:
- طب قوليلي إنتِ، عايز أسمعك.
صمتت قليلًا وهي تحدق في عينه بحب، ثمَّ قالت بصوت يبكي:
- أنا حبيتك عشان إنت حسستني إني موجودة، حبيتك عشان قدرتني وعرفت قيمتي، ودي أكتر حاجة ممكن تتمناها الست من إللي بتحبه؛ لما تحس إنها فارقة معاه ووجودها بوجوده، أنا حبيتك عشان شوفتني مالية عينيك، هو كمان بيحبني أوي، بس عمري ما حسيت إني مالية عينه، دايمًا كنت بشوفه محتاج حد غيري يكون معاه وجنبه لحد مانت جيت وأكدتلي ده.
ابتسم لها بسعادة لما قالته، لقد شعر بأنه قد نجح فيما كان يريده، فقد أصبحت تكرهه، وهو لا يريد أكثر من ذلك، ستسير الأمور وحدها بعد هذا الكره، أخذ رأسها بين أحضانه سائرًا بيده بين شعرها ثمَّ قال وهو يأخذ أنفاسه:
- متخافيش يا حبيبتي، كل إللي إنتِ عايزاه هعملهولك، وعشان خاطرك، الأسبوع الجاي هخليكِ تصلي عليه، ده إذا قدرتِ تصلي

عليه يعني، مبسوطة يا ستي؟

لم ترد.

انتفض جسدها فقط بين أحضانه دون ان ترفع رأسها في وجهه، في حين ما ابتسم هو لانتفاضة جسدها وخوفها عليه.

لقد شعرت بأنها لا تريد أن تكمل هذا الانتقام، ولكن كيف؟!

لقد أوشك كل شيء على الانتهاء.

* * *

* مر أسبوع – نوفمبر:

- سيخرج (صادق) من المشفى غدًا.
- خرجت (ورد) من المشفي صباح اليوم برفقة (خالد).
- ازدادت العلاقة بين (نادر) و (نور) إلا أن أصبحا ينامان على صوت بعضهما.
- اليوم، سيقتل (ياقوت).

* * *

ظلت (أميرة) ترقص داخل إحدى قاعات الشركة الواسعة، تتنفس صوت الموسيقى من حولها ناسية كل شيء، تمنت ثيابها البيضاء بألا تزال من عليها أبدًا، فالثياب لم تر نفسها ثيابًا أنيقة هكذا إلا عندما وضعت فوق جسدها، لقد صنعت هذه الثياب من أجلها وفقط، جسدها الريشي الخفيف ينتقل بين كل أركان القاعة في خفة واضحة، لم تكن ترقص.. لقد كانت تتطاير في الهواء، أتقنت

رقص الباليه بشدة حتى أصبحت ترقص بعين نائمة.
لقد كانت تحلم وهي ترقص، ترسم الحياة دون حروب أو معارك، والحب دون ألم أو فراق، الحب دون بكاء، والأسرة دون شجار، والصداقة دون حاقد، العيش دون تقيد، العيش بحرية فقط، لقد كانت تؤمن بمقولة:
«لقد خلقنا الله دون قيود، فكيف للناس أن يصنعوها؟».
هكذا كان الرقص بالنسبة لها «حرية».
قاطع رقصها صوت طرق الباب الزجاجي عدة مرات لارتفاع الموسيقى، فتوقفت ناظرة، ثمَّ اتسعت عينها وتعجبت لرؤية (صادق) أمامها، كيف له أن يخرج من المشفى اليوم وموعد خروجه غدًا؟ بل كيف يخرج من الأساس دون أن يخبرها حتى تكون بجانبه في هذه اللحظة؟
انطلقت نحوه مسرعة في استعجاب، بينما كان ينظر لها بابتسامة، وما أن كادت تندفع بكلماتها بقوة:
- إنت اتجننت يا بني إنت؟! إنت إزاي تخرج من غير ما تقو...!!
لم تستطع استكمال حديثها عندما رفع يده التي كان يخبئها خلف ظهره لتظهر لفة ورد أصفر من عباد الشمس، اتسعت عيناها وانفتح فمها قليلًا، لم تعد تشعر بقدرتها على الحركة أو السير، أو ربما لم تعد تستطع الرقص نفسه، فقد أحضر لها أحد الأشياء التي تعشقها.

ظل ينظر لها مبتسمًا وهي تحدق إلى الورد في سعادة، ثمَّ قال بصوت فرح:
- إيه!! هتفضلي مبحلقة فيه كدة كتير؟ طبعًا مش مصدقة إني جيبته، أصل محدش لاقيه اليومين دول، هتاخديه بقى ولا أرجعه؟
لم تفكر في رد فعلها حتى اختطفته بأصابعها بقوة من بين يده، ثمَّ أغلقت الباب الزجاجي في وجهه وهي تحدق بالعباد، ليوقفه بيده مدهوشًا وهو يقول بصوت عال مستعجبًا:
- هو إيه!! في إيه!! إنتِ خدتِ الورد ونسيتيني ولا إيه؟
رفعت عينيها في وجهه بعد نظرات طويلة بينها وبين الورد، قائلة في حرج وسعادة:
- أنا آسفة يا حبيبي والله، إنت عارف بقى، ده عباد الشمس يعني.
نظر لها ببعض الغضب، وكأنه ندم على اشترائه، ثمَّ قال بعد أن ضغط على شفتيه:
- عارف يا ستي إنه عباد الشمس، مانا إللي جايبه وياريتني ما جيبته، ما تجيبي إما أرجعه أحسن؟
ابتسمت له في سعادة، ثمَّ أمسكت بذراعه ووضعتها حول رقبتها لتساعده على السير داخل القاعة، ثمَّ قالت مازحة:
- ادخل يا بابا ربنا يهديك، ورد إيه اللي ترجعه! هو أنا لسه خليتك تشتري حاجة، ده إنت إفلاسك على إيدي يا حبيبي والله.

ارتفعت ضحكاتهما سويًّا أثناء السير، كانت عرجته خفيفة عما سبق نتيجة عن ألم العملية فقط.
صمت فجأة بعد أن شرد في عينيها وهي تسير به، منذ أن عرفها وهو دائمًا ما يشعر بنفس هذا الشعور كل مرة ينظر لها فيها؛ إنه الشعور بفقدان الوعي أو العقل أو الذات نفسه!
لم يسبق له أن تاه في عين أحدهم مثلما حدث معه أمام عينها.
لم يكن ذلك فقط، فلم تتركه رائحتها أيضا، كانت رائحة غريبة، كان بإمكانك أن تتذوقها أكثر من شمها وتنفسها.
تبادلت الشرود معه وهي تنظر له بشغف واشتياق، لقد تمنت أن يطول الطريق حتى يبقيان هكذا، تتنفس رائحته وتغرق في عينه.
لكن كان من الصعب تحقيق ما كانت تتمناه، فقد وصلا إلى آخر الطرقة حيث أريكة مستطيلة صُنعت من الرخام الأبيض، وما إن كاد يرفع (صادق) عينه للنظر أمامه.
حتى وجد (نور) تجلس على الأريكة!!
لقد صعق وصدم وجمد جسده، ما الذي جاء بها إلى هنا!! ربما يحتاج الآن لعملية جديدة تساعده على السير بعد هذا التجمد الذي حل به.
ظل يحدق بعين مدهوشة، لم تكن (نور) بمفردها، بل كانت هي وهو نفسه معها!

كانا يجلسان عن قرب من بعضهما وهي تحاوط ذراعيها حول رقبته مثلما تفعل (أميرة) معه الآن، كانا يضحكان بشدة، أدهشه قربه الشديد منها وإمساكه بيدها بهذه الطريقة التي لم يفعلها معها في الحقيقة، فكيف له أن يفعلها الآن في خياله؟

- يا صادق!! مالك وقفت ليه!! إنت حاسس بحاجة؟

قالتها (أميرة) بقلق لتوقفه المفاجئ، ليرد مرتبكًا عائدا من شروده إلى انتباهه:

- ها!! آه، رجلي وجعتني فجأة كده.

ردت بقلق ازداد بداخلها وهي تحركه نحو الأريكة للجلوس:

- معلش يا حبيبي، ده بس من أثر العملية، كلها كام يوم وماعدتش هتحس بأي حاجة، يلا ارتاح.

رفع عينه ثانية ناظرا أمامه إلى (نور) لكنه لم يجدها، بحث عنها بعينه قليلا ثمَّ أخذ أنفاسه بعد أن أدرك تخيله، إلى أن جلسا في النهاية في نفس مكانه مع (نور).

لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:

ماذا حدث معي؟ وكيف لعيني أن تراها الآن رغما عني؟

ولماذا بهذه الوضعية؟

لماذا دائما يوجد من يسندني ويساعدني في هذا العالم، متي سأساعد أنا غيري؟ متي سيكون كتفي سندا لمن هم يحتاجون المساعدة؟ متي أشعر بأنني سعادة هائلة لأحدهم فتتسع عينه فرحة بي؟

إني أتألم، وألمي كبير لا حجم لعمقه داخل مني.
إني أتألم، ولا أعرف إلى متى سأظل هكذا!
أتألم فقط.
- قولي بقى، إنت مش ميعاد خروجك بكرة؟ إيه إللي خلاك تطلع النهاردة؟ وإزاي تطلع أصلا من غير ما تقولي؟
قالتها (أميرة) بعتاب وهي تحمل الورد بين احضانها، ليرد مبتسما محاولا الرجوع لحالته:
- حبيت أعملهالك مفاجأة، وكمان مكنتش هعرف أجيب الورد وإنتِ معايا.
ابتسمت برقة، وانتقلت عينها من الأسفل للأعلي في حرج، ثمَّ ردت بسعادة هادئة:
- لسة بتحب تفاجئني إنت.
ابتسم سائرا في وجهها بعينه، ثمَّ قال بحب:
- قولتهالك زمان قبل كده، إني أعيش علشان اسعدك وبس، دي حاجة تسعدني أوي، أصل إنتِ مابتشوفيش نفسك وإنتِ بتضحكي، بتبقي شبه العباد إللي في ايدك ده.
ظهرت أسنانها ثمَّ هزت رأسها قليلًا وهي تقول مازحة:
- إيه ده تصدق أول مرة أعرف ان العباد بيضحك!
انعقد حاجبيه ببعض الغضب ثمَّ رد بعصبية متدرجة:
- والله! أنا كمان أول مرة أعرف إنه مابيجيش لأي حد، هاتي.

حاول أن يأخذه بعنف لكن أصابعها رفضت ذلك بعد أن قيدته، لترد ضاحكة وهي تدافع عنه في أحضانها:

- إيدك يا عم لتوحشك.

اتسعت عيناه مدهوشا ثمَّ قال بصدمة:

- جرى إيه يا بت إنتِ؟ ده منظر واحدة فنانة!

ضغطت على شفتيها وهي تضيق بعينها باستخفاف، قائلة بطريقتها:

- فنانة جدًا، عندك مانع؟

نظر لها باستحقار ثمَّ قال بنفاذ صبر:

- معنديش، ما هو أنا إللي أستاهل، قوليلي بقي هو النهاردة أجازة في الشركة ولا إيه؟ أنا مشوفتش حد هنا غيرك يعني!

أخذت أنفاسها ثمَّ قالت بجدية:

- لا مش إجازة ولا حاجة، أصلًا من ساعة ما الشركة اتفتحت واتعينا فيها ومفيش مخلوق بيدخلها؛ لا موظيفن ولا أمن ولا حتى ناس موهوبة عايزة تقدم، مش عارفة بقي هو محدش شاف الدعايا إللي اتعملت دي كلها ولا إيه!! استعجب قليلا ثمَّ رد دون أن يفكر:

- أكيد لا طبعا، ده أنا سمعت إن الدكتور ياقوت صرف ملايين على الدعايا لوحدها.

أخذ أنفاسه ثمَّ فكر قليلا وهو يستكمل متسائلا:

- ماقولتليش بردو، ليه بردو بتيجي لوحدك بدام مابتلاقيش حد؟
ردت بانعقاد حاجبيها وببعض من الشعور بالملل:
- مانا هعمل إيه بقى؟ إنت عارف إني مابحبش قعدة البيت، والرقص كان واحشني فقولت آجي لحد ما إنت تخرج ونفضل سوا.
نظر لها قليلا وهو يفكر في جملتها الأخيرة، ثمَّ قال مغيرا صوته وكأنه يغير مجرى الحديث:
- إنتِ ليه وافقتِ يا أميرة؟
هزت رأسها ثمَّ قالت بمنطقية:
- زي مانت وافقت يا صادق، أكيد وافقت أشتغل عشان بحب إللي بعمله يعني!
صمت قليلا، ثمَّ شرد في وجهها، قائلًا بتردد:
- أنا مقصدش ده، أنا قصدي ليه وافقتِ إننا نرجع لبعض؟
انعقد حاجباها، واندهشت من سؤاله، لترد بصوت متعجب:
- مش فاهمة؟ يعني إيه، وإيه لازمته السؤال ده أصلا!
تردد قليلا ثمَّ قال بعين مهتزة:
- عادي، سؤال جه في بالي وقولت أسألهولك.
ردت بوجه جاد غادرت ملامحه تماما:
- سؤال إنت عارف إجابته كويس أوي، وهو إني بحبك.
اهتز قليلًا من كلمتها وكاد ان يبتسم، لكنه تجاهل ذلك وهو

يستكمل حديثه البارد الذي ظل يغضبها، قائلًا بشك :
- يعني أنتِ مش ناوية تبعدي تاني يا أميرة؟
اِندفعت في وجهه غاضبة ومستعجبة:
- هو فيه إيه يا صادق!! إحنا مش اتكلمنا في الموضوع ده قبل كدا وحلفتلك إني مش هبعد تاني.. أعملك إيه عشان تصدق يعني؟
أخذ أنفاسه ثمَّ رد وهو ينقل عينه في النظر أمامه، قائلًا دون أن يريها وجهه:
- معلش أصل أنتِ لما سبتيني زمان كان بسبب حاجة مش هييجي أصعب منها، مرضي، فما بالك بقي بأي حاجة ممكن تحصل بعد كدا، رد فعلك هيكون إيه؟
تأملت عينه بحدة ثمَّ قالت بوضوح تعودت عليه مع الجميع:
- بص يا صادق، أنا عمري ما هبعد عنك تاني، إلا إذا حسيت إن بعدنا ده فايدة لينا إحنا الاتنين.
شعر وكأنه اصطاد ما كان يريد أن يصطاده، لقد أمسك في جملتها وكأنه كان يحاول أن يخرجها منها، ليغير وضعيته سريعًا بعد أن ظهرت ملامحه الغاضبة، ثمَّ قال باندفاع وتعجب:
- يعني إيه!! فيه اِحتمال إنك تمشي تاني؟!
لم تنظر لعينه وهي تقول ببعض التردد والوضوح الذي لن يفهمه هو جيدًا:
- مفيش حاجة ملهاش اِحتمالية يا صادق، كل حاجة ممكن تتغير

في يوم وليلة.
اِرتفع حاجبيه ثمَّ قال بابتسامة ساخرة وغاضبة:
- أنا مش قادر أفهم بجد أنتِ إزاي سهل عليكِ تقول كدا!
حدقت في عينه بقوة وهي تتأمل سخريته، ثمَّ ردت بهدوء وصدق:
- أنا مقولتش حاجة يا صادق، أنا بس واضحة معاك، وقولتلك دلوقتي إني مش هسيبك تاني فعلًا.
لم ينظر لها وهو يرد بسخرية:
- وممكن تسيبيني، مش عارف أنتِ حابة تحيريني بقي ولا إيه؟
ردت بجديةٍ:
- لا مش بحيرك، أنا قولتلك أنا واضحة معاك، ولا عايزني أكدب عليك وأقولك إن مهما حصل هتلاقيني معاك، لحد ما تحصل حاجة أكبر مني ومنك تخليني أبعد وأطلع في نظرك وحشة وببيعك تاني؟
اقترب منها، ثمَّ حدق في عينها، ناظرًا لها وهو يعقد حاجبيه بحدةٍ:
- مفيش حاجة أكبر مني ومنك غير ربنا، ودي حاجة مقدرش أتكلم فيها، لكن أنتِ أصلًا مش عايزة تطمنيني، كأنك مستكترة عليا إني أضمن وجودك؟
كررت منطقها التي تؤمن به بشدةٍ:

- لأن أنا نفسي مش ضامنة وجودي يا صادق.
استفزته كلماتها فلم يفكر في رده، قائلًا بسرعةٍ:
- تمام، وأنا كمان مش هقدر أضمنلك وجودي.
لم تتوقع جملته، شعرت بأنها كانت جملة مؤلمة بالفعل، وبأنه كان عليها أن تخبره بها بطريقة مختلفة وليس هكذا، صمتت قليلًا بعد جملته، ثمَّ وضعت الورد بجانبها وكأنها قد نسته وانتهت سعادتها به، لترد بصوتٍ خافت امتلئ بالخوف:
- يعني إيه؟
ابتسم بسخافة ثمَّ قال مقلدًا طريقتها:
- يعني أنا عمري ما هسيبك أبدًا، بس مش بعيد في أي وقت تلاقيني بسيبك، أصل أنا نفسي مش ضامن وجودي الصراحة.
نظرت له ببعض من اليأس لأنه لم يفهمها، ليستكمل بحدةٍ:
- شوفتي قد إيه إن الاحتمالية دي مستفزة وبتوجع، وإن كان ممكن تطمنيني حتَّى لو كان ده هيبقي شيء مؤقت وممكن ينتهي بعد كدا، ساعتها مكنتش هشوفك وحشة تاني لأني مشوفتكيش وحشة قبل كدا، ساعتها كنت هقول إن ده خير لينا، بس زي ما قولتلك أنتِ اللي مستكترة عليا إني أضمن وجودك، تقريبًا كدا بتستمتعي بحالتي وأنا مهزوز لأنك ممكن تمشي في أي وقت، عشان كدا خلينا نتهز شوية إحنا الاتنين.
أنهى حديثه وهو يعود بظهره سريعًا ليستند على الحائط ناظرًا

أمامه وباعدًا عينه عنها.
بينما ظلت هي تحدق في عينه بوجهٍ حزين منعقد الحاجبين يائسًا، لم يجد عقلها ما يرسله إلى لسانها حتَّى تخبره به، فظلت صامتة تفكر في حديثه.
لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
كيف للسعادة التي شعرت بها معه أن تنتهي بهذه السرعة؟
كيف أن يكون عمرها أيامًا قليلة وتموت هكذا؟
ولما تموت من الأساس!
هل تعرينا أمام بعضنا في تلك اللحظة التي اِفترقنا فيها من قبل؟
لتموت حينها كل الأشياء التي كنا نظن بأنها لا يمكن أن تموت أبدًا.
الحب، والخوف، والاطمئنان، والإخلاص، والثقة.
هل يقتلنا فقدان الثقة لثيابها؟
هل نرى العطاء شيء ثمّينًا لا يستحقه من نحب فنحرمه منه؟
وهل سنبقى هكذا؟
لا يشعر أحدنا بألم الآخر، بعد أن كان يقتله هذا الألم!
عادت بظهرها ببطء لتصبح في نفس وضعيته، استندا الاثنين على الحائط في شرود
ظلا يحدقان أمامهما دون أن يشغل أحدًا باله بالآخر.
إلى أن حدث ما شغل قلوبهما.

ظهرت (نور) تبتسم إلى (صادق) بوجهٍ حالم يتأمل وجهه.
وظهر (نادر) يبتسم إلى (أميرة) بسعادة مفرطة.
هل هذا اشتياق وحب، أم شماتة؟

* * *

- تعرف، كان ليا واحدة صاحبتي في بيطري قالتلي حاجة بخصوص دراستها قتلتني ضحك.
قالها صوت (نور) الذي خرج سعيدًا من هاتف (نادر) ليرد عليها بسعادة وهو يجلس على فراشه:
- قالتلك إيه؟
عدلت وضعيتها محتضنة بوسادتها التي لا تتركها بمفردها أبدًا أثناء النوم، ثمَّ ردت بضحكٍ:
- قالتلي هما ليه يسموا الدودة شيستو سوما هيما توبيم حاجة زي كدا، لما ممكن يسموها فسفس عادي يعني؟
اِرتفعت ضحكته بقوة، ثمَّ تبعته ضحكتها وهي تستكمل:
- اه والله زي ما بقولك، فضلت يوميها حوالي أسبوع مبقولهاش غير آلاء فسفس.
ارتفعت ضحكته ثانية إلى حد الدموع، ثمَّ رد وهو يأخذ أنفاسه:
- يا خرابي يا نور، ده أنتِ طلعتي حتة فسفس.
ردت بقوة وهي تدافع عن نفسها:
- لا يا عم أنا مش في بيطري الحمد لله.

«مرحبا يا «أنت» إذا كنت طالبًا بهذه الكلية، اِبتسامة لك»
رد عليها بالصمت بعد أن انتفض جسده فجأة وهو ينظر إلى هاتفه لرؤية من يتصل عليه، قائلًا بارتباك:
- طب معلش يا نور ممكن تخليكِ معايا ثواني هشوف الويتنج ده؟
لترد بتلقائية:
- ماشي يا حبيبي براحتك.
حول الاتصال من (نور) إلى المتصل الآخر، ثمَّ قال بقلقٍ وبوجه خافت محاولًا تجاهل نبضات قلبه السريعة:
- أيوة يا أميرة!
صمتت (أميرة) قليلًا وهي تضع يدها فوق فمها وكانها تريد أن تمنعه من الحديث، لا تعرف هل كانت مخطئة في حديثها مع (صادق) ؟ أم إنهما تغيران عمَّا سبق مثلما أدركت ذلك قبل أن يغادرها (صادق) منذ قليل؟
لتقول وهي تنقل عينها بارتباك في كل أركان قاعة الرقص الفارغة:
- وَحشتني.
اِهتز وجهه وظهر عليه جزءًا صغيرًا من اِبتسامته، وما أن كاد يرد عليها ب «وأنتِ كمان وحشتيني» حتَّى قاطعته مستكملة:
- لو مش عايز ترد براحتك عادي، أنا بس حبيت اطمن عليك، وكمان حسيت إنك وحشتني فعلًا فقولت أقولك.

فكر قليلًا في كلمتها التي جعلته يشعر بوجوده، لقد شعر بأنه حرر دولة محتلة، أو فاز بإحدى أولمبياد العالم، أو حرك بإصبع سيارة نقلًا حاملة أطنان من الحديد الأسود الثقيل.

أنزل الهاتف من فوق أذنيه وأنهى اتصاله مع (نور) دون أن يخبرها معيدًا الهاتف فوق أذنيه بسرعة وهو يغير وضعيته، قائلًا بصوتٍ هادئ ساذج:

- وحشتيني أوي بجد.

* * *

أنزلت (نور) الهاتف من فوق أذنيها في تعجب واستغراب، وما إن كادت تعيد الاتصال به مرة أخرى، حتَّى استلم هاتفها رسالة عبر برنامج «WhatsApp».

ضغطت على الرسالة بالأعلى وتجاهلت اتصالها ب (نادر).

كانت الرسالة من (صادق)، كتب فيها:

- إزيك يا نور، أنا مش عارف أنا ليه ببعتلك دلوقتي بس أنا حسيت فجأة إني عايز أبعتلك.

أنا أسف، عارف إني وجعتك وخبيت عليكِ حاجة مكنش ينفع أخبيها.

بس أديني أهو بقولك أنا أسف.

وصحيح، أنا بحبك أوي!

ووحشتيني بجد!

رفعت عيناها لتنظر أمامها مفكرة في حديثه، ماذا تفعل بعد أن قال الكلمة التي حلمت أن تسمعها منه طوال حياتها «بحبك»؟ أخذت أنفاسها بقوة ثمَّ أمسكت بالهاتف مستعدة للكتابة وإخراج ما بداخلها، كتبت:

- عارف يا صادق أنا بعدت عنك ليه؟

Sadek typing..

- ليه!!

Nour typing..

- عشان أنا مكنتش حمل وجع تاني.

خصوصًا إن أنا عمري ما هشوفك أخ أو مجرد صاحب.

ومهما حاولت أقنع نفسي بده.

بردوا مش هعرف.

أنا قلبي مغلوب على أمره يا صادق.

وعمري ما هعوزك زي أي حد أو شبه أي شخص.

ممكن أنزل أتعرف عليه في الشارع.

أنا عايزاك حبيبي، حبيبي وبس.

غير كدا مش هنفعلك.

وأنا مش شايفة إن دي حاجة عيب.

بس أنا منفعش أكون حاجة غير كدا معاك.

- «صادق».

لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:
ليتها أحبتني «أميرة» مثلما عشقتني هي «نور».

- «نور».

لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
ماذا فعل معي حتَّى يتنفسه قلبي بهذه الطريقة؟ «صادق» ويقطع كُل أنفاسي الأخرى بغيره «نادر»

- «أميرة».

لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
تُرى لماذا لم أشعر بهذه النبرة العاشقة في صوته «صادق» بقدر ما شعرت بها معه هو؟ «نادر».

- «نادر».

لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:
لم أشعر بالحب إلَّا معها «أميرة» غير ذلك كانت أوهام عابرة «نور».

Sadek typing..

- وأنا من اِنهارده حبيبك.

* * *

«عايزك أول ما تطلع من المستشفى، تطلع على بيت الحجة على طول وتقعد معاها أنت وورد، مش عايزك تقرب من بيتك لحظة واحدة، وأنا هحاول على قد ما أقدر أبعد عنك الناس اللي

بيراقبوك، أنا عارف إن الدنيا مش تمام بينك وبينها، بس معلش، حاول معاها المرة دي، هي مهما كانت أمك، عايزك تطمن، أنا اتفقت مع اللواء حسين على كل حاجة، وقريب، كل حاجة هتخلص، واللعبة السخيفة دي تنتهي بقى، ووقتها هقف قدامك وأنا مستعد لأي حكم تاخد حقك بيه، مني، خلي بالك من نفسك يا خالد».

ظلت كلمات (ياقوت) تترد في أُذن (خالد) بعد أن نفذها.

فالآن، أصبح داخل منزل أمه، أظن بأنك تتذكرها جيدا يا -أنت- فهذه المرأة لا تنسى.

جلسا الاثنين أمام بعضهما في صمت، بينما جلست (ورد) بإحدى الغرف داخل البيت بعد أن اِصطحبتها (علياء) شقيقة (خالد):

- معلش بجي ياما، أنا عارف إننا هتجل عليكِ شوية، كلها كام يوم ونعاود بيتنا تاني.

نظرت له بحدةٍ وهي تضع يدا على يد، ثوبها الأسود لا يجعله يشعر بحنانها الذي عاش عليه وهو صغيرًا، لترد بعد أن أخذت أنفاسها المكبوتة، قائلة بصوتٍ متحجر:

- عايزة أعرف سبب الحكاية دي؟ إيه اللي حصل خلاك تيجي تداري هنا؟

ارتبك قليلًا لذكائها، ثمَّ هرب إلى ابتسامته المتوترة وهو يرد بعين مهتزة:

- أتداري!! وأنا هتداري من إيه يا ما؟
أضاقت عينها ثمَّ قالت وهي تضغط على شفتيها:
- أنا اللي بسألك يا ابن بطني.
استمر في محاربة علامات الخوف على وجهه، ثمَّ قال محاولًا الثبات:
- اطمني يا ما، أنا مش هاجي هنا عشان احمي نفسي ومراتي، وأجوم أعرضكم أنتم لأي أذي، كل الحكاية إن ورد عملت عملية صعبة شوية، وأنا الفترة الجاية هبجي مشغول، جولت إني عمري ما هتطمن عليها غير وهي هنا، وسطيكم أنتِ وأختي، ومتخافيش، ورد مش هتطلب منك أي حاجة، يعني كأنها مش موجودة خالص ياما.
أخذت أنفاسها ثمَّ أبعدت أنظارها عنه وهي تنظر لصورة زوجها، قائلة بحنانٍ أخفته خلف قوتها:
- ليه!! حد جالك إني جليلة الأصل إياك، مرتك في عيني لحد ما تجوم بالسلامة.
لقد قتل الخوف في وجهه، وخلقت السعادة راكضة، ولكنها لم تدم طويلًا، حيث استكملت الأم:
- وتعاودوا داركم بعد كدا.
توقفت سعادته عن الركض، واستمر في النظر لها بعين مهتزة مرة، وبعين تتأمل زوجته بشفقة داخل الغرفة مرة أخرى

- أول مرة أعرف إن خالد أخوى نظرة واعر جوي كدا، ده تطلع بيشوف أحسن منينا!
قالتها (علياء) بطفولة وهي تحدق في وجه (ورد) التي تعجبت من حديثها، فردت سأله:
- إشمعنا يعني؟!
لتقول في سعادة وهي تهز رأسها بمرحٍ:
- عشان انتِ حلوة جوي جوي.
ابتسمت (ورد) وانطلقت ضحكتها بقوة ثمَّ قالت بصوتٍ هادئ وهي تقترب منها:
- أنتِ اللي حلوة أوي يا حبيبتي، قوليلي صحيح، خالد قالي إن صوتك حلو أوي، صح الكلام ده؟
فكرت قليلًا بصوت منخفض، ثمَّ قالت مندفعة:
- طب إيه رأيك تسمعي وتحكمي بنفسك؟
ظهرت أسنانها ثمَّ قالت بعين لامعة ولهجة صعيدية مرحة:
- موافجة.
اِنطلقت (علياء) بسرعة نحو الباب حتَّى تغلقه، فهي تدرك جيدًا عواقب خروج صوتها وارتطامه بإذن والدتها.
عادت راكضة مرة أخرى ثمَّ جلست بجانب (ورد) على الفراش.
ابتسما لبعضهما.
خرجت ضحكة صغيرة من (ورد)

قابلها ضياء وجه (علياء) الملائكي.
ثمَّ بدأت تدندن بصوت كُلثومي.

* * *

أَكَادُ أَشُكُّ فِي نَفْسِي.
لأَنِّي أَكَادُ أَشُكُّ فيكَ وأَنْتَ مِنِّي.
يَقُولُ النَّاسُ إنَّكَ خِنْتَ عَهْدِي.
وَلَمْ تَحْفَظْ هَوَايَ وَلَمْ تَصُنِّي.

* * *

نفذ صبر (ياقوت) مِمَّا يراه في شاشات المراقبة داخل المكتب، ثمَّ وقف على أقدامه سائرًا في أنحاء الغرفة كالمعتاد، لم يكنْ يفكر بقدر ما حيرته حياه أربعة من أبطال فيلمه الجديد.
لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:
أقسم أنني كدت أفقد موهبتي بالكتابة بسبب هؤلاء الأبطال.
حقًا، ما هذا الشعور بالكره نحو الكتابة؟
هل أفقد الشغف ويجف قلمي بعد كل هذا العشق بيننا؟!
أم أنه ذلك الذباب الأسود في رأسي هو ما يجبر عقلي على التفكير والشجار ويجعلني هكذا؟
تغيراً قاتل بحالتهم، يدهشني سرعته، ولا أعرف هل لي الحق أن أسعد الآن بعد أن ثبتت صحة معتقدي وإدراكِ نحو الغريزة والطمع والخيانة؟

أم أحزن لأنها ليست حقيقة، وبأنه قد خطط لها من قبل أناس أخرين لتسير بهذه الطريقة؟
هل كان الأبطال مخلصون من البداية؟ لم يقتلوا ذكراهم وظلوا يعيشون عليها في إخلاص اِختبئ داخل منهم؟
أم إنها الغريزة القاتلة نحو الشغف والطمع ومليء النقص وتعويض ما حرموا منه؟
هل كلهم.
لم يكتفوا بما في داخلهم ومن معهم؟ كيف!!
ترى ماذا ستكون النهاية؟
إني أضحك بجنونٍ هزلي.
فمن العبث أن ينتظر الكاتب النهاية، ولا يتعثر بين عدة نهايات تربكه فيختار واحدة منها، بل يظل ينتظر حدوثها، ليكتبها كما هي بدقة.
قطع شروده سماع صوت جرس منزله وهو متجمدًا أمام اللوحة الخشبية للأبطال.
مرت ثوان حتَّى أصبح الزائر جالسًا أمامه داخل مكتبه.
لقد كان (أكرم) سكرتيره الخاص.
جلس (أكرم) في حرج لقدومه دون موعد محدد، لم يكنْ يرفع عينيه بالكامل في وجه الطبيب، ليقول مرتبكًا:
- أنا أسف بجد يا دكتور لو كنت أزعجتك وجيت لحضرتك في

وقت مش مناسب.
لم ينظر الطبيب له وهو يشعل سيجارته ببرود وخنقة، ليرد بلا مبالاة وكأنه لم يشعر بقدومه:
- عادي ولا يهمك.
أطلق أول أنفاسه ثمَّ عدل جسده إلى وضعيته الرسمية، ليقول بصوتٍ خافت:
- خير يا أكرم، حصل حاجة ولا إيه؟
ارتبك قليلًا واهتز جسده ولم يعرف ماذا يقول، ثمَّ رد بكلمات متقطعة تخرج بصعوبةٍ:
- لا لا، مفيش أي حاجة يا فندم.
ارتفع حاجبي (ياقوت) ثمَّ مد رأسه للأمام وهو يقول متعجبًا:
- أفندم!! أنت جاي دلوقتي عشان تقولي مفيش حاجة يا أكرم؟!
حاول (أكرم) الثبات في جلسته ليقول موضحًا:
- لأ يا فندم، مقصدش، أنا قصدي إن الحاجة اللي أنا جاي لحضرتك علشانها ملهاش علاقة بالشغل، دي ليها علاقة بيا أنا وممكن بردوا تبقى ليها علاقة بالفيلم.
هبط حاجبيه بمفردهما ومالت رقبته في تعجب، ثمَّ قال مستفسرًا:
- اتكلم، أنا سامعك.
أخذ أنفاسه محاولًا إيقاف حدقته عن الدوران والقلق، ثمَّ قال ببعض الارتباك في بداية الحديث:

- أنا عارف طبعًا يا فندم إن الفيلم بتاعنا بيتكلم عن غرايز النفس البشرية ومدى تحكم الإنسان فيها، لكن من قراءتي لبعض الكتب اللي بتناقش الموضوع ده وكمان قانون العقوبات اللي هو أساسًا عامل مشترك كبير بالفيلم لأنه بطبيعته هو اللي بينفذ الأحكام على أداء الغرايز دي، لاحظت أن فيه حاجات ممكن الإنسان يعملها لمجرد إنه حس بيها برغم إنه عارف إن هي غلط، وإن كمان القواعد والقوانين الموجودة بتسمحله يعمل ده، أو حتَّى بتسهله الطريق أنه يعمل ده!

صمت (ياقوت) ولمعت عيناه بعد أن شعر بالفضول، ليقول مخرجًا أنفاسه:

- عايز تقول إيه يا أكرم؟!

لم يكد (أكرم) يكمل حديثه حتَّى قاطعة صوت بعض الخبطات على باب المكتب معلنة دخول (قوت) لتقدم القهوة.

وضعت القهوة في كوبين صغيرين إحداهما أبيض والآخر أسودًا قاتم.

قدمت القهوة على المكتب بابتسامة إلى زوجها الذي لم يعرف ما خبئ وراء هذه الابتسامة.

خرجت (قوت) سريعًا بعد أن همس لها «شكرًا يا حبيبتي».

«اسمعيني كويس، أنا عارف إن ياقوت حريق قهوة، عايزك بقى تستغلي أي حد يجيله الفترة اللي جايه وتقدميلهم قهوة هما

الاتنين حتَّى لو مطلبش منك، وتحطي في فنجانه الكيس ده، مش هيعدي أكتر من خمس دقايق وهتسمعيه وهو بيصرخ من الوجع، وبعد ما مفعول السم يخلص، اقري عليه الفاتحة، وجود أي حد هيجيله في الوقت ده هيبعد الشك عنك شوية، وهيبقى في اِحتمال تاني إن اللي جاله ده، هو اللي حطله السم، وده هيبان طبعًا بالشويتين اللي هتعمليهم عليه لما يموت، عايز قلبك يتحرق عليه أوي في اللحظة دي، وأوعى لغبطتك وقلقك يخلوكِ تحطي السم في فنجان مبيحبش يشرب فيه، ساعتها لو مات الشخص التاني بالغلط، ممكن ده يخلي ياقوت هو اللي هيخلص منك، ومش بعيد كمان هو اللي يبلغ عنك، أصل بعيد عنك، ضميره لسه فيه نفس».

تردد حديث (بدير) في عقل (قوت) بعدما خرجت من المكتب، لقد كان يقتلها الخوف في هذه اللحظة، ما هذا الندم الدائم التي تشعر به دومًا بعد فعل الأشياء؟ ولماذا لا تشعر به قبل قيامها بذلك؟ لماذا يأتيها الخوف متأخرًا هكذا؟

ظلت تنظر إلى كيس السم التي أعطاها (بدير) إياه، لقد تمنت أن تسقط سكينًا على يدها فتفصل كفها عن زراعها أو أن تشل يدها عن الحركة قبل أن تضع هذا السم في قهوته.

تجاهلت هذا الشعور رغمًا عنها، ثمَّ نظرت أمامها ببؤسٍ وحزن وهي تقول بصوتٍ محطم:

- هتوحشني يا ياقوت.

حمل (ياقوت) الكوب الأسود القريب من (أكرم) في حين ما لم يحمل الكوب الأبيض القريب منه، ثمَّ قال بابتسامة مازحة:

- معلش يا أكرم، أصل أنا مبحبش أشرف في الفناجين الفاتحة دي، مبحسش بالقهوة خالص، وأول مرة قوت تتلغبط كدا، اشرب قهوتك يلا.

ابتسم (أكرم) لطباع الطبيب الغريبة، ثمَّ رد بوجهٍ بارد:

- معلش يا فندم مش هقدر، أصل القهوة بتسهرني، وأنت عارف بقى الشغل محتاج صحيان بدري وتركيز، أكمل لحضرتك كلامي؟

«لقد شعر السم بالحزن في هذه اللحظة وكاد أن يبكي، فاليوم لا يوجد ضحايا».

لمست القهوة شفتيه واحتضن القليل منها برئتيه ثمَّ سقطت داخل معدته بسلام، ليقول بعد أن استعد للإنصات:

- كمل يا أكرم.

أخذ (أكرم) أنفاسه ثمَّ استكمل وهو يوضح كلماته بتحريك يديه بإرتباك:

- اللي أنا عايز أقوله لحضرتك إن مثلًا في قانون العقوبات، لاحظت إن الشروط الخمسة اللي اتحطت كإجرائات عقوبة لممارسة الزنى، كانت غريبة شوية، وقولت إن محدش هيوضحلي الصورة دي غير حضرتك.

أنزل القهوة من على شفتيه ثمَّ أطلق بعض الدخان من سيجارته وهو يقول بعينٍ مهتمة:
- إيه اللي أنت شايفه غريب فيها؟
استكمل حديثه قائلًا بثقة وفضول في المعرفة:
- اللي أنا شايفه يا فندم إن هل من العادي لأي اتنين إنهم يعملوا كدا فعلًا، لو الخمس شروط دي اتحققت؟ يعني لو كان ده برضاها فعلًا أو حتَّى مكنتش متجوزة، عادي إنهم يعملوا ده بدون ما يتحاسبوا؟؟!
حدق (ياقوت) بعينه مبتسمًا، ثمَّ قال بإدراك ووعي:
- طب ما تكمل باقي الشروط، أن تكون قد أتمت الثمَّانية عشر من عمرها، أن يكون ذلك في غير علانية، ألا تكون المواقعة بعد أن أغواها بوعد الزواج ثمَّ رفض وأنكر بعد ذلك.
اتسعت عيناه قليلا، ثمَّ قال بصوتٍ صدم:
- يعني إيه؟! يعني لو حصل أي حاجة من دول ميبقاش زني؟
ليرد بسرعة مصححًا:
- ميبقاش جريمة، مش زنى.
صمت (أكرم) قليلًا بعد ان ملئت الحيرة وجهه، ثمَّ قال وهو يحاول جاهدا في إدراك الأمور جيدًا:
- طب إزاي ما كدا القانون بيسمح بده؟
تقدم الطبيب برأسه قليلًا وهو يستند بزراعيه مفرودتين علي

مكتبه، ثمَّ قال محاولًا إقناعه:
- ليه! هو مش القانون بشروطه دي واضح إنه بيمنع الزنى؟
ظل مُصرًا على ما جلس في عقله ولا يريده أن يقف ويغادر، ليقول مؤكدًا:
- بس في النهاية في نسبة كبيرة إنه يحصل.
ليرد بمنطقية سلسلة:
- ساعتها القانون مش هيعرف، عشان لو عرف هيعتبر إن اللي حصل بينهم كان في علانية فيهحاسبهم.
استقبل منطقيته باستعجاب وعدم تصديق، ثمَّ قال مكررًا أسألته بنفس الطريقة ونفس المعنى:
- إزاي يا فندم؟ قصدك إن لو كل الشروط دي اتحققت وقدر ينفذها أي شخص، يبقي مسموح لأي اتنين يحصل ما بينهم ده؟!!
أدار وجهه عنه وهو يأخذ أنفاسه مفكرًا في طريقة جيدة تقنعه، ثمَّ أعاد وجهه ثانية لينظر في عينه بثقة، قائلًا بصوت ذكي واعي:
- بص يا أكرم، لو جيت تركز في الشروط كويس، هتلاقيها محبوكة أوي، وهتلاقي إن كل شرط منهم ليه علاقة بالتاني، أنت مصدوم دلوقتي عشان بتفكر في فعلية الكلام اللي بقولهولك، عقلك بيقولك، مثلًا يعني، إن لو اللي حصل بينهم ده تواجد فيه شرط الرضا للست، فمن العادي جدًا إنها تعمل اللي هي حساه، حتَّى لو مكنتش متجوزة، وإن لو كانت عقلانية وغير قاصر وواعية

للي بتعمله، بردوا من العادي إنها تعمل ده، وإن لو هو وعدها بالجواز وأوفى بوعده، فكان من العادي بردوا حدوث نفس الشيء قبل ما يوعدها ويوفي كمان.

مش هو ده اللي تاعبك ومشتت عقلك ؟ إن مفيش عقاب، مفيش جريمة لشيء هو أساسا.. ذنب، لكن لو أنت جيت تربط الأربع شروط دول بالشرط الخامس وهو عدم العلانية، هتلاقي الحل، وهتقتنع زي القانون بالظبط إن اللي حصل بينهم ده، علاقة حب، لأنهم أصلًا مش هيقدروا يثبتوا إن ده حصل بينهم لإنهم مشافهومش، وساعتها هتلاقي إن مفيش في إيد القانون حاجة أكتر من اللي بيعملها.

غير صوته الهادئ بسرعة، ثمَّ سأله بثقةٍ:

- قولي أنت كدا، لو اطلب منك إنك تحط العواقب والشروط الكافية في الموضوع ده، هتبقى إيه هي؟

رد بالصمت وبعين مشتتة، ليستكمل الطبيب مبتسمًا:

- مش لاقي صح، عارف ليه!! عشان مفيش بعد الشروط دي، إلا بقى إذا قررت إنك تحط كاميرات مراقبة في بيوت الناس عشان يبقوا تحت عينك وتستناهم يغلطوا، زي ما إحنا بنعمل في الفيلم بالظبط.

تأمل الطبيب ملامح (أكرم) التي بدأت في إدراك ما يقوله، ثمَّ تذوق قهوته، ليقول وهو يأخذ أنفاسه بارتياحية وبعين ذكية

تفكر:
- كل الكلام ده بقى يخلينا نفكر في سؤال مهم جدًا، هل الأشياء اللي الإنسان بيمنع نفسه منها، بيمنعها فعلًا عشان هي حرام وذنب وربنا منعها؟ ولا بيمنعها علشان هي قانونا.. ممنوع حدوثها أو ارتكابها؟ وهل لو افترضنا لمجرد الافتراض إنها بقت متاحة قانونيًّا بدون أي عواقب، ممكن ده يخلي الإنسان يعملها وينسي إنها حرام؟ زي حاجات كتير غلط وحرام الإنسان بيعملها وهو عرف إنها غلط، يعني من الأخر، خوفنا من القانون أكبر، ولا من ربنا؟

صمت (أكرم) وأصبح كالأبله أو الذكي الغبي، ليبتسم (ياقوت) مستكملًا:

- أنت مبلم كدا ليه يا أكرم مش أنت اللي فتحت باب المناقشة؟

ابتسم سكرتيره ثمَّ رد في حرجٍ:

- معلش بقى يا فندم، أصل العمق بيتعبني شوية.

ارتفعت ضحكة الطبيب ثمَّ عاد إلى الوراء مستندًا، ليقول ناهيا الحديث:

- طب خلاص، بس تعرف إيه هي الحاجة الوحيدة اللي مفرحاني من مناقشتك معايا في موضوع زي ده؟ هي إن كل شوية بتأكد من صحة اللي إحنا عايزين نعمله، غريزة الإنسان ونقط ضعفه، القانون مهما كان قوته وحجمه، ميقدرش يمنع الإنسان عن أداء

شيء بيحس بيه، وساعتها القانون مش هيكون جاني أو غلط، الغلط إحنا، إحنا اللي من جوانا قررنا إننا نعمل ده، فخططنا كويس أوي، لحد ما عملناه، عارفين ومتأكدين كويس أوي إنه غلط، بس قدرتنا على إننا نتجاوزه ونهمشه، كانت ضعيفة، فمحسناش بغلطه غير بعد ما عملناه، محسناش إنه ذنب، وإنه الإحساس بيه من البداية كان اِختبار لقدراتنا على تحمله، ساعتها تنتقل المحاكمة من القانون اللي بيحاسب المواطن، لربنا اللي بيحاسب عباده، وده بقى يخليني أقولك إن نص كلامك صح والنص التاني غلط، الصح إن فيه حاجات ممكن الإنسان يعملها لمجرد إنه حس بيها برغم إنه عارف إن هي غلط وذنب كمان، لكن اللي مش صح، إن كل القواعد والقوانين صح، وإن كل القواعد والقوانين غلط، فهمت؟

* * *

* مر أسبوع – نوفمبر.

- ارتفاع معدلات الدعايا الخاصة بالفيلم إلى ضعفين بدايتها.
- امتلئت الشوراع بملصقات إعلانية خاصة بصور سوداء مجهولة لأبطال الفيلم.
- الفيلم هو الحديث الأكبر تداولًا وجدلًا على مواقع التواصل الاجتماعي.

* * *

جلست (ورد) مع زوجها في غرفتهما بمنزل والدته بعد أن تحسنت حالتها عمَّا كانت، فقد أصبحت تسير وتتحرك بعد أيام من السكون في الفراش، اِرتدت قميصًا أسود قصير أظهر ركبتيها من الأسفل، كان له حاملتان رفيعتان يحملانه فوق كتفها من الأعلى، يكفي أن تحدق برقبتها حتَّى تشعر بالنشوة، جلس شعرها الأسود القاتم الطويل فوق كتفها بزهوٍ كجلوس الأمراء والملوك، نعومته ولمعانه أجبرانه على ذلك، الأسود بها كان مناسبًا تمامًا، لم يكن قميصًا ضيق إلى حد كبير حتَّى يظهر جسدها مقسمًا، لكنه كان كافي ليظهر بعض الترهلات بالبطن، والأزرع اللحمية الكثيفة، بجانب بعض الأمواج السوداء الخفيفة أسفل عيناها، ارتسم محمر شفتاها بطريقة جيدة أخفت بعض الخطوط الجافة بمنتصف شفتيها.

لم تنقص هذه الأشياء من جمالها أو جذابيتها التي تخلق العرق بك، خاصة وبأنها دائمًا ترى نفسها جميلة أو ليست قبيحة على الأقل، لكن ما مرت به من صراعات أخفى جزءًا من هذا الجمال، اهتمامها بالعمل أكثر من مظهرها، اِرتدائها للخمار السماوي الذي أخبرها بأنه لا فائدة بالاهتمام بمظهرك أو جسدك طالما هو مختفي أسفل هذه الثياب.

وما حدث لها من صديقها الوحيد أو من كان بمثابة أخيها فيما مضى، الشيء الذي جعلها تتمنى لسنوات أن تحرق جسدها أو تقطعه ثمَّ تبيعه، فلم يعد له فائدة.

أدركت من بعد هذا الحدث بأنه لم يعدْ هناك من يشعر بجمالها فيشعرها به فتتزين وتتحسن، تتذكر جيدًا ذلك اليوم الأول بينها وبين (خالد) بعد عقد قرانها عليه، عندما أغلق عليهما باب واحد، تتذكر اليوم وكأنه قد نُحت بيد أعظم النحاتين بالعالم، كان هذا عندما ظل الاثنين أكثر من ساعة صامتين دون النطق بكلمة واحدة، فقط، كان هناك عينان مرتبكتان بالوجهان، رأسًا تتحرك كل دقائق تتمنى النظر والتحديق للرأس والعين الأخرى، اِرتفاع هائل لمعدل انتظار أن يتحدث الأخر للأخر، أدرك حينها بأنها قد فرضت عليه أو كما يقولون دائمًا «إدبس» أو أنه قد خدع في جمالها، وهكذا كان الوضع طوال ستون دقيقة، الجلوس ظهر إلى ظهر، لم تنسَ أبدا اِنتفاضة جسدها عندما قرر أن يتفوه وينطق قائلًا بارتباك:

- انتِ، مش عايزاني أعملك حاجة؟!

كانت تسمع من عائلتها دروسًا عديدة لخبراتهم في هذه الأشياء عن الزواج، وبأن هذه اللحظة ليست سهلة وليست صعبة، وأنه بالتأكيد لن يؤذيها، وبأنه قد أصبح لها زوجًا الآن فيجب عليها التكيف مع ذلك، الأمور كلها تتوقف على كسر حاجز الصمت بينهما ليبدأن في فعل أي شيء حتَّى ولو كان اللهو بإحدى الأجهزة الإلكترونية - البلايستيشن - بعدها سيسير ويحدث كل شيء دون نقص تفصيلة واحدة، التدرج في القرب يلصق المشاعر ببعضها،

خاصة التحديق بالعين، فائدة كبري تفقدك ذاكرتك، ستشعر حينها بأنك لم تكنْ ترى ما كنت تمتلكه داخل منك، أو كنت تراه لكنك لم تعرف كيف تخرجه، بالتأكيد هناك طريقة ما، ولكن ما هي بداية سيرها.. هي الحل للوصول.

لم تكنْ تستجب لكل هذا الأحاديث عند سماعها، كانت تدرك بأنها لم تخلق من البداية لمثل هذه الأمور، كيف تخلق لها مع كل هذا الحرج والعين التي لا تكف عن التحديق بالأرض حتَّى كادت أن تحفظ عدد الخطوط بين كل مربعا صغيراً، لم يكنْ يخطر بعقلها سوى أنها ستموت اذا اقترب منها في هذه اللحظة.

- انت ليه لبستني القميص ده؟

قالتها (ورد) في حرج بصوتٍ متردد، ليرد (خالد) عليها بهدوء محدقًا في عيناها:

- لو حطيتي نفسك مكاني مش هتسألي السؤال ده، عشان هتشوفي أنتِ قد إيه جميلة.

ارتسمت بسمتها فوق شفتاها، وقل الحرج داخل منها، ثمَّ رفعت عينها في وجهه بتأمل، لتقول بصوتٍ جذاب:

- لسه بتشوفني جميلة يا خالد؟

ليرد مقتربًا منها أكثر، قائلًا وهو يفقد نفسه في وجهها:

- أنا عمري ما عرفت يعني إيه جمال غير معاكِ، أنتِ خطفتي قلبي بقلبك، والمشكلة إنه لسه عندك لحد دلوقتي، يعني أنا

دلوقتي عايش من غيره.
هزت رقبتها في سعادة، وانتقلت عيناها في حرج، لترد بمرح طفلة:
- أحسن، خليك كدا دايخ عليه وهو فيا، وبردوا مش هديهولك، أنا عايزاك تموت فيا أكتر.
أمسك بيدها في رفق، ثمَّ اقترب منها أكثر، كانت تفقد مرحها ووعيها كلما اقترب منها، حتَّى قرر هو أن يفقدها إياه أكثر، انحنى برأسه ليقبل يدها، لم تكد تنتهي القبلة حتَّى أغلقت عيناها رغمًا عنها لتشعر بأُثرها بين كفها، ليقول بعشقٍ:
- مش عايزه، أنا سايبهولك، وأنا كدا كدا ميت فيكِ، تعرفي، أنتِ فيكِ حاجات لسه محدش سماها، فيكِ حاجات مش عند حد.
تاهت في عينه، واشتد تمسكها بيده، لتقول تاركة نفسها تهنئ بين كلماته التي لم تسمعها منه من قبل:
- إزاي؟
انطلقت أنفاسه في وجهها حتَّى أقشعر جسدها واهتز رمش عينها، ليقول مبتسمًا وهو يسير بعينه في كل طريق من وجهها:
- عينيكِ مجنونة، حبها بيا غلبها، وبقت تنسى كسوفها وتبصلي بجرأة، بعشق صوتك العالي اللي بيلسع، بس لما يتوه ويهدي بسبب صوتي اللي بيخطفك، أنا ببقى مش عايز أبطل أقولك كلام من ده طول ما أنا شايفك قدامي.
ذابت عينها فوق نيران كلماته، ثمَّ قالت بصوتٍ خافت:

- متبطلش.

وضع يده فوق خدها، ثمَّ قال بعشقٍ:

- أنا بعشقك.

صعقتها لمسته ثمَّ اِرتمت بين أحضانه وهي تأخذ أنفاسها بقوة، ثمَّ ربت على ظهرها في حنان وهو يلصقها بجسده لتنقل كل ما بداخلها فيه، ثمَّ قالت بصوت امتلئ بالشغف:

- وأنا بموت فيك، وبتنفسك، أوعي تبعد عني أبدًا يا خالد.

ليرد واضعًا أصابعه بين شعرها كما تعود، قائلًا بصوتٍ حنون وكأنه اكتسب موهبة الشعر:

- مفيش بحر بيبعد عن موجه يا ورد، اطمني، إحنا متخيطين في بعض.

ردت بضحكة صغيرة، ثمَّ استكملت احتوائه، ليعيدها (خالد) أمام نظره، قائلًا ببعض من التفكير:

- بقولك إيه يا ورد!

ردت بسرعة في حنان:

- إيه يا حبيبي؟

ليقول في شغفٍ:

- تيجي نتجنن؟

انعقد حاجبيها مستعجبة، ثمَّ ردت وكأنها لم تفهمه:

- نتجنن إزاي يعني؟

لم يعرف كيف يوضح لها، ثمَّ قال بتقطع في حديثه:
- قصدي يعني، إن ساعات الحاجات اللي بنعملها بعقل، بتبقي أحلى لما نعملها بجنون من غير تقيد، وأنا عايزك أحسك أوي يا ورد.
انتقلت عينها في وجهه وكأنها أدركت شيئا فيه، ثمَّ قالت بتردد:
- حبيبي أنت مش شارب صح؟!
شعر وكأن هناك من فصل سلك الكهرباء داخل منه، ثمَّ اهتز قليلًا بارتباك، لتستكمل هي دون أن تعطيه فرصة للرد:
- شارب، مع إنك وعدتني إنك مش هترجع تعمل كدا تاني يا خالد.
أبعد أنظاره عنها بعد أن فقد بعض شغفه، ليقول بخنفةٍ:
- هعمل إيه يعني؟ وبعدين دي كانت مرة وأنا مبشربش كل يوم.
عاد إلى وجهها بصوتٍ حنون ثمَّ استكمل:
- بس أنا والله مش بقولك كدا أو حتَّى أنتِ شايفاني بالطريقة دي عشان شارب، أنا فايق أوي، الفكرة بس إن من ساعة ما إتجوزنا وأنا عمري ما حسيتك أوي، عمرنا ما عملنا حاجة خارجة عن نطاق الروتين والطبيعة المملة، وأنا نفسي أنساني وأنا معاكِ
لمعت عيناها قليلًا، ثمَّ قالت في فضول جلس وراء ترددها:
- طب، هو أنت بتحس بإيه لما بتشرب؟

صمت قليلًا وهو ينظر لها في شغف قادم، ثمَّ رد وهو يزين الأمور في وجهها:

- لما بشرب عادي عشان عايز أشرب يعني، بحس بسكون، ومبسمعش دوشة الصوت اللي أنا نفسي مسمعوش، وكأني عملت كتم للدنيا وللمشاكل، لكن لما بتخنق وأشرب، بفكر أكتر في الحاجة اللي بتخنقني، ومفيش صوت بيرن في ودني غيرها.

فكرت قليلًا، ثمَّ ردت بثقةٍ:

- ماشي، وأنا عايزة أجرب أسمع صوتك أنت بس.

لمعت عيناه وظهرت أسنانه وهو يتأمل ابتسامتها في سعادة.

كان المذاق الأول والثاني في شفتاها لاذعًا ومراً، أما الثالث، كان لذة لها.

ازداد الشراب في السقوط داخلهما، وفقد كلا منهما القدرة على سماع الأشياء من حولهما، لم يكنْ هناك ضوضاء في أذنهم، كان السكون فقط.

لم تكنْ هناك موسيقى بجانبهم، لكنها كانت موجودة في مسامعهم، وشعروا بجلوسها معهم، وكأنها شغلت داخل منهم، لقد قررا أن ينسيا العالم، ويتذكران بعضهما.

اقترب منها وهو يميل رقبتها بأصابعه، ثمَّ وضع فيها قبلة طويلة سحرتها، تركت نفسها تهنئ بهذه القبلة بعينان مقفولتان، لتقرر سريعًا ألا تعطيه فرصة ليشبع منها بهذه السرعة.

أبعدت جسدها عنه بابتسامة ذكية حادة لتزيد من اشتياقه، المزيد من النبيذ بين شفتاها ثانية.
لقد شعر بأنه ينظر إلى نبيذ يشرب نبيذ آخر مثله، فقد أنسته روحه في ثوان.
كررت ابتعادها عنه وهي تسحب نفسها من بين يديه كالغزال ثم سارت أمامه بخطوات تجذبه.
توقفت عن السير أمامه ثمَّ رفعت خصلة من شعرها بفقدان وعي، بينما عاد هو بسرعة إلى الوراء ليتوسط الفراش مقبلًا زجاجة النبيذ بقوة في وضعية استعداده لرؤية جسدها يهتز، بالتأكيد هذا ما تنوي فعله، لقد عرفت نقطة ضعفه دون أن يخبرها بها.
«لا يعلم بأن الرقص هو نقطة ضعف كل الرجال».
لم تكنْ تشعر بوضيعة الأشياء حولها، كل شيء سيرقص معها في هذه اللحظة، ضاقت عيناها قليلا من أثر النبيذ، لم تكنْ ترى الأشياء جيدًا، لكنها كانت تراه بوضوح.
بدأ جسدها يهتز ببطء بإتقان شرقي هادئ، جاذبية القميص قد ظهرت بوضوح في هذه اللحظة، يدها تسقط شعرها الثقيل أمام وجهها ليظهر نصفه بجنون، ظهرها ينحني ويلتف مثل المطاط المرن، أخذت تدور وتعود لتدور ثانية بوضعية لم تفعل معه شيئا سوى الإغراء

كيف انتقلت أمواج البحر أمام عينه في هذه الغرفة؟
وكم ملايين من البحار ستكفي لإطفاء كل هذه النيران التي أشعلتها داخل منه؟

* * *

يُكَذِّبُ فِيكَ كُلَّ النَّاسِ قَلْبِي
وَتَسْمَعُ فِيكَ كُلَّ النَّاسِ أُذْنِي.

* * *

لم تكتفِ بوضعياتها التي أغرقت وجهه بين أمواج العرق، ما زال لديها العديد والمختلف، تموج سريع من الوسط، اِهتزاز قدمًا وقفت علي إصبعين، اِلتفاف سريع حتَّى لا يهنئ بالنظر.
كان جسدها خلخالًا يرقص دون صوت.
نبض قلبه في سباق غريب مع عرقه، بالتأكيد لن يفوز أي منهما، وسيظلان هكذا يتسابقان.
ظهرت أسنانها واتسع وجهها بابتسامة نصرا لما فعلته به، لقد اِشتعل بما فيه الكفاية، ثوان قليلا وستراه أسودًا قاتمًا مثل الفحم.
توقفت عن الرقص ببطء، ثمَّ وقفت أمامه وهي تنظر له بشغف، عينه تتوسل لها في المجيء والقدوم إليه.
كانت تنوي أن تعذبه قليلًا، لكنها أدركت أن ذهابها له، عذاب أفضل، تحركت قدماها ببطء حتَّى أصبحت على الفراش، تسير بركبتيها نحوه في إغراء,

« إذا قررت الاقتحام، اختر جيدًا من ستقتحمه، حتَّى لا يقتحمك هو في النهاية».

اقتربت منه وحدقت في عينه بحدة، ظلا هكذا ينظران إلى بعضهما في شغف، الأسطوانات الحرارية انتقلت للعمل فوق وجهه، هل يوجد بالفعل أحر من الجمر؟

ليقول بصوتٍ هادئ وبوجه يغرق في نيران وجهها الحارقة:

- أنتِ إزاي ورد؟ أنتِ مين؟!

ابتسمت بعشق، ثمَّ قالت بصوتٍ جذاب يعشقه:

- أنا المَزيد.

اندفعت نحوه، إلى أن سقط أسفلها.

جاري الاقتحام.

* * *

* مر شهر – ديسمبر.

• تحسنت العلاقة بين (خالد) ووالدته حتَّى أصبحت تقضي الأيام بطولها برفقة (ورد) عندما يكون (خالد) بالخارج، ليس ذلك فقط، لقد أصبحت لا تستطيع النوم إلَّا عندما يتجمعون كلهم كل ليل ثمَّ تتوسطهم (علياء) ليتلذذوا صوتها.

• قطعت حبال الوصل بين (أميرة) و(صادق) في حين ما التصقت حبالها ب (نادر) سريعًا، لم تكنْ العلاقة بينهما تستدعي أن يعيشا من أجلها، مجرد اطمئنان الآخر على الآخر كل يومين،

الحديث نفسه لا يتغير عندما يتكلمان، كانت مدته تقريبًا لا تكثر عن ربع ساعة إن وصلت لهذا الوقت، الإيموشنات السخيفة التي لا تعبر تمامًا عن ملامح وجههما، لا روح بينهما، فقد الحديث لذته، لا حب، لا اهتمام، لا خوف، وجود كلا منهما بالنسبة للأخر لم يزد ولم يقل، ذلك بعد أن قل الانبهار والشغف داخل (نادر). في حين ما أدركت (أميرة) بأنها لم تعود له إلا لخوفها من أن تخسر كل شيء، هي تعلم جيدًا أنها لا تحبه ولن، لكنها أحبت أن تخرج من الدنيا بمكسب واحد حتَّى وإن لن يفيدها.

- أدرك (صادق) بأنه سيأتي وقتًا على الإنسان ويدرك حقيقة العطاء المهدر الذي كان يفعله مع أشخاص لا يهتمون لهذا العطاء فيتعلم ويأخذ حرصه، هكذا كانت (نور) معه، جملتها المشهورة في حديثها كانت:

«متستغربش إني متغيرة معاك، أنت قدرت تبعد قبل كدا، فسهل تعمل كدا تاني». أصبحت ترى بأن كم الحب بداخلها وقع من البداية على الشخص الخطأ، فقررت أن تعطيه لمن يستحق.

- الغريب في علاقة (نادر) و(نور) هو مكالماتهم الهاتفية، كانت دائمًا في الليل بعد أن يعود كلا منهما إلى منزله بعد انتهاء يومهما -معًا- يلصقان الهاتف بأذنيهما ألا أن يصبح عضوًا جديدًا بهما، كانت أغلب المكالمات تبدأ بكلمة:

«وحشتني» ليرد «وأنتِ بتوحشيني حتَّى وأنتِ معايا».

يستمرون في الحديث ساعات طويلة بعد أن أنهوا كل الأحاديث التي يمكن أن تتخيلها عندما كانوا سويا بالخارج، لكنهم لم يكتفوا، كانوا يخلقان الكلمات والأحاديث من رحم الحبر، يقسمان بالوفاء وبالوعود الخيالية، يسافران بخيالهما بعيدًا إلى حيث الجنون، كان الهاتف في عينهما في تلك اللحظة بمثابة فراش يستلقون فيه معًا، يتبادلون الأحضان دون التماس إصبعا واحد منهما وليس جسد، يرسلون القبلات العاشقة التي لا ترطم في وجه الأخر أكثر من ارتطامها بوجه الهاتف، يتلذذ تأوهاتها التي كادت تحطم سماعات الهاتف، تتلذذ ألمه وتشعر به وبلمسته، تَعيش الحُب وتمارسه وكأنه معها، عينهما في هذه اللحظة كادت تفقد بصيرتها لكونها مغلقة طوال الحديث، أخبرك يا -أنت- بأنه إن كان للهاتف فماً، لم يكنْ ينطق سوى السَب بأسوء الكلمات، وهكذا أصبحت (نور) ترى بأنه لا فائدة ليومها دون وجود (نادر) فيه، بينما أدرك هو بأن الحياة لم تكنْ بهذا السوء التي كان يراها عليه من قبل، وبأن الحياة إذا كانت تعتبره زوجًا لأمها فيما مضى، فالآن تراه عشيقها، المشكلة إن كلاهما لم يكن يتبادل الحب.. بقدر ما كان يعوض نقصه، يستمتع بشهوته.. بقدر ما كان يعيش الذي لم يعيشه.

• لم يخبر (نادر) (نور) بأن (أميرة) قد عادت لتحدثه، كان يعيش مع (نور) حياة طبيعية، ومع (أميرة) حياة قد مَل منها،

مثلما فعلت (نور) تمامًا مع (نادر)، لم تخبره بعودة (صادق)، عاشت فقط حياتها الطبيعية مع (نادر) وحياتها المملة مع (صادق)، لقد كان ينتظر كلا من (نادر) و(نور) اختفاء (أميرة) و(صادق) من حياتهما أبديًّا.

* * *

«لا مكافأة، أفضل من مكافأة الرب».

- أنا حامل.

قفذت (ورد) على أقدامها بسرعة وهي تقولها إلى (خالد) عندما عاد إلى المنزل، كان وجهها فرحا لأنه سيسعده أكثر من كونه فرحًا لأنها قد سعدت، لينظر هو إلى والدته الجالسة في سعادة نظرات تعجب وفرح، ثمَّ قال بصوتٍ لم يصدق وهو يتجه نحو زوجته:

- أنتِ مبتهزريش صح؟!

أمسكت يده بحب لترد عليه بسرعة في سعادة تكثر:

- والله زي ما بقولك يا خالد، أنا تعبت الصبح جامد بعد ما أنت نزلت، وماما خدتني وروحنا للدكتور بتاعي، ولسه جايين من هناك دلوقتي، وقالي إن دي أعراض حمل، وإن طلع فيه أمل

اقتربت من أذنه وهمست له في حرصٍ:

- طلع عندك حق يا حبيبي، الجنون له فايدة بردوا.

ارتفعت ضحكاتهما ثمَّ حاولوا التماسك والثبات لوجود والدته، لتقول الأم بابتسامة لم تراها -أنت- من قبل:

- ها يا ولدي، نويتوا تسموه إيه؟
نظر (خالد) إلى زوجته في تأمل وتفكير، لا يمتلك أحدهما إجابة لسؤالها، فلم يضع أي منهما اسم له من قبل لأنهما لم يتوقعوا أن يكون هناك طفلًا من الأساس، تركت (ورد) يداه ثمَّ تحركت بسرعة تجاه الأم لتقول بحب:
- أنتِ استحملتينا كتير، وقبلتي بيا أكون زوجة لخالد، وقبلتيني أخت لعلياء، عشان كدا محدش هيسميه غيرك.
ظهرت ابتسامة (خالد) ثمَّ تبعتها ضياء وجه الأم التي شعرت بنقاء (ورد) لترد ببطء وتعجب لما لم تتوقعه:
- بس يا بنتي!
قاطعتها (ورد) بسرعة وهي تقول بإصرار:
- مفيش بس، محدش هيسميه غيرك.
ظهرت أسنانها ثمَّ نظرت إلى (خالد) في سعادة لاختياره هذه المرأة، لقد شعرت بأن عينه تخبرها بأنها تسرعت في الحكم علي زوجته، لتتجاهل هذا الشعور وهي تجاهد في خلق طريقة جيدة للتعامل مع (خالد) وزوجته:
- موافجة، لو جه واد، يبجي عبد الله، عبد الله خالد عبد الله.
ابتسم (خالد) ناظرًا لصورة أبيه ثمَّ قال بصوتٍ تمنى وجوده في هذه اللحظة:
- زين ما سميتي يا ما.

لتسرع (ورد) في القول وهي تمسك يد الأم في فرحة:
- طب ولو بنت؟
نظرت الأم لها بقوةٍ ثمَّ قالت بثقةٍ:
- لا، لو بت، أبوها يسميها، أنا مش عايزة غير عبد الله، الباجي عليكوا أنتوا.
نظرت (ورد) له متأملة وجهه في حب، ثمَّ وقفت أمامه لتقول باشتياق:
- هتسميها إيه يا خالد؟
أمسك بيدها في حنان، ثمَّ قال بصوتٍ هادئ دون أن يفكر لوهلة:
- أنتِ نسيتي ولا إيه؟ مش قولتيلي زمان إنك كان عندك بنت وماتت.
اتسعت عيناها قليلا لأنه ما زال يتذكر هذا الأمر، ليستكمل بصوتٍ حنون:
- الزرعة اللي أنتِ فضلتي مربياها ٣ سنين على أساس أنها بنتك، وَتين.
أمسكت أصابعه بعين ملئها الدمع، ثمَّ قالت بشغفٍ وعشق:
- أنت أحسن راجل في الدنيا دي كلها.
ظهرت أسنانه ثمَّ رد بطريقة عقلانية تحبها:
- مش شرط أبقى أحسن راجل أو أقل راجل، المهم أبقى راجل وبس، فهمتي يا أم وتين.

لمعت عيناها ثمَّ ردت ضاحكة:
- فهمت يا أبو عبد الله.
أخذ أنفاسه ثمَّ قال بصوتٍ مستريح:
- بصي بقي يا ما، عايزين نريح الهانم دي بأكبر شكل، أنتِ عارفها مبترحمش نفسها،كمان عشان لما عبد الله ييجي ييجي!
قاطعه سماع صوت هاتفه، ثمَّ أخرجه سريعًا بعدما أخبرهم بالانتظار.
عادت (ورد) للجلوس في سعادة بجانب الأم بينما حدق (خالد) بهاتفه مستعجبًا من المتصل، لقد كان «Private Number».
أجاب على الاتصال قائلًا بتلقائية:
- أيوه مين؟
خرج الصوت غليظًا، قائلًا بطريقة سخيفة:
- ألف مبروك يا خالد، عرفت إن المدام حامل، فقولت أباركلك قبل أي حد، قررت هتسموه إيه ولا لسه؟ استني متقولش، هتسموه عبد الله!!
انتفض جسده واتسعت عيناه، ثمَّ التف سريعًا محدقًا إلى زوجته وأمه، لكنه لم يرَ سوى سعادتهم تجلس بينهما.
ترى من عرف بهذا الخبر غيرهما؟ لقد قالت «ورد» بأنهم قد أتو منذ لحظات من عند الطبيب؟ فالبتأكيد لم يخبروا أحدًا بعد!
ولكن من هذا المتصل!!

أدار (خالد) وجهه لينظر أمامه ثمَّ قال بملامح حادة وبصوتٍ خافت:

- أنت مين؟!

خرجت ضحكة سخيفة من المتصل، ثمَّ صمت فجأة، قائلًا بهدوء لم يناسب ضحكته منذ ثوان:

- أنا اللي هيفضل شايفك، لكن عمرك ما هتشوفه يا خالد.

كاميرات ثانية!!

«راقب من يراقبونك، استمتع مثلما يستمتعون».

لم يعطيه فرصة للحديث ليقول بإتقان وثقة:

- متخافش يا خالد، أنا مش مراقبك، الصراحة حاولت بس معرفتش، البركة بقى في الست الوالدة، وحش بيحس بدبة النملة.

لم يفكر (خالد) في الرد طويلًا، ليقول وهو يضغط على أسنانه في غضبٍ:

- عايز إيه يا بدير؟

غير المتصل نبرة صوته بسخرية حزينة، قائلًا مزيدًا في ربكته:

- آه، متتخيلش قد إيه أنا حزين لأنك عرفتني يا خالد، عمري ما هسامحك أبدا يا ياقوت، أصلك أنت مش متخيل كمية المتعة اللي كنت بحسها وأنا بتفرج على كل تفصيله في حياتكم من غير ما تحسوا بيا، لأ وإيه كمان، أنا كنت بخلق التفاصيل دي بنفسي، تقولش فان جوخ يا أخي.

أخذ أنفاسه مخرجًا صوت قداحته ليفقده ثباته، ثمَّ استكمل بجدية:
- المهم، أنا مش هطول عليك عشان تلحق تفرح مع المدام والحجة اللي وراك، هما وراك فعلا ولا قدامك ولا إيه؟ مش مهم مش مهم، عندك مهمة جديدة يا بطل.
تقدم (خالد) بعض الخطوات مبتعدًا، ثمَّ قال بغيظ وعصبية:
- طب بص بقي يا روح أمك، الكهربا الزيادة اللي في نفوخك دي تطلعها على حد غيري، أنت اتكشفت خلاص، وكلها كام يوم ولعبتك الوس.. ولا بلاش أوسخ لساني أحسن، كلها كام يوم ولعبتك دي تخلص، وهشوفك متكلبش قدامي وأنت بتعيط زي النسوان المطلقة.
لم يهتز (بدير) من كلماته، ليرد ببرود:
- عارف يا خالد، أنت شكلك عمرك ما هتتعلم الصبر غير على إيدي، وأنا الصراحة نويت أبطلك عصبيتك دي، عشان كدا، مش عايزك تستنى علياء اِنهارده عشان تفرح معاكم بالخبر السعيد ده، أصلها هتنورني كام يوم كدا لحد ما تنفذلي اللي أنا عايزه.
اتسعت عيناه ليقول باندفاع:
- أه يا بن ال...!
قاطعة (بدير) غاضبًا:
- نهدي بقى، قص لسانك ده واسمعني كويس، قدامك حلين

عشان الأمورة تفلت من تحت إيدين شوية جتت نفسهم يدوقوا الصنف الصعيدي، يإما في خلال ٢٤ ساعة يكون عندي مليون جنيه، كاش، يإما الحل التاني اللي مش هقولهولك غير لما تفشل في إنك تجيب الفلوس، بس ياريت تحاول تتصرف في الفلوس أحسن، أصل الحل التاني، رذل شوية وهيتعبك، ودلوقتي هبعتلك رسالة برقم تاني تكلمني عليه لو فشلت، وتقولي إنك جاهز للحل التاني، سلام يا، أبو وتين.

«أحيانًا تكون السعادة باباً سخيفا للدخول إلى الحزن».

أنزل هاتفه ببطء بوجه صامت تحول فجأة إلى لوحة بيضاء رسم عليها بقلم الصدمة، عيناه لا تفعل شيئًا سوى النظر أمامها في عدم تصديق ودهشة، ما هذه السعادة السريعة التي انتهت قبل بدئها؟ ما هذا التأكيد بالحظ السيء له؟

التفت بوجهه ببطء ناظرًا إلى سعادة أقرب الناس إليه لكن ينقصهما ثالث معرض للأذي بسببه، هل يتأكد الآن من صحة شعوره الدائم بداخله؟ وهو إنه لا يمثل سوى أذى وألم كبير لكل من حوله؟ لقد كان محقًا عندما أخبر «مريم» بأنه قد كتب لها حياة جديدة ببعدها عنه.

خطوات قدمه كانت بطيئة للغاية، لم يكنْ بسبب حجمه البدين، وإنما بسبب حجمه الصدمة في عينه، نظر لهما بعين متسعة ثابتة، ظل يتأملهم، لم يكنْ يسمع صوت ضحكاتهم لكنه كان

يراها جيدًا، ابتسامتهم، عيناهم اللامعة، المستقبل الذي يرسمونه بأحاديثهم، لكنه لم يكنْ يسمع كل ذلك، هل فقد سمعه أيضًا بعد ذلك الضعف بالنظر؟ فقد شعر بأن هناك من أخفض صوت الحياة من حوله إلى حد الكتم، كل شيء يسير من حوله بالتصوير البطيء، كل شيء يلتف ويدور، إنه لم يتذوق النبيذ منذ شهرًا كاملًا مثلما وعد «ورد» فلماذا هذا الفقدان بالوعي؟

لم يشغله أن يفحص جدران البيت أو حيطانها ليتأكد من عدم مراقبته، ليس لأنه قد صدق حديث «بدير» وإنما لأنه قد شعر بعدم وجود فائدة أو جدوى من أي شيء، إنه الشعور باللا مبالاة، ما أقساه، كل ما يهمه الآن هو إنقاذ حياة شقيقته، فليس لها ذنب في كل ما يحدث.

وقف أمامهم مصدومًا وهو يحدق بوجه كلا منهما، لقد رأى زوجته تحدثه وتطلق الضحكات في وجهه، لم يكنْ يسمعها، لذا فقد حاول أن يفهم كلماتها بتأمل حركة شفتاها، ما هذا الذي تقوله؟ إنه لا يفهمه، ربما كان شيئًا مبهجًا عن كونه سيصبح أب خلال أشهر.

حاول أن يسمعها بدقة أكثر لكنه الكتم اللعين في أذنه، يتمنى أن يسمع الآن ويعرف ماذا تقول ولكن لا فائدة.

غير نظره من زوجته إلى أمه، نفس الطريقة فعلها معها، تأمل حركة الشفايف، ماذا تقول؟ ماذا؟ ماذا؟

لقد أدرك! أدرك ما قالته دون أن يسمع.
لقد قالت ما لم يتمنَ أن يدركه.
«في إيه يا خالد؟ مالك يا ولدي؟! خالد !!».
لم يشعر بوظيفة لسانه في هذه اللحظة، لم يشعر بشيئًا وهو يقول بصدمة لم تمحِ بعد:
- علياء اتخطفت.
تشابه رد فعله في هذه اللحظة مع (ورد)، اتسعت عيناها وفقد فمها قدرته على الحديث، ورسم وجهها بقلم الصدمة.
بينما اختلف شعور الأم في هذه اللحظة، فاستقبلت جملته ثابتة متماسكة، لم ينفرد وجهها مصدومًا، ما زال حاجبيها كما هما، ثابتين وكأنهم تحجروا عن الانعقاد أو الرفع.
وفجأة.
انكمش وجهها بقسوة بطيئة، ثمَّ بدأت تطلق غضبها به وهي تمسك بقميصه من عند الرقبة، ظلت تصرخ في وجهه بقوة، تسير به إلى الأمام وهي تسبه وتدعو عليه.
لم يكنْ يسمعها أو ينظر لها.
لم يقاوم أو يهتز، بل ترك جسده فقط يتلقي كل ما بداخلها دون مقاومة.
استمر غضبها قائمًا إلى أن انطفئ بعد أن نفذت طاقتها فجأة وهي تسقط على الأرض في حسرة وحزن، صرخاتها ما زالت ترتفع

دون أن يسمعها، لقد تمنى أن يسمع كل ما تفعله وتقوله له على ألا يرى يدها وهي تحطم وجهها بهذه الطريقة.
جمد مكانه متسع العينين لا يتحرك، في حين ما اندفعت (ورد) نحوها جالسة على الأرض لتهدئها وتوقفها عن الندب واللطم.
نظرات (ورد) تحدق في وجه (خالد) في عدم فهم لما يحدث.
والآن ليس أمامه حلا أخر، لا بد من تنفيذ المهمة.
بعد ذلك يمكنه أن يقتلع رأس (بدير) من مكانها.
ولكن كيف؟ هو لا يعلم من أين يحصل علي مبلغا كهذا، بالتأكيد ليس مبلغًا ضخمًا بالنسبة لأحدا سواه، فماذا يفعل؟
اهتزت عيناه فجأة وكأنها قد لمعت بفكرة خطرت بعقله، لا يوجد حلا أخر للقيام بالحل الأول الذي أخبره (بدير) به سوى ما خطر بعقله الآن.
حاول حمل جسده متجاهلًا كل شيء، حتَّى أمه وزوجته، ثمَّ اندفع نحو باب المنزل وفتحه بقوة، ثوان قليلة وقد أصبح وسط الشارع.
بدأ يتأمل المارين بنظرات مفكرة فيما يريد أن يفعل، أنفاسه تخرج بقوة دون أن يشعر بها، لقد كان قلبه من يركض منذ ثوان على السلم ليخرج هذه الأنفاس الآن، لم يكنْ يشعر بارتطام الأشخاص به، اِرتطام من الأمام وارتطام من الخلف دون اهتزاز، الجميع يسير من حوله في حركات هندسية تربكه، لقد شعر بأنه

يتوسط دائرة من الأفراد، أو مستطيلًا من السيارات التي تكاد أن تنهي حياته، أجراس السيارات المرتفعة كانت بمثابة أجراس ألعاب صغيرة في أذنه، الأصوات ما زالت مكتومة، لقد أزعجه هذا الشعور بعدم السماع أكثر من إزعاجه بضعف البصر.
تجاهل شروده بعد لحظات ثمَّ اتجه نحو بعض الأشخاص في الشارع ليوقفهم في تردد وخوف، لم يكد يكمل جملته:
- لو سمحت أنا أختي مخطوفة وكنت محتاج!
حتَّى دفعة واحدًا مِمَّا أوقفهم بقوة ليسقط على الأرض ببطء إلى أن احتضن جسده بالطريق، لقد اكتسب في هذه اللحظة مناعة قوية من الشعور بالألم والارتطام، ثوان قليلة وسيقتل الناس كل ما كان بداخله من طيبة وحب.
وقف على أقدامه بعد ثوان من الاحتضان، تكرار المحاولة ثانية، لا بد من طلب المال مرة أخرى ولكن بجرأه عكس تردده أول مرة.
محاولة فاشلة أخرى انتهت بالدفع مجددًا، كرر المحاولة، ولكن لم يلقَ سوى الدفع بالجسد والسب بكلمات لم يتخيل أن يسمع أحدًا يقولها له دون أن يحطم عظامه.
شخصًا أخر جديد من الممكن أن يرق قلبه، لقد رق بالفعل! ماذا! إنهما جنيهان!!
تأمل الأوراق في يده بحزن وصدمة، السكون من حوله يزداد أكثر

مِمَّا كان عليه، لم يعد هناك أصواتا من حوله، لم يعد هناك سوى الكتم.

ظل يحدق إلى الجنيهان إلى أن أسقطتهما دمعة ثقيلة وقعت عليهما كحجر أعلى جبل.

«هل يحدث ويهدم الجبل بعد كل هذا الثبات؟».

تكرار المحاولات ثانية، إيقاف سيارة ثمَّ الحديث والتوسل بداخلها، النتيجة كانت إغلاق زجاج السيارة، الدخول إلى العديد من المحلات، الحديث والتوسل لهم، النتيجة كانت الطرد، إيقاف أشخاص جديدة، الحديث والتوسل مجددًا، الدفع، الطرد، الإهانة، السقوط، الارتطام، السب، إغلاق الزجاج.

لا جدوى.

لا طاقة لأي مقاومة جديدة.

«قاسية أنتِ أيتها الحياة، تقسين علينا بشدة دون شفقة أو رحمة، ولكني لكِ حقك، فلا قلب ينبض بكي، لا روح تشعر بمعاناتنا، ولا عين تبكي من القسوة التي تقسينها أنتِ، السؤال.

هل يحدث وتصبحين بشرًا وتشعرين بنا يومًا ما؟

بشرًا!!

كيف، والبشر نفسهم لا يشعرون بالبشر أمثالهم؟

من سيشعر إذن بهؤلاء الذين حطموا؟

من سيشعر.

بنا.
ونحن، فتات؟».
سقط على ركبتيه على الأرض ليتوسط دائرة من الأفراد المارين حوله، إن لاحظه البعض أسقط بعض الأموال القليلة، وإن لم يلاحظه البعض الأخر أكمل سيره متجاهلًا بكائه.
«لماذا لا تضحك على هذا البكاء يا -أنت- لا تقل!!
هل أنت.
إنسانًا!».

* * *

خمسة عشر رسالة.
كان عدد الرسائل التي أرستها (أميرة) إلى (نادر) ولكن كان الرد رؤيتها فقط، لقد قتلها تحول علامتين الرؤية «Seen» بالمحادثة إلى اللون الأزرق، خمسة أيام ترسل له وتحدثه دون أن يجيب عليها.
لم تكنْ تشعر بالاشتياق نحوه، أو لم تكنْ تريد حديثه لتسمع كلماته الباردة أو كل هذا الأشياء، كانت فقط تريد أن تعرف لما كل هذا التجاهل الذي اكتسبه نحوها، فلم يكنْ يقدر على أن يجلس ساعة كاملة دون أن يحدثها ثلاث مرات على الأقل، كانت تتجاهله دائمًا وتنزعج من حديثه الدائم، الآن لا يرد عليها!!
قررت سريعًا أن تطفئ نيران غضبها وتحمل هاتفها لتزيد من

عدد رسائلها له.

كتبت وهي تضغط على حروف لوحة المفاتيح بقوةٍ وغضب:

- ممكن أفهم فيه إيه؟ بقالي خمس أيام بكلمك وأنت أونلاين ٢٤ ساعة ومبتردش.

لو جنابك مشغول مع حد تاني، قولي عشان أغور.

عشان أنا اللي بيشاركني في حاجة مهما كان شعوري ناحيتها.

بزعل منه أوي.

تسعة عشر رسالة.

* * *

احتضن الهاتف بأذن (صادق) للمرة العاشرة في نصف ساعة، لقد مل من سماع صوت جرس الهاتف دون استجابة، الجرس يتكرر في أذنه، هذه أول مرة يسمع فيها جرس الهاتف كل هذه المدة، لقد كان يسمعه مرة واحدة ثمَّ يستجيب الاتصال بالرد بعد ذلك، هل تغير كل شيء؟ ازداد الملل بداخله حتَّى أجبره على وضع الهاتف أمامه مستمعًا للجرس بعد أن فعل ال « speaker» الجرس يتكرر، مرة واثنان وثلاث و..

انتهى الاتصال دون استجابة.

أخذ أنفاسه وهو ينظر لاسم المتصل على هافته.

قائلًا باستغراب وبصوتٍ خافت:

- للدرجادي وجودي مبقاش فارق معاكِ! قلبك انطفي يا

نور؟

*   *   *

فتح (خالد) محادثته مع الرقم الأخر الذي أرسله له (بدير) ثمَّ أخذ أنفاسه مفكرًا قليلًا.

إلى أن قرر أن يكتب.

ظل يكتب على لوحة المفاتيح ببطء باحثًا عن الأحرف حتَّى كون في النهاية الجملة التي يريد أن يرسلها.

ثمَّ ضغط زر الإرسال، كانت الجملة:

- أنا جاهز للحل التاني.

لم يكره في حياته أكثر من انتظار شيء يعلم جيدًا إنه سيؤذيه لا شك، ولكن لم يكنْ هناك طريقة أخرى، المال، أدرك جيدًا بأنه خلق للجميع إلَّا له، يتذكر جيدًا بأنه لم يحملْ أكثر من ألفين جنيها منذ أن خلق في هذه الحياة، فكيف له أن يجمع مليونا؟

لذا، فقد شعر بالسعادة عندما عرض (بدير) عليه حلين، وليس واحدًا.

إعادة إلى انتباهه صوت الرسائل بهاتفه.

عدل نظارته بسرعة ليستطيع الرؤية جيدًا.

ثمَّ بدأ يقرأ بهمسٍ:

- كنت متأكد إنك مش هتعرف تجيب الفلوس، بس الصراحة مشهد الشحاتة أغراني إني أصوره، حب المهنة بقى يا خالد.

رفع (خالد) رأسه مصدومًا، ثمَّ قال بعين متسعة :
- يا ابن الكلب!
ألقى عينه بالهاتف ثانية واستمر بالقراءة:
- أتمنى متكونش شتمتني دلوقتي يا خالد، عشان مزعلش، وعشان تعرف إني إنسان وعندي مشاعر.
Typing..
- دي صورة أختك.
ضغط (خالد) على زر التحميل في منتصف الصورة، وما إن ظهرت أمامه حتَّى اِنتفض جسده بقوة وكاد أن يسقط هاتفه.
فتح الصورة وأخذ يكبر منها ليرى وجهها جيدًا.
كانت تجلس على مقعد صغير محاطة بحبال سميكة وضخمة حول جسدها بالكامل، بالإضافة إلى لاصق أسود اِحتضن بفمها.
لقد سقطت دموعه ببطء شديد، ترى من هذا اللعين الذي شغل الموسيقى الحزينة في أذنه حتى يزداد ألمه؟
«وجهه أصبح حزينا إلى حد يستطيع العلماء توضيح وتفسير الحزن عليه».
أهذا هو ما جاء إلى العالم من أجله؟
بؤس، وحزن، ويأس، وألمه لا يريد تركه!
قطع أنظاره اِستلام رسالة جديدة من (بدير)، بدأ يقرأها وهو يتجاهل دموعه:

- الحل التاني، في اِتنين عايزك تصورهم وهما بعض، بس كدا، هو ده المطلوب.
ضغط (خالد) على شفتيه في غيظ، ثمَّ كتب وكأنه قد حفظ أماكن الأحرف:
- أنت ليه مقولتليش على الحل ده من الأول؟ كان زماني نفذته من بدري.
أنهى (خالد) كتابة رسالته بإيموشن أحمر غاضب، ليرد (بدير) بادئًا رسالته باثنين من الإيموشن الضاحك:
- ما أنا قولتلك يا حبيبي، حُب المهنة.
غير كدا الناس اللي أنت هتصورهم دول.
مش ناس عادية، وأنت كمان تعرفهم كويس أوي.
«نادر ونور».
رفع رأسه ثانية ناظرًا أمامه باتساع عينين، لقد أدرك الآن بأن اللعبة السخيفة لم تنتهِ بعد، وبأنه سيصبح جزءًا من صناعة هذا الفيلم بعد ثوان.
تجاهل تفكيره بالأمر وقتل مشاعره، ثمَّ كتب:
- بردوا كنت هنفذ ده عادي.
Typing..
- ما هو أنت مش هتصورهم وهما بيتمرجحوا يا خالد.
إنت هتصورهم وهما نايمين مع بعض في سرير واحد.

يلا، جهز نفسك، هبعتلك لوكيشن بعنوان بيت نادر دلوقتي.
هما هيتقابلوا هناك كمان ساعة.
شوفلك طريقة بقى تصورلنا مشهد Sexy حلو كدا، سلام يا بطل.
أنهى كلماته بإيموشن قتل (خالد) غيظًا.
لقد كان إيموشن يرسل قبلة!
تجاهل (خالد) رسائله بعد أن نظر إلى عنوان منزل (نادر)، ثمَّ ظل يفكر بعد أن أدرك أن سعادته بوضع حلين من (بدير) لم يكنْ سوى حظًا سيئًا له.
لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:
- هل أقف لأنفذ ما طلب مني، وأصبح جزءًا من جريمة لن تنسى؟
أم أظل جالسًا مكاني، مجمدًا؟
أنتظر خبر وفاة شقيقتي؟
الذي لن يلاحظ اِختفائها أحدًا.
فنحن في النهاية.
داخل أحداث فيلمًا.

* * *

اندفع (نادر) و(نور) داخل المنزل بقوة، ثمَّ أغلق (نادر) الباب وراءه دون أن ينظر له، أخذا يتبادلان القبلات السريعة، تتقلب أجسادهما على حيطان البيت بسرعة، جسدها مرة على الحائط أسفل جسده، وجسده مرة أخرى أسفل جسدها، الأشياء تتساقط

وتتكسر دون اِهتمام منهما، لقد طبع الجنون عليهما أبديًا.
حملها حول جسده لتحيط ذراعيها برقبته ثمَّ اتجه نحو غرفته. دافعًا بها إلى الفراش.
أخذت الثياب تتساقط على الأرض بسرعة كبيرة، السرعة الضوئية في حركتهما هي المسيطرة على الوضع، ثوان قليلة فقط وأصبحت الأجساد دون غطاء.
ظل الفراش يهتز بقوةٍ.
لم يؤذِ أحدًا في هذه اللحظة سوى رأس (خالد) النائم أسفل الفراش على الأرض، لا يعلم كيف دخل جسده البدين بسهولة إلى الأسفل؟ ولكن ما يدركه جيدًا أنه إذا كان الدخول سهلًا. فالخروج سيصبح عصيبًا، اِهتزاز الفراش ما زال قائمًا بشدة، اللوح الخشبي الذي يحمل الفراش يزيد من الارتطام برأسه.
ظل نائمًا فوق بطنه على الأرض يتأمل ثياب اِثنين ينامان فوقه الآن، ما هذا الوضع المحرج بالنسبة له؟ لماذا لم ينم على ظهره!
أيوجد في الحياة أقذر من هذه اللحظة التي يعيشها الآن؟ مهما كانت اللحظة نفسها قذرة بما فيها الكفاية، لكن لماذا يعيشها هو معهما؟ ما ذنبه أن يسمع ويرى كل هذا!
كانت تزعجه تأوهات (نور) بالأعلى، اِندهش من كم الحب في صوتها نحو هذا الفتى اللزج، في حين ما اِتسعت عيناه مصدومًا بسبب كل هذه الكلمات القبيحة التي كان يطلقها من فمه الذي

أصبح بيتًا للفئران البيضاء النتنة.
ما المتعة في سَب من تحب بكل هذه الكلمات؟ الإهانة!
أهذا هو الحب؟ حتَّى وإن كانت هذه الطريقة العنيفة والسادية بالحب نحوها هي طريقة صادقة منه، فلماذا لا يستمر في سبها في مختلف اللحظات العادية بينهما، لماذا السب بعد ذلك قبيحًا! أم أنه أخيرًا قد رأى نفسه رجلًا؟
حاول (خالد) تجاهل كل ما يحدث فوقه حتَّى لا يشعر بالنشوة ويخرج لهما مزيلًا ثيابه أيضًا، ثمَّ أسرع في إخراج هاتفه بعد أن شغل الكاميرا.
أغلق وضعية الفلاش ثمَّ نظر إلى الهاتف مفكر قليلًا فيما سيفعل، إلى أن قرر أن يقتل ذلك التردد بداخله حتَّى يستطيع إنقاذ حياته شقيقته.
أخبرك يا -أنت- بأنه إذا كان هناك موسيقى ترتفع في ذلك الوقت فلن تكون موسيقى رومانسية واحدة لتنعش من هما فوق الفراش، بل سيكون هناك أيضًا موسيقى مربكة سريعة اِرتفعت داخل قلب من ألقى جسده بالأسفل.
الأصابع تحمل الهاتف إلى الخارج في رعشة واضحة، السرعة بأجساد من هم بالأعلى تزداد عكس الطبيعي والمعتاد، لم يجلس العرق فوق جسدين اِثنين فقط، بل فوق ثلاث أجساد معًا، التأوهات تزداد بقوة، أصابع (خالد) تتراجع إلى الداخل في حرص

وخوف، الأنفاس تخرج بقوة من البدين حتَّى أصبح من السهل سماعها، إلَّا لهذين الإثنين الذان فقدا السمع، الهاتف إلى الخارج مرة ثانية، محاولة جديدة يتمنى ألَّا تفشل، فهو يخشى أن ينتهيا من الحب قبل أن يصورهما، حينها من الممكن أن يخرج لهما ويسبهما ثمَّ يجبرهما على تكرار ذلك ليصورهما، الهاتف يكرر الصعود بالأعلى، الهاتف أوشك على الصعود، لقد كاد الفراش أن ينتهي داخل الشاشة وتظهر الأجساد، والآن، ظهور الأقدام، خطوة أخرى ويصبح الفراش كله في هاتفه مثل فيلمًا في شاشات التلفاز.

لقد أصبح الاثنين بشاشة الهاتف، وضعية جيدة بالتأكيد ستعجب المخرج.

-لم يكن هاتف (خالد) هو المصور الوحيد، بل كان هناك كاميرات المراقبة بالغرفة أيضًا، أي أن الثلاثة، في كادر واحد الآن-

-اِبتسامة لك-

الهاتف ما زال يشاهد كل شيء ويخزن ما يراه، لقد اِنتهت الرعشة بالأصابع، ما هذا السكون والتجمد بالهاتف؟!

هل أحب (خالد) الأمر؟

أنزل البدين هاتفه بسرعة عندما أدرك بأن الاثنين قد فرغ من كل ما هو بداخلهما، لقد فعلا كل الوضعيات التي من الممكن فعلها، بالتأكيد لا يوجد لدى (نادر) شيء أخر وإلَّا حينها لأصبح

خارقًا رغم غتاته.
مرت ساعتين على اِنتهاء الحب بين (نادر) و(نور) وعلى سكون (خالد) أسفل الفراش دون همس، لقد أدرك مؤخرًا أنه من الممكن أن يصبح جيدا في ال «Diving» فقد كتم أنفاسه بما فيه الكفاية.
بدأ يخرج الهاتف مرة أخرى ليتأكد من نومهما بالأعلى حتَّى يستطع الخروج، فمنذ الانتهاء وهو لم يسمع صوت أي منهما، لم يخرج (نادر) بعض الكلمات الجيدة التي تشعر (نور) بالطمأنينة والحنان، ولم تطلب هي ذلك، أكان المطلوب هو ما حدث فقط!
المشكلة إن صدمة (خالد) كانت تعود على مقارنة علاقته مع زوجته بعلاقته مع (نادر) و(نور) لم يكن يعرف إن الاثنين بالأعلى يعيشيان في زمن لا يعيشه هو مع زوجته.
تأمل صورتهما بالهاتف جيدًا، لقد ذهبا في أعماق النوم.
والآن، الخروج العصيب.
محاولة الخروج لا بد أن تبدأ بالحرص، لا يجب أن يخفق بعد ما عاشه الآن.
لقد أقسم بداخله في هذا الوقت بالقيام بالرجيم الكثيف بعد الخروج من كل هذه العوائق، فالطعام والوزن الزائد لم يساعدانه في أي شيء.
لقد أصبح جسده كاملًا خارج الفراش الآن، حاول جاهدًا كتم أنفاسه وقت أطول حتَّى يخرج من هنا، فإذا لم يسمعانه وهما

غارقان ببعضهما، فبالتأكيد سيسمعانه الآن حتَّى وإن وضع لهما مخدرًا للنوم.
مرحلة الوقوف على أقدامه ببطء، عينه تتأمل أجسادهم العارية المغطاه بالفراش، الجسد البدين أصبح مستعدًا لمرحلة التحرك والمغادرة.
خطوات بطيئة تسيرها أقدامه في حرص، لقد أراد (خالد) أن يشكر (نادر) على ترك باب الغرفة مفتوحًا، الطريق أصبح سهلًا إلى حد كبير، الطريق أوشك على أن ينتهي بطريقًا أخر جديد -الصالة- لقد جف العرق في جسدين وبقى في واحدًا لا يفارقه العرق أبدًا.
والآن، مرحبا أيها الصالة.
«دائمًا ندرك وجود المخاطر الحقيقية في أماكن خاطئة لا يوجد بها أي مخاطر، إلى أن نستريح سريعًا لأماكن لا نرى بها مخاطر، رغم أنها حقول ألغام».
هدأ الخوف داخله قليلًا وتقدمت خطواته بسرعة أكبر عكس هذا البطء الذي كان عليه، إلى أن اِشتبك سرواله الواسع بمسمارا معدني بمنضدة خشبية بالصالة، كيف لهذا اللعين الصغير أن يقطع سيره!!
نظر إلى اِشتباكه مع المسمار بعين مدهشة، ثمَّ بدأ يحاول فك اِحتضان المسمار بالسروال الواسع، إنه اليوم الذي سيجعله يغير

من حياته كليًّا، لقد أقسم بعدم لبس هذه السراويل الكلاسيكية القديمة مجددًا، ما المانع في لبس الشورتات القصيرة؟
ظلت محاولاته في فك السروال قائمة، لحظات قليلة ويقطع السروال من الأسفل، المشكلة في هذه الأمور بأن العقل حينها يتوقف عن العمل وكأن هناك من ضغط علي زر ال « Power» الخاص به، فمن الممكن أن ينحني ويزيل السروال من فوق المسمار بسهولة ولكن كما قلت لك، لقد توقف العقل عن العمل.
اهتزت المنضدة بقوة من أثر الاشتباك حتَّى كادت أن تسقط حاملة الورد من فوقها لكن الحظ لأصابع (خالد) التي منعتها من هذا الارتطام الذي كان سينهيه.
ارتفعت عين (خالد) تجاه غرفة (نادر) في صدمة!! يستحيل؟ ما هذا اليوم!!
لقد لعن نفسه.
هل سعادته بترك (نادر) الباب مفتوحًا جعلته لم يغلقه هو فور خروجه؟! ما هذا الغباء؟ ألا يوجد يوما أخر غير اليوم ليصبح غبيًا!
انتفض جسد (نادر) فجأة من أثر الضوضاء بالصالة، ثمَّ قفذ من فراشه مرتديًّا سرواله ليتفقد هذا الصوت الذي سمعه بالخارج.
أعاد (خالد) حاملة الورد إلى مكانها، ثمَّ أخرج طاقته كلها في اِشتباكه مع المسمار اللعين حتَّى اِنقطع أسفله ليتبقى الجزء

المقطوع فوق رأس المسمار.
تحرك (نادر) في غرفته متجها نحو الباب، خطوات قليلة ويصبح بالخارج، لقد وصل.
- فيه حاجة يا نادر!! رايح فين؟
قالتها (نور) بصوت نائم، ليرد عليها بعد أن توقف سيره فجأة:
- لا مفيش يا حبيبتي، أنا بس حسيت إن الباب بيخبط فرايح أتأكد، نامي أنتِ.
خرج (نادر) من غرفته ليصبح جسده كاملًا بالخارج.
لقد صُعق!!
بل واتسعت عيناه بقوة من أثر الصعق والدهشة!!
ما الذي يراه!!
هل اِنشغاله الشديد ب (نور) وحبها جعله ينسى باب الشقة مفتوحًا؟! لكنه يتذكر جيدًا أنه أغلقه؟!
ما الذي حدث!!
اِستند (خالد) على حائط بالخارج كاتمًا أنفاسه بيده حول أحد درجات السلم أمام منزل (نادر) في حين ما اتجه (نادر) نحو الباب ليتأكد من أنه لم يكنْ هناك أحدًا داخل شقته.
ظل (خالد) يكتم أنفاسه بقوة وهو ينظر إلى (نادر) بنصف عين، عينه تتأمل (نادر) وهو يبحث بعينه حول درجات إلى السلم.
لقد طال بحثه كثيرًا!! هل سيظل يتفقد الأمر أكثر من هذا؟

والآن.
قد أغلق الباب.
أطلق (خالد) أنفاسه دفعة واحدة فور هذا إغلاق.
فقد أصبح بإمكانه أن يتنفس جيدًا.

* * *

- إيه اللي بتعمله ده يا خالد!! أنت إزاي تبعتلي أنا حاجة زي دي؟ يا راجل عيب ده أنا بتكسف من خيالي.
أرسلها (بدير) برفقة إيموشن حزين إلى (خالد) بعد أن أرسل له (خالد) الفيديو الذي طلبه منه، ليرد (خالد) مسجلًا « Record» بصوته قائلًا بغضب وهو يقترب من الهاتف:
- أقسم بالله لو مبطلتش تلعب معايا اللعبة دي، لهيكون أخر يوم في عمرك.
Typing..
- يا حبيبي شرف ليا إني أموت في نفس اليوم اللي هتموت فيه علياء، أنت بتتكلم في إيه!!
اِتسعت عين (خالد) وفقد القدرة على النطق بعد القوة والغضب، ليستكمل (بدير) كاتبًا:
- المهم، أنا الفيديو ده ميهمنيش في أي حاجة، لكن يهم ناس تانيين.
هبعتلك رقم دلوقتي تبعتله الفيديو ده من غير ما تقوله أي

حاجة.
ومتنساش بعد ما تبعتهولة تعمله بلوك على طول.
أصل صاحب الرقم ده ناصح شوية وممكن يقرفك.
أنت عارفه كويس، أميرة اللي معاك في الشركة.
يلا يا حبيبي، هابي داي.
لقد أدرك اللعبة جيدًا.
وأدرك حديث الطبيب (ياقوت) أيضًا.
«بدير بقى شايف كل الناس خاينة يا خالد، والأصعب إنه بقى شايف إنهم عايشين عشان يخونوه هو وبس مش حد تاني، عشان كدا قرر يخلي الناس كلها تخون بعض عن طريق نقط ضعفهم ومشاكلهم».

* * *

أرسل (خالد) الفيديو إلى (أميرة) ثمَّ.
Block
أغلقت (أميرة) كتاب رسائلها الخاص ب(صادق) مسرعة نحو فراشها لتتفقد هاتفها بعد سماع صوت الرسالة، بالتأكيد أجاب (نادر) على رسائلها وسيكون أمامها فرصة لتأخذ حقها من كل هذا التجاهل الذي عاملها به الفترة الأخيرة.
«أحيانًا لا يقتلنا اِنتظار أشخاصًا بقدر ما يقتلنا قدوم أشخاصًا كنا نتوقع بأنهم هم من كنا ننتظرهم، فمن انتظرناهم لم يأتوا».

اِنعقد حاجبيها عندما أدركت أنه ليس (نادر) واستعجبت أكثر بأنه رقمًا لم تسجله، بل وحظرها أيضًا، من هذا السخيف؟!
فتحت المحادثة، ترددت لحظات أن تفتح الفيديو.
ثمَّ.
بدأت تشاهد، تتأمل، تحدق، تنتقل عينها باهتزاز، عينها تتسع من أثر الصدمة، حاولت أن تكذب عينها، أو ترى الفيديو «Fake» ولكن كان التصوير واضحًا وواقعيًّا تمامًا
أنزلت الهاتف أمامها بسرعة مستحقرة مما رأت.
والآن.
ماذا تفعل بعد أن صعق عقلها فجأة؟

* * *

ظلت (نور) تحدق بالهاتف بقوة.
استندت بظهرها على الفراش في غرفة (نادر) ثمَّ أخذت تتأمل صورها العديدة مع والدتها بالهاتف.
لقد اشتاقت بقدر ما جعلها اشتياقها تتمنى أن تموت لترى من اشتاقت لها.
اِستمرت تحرك الصور بإصبعها، تسقط عينها بكل صورة بضعة ثوان، تعيشها جيدًا دون أن تشعر بنقص تفصيلة واحدة من الحدث التي اِلتقطت فيه هذه الصورة، تستذكر ضحكة والدتها التي لم ترَ في بهجتها زهرة أو شمس أو قمرًا، ملامح وجهها الصافية

كالبحر أو كالسحر، والتي كانت تكشف عقلانيتها ونضجها إذا لم تبتسم أو تضحك، ثمَّ تكشف جنونها وطفولتها إذا ظهرت أسنانها لتصبح فتاة ما زالت تتعلم وتكتسب الخبرات.

لماذا تعيش إلى هذه اللحظة بعد أن فقدت حضن أمها؟

ماذا يوجد في هذا العالم.

ما يجعلها تحيا من دون اِلتحام جسدها بحضنها الدافئ؟

حضنها الذي كان يخبرها دوما بأن الدنيا ما زالت على ما يرام، رغم أنها لم تكنْ على ما يرام أبدًا، لقد افتقدتها كثيرًا، هي تدرك جيدًا لماذا قل ظهورها طوال هذه الأيام السابقة، فلا يوجد أما تتمنى أن ترى ابنتها بهذا الوضع الذي هي فيه الآن، عارية، بجانب رجلًا ليس زوجها، لكنها تفتقدها أيضًا، تريد أن تتأملها، وتريدها أن تضربها وتصعقها بالأقلام، وتقذفها بأفظع الكلمات، تريدها أن تقيد أصابعها بخصلات شعرها وتسقطها أسفل أقدامها، فربما تفيق، وتخرج من هذا الوحل التي لطخت فيه عن غير قصد، أو عن قصد، لا تعلم، لا تعلم سوى أنها أصبحت تعيش ميتة هذه الأيام.

«انطفئت روحها، وانقطعت كهرباء عينها، وأسود قلبها، وبهت وجهها، وتحشرج صوتها ولم يعد ملائكيًّا كما كانت تراه».

نظرت إلى (نادر) التائة في النوم بجانبها نظرات بائسة.

لم تكن هي من تتحدث، بل كان داخلها:

«يا ترى أنت لسه معايا ليه يا نادر؟
عشان بتحبني؟ ولا عشان مشوفتش أسهل مني؟
يا ترى أنت أصلًا كنت بتحبني فعلًا من الأول؟
ولا اختارت تبقى معايا عشان تنسى أميرة بيا؟
زي ما أنا اخترتك عشان أنسى صادق بيك.
أغلقت ال «Gallery» ثمَّ فتحت أبليكشن الفيس بوك، ضغطت على خانة نشر الحالات والبوستات وبدأت تكتب:
«مين قال إن كل اللي ماتوا، ماتوا بجد!
وإن كل اللي عايشين، عايشين فعلًا».
نَشر.

* * *

- أشرقت الشمس.

وأنيرت السماء الزرقاء التي أعشقها، أخبرك بأنني أكبر المغرمين بالسماء في هذا العالم، إنها معشوقتي.
إنطلقت (أميرة) بسيارتها خلف سيارة (نادر) التي هي من الأساس ملك ل (أميرة)
شابا لزج حقاً مثلما كان في عين (خالد) يخونها ويقود سيارتها حتَّى الآن!!
«هل رأيت بجاحة وعين لا تحتوي على الدم مثل هذا يا أنت؟».
ظلت تسير وراءه بحرص وبسير بطيء حتَّى لا يراها، تراقبه جيدًا

حتَّى لا يذهب ويتوه عن أنظارها، تتمنى أن ينتهي الطريق سريعًا حتى تدرك حقيقة ما رأته من بشاعة ليلة أمس؟ بالتأكيد هو في طريقه لها.

وإن تأكدت من ذلك بالفعل، ستريه نتيجة وعواقب أن يجعلها أحدًا تفقد شعورها بالنوم ليلة كاملة؟ ليس لأنها تحبه ومن الواجب عليها أن تقف أعلى قمم الجبال وتسقط نفسها من فوقها في قهرة وحزن وألم منه، بل لأنها من السهل أن ترى نفسها مكروهة أو لا تحب على أن يشعرها أحدًا بنقص صغيرًا فيها، حينها سيكون جحيمها جاهزًا لاحتضانه.

توقفت سيارته أمام تلك الكافتيريا التي قابل بها (نور) لأول مرة، اِنحنت (أميرة) برأسها أسفل أداة القيادة لتختبئ منه، ثمَّ نظرت له بنصف عين في حرص لتجده يلتفت حوله في محاولة للتأكد من أن لا أحدا يراه، أخبرتها تصرفاته بالحقيقة مبكرا.

ظلت تنظر من سيارتها إلى الطابق العلوي في الكافيه الذي اِتجه نحوه.

تنتظره ينتهي من صعوده إلى الأعلى، عينها تبحث في أرجاء المكان عن فتاة تجلس بمفردها، أو، عن (نور) تحديدًا، عينها تبحث وتتنقل بشدة، وفجأة..

* * *

- ها يا عم!! إتاكدت إني مبكدبش عليك وإن الفيديو مش فبركة

ولا لسه؟
اِرتفع الصوت الغليظ مرة أخرى، بالتأكيد تعرف صوت من هذا يا -أنت- ولكن كان هذه المرة في هاتف (صادق).
«سأكون مجسدًا أمامك في كل وقت، سأكون أمامك عندما تدير رأسك لتنظر بالخلف، ستراني أنت في كل زمنٍ مُختلف بثوبٍ مختلفٍ تمامًا عن الآخر».
ظل (صادق) واقفًا مجمدًا في زاوية بعيدة أمام الكافيتريا، عيناه تحدق إلى (نور) و(نادر) الجالسين بالطابق العلوي أمامه.
بدأ يتأمل اِحتضان أيديهم ببعضها، قبلاته بكفيها، طريقته التي من الواضح أنها رومانسية للغاية، وبأنه يلقي العديد من كلمات الحب.
لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:
أهذا هو الحب الغزير الذي كانت تخبره به دومًا؟
أهكذا لم تكن تعطف عليه مثلما كان يدرك؟
« لم تكن تحبه، بل كانت تعمل على تحطيمه، وتحطم».
أنزل (صادق) هاتفه وهو يحدق بهما، ثمَّ أعاده ثانية إلى أذنيه بعد أن اِتصل ب (نور)، لترد (نور) وهو يشاهد اِرتباكها أمام عينه.

* * *

- أيوه يا أميرة؟ فيه حاجة!!

قالها (نادر) ردًا على (أميرة) في تعجب لاتصالها السريع به بعد اِتصال (صادق) ب(نور) ومحادثته منذ ثوان قليلة، لترد (أميرة) وهي تحدق بنظرات دهشته إلى (نور):

- لا مفيش حاجة، أنا بس كنت بقولك إني مش عايزاك تدي أي مواعيد لحد بكره، بكره عيد ميلادك، ومش عايزة حد غيري يشاركني فيك اليوم ده، ممكن؟

اِستقبل جملتها ببعض من السعادة الذي عاد يشعر بها ثانية والتي حاول أن يخفيها أمام (نور)

وما أن انتهى الاتصال.

- هو صادق كان عايزك في إيه؟

قالها (نادر) محاولًا أن يخلق الذكاء أمامها وربط الاتصالين ببعضهما، لترد باستعجابٍ:

- بيقولي إنه تعبان وإنه رايح للكتور بكره وعايزني أبقى معاه!

ليرد بعد أن لم يكتسب شيئًا من ذكائه سوى الغباء:

- تمام، روحي شوفيه عشان ميحسش بحاجة، وأنا هحاول أنجز مع أميرة بسرعة، وأرجعلك عشان نحتفل بعيد ميلادي بطريقتنا.

«أُقسم بأنني إذا كنت اِمرأة لأعطيته موعدًا للقاء بيننا، ثمَّ جعلته عاريا أمامي، وربطه بالحبال بعد ذلك، وأخذت أجلده إلى حد الموت، إنه اللزاجة نفسها».

* * *

ظلت مشاهدة (نور) و(نادر) قائمة من قبل (أميرة) و(صادق).
لقد توقف بهما الوقت في هذه اللحظة، لم يكنْ يشعر أحدهما بمرور السيارات أو صوتها، كان الأمر يسير أمامهما وكأنه ليس هناك سوى (نادر) و(نور) في عينهما.
نظرت (أميرة) إلى هاتفها وكتبت في خانة البحث بالأرقام حرف ال «S» ثمَّ وضعت الهاتف على أذنيها منتظرة أن يجيب من اِتصلت به، لتقول سريعًا فور الاستجابة دون أن تعطيه فرصة للحديث:
- أنا بحبك.
تأمل (صادق) جملتها بأذنه دون أن تهتز عيناه، عيناه كانت مشغولتان بشيئًا أخر، ليرد بصوت خافت:
- وأنا بحبك أوي.
«أتشعر بي الآن يا «أنت»؟ قلت لك من قبل، لقد كدت أفقد موهبتي بالكتابة بسبب هؤلاء الأبطال».
ظل الاثنين.
يحدقان بالاثنين.

* * *

تقدم (خالد) إلى الأمام بخطوات بطيئة، مكتوف الأيادي بحبال متينة حول كفيه من الخلف، ورباط أسود يغطي عينه، خطوات قليلة تفصله عن شقيقته المكتفة أمامه.

سأصف لك المكان تحديدًا يا -أنت- فدائمًا ما أحب أن ترى كل شيء بعينك -أنت- فعيني لي أنا وحدي.

كان المكان قديما إلى درجة كبيرة، أو ربما كان مهجورًا، اِمتلئ بالعديد من السيارات المحطمة والقطع العديدة التي يتكون منها أجساد السيارات، أعتقد أنه كان مصنعًا قديمًا لخلق السيارات بعد موتها.

اِمتلئ المكان بالعديد من رجال الحرس، أخبرك بأن أجسادهم كانت كافية لتصبح مصانعًا أخرى، بالإضافة إلى كل ذلك.

كان هناك «أنا».

أقصد «بدير السيد».

«ستظهر رائحتي في كل مكانٍ تذهب إليه وتجلس فيه.

سأكون -أنت-

سأكون -نفسك- لا غير ذلك، ومع هذا، لن تعرفني».

- مش مصدق نفسي والله، خالد عبد الله بنفسه، موجود قدامي؟

انتفض جسدين في هذه اللحظة بعد جملة (بدير).

كان جسد (علياء) واحدًا منهما بعد أن أدركت مجيء أخيها بينما كان الثاني هو (خالد) بعد أن سمع صوتي، أقصد صوت (بدير).

أعذرني يا -أنت- من الواضح أن اِقترابنا من النهاية أصبح يربكني قبل أن يربكك، لذا أطلب منك أن تتجنب أخطاء شخصًا لطيف مثلي، أحبك يا -أنت-

أشار (بدير) إلى أحد رجاله أن يزيل الرابطة السوداء من فوق عين (خالد)، ليستكمل (بدير) كلماته بجدية:

- أنت غبي يا بني أنت وهو؟ كان لازمتها إيه تغموا عينه كدا، ده اللي براحة وبهدوء زي ما قولت!! كان ممكن جدًا تشيلوا نضارته بس وكنا بردوا هنحقق نفس اللي إحنا عايزينه، يلا، لبسوه النضارة.

وضع أحد الرجال النظارة الطبية فوق عين (خالد) في حين ما أزال (بدير) الشارة السوداء من فوق أعين (علياء).

من الجيد أن يريا الأخوين بعضهما في وقت واحد.

اِنتفاضة ثانية مرة أخرى بالجسدين، اِتسعت عين (خالد) بقوة عندما رأى شقيقته تبكي أمامه، ليقول بثقة قلقة:

- متخافيش يا علياء، هتبقي كويسه وهتخرجي من هنا.

وما أن كاد (خالد) أن يتقدم خطوة واحدة حتَّى أعاده أحد الرجال بسرعة، ليقول (بدير) سريعًا:

- اهدى يا خالد، وحاول متعشمش أختك بحاجات، ممكن للأسف، متتحققش.

اِنقعد حاجبي (خالد) في غضبٍ ثمَّ قال بعصبية خفيفة:

- يعني إيه!! أنا عملتلك كل اللي أنا عايزة وأنت وعدتني.

أخذ (بدير) أنفاسه وهو يتحرك بجسده ساخرًا:

- بص يا خالد، فيه جملة أنا مقتنع بيها أوي وبمشي بيها من زمان.

اِنحنى بظهره قليلًا في وضعية مجنونة، ثمَّ قال بوجه حاد:
- الشيطان عامل زي العقيدة، مبتجبركش تؤمن بيها، بس بتعرض عليك بس إنك تؤمن بيها، وأنت ليك كامل الاختيار بعد كدا، وأنا مأجبرتكش تعمل كل اللي أنا طلبته منك، أنا بس وسوست حبتين.
اِنعقد حاجبي (خالد) باستعجاب شديد لاقتناع (بدير) الكبير أنه شيطانًا حقًا، ليرد مندهشًا:
- قصدك إنك شيطان صح؟
مال برقبته مستعجبًا بعين مصدومتين بمبالغة، ثمَّ قال بجدية ساخرة:
- استغفر الله يا أخي! أنت إزاي شايفني كدا؟ كل ده عشان قولتلك إني وسوست، لا يا خالد، متاخدش معنى الألفاظ بمعناها الخارجي زي ما كلهم بيعملوا كدا، الوسوسة مش بس من الشيطان للإنسان، أنت بس اللي لسه شايف كل الناس ملايكة، عشان كدا مستغرب إنهم مستحيل يوسوسوا.
تقدم خطوتين نحو (خالد) ثمَّ اِستكمل وهو يضع يده في جيبه وناظرًا إلى الأرض:
- تعرف إيه هو الفرق الوحيد بيني وبين البشر يا خالد؟ إحنا الاتنين بشر، لكن الفرق، إن أنا معترف بحقيقتي وهما بينكروا.
ليرد (خالد) غاضبًا وهو يضغط على حروفه متأكدًا:

- قصدك معترف بوقاحتك.

رفع (بدير) عينه في وجهه ثمَّ رد بسرعة مؤكدًا صحة حديث (خالد):

- بالظبط كدا، هو ده بالظبط اللي أنا كنت أقصده، الفكرة بقى، إن كل الناس مش قادرين يقفوا قدام مرايتهم، ويتأملوا وقاحتهم دي، لا، دول بس بيتكسفوا منها، فيبعدوا عنها ويبطلوا تفكير فيها، كل ده عشان ميتعبوش أو يكتئبوا، طب بزمتك، ده صح؟

« سأكون مثل «El joker» في فترة الألفينات الحديثة، الشخصية التي أحبها الكثير دون أن يرونها، وهكذا تكون السخافة بعينها، يحبونه لكي يبدون يحبونه فقط أمام الجميع، وكأن القانون سيعاقبهم إذا لم يفعلوا ذلك، الأهم أنني دائمًا ما أرفع القبعة لتلك الشخصية لكونه معترفًا بإجرامه دائمًا -معترفًا بحقيقته- «

تأمل (خالد) قطرات عين شقيقته، ثمَّ رد بغضبٍ:

- أمال عايزهم يعملوا زيك!! يشوفوا إن كل الناس سبب في وقاحتهم دي؟

اقترب (بدير) من (خالد) حتَّى أَصبح لا مسافة بينهما، ليقول بصوت خافت حزين وكأنه يتذكر شيئًا ما:

- وهو ده اللي عملوه الناس معايا يا خالد، مخلونيش أشوف غير الوحش اللي فيا، ده إذا مكنش الوحش ده هما اللي خلقوه بنفسهم.

هرب من حزنه وضعفه سريعًا ثمَّ أخذ أنفاسه بعد أن أبعد أنظاره عن (خالد) وهو يعود نحو (علياء) مستكملًا بسخريةٍ:

- عمومًا انسى كل الكلام ده، خلينا نبقى نتكلم فيه وقت تاني، ده إن كان لينا عمر واتقابلنا مرة تانية، ودلوقتي، نهاية المهمة، وبعدها، تقدر تبقى حر.

لم يفكر (خالد) في الرد، ليقول بسرعةٍ:

- موافق من قبل ما تقول، بس سيبها، هي ملهاش ذنب في أي حاجة.

ابتسم ساخرًا ثمَّ قال ضاحكًا:

- يا أخي يعني أنت اللي كان ليك ذنب من الأول! ما أنت عارف يا خالد، السيناريو هو اللي حَكم، وأنا مجرد منفذ الأحداث، مخرج بقى وكدا، أنا مش طالب منك كتير، هو اِختبار صغير متوقف على إثبات تجربة ممكن تسميها «من الأحق» أو «من يستحق» حسب ما تحب يعني، دلوقتي فيه واحد عند الجماعة في البيت مستني يوصل الوالدة للوالد فوق في السما عشان ترتاح شوية، وفي نفس الوقت، نفس الشخص مستني إنه يوصل خبر زيارة الأمورة الصغيرة للوالد بردوا عشان وحشاه، بس ده لو عدى على اِختيارك أكتر من عشر دقايق، يعني معاك عشرة دقايق تقلب فيهم كل اللي أنت شوفته من الحجة الوالدة، مع كل اللي أنت شوفته من الأمورة اللي أنا متأكد، إنك مشوفتش منها غير الحلو،

لكن الوقت ده عدى، يبقي اِنكتب للست الكبيرة عمر جديد، بفضل عمر الأمورة اللي هيروح طبعًا، أنا عارف إن الاختيار أحيانًا بيكون قاتل، بس سامحني، أصل أنا بحب إثبات التجارب عملي، بتفيدني وبتزيد من خبراتي، تخيل نفسك كدا بتختار بين أقرب اِتنين ليك، ساعتها هتشوف مين مؤثر في حياتك ووجوده فارق فعلًا، ومين عامل عبئ عليك، ولو اختفى، مش هيحصل أي نقص في حياتك.

أخرج (بدير) سكينًا حاد من خلف سرواله، ثمَّ قطع اللاصق الذي وُضع فوق فم (علياء) ليستكمل بوجهٍ حاد وبكلمات باردة:

- وعشان متقولش إني حطيتك في اِختبار صعب، معاك وسيلة مساعدة، أختك، ممكن تسهل عليك الاختيار بردوا.

اِتسعت عين (خالد) وهي تحدق بقوة بنصل السكين المقترب من رقبة شقيقته، ليرد بغضب وقوة:

- أنت اِتجننت!! أنت إزاي عايزني أختار بين حاجتين مينفعش تخيرني بينهم، ذنبها إيه الروح اللي هتموت علشان واحد مريض زيك، واحد كل الناس خانته عشان مش قابلاه في حياتهم، أنت مريض، مريض، ونهايتك عمرها ما هتكون غير في أوضة هتتحبس فيها عشان حالتك الخطر، مجنون، أنت مجنون.

لقد أشعل (خالد) فتيل الحزن داخل (بدير).

«أشعر بأن نهايتي لن تكن جيدة بالشكل الكافي، ربما قد تكون

خلف بعض القضبان المعدنية لارتكابي جرمًا لم أقصد اِرتكابه، بل كان داخلي هو من يقصد، أو ربما ينتهي المطاف بي بمشفى المختلون عقليًّا، داخل غرفة بيضاء، لا يستطيع نور الشمس أن يجلس بها».

إذا كنت لم ترَ هذا المخرج مهتزًا من قبل، فالآن تستطيع أن تراه.

لم يكن هو من يتحدث.

بل كان داخله:

أخبرني يا إلهي، أين هي الحقيقة، هل أنا مخطئ أم على صواب وحق؟ ولكن كيف أكون مخطئًا وأنا إنسانًا لم يرَ في حياته سوى الخيانة فقط! أنا إنسانًا لم يكنْ يفعل شيء سوى الابتسامة، فقابله الحزن بالأحضان، إنسانًا لم ينبض قلبه سوى الحب، فجائه الكره ملفوفًا كالورد الأزرق، إنسانا كان يحلم بالحياة بطيبة فارتدت الحياة ثياب الكوابيس له، كنت أمسك ممحاتي وأزيل آلام الأقرباء بجهد، كنت أقاتل وأنا أمحي آلامهم، كنت أجاهد في إزالتها وفناءها، وكانوا هم يلونون آلامي ويزينوها لتصبح ظاهرة كالشمس، كنت كالشمس لمن أحببت، لا تنطفئ إلا بالليل لتبدل ضيائها بكهرباء القمر الذي كنت هو أيضًا لأكمل إنارتي لهم بالمساء والظلام المعتم، وكانوا جميعهم عتمة لي، كنت أخًا لمن لا أخ له، وصديقًا مخلصًا يستمع إلى الجميع، وأصبحت وحيدًا لا يجد من يخرج كلماته له، كنت أنام وأنا أتمنى أن أخرج الألآم

والانكسارت والحطام التي لم تكنْ تليق سوى بزجاج يسقط من طابق علوي كاد أن يلمس السماء، حزني لم يلق بي أبدًا يا الله، أنا أرى جيدًا بأنني لم أكنْ أستحق كل ذلك فلماذ رأوا بأنني أستحقه وأنت نفسك.. بالتأكيد لم ترَ أنني أستحقه؟ فأنا في النهاية عبدك أنت، كنت لاصقًا طبيًّا، ودواء لا شك بنتيجته، وطعام يستحيل أن يقترب السم منه، وكانوا كُلهم..»كُلهم».. مصنعًا لصناعة السم القاتل، مصنعًا لي وحدي، أنا إنسانًا، عاش يتغذى على الحقد والكره والفقدان، على البكاء والألم والحرمان، أو ربما عاشت هذه الأشياء تتغذى عليه، وكأنني طعامًا، طعامًا شهيًّا لا يستحق سوى أن يأكل، فأجبني الآن، أنا أحدثك بقلب فتح بالطعنات وليس بالمفاتيح، فبعد أن أدركت كل أنواع الناس علمت بأنه لم يعدْ هناك من أتحدث معه سواك.

سواك.

أنت.

يا الله.

لماذا فعلوا بي كل ذلك؟ لماذا؟ هل كنت أستحق هذا الألم؟ نعم، أنا أتألم بشدة يا إلهي.

أقسم بأنني ميت، رغم أنني، لم أكنْ أريد سوى الحياة.

«بعد مرور دقائق، سأجلعلك تراهم بالتصوير البطيء»

البكاء في عين (علياء) ما زال يزداد.

المقاومة في جسد (خالد) ما زالت قائمة لرجال الحرس الذين أصبحوا حبال حول جسده.
الصمت والبؤس والاهتزاز الذي حل ب(بدير) أخفض من صوت كل ما يحدث حوله.
كلمات (علياء) ما زالت تندفع من داخلها بصرخات قوية، ما زالت تردد:
- أمي يا خالد، متختارنيش يا خوي ونبي، أمنا يا خالد، اختار أمنا وحياة أبوك.
صرخاتها ما زالت تزداد، البكاء أصبح بحرًا فوق وجهها، لا تعرف أن كلماتها تلك لا تريحه بل تقتله، فلا يدرك سوء الاختيار وألمه سوى من وضع تحت اِختيارين لا يريحه أي منهما، لم تكنْ تتمنى أن ترى أخيها هكذا ولم يكنْ يتمنى أن يرى روحه في هذا المأزق اللعين.
«مرت عشرة دقائق».

* * *

اِرتفع صوت بعض الخبطات فوق باب منزل والدة (خالد) مِمَّا جعل بكائها يتوقف وتركض نحو الباب مسرعة دون الشعور بقلبها.
فتحت الباب لكنها لم تجد أحدًا، فجاء بكائها ثانية، وفجأة.
توقف البكاء عندما اِرتطمت عينها ناظرة إلى ورقة صغيرة وضعت

أمام الباب، حملتها ثمَّ أعطتها إلى (ورد) حتَّى تقرأها.
مرت ثوان على قراءة (ورد) للورقة.
«كيف للإنسان أن يتكلم بما لا يستطيع التكلم فيه؟ كيف للإنسان أن يتكلم حينما تصعقه الحياة؟».
اِتسعت عين (ورد) بقوة لرؤية ما كتب على الورقة، عيناها تتأمل وجه الأم التي تسيل دموعها بكثرة، لا تعرف كيف تخبرها بهذه الصدمة التي من الممكن أن تقتلها في أقل من ثوان؟
ظلت (ورد) تنظر للأم دون أن تسمع توسلاتها بالتكلم والحديث، لقد حل الكتم بكل الأشياء من حولها، ليتها تستطيع القراءة بمفردها لتدرك هي حقيقة هذا الألم.
كُتب بالورقة:
« شدوا حيلكم، الأمورة الصغيرة تعيشوا إنتوا، مع الاعتذار لكلمة تعيشوا، كلنا لها».
- علياء ماتت!!
قالتها (ورد) بصوتٍ خافت لا يصدق ما قرأه.
لترد الأم بالصمت وبوجه تحول فجأة إلى تمثال أثري قديم.

* * *

استمرت مقاومة (خالد) في الخروج بقوة رغما عنه، لم يكنْ يشعر بهذه القوة من قبل، ولم يكنْ يريد أن يشعر بها في مثل هذه اللحظة، دموعه تتساقط مع دموع شقيقته في اِنهيار وحسرة لما

سيحدث لأقرب الأشخاص له بسببه.
لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:
هل كان الذنب لي عندما كانت حياتي أمرًا هامًا وتستدعي الكتابة في أنظارهم؟
ما هذا الذنب السخيف!
مرت ثوان، ثمَّ.
سارت السكينة الحادة فوق رقبة صاحبة الصوت الحالم.
«إنه موعد فناء البراءة من العالم».
لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
سأموت دون أن أعلم لما سأموت يا الله.
لكنني لست حزينة، أنا قادمة لك.
ولأبي.
وأظن أنه لا يوجد أفضل من ذلك.

* * *

تَضِيقُ بِنَا الدُّنْيَا إِذَا غِبْتُمُ عَنَّا * وَتَذْهَبُ بِالأَشْوَاقِ أَرْوَاحُنَا مِنَّا.
فبعْدُكُمِ مَوْتٌ وَقُرْبُكُمُ حَيَا * فَإِنْ غِبْتُمُ عَنَّا وَلَوْ نَفَسًا مُتْنَا.

* * *

اِرتفعت صرخات الأم في الصعود والارتفاع، لم تخرج بهذا العنف إلَّا على زوجها حين وفاته، ثمَّ دفعت ب(ورد) خارج المنزل لتسقطها على ظهرها بقوة، كان السقوط كبيرًا حتَّى تتألم (ورد)

دون قدرة على الوقوف والقيام.
اِرتفعت صرختها المتألمة ثمَّ تحسست بطنها وهي تبكي بشدة بعد طردها.
لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:
ولدي، سامحني على هذا السقوط، لم يكنْ بيدي، ولا أتمنى الآن سوى أن تكون على ما يرام.
اِزداد بكائها عندما بدأت الأم تقذف بملابسها وتلقيها في وجهها، ثيابها وثياب زوجها أخذت تحضن بالأرض.
اِستمرت الأم في إلقائها وهي تبكي وتصرخ وتردد اِسم ابنتها بقوةٍ:
- «علياء».

* * *

اِرتفعت صرخة قوية من (خالد) بعد أن رأى شقيقته الوحيدة تذبح دون مقاومة صغيرة منها مثلما يفعل الدجاج، كادت أن تسقط كل السيارات بالمصنع من قوة صرخته لتُحطم أكثر من كونها مدمرة، في حين ما هدأت هذه الصرخة سريعًا بعد أن ضربه أحد الرجال بالمسدس فوق رأسه ليسقط أرضًا بعد أن سقطت شقيقته معه.
حاول ألا يفقد وعيه بما فيه الكفاية.
ليظل يرى شقيقته.
ظل (خالد) يزحف على بطنه ببطء وهو يمد أصابعه نحو شقيقته،

سقطت نظارته، لكنه كان يرى دمائها أمواجًا هادئة في عينه وكأنها بحرًا لم يتمنَ العوم فيه أبدًا.

- علياء.

قالها بصوتٍ متقطع لم يسمعْ من أثر الضربة فوق رأسه، ليكرر كلماته وهو يبكي:

- قولتلك، متخافيش، هطلعك من هنا، بس وأنتِ ميتة.

اِزداد بكائه أكثر ثمَّ قال متألمًا:

- علياااااء.

ظل يزحف نحوها وهو يكرر الكلمات المتقطعة.

* * *

ظلت (ورد) ملقاة على الأرض لا تستطيع القيام والوقوف من شدة السقوط، هل تحزن لأنه من الممكن أن يكون قد تألم اِبنها الذي لم يكنْ بعد؟ أم تحزن على الفتاة البريئة التي ماتت مهما كانت حجم الأسباب بالعالم؟ أم تحزن لهذا الوضع التي هي فيه الآن؟ ملقاة.

* * *

الدموع في عين (خالد) ما زالت تزداد بقوة، الملابس ما زالت تقذف في وجه (ورد) لتصبح ملقاة بجانبها، السقوط أصبح هو المسيطرعلى كل شيء، الثياب والزوج والزوجة، والتي ماتت أيضًا، ظلت (ورد) تبكي بقوة، أنفاس (خالد) تخرج بطيئة، الزحف نحو

شقيقته ما زال قائمًا، الكتم في أذنه مرة أخرى، الأنوار!!
لا!!
لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:
لا أيتها الأنوار أرجوكِ، لا تنطفئي قبل أن أصل إليها، لا!
أوشكت الأنوار أن تنطفئ في عين (خالد)، بينما وضع (بدير) السكين الحاد على سيارة محطمة بجانبه، ثمَّ بدأ يعود إلى شخصيته وحالته.
عودة للسخرية والسخافة والتصنع ودفن الألم بداخله مرة أخرى، يجب عليه اِستكمال ما بدأه، إذا لا بد من تجاهل ما شعر به منذ قليل من ضعف وحزن.
أخذ يهندم ملابسه بلا مبالاة.
ثمَّ حمل زجاجة برفانه الخاصة واستمر في إغراق جسده وملابسه بها، تذوق القليل من النبيذ محمرًا لسانه.
اِرتفعت رائحته الجذابة لتنعشه.
وارتفعت رائحة الدماء لتزيد من بكاء (خالد).
ظل يزحف نحو أخته مرددًا اِسمها:
«علياء».
في حين ما وضع (بدير) أصابعه داخل جيبه سائرًا نحو باب الخروج بطريقة مجنونة ومرنة وبوجهٍ بائس حزين «مصطنع».
مر بجانب (خالد) ثمَّ نظر له بنصف عين حزينة.

ثمَّ اِستكمل سيره بعين كاملة سعيدة.
لم تمر ثوان قليلة.
حتَّى اِنطفئت الأنوار في عين (خالد) فقط.

* * *

١ / يناير

أ ش ر ق ت.. ا ل ش م س

يومًا لا ينسى، ولن.

* * *

وقف نادر أمام المرآة المربعة بالحمام الخاص به، وأخذ يخفف ذقنه اِستعدادًا للاحتفال بعيد ميلاده مساء اليوم، مرة مع (أميرة) ومرة مع (نور) وفجأة.
ظل يحدق في عينه بقوة داخل المرآة.
لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:
«طول عمري بتكسف أبص للمرايات، مش لإني ممكن أكون وحش، لأ.
بس ببقي حاسس إن الاتنين اللي واقفين قصاد بعض دول مش هما نفس الشخص، مستحيل لو فكرت أمسك أي حاجة وأحدفها في اللي موجود جوه المرايا ده، اللي هو أنا، ألاقيه بيعمل زيي، أنا ببقى حاسس إنه هيفضل واقف يتفرج عليا بدون ما يتحرك، يمكن بحس بكل ده عشان ببقى مستغرب إزاي أنا وصلت

للدرجة اللي أنا بقيت شايف نفسي فيها دي!
عارف إن مفيش حاجة بتبقي ظاهرة غير وش وشوية تغييرات عادية متحسسنيش بكل اللي أنا حاسه ده، بس كل مرة بفضل أسرح فيها فيا، أو في اللي بحاول أقتنع إنه أنا، مبقاش شايف مجرد وش.
أنا بشوف حياتي كلها بتتجسد قدامي في اللحظة دي، وكإني وقفت قدام سحر أجبرني إني أقف وأفضل أفتكر وأفكر في كل حاجة بعملها في حياتي، بحس إني وشي عريان أوي وببقي مكسوف من نفسي وأنا ببصلي، كمية الحزن اللي بشوفها في عيني وقتها بتبقى كفيلة تعيشني في اكتئاب لشهور قدام.
-أنا عارف إن ده مش أنا، أنا متأكد، أنا حافظني كويس وعارف أنا المفروض أكون إزاي-
عقلي وقتها مبيبطلش يردد سؤال واحد طول مدة النظر اللي بيني وبين الشخص اللي أنا عمري ما صدقت إن ده أنا.
-هل أنت كنت تستاهل كل اللي حصلك ومريت بيه في حياتك ده؟-
لكن عمري ما لاقيت إجابة واحدة.
حزني الكتير والضرب اللي فضلت أخده من الدنيا وره بعض من غير ما أخد ريست صغير وأقوم عشان أكون مهيئ لضرب جديد، خلاني جاهل أو...

خلاني معملش أي حاجة غير إني أبص لنفسي وأنا مكسوف مني.
السؤال الأهم بقى.
-هل إحساسي ده بحسه عشان أنا وحش فعلًا وأستحق إني مقدرش أواجه نفسي وأفضل مكسوف مني بالشكل ده؟
ولا دي مجرد هلاوس مواجهة النفس بالنفس؟-
بردوا مش لاقي إجابة.
تقريبًا كدا.
هفضل أتكسف أبص للمرايات».

* * *

فتحت (أميرة) يومياتها التي تدون فيها دائمًا حينما تشعر بأي شيء يدور داخلها أو يتصارع معها مثلما عرفت عنها «أنت»، طبعًا اِكتسبته من طباع (صادق) التي كان يقدسها، بدأت تكتب قبل أن تقابل (نادر) مساء اليوم للاحتفال بعيد ميلاده.
لم تكن هي من تتحدث، بل كان داخلها:
«من صغري وأنا بخاف من القطط أو كنت بخاف منهم، والسبب يمكن يكون غريب شوية، في يوم كان فيه قطة صغيرة قاعدة تلف حواليا وأنا قاعدي لوحدي في كافيه، وطبعًا عشان بخاف منهم قومت هشيتها شوية بشوية، بس بردوا مبعدتش، جات قعدت جنبي فبدأت أملس بإيدي عليها، كانت ناعمة ولمستها مريحة، مكنش باين عليها أي شر أو أي حاجة ممكن تخليني أخاف منها،

حقيقي كنت مبسوطة أوي في الوقت ده.
بدأت تنام جنب شنطتي، تقريبًا كدا حست بالدفى فيها، وراحت تايهة في النوم، كانت أول مرة تقريبا أحس فيها إني أم، وإنها بنتي، شوية، ولاقيت قطة تانية بفرو أسود قربت منها ونطت جنبها على الكرسي، كانت رخمة أوي، ضربتها وجرت لما هشيتها بعيد عنها بسرعة، وأول ما جيت ألمس القطة بتاعتي وأطبطب عليها وأصالحها.
راحت مخربشاني!
عورتني وقتها لحد ما طبعت بإيدها عليا.
وحقيقي.
اِتغدرت منها أوي.
من ساعتها أدركت إن الغدر مش بس بيحصل من القطط لأصحابها، ده كمان بيحصل مع البني أدمين والناس.
وعشان أنا واحدة هطله.
مَحرمتش.
وفضلت أسمح لكل الناس إنهم يقربوا مني، فضلت أدي في فرص وأنا منبهرة بشكلهم أول ما بيدخلوا حياتي، وبقيت عايشة عشان أدافع عنهم وأحميهم، وأرهب نفسي ليهم.
وبعد كدا، يخربشوني.
ويجروا».

* * *

أمسك (صادق) بمذكراته اليومية وبدأ يكتب، فقد تعود دائمًا على تسجيل أي لحظة مرت عليه وأثرت فيه بشدة، خاصة اللحظات التي غيرته من شخصٍ إلى شخصٍ أخر.

اِحتضن القلم بالسطر، ثمَّ بدأ يسقط الحبر.

لم يكنْ هو من يتحدث، بل كان داخله:

«دايمًا كان فيه مشكلة واحدة بيني وبين الناس المحيطة حواليا وخصوصًا القريبين مني

وهي إني فشلت كامل الفشل في إني أتعامل معاهم، معرفش إيه السبب، بس دايمًا كان فيه تعارض في كل حاجة بيني وبين الناس. معتقداتي مختلفة تمامًا عن معتقداتهم، الأسلوب ميشبهش لأي أساليب حد من اللي كنت ببقى بتكلم معاه، الطريقة عمري ما لاقيت توأم أو شبيه بسيط ليها، الأحلام ملهاش أي أخوات للدرجة دي مفيش حد شبهي نهائي؟ خالص!

عادي.

مش شرط التشابه بين الأشخاص في كل الحاجات دي، لكن مش شرط بردوا!

عدم تقبل الاختلاف ده؟!

ودي كانت المشكلة اللي أنا كنت أقصدها بالظبط، طول عمري شايف إن عادي جدًا وطبيعي لما يكون فيه اِختلاف تام بين

الأشخاص وأفكارهم وطباعهم.
دي حاجة حلوة جدًا وبتخلق شيء ممزوج بأكتر من تفكير وأكتر من عقل ودماغ.
لكن أنا شخصيًّا بقيت بعارض ومبتقبلش اِختلاف الغير من كتر ما أنا بقيت بقابل ناس من النوعية دي «اللي مبتتقابلش أي اِختلاف أي كان بساطته».
وكأن فيه حرب عالمية رابعة هتقوم فجأة أول ما يلاقوا قرين ليهم بمعتقدات مختلفة كل الاختلاف عن معتقادتهم.
مبيتولدش في لحظة الاختلاف دي أي شيء غير الاستخفاف بالاختلاف اللي عندك، التقليل من المعتقد أو الرأي الأخر، الاستهزاء بالأحلام تحت مسمى الهزار اللي هو أساسًا بيكون نصه جد.
عشان كدا مقداميش غير إني أقول وبكل إيمان باللي هقوله:
«إذا أردت تدمير حلمك، تحدث عنه للجميع قبل تحقيقه، حينها، سينسف».
الصراحة مبقتش عارف وقتها المفروض أبقى زي الناس دي وأقوم بحرب خامسة وسادسة وسابعة لما ألاقي حد مختلف عني في حاجة؟
ولا أفضل زي ما أنا؟
أتقبل الاختلاف، وأتحدف بالاستخفاف.
من ساعتها.

وانا شايف إن اِختلافي هو السبب الوحيد لبعد الناس عني وكإني مريض خبيث».

* * *

وقفت (نور) أمام مرآتها وهي تلقى بعض المكياج الذي يصنع وجها مزيفًا فوق وجهها الحقيقي اِستعدادًا لمشاركة (نادر) أول ميلادًا له معها، أخدت تحدق في وجهها وهي تتفقد كل تفصيلة فيه، لقد شردت في عيناها.

لم تكنْ هي من تتحدث، بل كان داخلها:

«دايمًا كنت بشوف إن لو حصل والدنيا مطرت حظوظ في يوم من الأيام.

فأنا الوحيدة اللي مش هتبل.

مع إني عمري ما اتحرمت من حاجة، بس تقريبًا كدا كل الحاجات اللي متمنتهاش أبدًا اِتحققت من غير أي نقص، وكل الحاجات اللي اتمنيت أحس بوجودها معايا.

ملمحتش ضلها.

لساني مكنش بينطق بحرف غير «خير، والحمد لله».

وإن أكيد قرب الحاجات دي مني كانت هتإذيني عشان كدا ربنا بعدها عني.

بس إزاي!! كل حاجة اِتمنيتها في حياتي كانت هتإذيني!! ده إيه الحظ الجميل ده؟

طب ده أنا في يوم لاقيت ماما داخله عليا بمفاتيح عربية جديدة هدية تخرجي من الجامعة من غير ما أطلب منها، وعشان اِستعجلت في السواقة من غير ما أتعلم، عملت حادثة الحمد لله إني خرجت منها سليمة، طب هي دي مش حاجة كانت ممكن تإذيني، ولا هو كان درس وبتعلم منه زي ما معظم الناس قالتلي؟ حتَّى لو كان درس فعلًا.

فيها إيه لما أتعلم مليون درس من حاجات نفسي فيها بجد، من حاجات بحس من جوايا إن عمر ما هيكون في قربها أي أذي ليا! نفسي أحس إن ربنا خلق شخص واحد بس مستعد يضحي علشاني كل التضحية اللي أنا ضحيتها لكل البشر اللي دخلوا حياتي.

مش مهم حتَّى يضحي، أنا عمري أصلًا ما هخيره بيني وبين أي حاجة عشان الاختيار ده زفت.

بس على الأقل، نفسي أحس إني فارقه، وإني لو مُت، هنقص كتير في حياة ناس كان وجودي شرط في سير أيامهم، نفسي أقول قد إيه أنا محظوظة بوجود الإنسان ده أو الإنسانة دي في حياتي، قد إيه أنا محظوظة عشان حسيت بكل العطاء اللي فضلت أحسس غيري بيه من يوم ما اِتولدت.

نفسي أتبل بالحظ».

* * *

جلس (بدير) مع أحد موظفيه المهمين داخل غرفة التحكم،

يمكنك أن تعتبره بأنه ذراعه اليمين بعد المخرج المنفذ للفيلم «المجهول».
ظل الموظف يحدق بهاتفه وكأنه يجري أعمالًا هامة، ليقول في سعادة إلى المخرج:
- تمام كدا يا ريس، أنا عملت اللي أنت طلبته مني بالظبط، بعت رسالة لصادق وأميرة وخالد على أساس إني واحد من اللي شغالين عند الدكتور ياقوت، وقولتلهم إن فيه اِجتماع مهم اِنهارده في الشركة الساعة ٧ بليل، وده بالظبط نفس الميعاد اللي هيخرج فيه صادق وأميرة مع نور ونادر، يعني بنسبة كبيرة الأربعة هييجوا سوا.
غير الموظف نبرة صوته الفرح، ثمَّ استكمل بقلقٍ وتوتر:
- بس فيه مشكلة واحدة يا فندم.
اِنعقد حاجبي (بدير) ثمَّ قال في فضولٍ:
- مشكلة إيه؟!
ليرد في حرجٍ:
- خالد عاملي بلوك.
اِرتفعت ضحكة (بدير) بقوة، في حين ما اِتسعت عين الموظف مصدومًا من رد فعله الذي لم يتوقعه، ليرد (بدير) بابتسامة بعد أن عاد إلى وقاره ونضجه أو إلى نضجه المجنون:
- متزعلش، اللي حصله إنبارح بردوا مكنش سهل، اِعتبره استقال

يا عم، بس بردوا إحنا مينفعش نسكت، لازم يبقى فيه مكافأة نهاية الخدمة، قولي هو فين دلوقتي؟

ليرد الموظف مسرعًا بثقة وكأنه تحول إلى جهاز GPS:

- في الحانة اللي بيسهر فيها علي طول يا فندم.

رد (بدير) بالصمت ليرد مستعجبًا بسعادةٍ:

- عند مريم!! حلو أوي.

صمت (بدير) قليلًا بعد جملته الأخيرة وأخذ يقلب الفكرة في رأسه ليرد سريعًا بصوتٍ هادئ وهو يقترب من الموظف، قائلًا بهمسٍ حاد:

- أول ما الساعة ٧ تيجي، رنلي على ورد، مراته، خلينا ننفذ المفاجأة كلها في وقت واحد.

* * *

السابعة مساء

Koot Company

شَغِل، موسيقاك، المربكة، يا، أنت.

* * *

«أيشاء القدر أن يجمع الجميع في لحظة واحدة؟».

وصلت (أميرة) برفقة (نادر) في نفس توقيت وصول (صادق) برفقة (نور).

لم تستعجب (أميرة) لكون (صادق) برفقة (نور) في هذه اللحظة،

فهي تدرك أنهما كانا أصدقاء فقط كما أخبرها هو، ولم يستعجب (صادق) أيضًا لكون (أميرة) برفقة (نادر)، فقد أدرك مثلما أدركت.
لقد أصبح الأربعة أمام باب الشركة معًا.
اِبتسم (بدير السيد) اِبتسامة مجنونة وهو يحدق لأبطاله بكاميرات المراقبة الخاصة بالشركة داخل غرفة التحكم -السرية- التي لم يكنْ يعرف أحدًا بوجودها في الشركة.
حتَّى (ياقوت) نفسه.
- هو أنت مش قولت إننا هنروح للدكتور عشان نطمن عليك؟!
قالتها (نور)) إلى (صادق) بعد نظرات غيظ منها إلى (نادر) برفقة (أميرة) ليرد (صادق) عليها بصوتٍ بارد:
- هنروح، متقلقيش عليا، أشوف بس دكتور ياقوت عايزنا في إيه، وبعدين نروح مكان ما تحبي.
اِستعجبت عيناه الحادة التي كادت أن تأكلها، ثمَّ استمرت في النظر بغيظ إلى (أميرة) المقتربة من (نادر).
- هو إحنا هنحتفل بعيد ميلادي هنا؟ الجو مش هيبقى برد ولا إيه!!
قالها (نادر) إلى (أميرة) بطريقة أقبح من نعل حذائه، لتبتسم له بعد أن حدقت إلى (نور) بعين حادة وإلى (نادر) في فهم واضح اختبئ وراءه استحقار كبير، لترد بقوةٍ:
- لا اطمن، أنا محضر لك مفاجأة أحسن من كدا، وفي مكان دافي

جدًا، بس بعد الاجتماع.
تقدم الأربعة نحو باب الشركة.
اِستعدادًا للدخول.
والآن، فتح الباب تلقائيًا مُرحبا بهم.
نصيحتي لك يا -أنت- إن لم تحبْ الدخول معهم إلى الشركة ورؤية ما سيحدث بالداخل، فافعل هذا دون تردد بسيط، تراجع دون استكمال الصفحات المتبقية، أغلقها بقوة وأربطها بحبال ثقيلة ثمَّ أسقطها بمحيطًا أو داخل بركانا يقذف بحممه كل ثوان.
فتلك المرة تحديدًا، مختلفة تمامًا.
الدخول هذه المرة ليس ككل الدخول الذي سبق من قبل إلى هذه الشركة.
اليوم وبكل وضوح.
ربما، لا يمر، بسلام.
ربما، لن يخرج أحدُا قط، حتَّى «أنت».
تذكر أنني حذرتك.
انتظر!! هناك شيئًا أخر يجب عليك أن تصدقني فيه.
أُقسم لك أنني مثلك، لم أعلم شيئًا عمًّا سيحدث بالداخل بعض قليل، فكلنا هنا جهلاء يا -أنت- لا يوجد من يعرف أو يدرك شيئًا إلَّا واحدًا.
«مخرج هذا الفيلم اللعين».

ومع ذلك، فقد قررت الدخول بمفردي، إذا أردت التوقف هنا، فأنا سعيد لأنني تحدث معك كل هذه المدة، أتمنى أن تكون قد تعلمت شيئًا ولو صغيرًا مني.

والأهم من ذلك أن تكون قد رأيت حقيقة العالم التي لطالما كانت مختبئة بين الصخور المشتعلة، الأهم حقًا، هو أن تكون أدركت هذه الجملة.

«إنها اللحظة التي تكنشف فيها أبشع صفاتك».

ولكن إذا أردت اِستكمال الطريق معي، اتبعني.

ولكن قبل الدخول، رحب بالعالم الذي لا يعرف أحدًا عنه شيئًا واحد، ولن يعرف.

«عندما يتغير مسار الأرض عن وضعها الطبيعي.

عندما يُصبح الليل، ويُعتم النهار.

وتسقط الأمطار غاضبة.

لما سيحدث هُنا «.

* * *

التنهيدة السابعة

«الأخيرة».

هُنا، لا يوجد شيء عاقل

هُنا يكون العبث، صديق الجنون الوحيد

لذا، مرحبًا بك في عالمٍ فقد كُل قواه العقلية

ليست النهايةَ، هي فقط..

«البداية الجديدة».

كُتبت هذه التنهيدة على نغمات موسيقي «Hiroshima» الملحمية السريعة للفيلم الوثائقي «APOCALYPSE» والذي يتحدث عن الحرب العالمية الثانية.

* * *

حاول أن تجاهد في التذكر معي يا «أنت».

أتذكر المرة التي جاء فيها موعد حقني اليومي وكنت حينها لا أستطيع الكتابة؟ المرة التي كنت فيها اِمرأة عجوز ثمَّ حملني الاثنين الضخماوين ليقيداني أثناء الحقن؟ أظنك تذكرت جيدًا.

هل تذكر إذن تلك المرأة الممرضة التي كانت تبكي على بشدة بسبب ما كانوا يفعلونه هؤلاء الأوغاد بي كل يوم؟ المرأة التي جاهدت في أن تحبس دموعها خلف قضبان قرنيتها وكأنها كانت تعرفني وعلى علاقة بي، تذكرتها؟

أحسنت يا «أنت» أرى بأن من اِستكمل معي باقي صفحات الرواية هم جميعهم أذكياء ناضجون ولا يحتاجون للوصف والشرح الكثير، ولهذا دعني أريك ما فعلته هذه المرأة معي.

ظلت الممرضة تسير بسرعة هائلة في طرقة الطابق العلوي الخاص

بقسم الحالات الخطرة، أقدامها تريد أن تركض ولكن لا يصح حتَّى لا يكشف حقيقتها أحدا، عيناها تتلفت حولها في ربكة وخوف، تتمنى ألا يراها أحدًا قبل أن تفعل ما تريده، لقد كانت تجاهد في الوصول إلى غرفتي بسرعة كبيرة، تُرى ماذا تريد مني؟ وصلت السيدة الفاضلة إلى غرفتي بعد هذه الأمتار الطويلة في المشفى، وستعلم «أنت» بعد ذلك لما أطلقت عليها هذا اللقب «الفاضلة».

وضعت المفتاح في بيته الصغير داخل باب غرفتي ثمَّ انطلقت إلى الداخل مغلقة الباب خلفها، ما هذه الزيارة الليلية الخبيثة؟

أعادت المفتاح إلى جيبها الطبي، ثمَّ بدأت تنظر إلى بعين صافية مُحي كل القلق والخوف الذي كان بداخلها، كنت منغرقًا في النوم في هذا التوقيت الذي لم أكنْ أعرفه «أنا» ذلك بعد أن زارني النوم بعد أيام كثيرة من عدم الغفلة اِجتهادًا في أن أنهى روايتي.

تقدمت نحوي بخطوات بطيئة حذرة لتأكدها بأنني سأندفع في وجهها إذا فكرت أن تلمسني، ظلت تتقدم بحرصٍ شديد، خطوة تموت بالخلف وخطوة تحيا إلى الأمام، كانت تتأمل وضعيتي الجنينية بحب لم أفهمه أبدًا، أحبت هيئتي بأن أعطي لها ظهري حتَّى تفاجئني، أو تقتلني، حسب ما كانت تنوي فعله معي.

لقد وصلت إليّ، لم يكنْ يفرقها عني سوى جزءًا صغيرًا من الفراش الأبيض، وضعت يدها ببطء وتردد داخل جيبها، أقسم بأنني

شعرت بأنها لم تكنْ تريد أن تضع يدها في جيبها وتفعل ما فعلته، لكنها لم تستطع المقاومة، وفعلت.
والآن، يد في الجيب، ويد أخرى تتقدم نحو وجهي برعشة وبطء، ليتني لم أنم مثل كل يوم حتَّى أشاهد ما فعلته معي من البداية، أصابعها تقترب مني، أصابعها أوشكت على أن تلمس وجهي السوداوي الكئيب، أهي المفاجأة أم القتل؟ وفجأة.
حدث ما كانت تدركه وتخشي منه، لقد اِندفعت في وجهها بوحشية دون أن أتفوه بحرفٍ واحد، بينما خرجت منها شهقة كبيرة فزعًا مما توقعته وحدث.
أمسكت يدها بعنفٍ شديد مرسلًا لها بعض الألم الذي فاق ألم الحقن نفسه، اِتسعت عيناها بشدة رغم ضئالتها وضيقها، لقد شعرت بأنه لم يكنْ إنسانًا عاديًّا من يؤلمها بهذا الشكل، وإنما هو برقًا قد هبط إليها من السماء ليعلمها بعض أصول الأدب في إيقاظ الأخرين، خرجت أنفاسها متقطعة خائفة حتَّى أوشكت أن تخرج رئتيها معها، ولكي تنقذ نفسها بسرعة.
أخرجت ما كان في جيبها، إنه مفتاح معدني وُضع عليه الرقم «٧».
ماذا؟!!
مُفتاح الغرفة الأكثر خطرًا مع ممرضة عادية مثل هذه؟ إنه لا يفارق الطبيب المُختص أبدًا!
كيف فعلت ذلك؟

هدأت أصابعي العنيفة قليلًا وانفكت من حول كفها بعد أن كانت بمثابة مقبض حبس أبدي، نظرت لها بعين متأملة وبوجه مندهش من فعلتها المجنونة، ثمَّ بدأت أمد يدي ببطء لكي أخذ المفتاح ولكنها كانت أذكي، حيث قالت بامتناع من أن اقترب منه:
- على جثتي لو خدته من غير ما نتفق.
خبيثة هذه المرأة، كيف عرفت بأنني لا أؤذي السيدات، وأنهرهم فقط؟ وبأنها مهما فعلت معي لن أؤذيها.
لم تنتظر مني أي رد لإدراكها بأنني لم أتكلم سوى مرتين منذ أن أحضروني إلَّا هنا، ثمَّ اِستكملت بابتسامة بعد أن قتلت خوفها واكتسبت بعض الثقة التي لا أعرف أنا كيف اكتسبتها رغم كونها في غرفة مثل هذه، حيث قالت بخبثٍ:
- أنا عارفه إنك مش مصدق كل اللي بيحصل دلوقتي، زيارة في وقت زي ده، دخول أوضة خطر زي دي رغم إن ده مش ميعاد حقن، ومفتاح أوضتك اللي معايا رغم إنه مبيفارقش جيب دكتورك، بس اللي أنا جيالك علشانه هيعرفك قد إيه أنت تهمني، وقد إيه أنت غالي عندي أوي.
قالت جملتها الأخيرة وهي تقترب بوجهها مني زيادة عن اللزوم مسقطة عينها في وجهي، لم أحب هذا الأمر تمامًا، ليس لأنني لا أحب النساء، بالعكس، ولكنها لم تكنْ جميلة بدرجة كافية حتَّى اقترب أنا الأخر، حيث كانت بُنية البشرة، طويلة القامة،

عينان باردتان وكأن هناك بائع لحم جمدهما أسبوعًا، كشفت بعض خصلاتها الظاهرة أسفل قبعتها الطبية بأنها تمتلك شعرًا مهرولًا وخشنًا، ربما لم تكنْ تمتلك أي مساحيق تجميل في البيت، جسدها لم يكن ممتلئ ولكنها لم تكن رشيقة أو نحيفة أو جذابة، فقط بعض الترهلات والكرش المهتز، تمنيت كثيرًا أن ترتدي جلبابًا طويلًا بدلًا من ثوبها الطبي القصير الذي كان يكشف عن أقدام لحمية ضخمة!

عدت بوجهي في اِشمئزاز إلى الوراء عندما تقدمت هي، ثمَّ نظرت لها باهتمام وانتظار أن تتحدث، قلبي لم يتوقف عن الركض منذ أن رأت عيني مفتاح حبسي قابع بين أصابعها، في حين ما ابتسمت هي بعد أن فصصت وجهي بإتقان مثلما نفعل مع حبات اليوستفاندي، ثمَّ قالت بهمسٍ:

- الدكاترة قرروا ينقلوك انهارده بليل من المستشفى، ناويين يودوك مسشتفى بعيدة محدش يعرف عنها أي حاجة، تقريبًا كدا تحت الأرض.

اِنتفض وجهي وصعق جسدي لما سمعته من هذه الممرضة، شعرت بأنه كان يجب عليّ أن أتحدث في هذه اللحظة وأخرج الكلمات حتَّى أنقذ نفسي مِمَّا يريدون أن يفعلونه بي، يريدون أن يقطعوا كل طرق الوصل بيني وبين الأوراق والأقلام، كيف؟ كيف يريدونني أن أعيش دون أن أكتب؟

لم تعطِ الممرضة أي فرصة لي حتَّى أرد على حديثها، فاستكملت وهي تهز بالمفتاح أمام وجههي بحركات سخيفة يفعلونها فقط مع المولدون الجدد، قائلة بابتسامة وذكاء:

- بس متخافش، أنا ههربك.

اِنتفاضة أخرى وعين لم تتسع من قبل مثلما اتسعت الآن، أظن بأنك أدركت الآن لما كانت هذه المرأة فاضلة في عيني، اقتربت منها في حذر منصتًا بشدة لباقي حديثها، وليتني لم أنصت، فقد قتلت بنفسها كل صفات الفضالة التي رأيتها فيها منذ ثوان، قائلة بتكبرٍ:

- بس بشرط.

اِندفعت بوجهي أمامها بسرعة منتظرًا أن أهز رأسي بالموافقة على أي شيئًا تريده مني، بينما اِبتسمت هي بسرعة من اِهتمامي الكبير بالهرب، ثمَّ بدأت تقترب، ما هذا؟

لقد بعدت وجهها عن وجههي ولم تقترب منه مثلما كانت تفعل، بل اقتربت بشدة من أذني، أيستدعي هذا الشرط كل هذا الهمس؟.

همست لي بما تريده مقابلًا لهربي، لم تأخذ أكثر من ثلاث ثواني لتخبرني به.

ماذا!!!!! إنه جنون، أقسم بأنه جنون!

هل جُنت هذه المرأة؟ ما هذا الذي تريدني أن أفعله؟

عادت إلى وضعيتها بعد الهمس بنفس الابتسامة المستفزة وهي تهز المفتاح أمام وجهي في إغراء وسخرية، بينما نظرت أنا لعينها بوجه كاد أن يشهق مصدومًا مِمَّا قالته لي في ذلك اليوم الذي ربما، لن يمر بسلامٍ.
«ماذا سيحدث يا إلهي؟ هل يحترق العالم اليوم؟».

* * *

الحرف الأول من اِسم (أميرة).
الآن أصبح معك الحروف الستة للجزء المُتبقي من العنوان.
إذا أردت معرفته، انتظر قليلًا لتعرف ترتيب الحروف الصحيح، ذلك إذا لم تستطعْ معرفة الاسم بمفردك دون ترتيب.
والآن، أعتذر لك إن كُنت سخيفًا معك في هذه اللعبة، ولكن لماذا أعتذر!!
أنت تعلم من البداية بأنني سخيفًا.
أريد اِستعادة اِعتذاري يا «أنت».

* * *

صُدم، وصُعق، وجُمد، دون أن يشعر به أحدًا.
اِتسعت عين الطبيب (ياقوت) وهو ينظر إلى شاشات المراقبة داخل غرفة مكتبه، لكنها لم تكنْ نفس الكاميرات التي كان ينظر لها دومًا، لم تكن كاميرات البيوت الثلاثة.
بل كانت الكاميرات الخاصة بشركته الوهمية، حيث الأربعة

هناك.
ما هذا الذي يراه بعينه؟
(صادق) برفقة (نور) و(نادر) برفقة (أميرة)!
تبديلًا قاتل وخاطئ في الأماكن الصحيحة، ألَا يصح أن يكون (صادق) مع (أميرة) و (نادر) مع (نور)؟ أليس هذا هو ما كانوا يريدونه؟ الحب الذي يشعرهم بأنهم أحياء وذو قيمة؟ الاهتمام بهم وليس التجاهل واللا مبالاة ؟ ماذا حدث إذن؟ أم أنهم قد عادوا من جديد إلى لحظة البداية؟
ما هذا؟ أهذا ما يهمه فقط؟ ألا يشغله سبب وجودهم هناك؟ تُرى ما الذي جعلهم يذهبون إلى الشركة -الوهمية- دون أن يخبرهم هو بالذهاب؟ والأعجب أيضًا أنه في ذلك التوقيت الليلي.
السابعة مساء!
بدل (ياقوت) كاميرات المراقبة الخارجية بالكاميرات الداخلية بالشركة حتَّى يستيطع أن يكمل مشاهدة سيرهم، لم يكد ينظر أمامه في ثوان، حتَّى صُدم وصُعق وجُمد دون أن يشعر به أحدًا.
ما هذا الذي أمامه على الشاشة؟
(بدير السيد) يسير في إحدى طرقات الشركة بمفرده؟
اِنعقد حاجبيه مدهوشًا ثمَّ ظل يحدق بالشاشة في ربكة واهتمام، عينه تتأمل جسده وثيابه بشدة ليتأكد من حالته.
ماذا؟!!! غير معقول!

إنهما مُسدسين بين أصابع كفيه الاثنين!
امتلئت عين الطبيب بالركبة والتوتر وهو يبتلع ماء لسانه الخائف، ظل يحدق ويتابع حركة (بدير).
استعجب (ياقوت) حركات ووضعيات (بدير) العبثية والغير طبيعية، حيث كان يسير خطوتين إلى الأمام ثمَّ يعودهما إلى الوراء ثانية في سعادة هائلة لا سبب لها، يتقدم ثمَّ يعود، يتقدم ثمَّ يعود، يميل برأسه ويرقص ببطء بسخرية وجنون وهو ينظر إلى سلاحيه بابتسامة مخيفة، وفجأة.
توقفت أقدام (بدير) وارتفعت رأسه بحدةٍ وكأنه لاحظ قدوم الأربعة نحوه، عاد بظهره راكضًا إلى الوراء حيث الطريق المعاكس لهم، فهو لا يريدهم أن يرونه ولو حتَّى لمرة واحدة.
اختفى (بدير) من أمام الشاشة في مكتب (ياقوت) ثمَّ ظهر الأربعة بدلًا منه.
اِستمر الطبيب في متابعة ومشاهدة الأربعة الذين أصبحوا في نفس الطرقة التي كان فيها (بدير) قبلهم، نظروا جميعهم إلى بعضهم نظرات لم يفهمها الطبيب ثمَّ اتجهوا يسارًا مثلما أخبرهم (بدير).
وما أن كاد (ياقوت) يبدل الكاميرا بالأخرى ليستمر في مشاهدتهم حيث الطريق الأخر.
حتَّى.

انقطع، إرسال.
كُل.
الكاميرات.
أمامه.

* * *

جلس (خالد) في نفس المكان الذي جلس فيه من قبل داخل الحانة التي قابل بها (مريم) لم يجدْ مكانا أخر يلقي به حزنه وبؤسه سوى هذا المكان، أو سوى هذه المرأة (مريم).
جلست (مريم) أمامه بوجهٍ بائس ومنعقد حزين، تتأمل وجهه الذي سقط على البار بشعور من اللا مبالاة واللا جدوى من الحياة، خدشت ملامحه بقسوة بسكين الحزن والقسوة، لم تشعر من قبل بأنها تريد أن تبكي مثل هذه المرة التي تراه فيها الآن، اِستعجبت حالته بشدة، وبدأت تراودها مشاعر غريبة تسألها أسالة أغرب تكاد أن تبكيها بكاء لا تريد أن تبكيه.
لم تكن هي من تتحدث، بل كان داخلها:
كيف لهذه الحياة أن تغير وضعية الإنسان تمامًا بهذا القدر؟ كيف للحياة القدرة الهائلة والكاملة على أن تحول السعداء إلى تعساء ميتون؟ ليتها تحولهم إلى أوفياء حتَّى يختفوا تمامًا من هذا الحزن -العالم- لكنها حياه شقية، تستمتع فقط، بألامنا وانكسارنا وبؤسنا وحزننا الذي لن ينتهي أبدًا سوى في جنات السماء إذا كتبت لنا

الجنة.
«ما هذا العذاء الدائم التي تعيشه كل يوم منذ أن خلقت؟ عذاء لما تفعله الدنيا بها».
وضعت (مريم) أصابعها على خدي (خالد) في رفق ومواساة، ثمَّ نظرت إليه بحزنٍ وشفقة، لتقول بصوتٍ فُتت وكأن شقيقتها هي من ماتت -ذبحت- وليس هو:
- حبيبي.
أطلقت هذه الكلمة بمفردها دون أن تحتضن بأي كلمة أو حروف أخرى، ثمَّ اِستكملت بحنان وهي تحدق بيعنه المغلقتين:
- أنا عارفة إنك سامعني، وعارفة بردوا إنك لسه متغيرتش، وإنك بتحاول تعمل نفسك مش سامعني عشان متشوفش نفسك ضعيف، مبتحبش أي حد يواسيك أو ينصحك عشان متحسش إنه أنضج منك، طول عمرك شايف نفسك أعقل وأنضج حد، عمرك ما خدت بالك إن دي مش حاجة حلوة، دي حاجة بتكسر أوي، عشان بتخليك داري وواعي لكل حاجة، ومفيش أوجع من الإدراك والمعرفة.
أخذت أنفاسها ثمَّ وقفت على أقدامها والتفت حوله لتصبح خلف ظهره.
وبعدم صُنع أي اعتبار للجالسون، احتضنته.
اِنتفض جسده فجأة فور هذا الاحتواء الدافئ، زراعيها كانت

بمثابة غطاء ثقيل ودافئ قتل حبات البرد التي اِرتدت جسده، عينه كانت تهتز بشدة من الداخل وكأن هناك شجارًا أو معركة بينه وبين حدقتيه على السماح لها بمشاهدة هذا الاحتواء، لكنه رفض وفاز بالمعركة.

سقطت دموعها فوق كتفه، ثمَّ قالت بحزنٍ:

- عارفة إنك كنت بتحبها أوي، وإنها هتوحشك، وإن قد إيه مفيش أصعب من إحساس الموت ده، وإن هييجي عليك لحظة مش هتتمنى فيها أي حاجة، غير إنك تحضنها، وتسمع صوتها وهو بيغني واللي أنت دايمًا كنت بتحكيلي قد إيه هو جميل، بس صدقيني هي في مكان أحسن، مش دايمًا كنت بتقول إن مفيش في الدنيا أحسن من السما عشان مفيهاش أي حزن أو كدب أو خيانة، عشان فيها ربنا.

سقطت دموعه فوق خديه وانكمش وجهه في حزن وبكاء، بينما اِستمرت هي في ضم ضلوعه نحوها متمنية أن يلتحم جسدها به، ثمَّ قالت بحبٍ وحنان بعد أن أمحت العالم من عينها ورسمته هو وحده:

- أنا مش عايزاك تخاف وأنت معايا، أنا هحبسك جوه مني، ومحدش هيعرف يأذيك طول ما أنا هنا، متخافش يا حبيبي.

بدأ يفتح عينه ببؤس وبكاء وحزن من حديثها، فقد شعر بأن الجميع أصبح يحميه رغم أنه من الواجب أن يحمي هو جميع

من حوله.
لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:
«من فينا الرجل إذن؟ أنا أم هي».
كانت قطراته كافية لتضعف من مقدار الرؤية في عينه، إضافة إلى ضعف بصره، لذا فقد ظل يغلق عينه ويفتحها في محاولة لإيقاف قطراته وجفافها، ثمَّ بعد ثوان من المحاولة، بدأ يجاهد في الرؤية بعد أن جفت دموعه المنكسرة، المكان أمامه كان كعادته بدون النظارة، مموجًا وغير معتدلًا وكأنه يرقص اِستخفافا به وسخرية منه، التموج ما زال قائمًا في عينه، ولكن، ما هذا الذي يراه أمامه؟ اِمرأة ما تقف أمامه بعيدًا، لقد شعر بأنها تنظر إليه، بل وتحدق بشدة، لم يكن يراها جيدًا، لذلك لم يعرفها، ولكن لماذا لا تتحرك من ثباتها ؟! لما كل هذا السكون والتجمد الذي حل بها أمامه؟ ألم تجد أتعس منه لتنظر له هكذا؟ لماذا لا تذهب إلى الرقص أو مصاحبة الرجال أو اِحتساء الخمر؟
- بحبك أوي يا خالد.
خرجت كلمات (مريم) متقطعة في أذن (خالد) بل وربما لم يسمعها من شدة تركيزه مع هذه السيدة التي لا يراها بوضوح أمام عينه.
مد يده على البار ليحضر عينه الثالثة، وضعها على عينه بسرعة لتحسن رؤيته، وما أن عاد بالنظر أمامه حيث المرأة.

كررت (مريم) حديثها وهي تغلق عينها شاردة، قائلة بحبٍ:
- بحبك وبتنفسك.
اِنتفض جسده فجأة واهتز من مكانه لتهتز (مريم) معه قاتلًا شرودها وعشقها به.
لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:
«لماذا لا تنشقي أيتها الأرض وتبتلعيني الآن؟
أرجوكِ انشقي مرة واحدة من أجلي، فأنا لم أعد أقدر على رؤية كل هذه الصدمات».
لم تكن هي من تتحدث، بل كان داخلها:
«ماذا فعلت لك حتَّى تعطي قلبك لامرأة غيري؟
ماذا فعلت لك لتخونني بعد أن ألقيت ثياب الخدم فوق قلبي من أجلك؟
أين إخلاصك لي الذي كان يدهشني دومًا؟
أين أنا من كل هذا؟».
ظل هذا الحديث يتردد بشدة وقوة داخل (ورد) عندما رأت (خالد) ملقى هكذا داخل أحضان (مريم) بينما شعرت (مريم) بالحزن والحرج لما سببته الآن من خدش لن يمحي ولو طال بهما الزمن وتصالحا، ذلك بعد أن أدركت أنها زوجته، فالبتأكيد لن يبكي أحدًا عليه مثلما تفعل هي الآن.
«ماذا سيكون شعورك إذا رأيت من تعشقه بين أحضان شخصًا

أخر؟ ألا ترى بأن ذلك هو القتل بعينه؟».
جُمد مكانه وكأن الأرض ألصقته بها، بينما وقفت (مريم) خلفه بنظرات حرج وحزن
ظل الزوجين ينظران إلى بعضهما بدموع سائلة، وقلب منكسر.
إلا أن ارتفع صوت (علياء) فجأة في أذن (ورد) لقد تذكرت غنائها وكلماتها، الآن أدركت بأن اختيارها لهذه الأغنية كان صحيحًا وبشدة.

* * *

وَبِي مَمَّا يُسَاوِرُنِي كَثِـيرٌ.
مِنَ الشَّجَـنِ المُؤَرِّقِ لاَ تَدَعْنِي.
تُعَذَّبُ فِي لَهِيبِ الشَّكِّ رُوحِي.
وَتَشْقَى بِالظُّنُـونِ وَبِالتَّمَنِّي.
أَجِبْنِي إِذْ سَأَلْتُكَ هَلْ صَحِيحٌ.
حَدِيثُ النَّاسِ خُنْتَ؟ أَلَمْ تَخُنِّي.

* * *

اِنطلقت (ورد) راكضة إلى الخارج من ذلك المكان التي لم تحب أن تدخله، فأدخلها زوجها إليه رغمًا عنها.
بينما ظل (خالد) واقفًا لا يتحرك وكأن هناك شيئًا خارق منعه من السير والركض خلفها.
نظر إلى (مريم) سريعًا بنصف عين حزينة، ثمَّ سقط على مقعده

منكسرًا، وبعد ثوان من الصمت الذي حل ب(مريم) حاولت الهرب من انكسارها وحزنها إلى إخلاصها ونقائها، لتقول بانفعال متقطع:

- أنت لسه هتقعد يا خالد! قوم شوفها بسرعة لتعمل في نفسها حاجة، دي مهما كان مراتك..

نظرت أمامها في حزنٍ شارد ثمَّ قالت بصوتٍ خافت:

- وأم ابنك اللي جاي.

نظر لها في حرج وضعف، ثمَّ مد يده نحو وجهها ليلمس خدها، أغلقت عينها في انتظار للمس، لكنه لم يستطع.

فركض خلف زوجته.

وتركها.

بصحبة دموعها.

* * *

عشر دقائق مرت على قيادة (ياقوت) لسيارته متجها إلى شركته بسرعة هائلة، لم يكنْ هو من يقود السيارة في هذه اللحظة، بل كان قلبه وعقله في نفس الوقت، وكأنه قد خرجت لهما بعض الأصابع حتَّى يستطيعا القيادة، الربكة والقلق لم يفارقانه لحظة من بعد ما شاهده داخل شاشات المراقبة، اِزدحام الطريق جعله يشعر بأن هذا أيضًا قد خطط من قبل (بدير) ليعيقه عن الوصول. تُرى ماذا سيحدث بعد قليل؟ ولماذا كان يحمل (بدير) هذان

المسدسان بين يديه؟
ماذا ينوي أن يفعل بهم؟ وماذا ستكون النهاية؟
وصل الطبيب إلى «Koot Company» بعد خمس دقائق أخرى، ربع ساعة مرت على وجود هؤلاء الأربعة داخل الشركة دون أن يعلم هو ماذا يحدث معهم؟
هبط من سيارته ثمَّ ركض بقدم قلقة نحو باب الشركة الرئيسي، وما أن وصل إليه حتَّى خرج غيظه وغضبه بقوة عندما وجد الباب مغلقًا بإحكام، لقد تأكد الآن أنه لن يحظى بمشاركة هذا الحفل بالداخل، وبأن ما ينوي أن يفعله هذا المخرج المجنون مع أبطاله ليس بشيء جيد.
حاول الطبيب أن يفتح الباب مرة وأخرى ولكن لا جدوى، لقد شعر الآن بأنه شخصًا عاديًّا مثل بقية المارون في الطريق وليس صاحب الشركة لعدم استطاعته دخولها.
مرت ثوان على وقوفه أمام الشركة وهو يأخذ أنفاسه في حيرة وضعف، ظل يفكر ويفكر ويفكر، إلَّا أن وقعت عيناه على سيارته فجأة، وكأنها ألقت عليه طلب المساعدة.
ركض نحو سيارته بسرعة ثمَّ دخل إليها مستعدًا للقيادة، عدل من وضعية وقوفها لتقابل باب الشركة وجهها لوجه، ظل يحدق إلى الباب بحدة وهو يأخذ أنفاسه بقوة، أدار مفتاح السيارة وهو يحدق بالباب مستعدًا للركض بسيارته، لم يأخذ وقت طويلًا في

فعل ما خطر بعقله حتَّى أمسكت أصابعه بعجلة القيادة بشدة وعنف، إذا كان يريد (بدير) كتابة النهاية اليوم، فعليه هو أن يكتبها معه.

اِنطلق بسيارته بقوة تجاه باب الشركة، عيناه لم لتهتز ولم تخشَ المواجهة والنظر، خطوات قليلة وتحتضن السيارة بالباب المغلق، خطوات قليلة ويسقط الباب فتات على الأرض، مصابيح السيارة تخبر الباب بموعد وفاته في هذا التوقيت، سرعة العجلات في أقصى درجات ركضها، والآن.

تم الاحتضان.

وقعت رأس الطبيب على عجلة القيادة من أثر الارتطام، ثمَّ بدأ يعود بظهره وهو يتأوه بألم محاولًا الهدوء وجمع قواه بعد أن أهدرت طاقته في محاولة فتح الباب، نظر بعينه إلى الأمام، لقد صُدم فور النظر، ما هذا؟

لم يُخدش الباب خدش صغيرًا!

كيف نسى بأن زجاج هذا الباب هو زجاجًا ليس زجاجًا بل بمثابة الصخور، لا يتشظى لمئات القطع الصغيرة ما أن يسقط أو يرتطم به جسم صلب؟

ظل يأخذ أنفاسه بتعب وألم وهو ينظر أمامه إلى الباب الذي لم يخدش وإلى سيارته التي تحطم وجهها كاملًا، يتمنى الآن أن يحدث شيئًا إلهيًا أو عاصفة قوية تحطم هذا الباب حتَّى يستطيع

الدخول وإنقاذ أبطاله، فهو لا يريد أن ينتهي الأمر بهم نتيجة جنون رجلًا مريض مثل (بدير) وفجأة.
ظهر (بدير) على إحدى الشاشات الصغيرة المعلقة أعلى باب الشركة، انتفض (ياقوت) في مكانه عندما ألقى (بدير) أولى كلماته، قائلًا ببرودٍ:
- معلش يا ياقوت، الحمدلله إنها جات سليمة، أنا مش عارف يا أخي أنت هتعقل امتى وتبطل تهورك ده، حد يعمل كدا في شركته وعربيته؟ طب ما كنت ترن عليا وأنا أخليهم يفتحولك عادي يعني، هو أنا همنعك تدخل شركتك بردوا! بس يلا مش مهم، أنت اِتخبطت واللي حصل حصل.
لم يفكر (ياقوت) لحظة في أن ينزل من السيارة وينظر إلى هذا الوجه العفن الذي تكون من بقايا فتات الفئران النتنة، بينما اِستمر (بدير) في حديثه على الشاشة الصغيرة وهو يعبث بمسدسيه ليخلق الربكة داخل الطبيب، قائلًا بتلقائية باردة:
- أنا عارف إنك مستغرب إزاي يكون في ناس جوه شركتك اللي مش شركة دلوقتي وأنت متعرفش؟ لأ ومين، أنا وأربعة من أبطالك اللي بتحبهم، عشان كدا أنا مش هطول عليك وهعرفك سبب وجودنا هنا عشان ألحق أخلص تصوير، أصل أنا مقولتلكش، انهارده أخر يوم في تصوير الفيلم، والصراحة ملقتش مكان أحسن من شركتك عشان أعمل فيه اللي أنا عايزه، خصوصا بقى في الأوضة السرية

اللي أنا فيها دي واللي أنت متعرفش عنها أي حاجة، مش عيب تبقي صاحب الشركة ومتعرفش حاجة زي دي، دي أخرة اللي يأمن على شغله لناس مش كويسة يا ياقوت، بس مش مهم أديك بتتعلم.

ظل (ياقوت) يحدق في وجهه بحدة وغضب، ليستكمل (بدير) وهو يرفع المسدسين في منتصف الشاشة ليراهم الطبيب جيدًا، قائلًا بجدية وجنون:

- أحب أعرفك يا ياقوت، دول مسدسين، اللي هيكتبوا نهاية الفيلم اِنهارده، القلم والورق معتش ليهم تأثير قوي اليومين دول، بقوا خايبين ودمهم تقيل، لكن لو أنت حبيت تثبت العكس وتكتب أنت النهاية بنفسك، دور على الأوضة السرية، اللي أنا فيها مع أبطالك الأربعة، ليلك سعيد يا دكتور.

اختفت صورة (بدير) من داخل شاشة التلفاز، ثمَّ بدأ ينفتح باب الشركة بمفرده.

لمعت عين الطبيب ثمَّ نزل من سيارته سريعًا ناسيا ألمه وتعبه من أثر الارتطام.

والآن أغلق الباب.

وأصبح الطبيب بالداخل.

* * *

دخلا الأربعة إلى غرفة فارغة كانت جزء من غرفة المراقبة الكبيرة،

والذي أشرف على إنشائها سريًّا «المخرج المنفذ للفيلم» الرجل المجهول مرة أخرى.

كانت الغرفة فارغة تمامًا من أي شيء، عبارة عن كتلة معدنية مربعة، حديثة الإنشاء والتصميم وكأنها غرفة إلكترونية، اِمتلئت حيطانها بالكاميرات الصغيرة الضئيلة التي لا يستطيع رؤيتها ميكروسكوب، ضياء الغرفة الأبيض كان كبير لدرجة أنه من الممكن أن يشعرك أنك انتقلت إلى السماء فجأة، قُسم سقف الغرفة إلى ثلاثة خطوط معدنية عريضة، بالإضافة إلى وجود أربعة مربعات سوداء منفصلة فوق الأرض المعدنية البيضاء، وإذا أردت توضيح الغرفة أكثر من ذلك، فقد كانت تشبه غرف الاستوديهات الخاصة بتسجيل الأغاني والموسيقي، لا يفصل وجود الأربعة بالداخل عن (بدير) بالخارج سوى لوحًا زجاجيًّا كبير وُضع بالمنتصف، تمامًا مثل غرف التحقيق مع المجرمين.

ظل الأربعة يدورون حول أنفسهم في اِستعجاب ودهشة لشكل الغرفة، لدرجة أنه قد نسى كل منهم رفيقه الذي قد أتى معه، بينما ظل (بدير) يحدق لهم متأملًا حالتهم بوجه حاد وبابتسامة أطالت وجهه كاملًا، كان يراهم بوضوح وكأنه لا مسافة بينهم، بينما لم يستطعْ أحدًا منهم أن يراه، والفضل يعود إلى الزجاج السحري.

جلس (بدير) على مقعده في الغرفة، ثمَّ اِقترب من ميكرفون

صغير أمامه ليبدأ لعبته أو لينهي لعبته، قائلًا وكأنه قد ملك العالم وحده:
- إزيكم يا أبطال؟
لم يكد يُكمل باقي حديثه حتَّى اِرتفعت ابتسامته سريعًا بسبب اِنتفاضة أجسادهم الأربعة في وقت واحد، هل يوجد أمتع من تشابه المشاعر في وقت واحد؟ لا أعتقد.
اِنعقد حاجبي كل من (أميرة) و(نور) و(صادق) وأخذا كلًّا منهم يلتف حول نفسه ناظرًا في كل جدران الغرفة عند سماع هذا الصوت الغليظ في جوف السماعات، بينما جُمد (نادر) مكانه فور سماع صوت (بدير) في الغرفة، لقد اِتسعت عيناه دون اِهتزاز منه وكأنه قد سمع هذا الصوت من قبل.
وما أن شبعت عين (بدير) من الرؤية، حتَّى اِستكمل فمه طعام الحديث، قائلًا ببرود:
- طبعًا كلكم بتسألوا دلوقتي فين الدكتور ياقوت وإيه اللي بيعمله معانا دلوقتي ده، معلش يا جماعة، الدكتور ياقوت، مجاش الاجتماع.
زادت علامات الاستعجاب على وجوههم ولم ينطق أحدهم بكلمة لانشغالهم بالبحث عن مكان صدور هذا الصوت الغليظ، ليستكمل الصوت الغليظ حديثه البارد:
- عشان من الأخر كدا، مفيش اِجتماع أصلًا، وقبل ما حد فيكم

يتكلم أو يتعصب، خلوني أكمل كلامي عشان تتعصبوا مرة واحدة.
أخذ (بدير) أنفاسه ثمَّ اقترب من الميكروفون أكثر من اللازم وكأنه سوف يقبله، قائلًا بهمس مفزع:

- انتوا هنا، محبوسين، ومحدش هيطلع غير بمعجزة، وللأسف زمن المعجزات، بَح

تجمد كلا منهم في مكانه، بينما اِنعقد وجه (صادق) بغضبٍ، قائلًا بانفعال:

- أنت مجنون يا عم ولا إيه؟ أنت مين أساسًا!!

خرجت ضحكة صغيرة من (بدير) ثمَّ رد عليه باستخفافٍ:

- أنا اللي بكلمك دلوقتي يا صادق، مش صعبة يعني.

ليرد (صادق) مرتديًا ثوب الاستخفاف أيضًا:

- بجد والله!! تصدق كنت فاكرك واحد غيرك، يلا يا جماعة نمشي من هنا.

وما أن اتجه (صادق) نحو الباب حتَّى وجده مغلقًا، اِتسعت عيناه فجأة ثمَّ بدأ يشد الباب نحوه محاولًا فتحه، ولكن لا جدوى، وضع قدمًا بالمنتصف ثمَّ بدأ يدفع بكل ما لديه من طاقة نحو الباب، إلَّا أن تألمت قدماه فجأة ليسقط على الأرض متأوهًا.
انتفض جسد كلًّا من (أميرة) و(نور) في وقت واحد لسقوطه، وما أن كادت تتحرك كلا منهما نحوه حتَّى نظرا لبعضهما نظرات أوقفتهما، خاصة نظرة (نور) إلى (أميرة) والتي منعتها من الاقتراب

منه، لقد كانت نظراتهما تتشاجر وتخبر الأخرى بأنه ملكها وحدها وليس لأحد غيرها، ولكن كانت (نور) الأحق في هذا الوقت، فقد جاءت معه من البداية، في حين ما نظر (نادر) إلى (أميرة) نظرة فهم لما كانت ستفعله منذ قليل عندما فكرت في الانحناء نحو (صادق).

«للحقائق أحيانًا، أضرار قاتلة».

- مش عيب واحد زكي زيك يا صادق يبقي في غرفة حديثة زي دي ويفتكر إن من السهل إنه يفتح بابها، طب يا أخي سيب الكلام ده لواحد غبي زي نادر.

شعر (نادر) بأن هناك أحدًا قد قذفه بحذاء في وجهه أمام الجميع، لكنه لم يُصدم أو يتعجب من هذه الإهانة بعد أن صُدم من صاحب هذا الصوت في البداية، ليستكمل المخرج بثقةٍ:

- متستغربوش إني عارفكم أوي كدا، أنا عايزكم تتأكدوا إني حافظكم أكتر من نفسكم، واحد واحد، الحاجات اللي بتحبوها، والحاجات اللي مبطقوش تشموا ريحتها ولو من بعيد، مواقفكم اللي غيرتكم من بني أدمين لناس تانية أنتوا نفسكم متعرفوهاش قدي، أسراركم، اللي إنتوا متأكدين أوي لحد دلوقتي، إنها أسرار بحق وحقيقي، ذكرياتكم القديمة، والجديدة اللي هتبقى قديمة بعد كدا، الناس اللي بتحبوهم، واللي بتكرهوهم، الناس اللي بتخلصلهم من قلبكم.

اقترب من الميكروفون أكثر، ثمَّ قال بغيظ وهمس:
- واللي بتخونوهم من غير قلبكم.
لقد نجح (بدير) بشدة في خلق الرعب والفزع والربكة بداخل كل منهم، لدرجة أنه قد بدأ كلا منهم في إلقاء حياته أمامه على الأرض باحثًا فيها عمَّا قد فعله منذ لحظة ولادته حتَّى الآن، ليستكمل (بدير) حديثه بابتسامة وسخافة:
- خلوني أفهمكم كل حاجة بسرعة، عشان الإدرينالين اللي بيتفرز منكم دلوقتي ده، ميكترش أكتر من كدا.
حدق إلى خوفهم وربكتهم باستمتاع ثمَّ ألقى كلمته للمخرج المنفذ بجانبه، قائلًا دون وعي وتفكير:
- ابدأ.
ضغط المخرج المنفذ على زر صغير أمامه، ثمَّ...
بدأت تهبط من أعلى السقف ثلاثة جدران معدنية متينة من داخل الخطوط الثلاثة المعدنية العريضة لتلتصق بالأرض مقسمة الغرفة إلى أربعة خانات صغيرة، تحمل الخانة الواحدة شخصًا واحدًا فقط، ليصبح كلا منهم داخل خانة من الخانات الأربعة بمفرده.
ثمَّ صعد من عمق الأرض إلى الأعلى أربع شاشات تلفاز صغيرة خرجت من المربعات السوداء المنفصلة فوق الأرض، ليصبح هناك شاشة تلفاز إلكترونية أمام كل واحدٍ داخل كل خانة.

والآن، المزيد من الضغط على زر أخر جديد من قبل المخرج المنفذ، ثمَّ.
شُغلت شاشات التلفاز أمام الأربعة، لا تقلق يا «أنت» سأجعلك تشاهد معهم.
ظهرت نشرة مُسجلة لمذيعة تيلفزيونية، قالت برسمية:
«... وقد صرح بدير السيد مؤخرًا بأن هذا الفيلم ليس كباقي الأفلام التي أصبحنا نشاهدها مؤخرًا هذه الأيام حيث قال بأن أحداثه ستكون «واقعية بحت» والواقعية هنا أيضًا ليست كغيرها التي نعيشها ونراها كل يوم -بل إنها أحداثًا واقعية حقيقية لأبطال حقيقيون- بل وستصور أحداث هذا الفيلم بالتحديد داخل منازل أبطال هذا العمل والذي صُرح أيضًا بأنهم ليسوا أبطالًا سينمائيين بالوسط الفني بل أشخاصًا عاديون ذو مهنٍ مختلفة، إلخ».
اِنتهت النشرة المُسجلة ثمَّ بدأت تظهر بعض المشاهد المُسجلة المختلفة داخل شاشة كل واحدٍ من الأربعة.

- شاشة (نور):

«حديثها مع نفسها داخل غرفتها، لقاءها مع الفتاه التي أخبرتها بحقيقة (صادق)، لقائها الأول مع (نادر) في الكافيتريا، اِصطدامها ب(نادر) في الشركة أول مرة بعد الاجتماع الأول، بكائها داخل غرفتها، خوفها داخل غرفتها، فزعها، مقارنتها لصورتها مع (صادق) وصورته مع (أميرة)، شجارها مع (صادق) في بيته عندما أخطأ

في اِسمها، لقاءها الثاني والثالث مع (نادر)، نومها بين أحضان (نادر) في منزله، الإسكندرية، السمك، الموسيقى، السفر، الهروب، أمها، البحر، جنونها، ضعفها، عيد الميلاد والحفل التي أقامته إلى (صادق)، حديثها مع نفسها، نومها في أحضان (نادر) في الإسكندرية عندما قررا أن يبتعدا، عارية، نقائها، مكالماتها الهاتفية مع (نادر)، الكافيتريا، كلمة (موافقة) التي قالتها في الاجتماع بالشركة».

- شاشة (صادق):

«جلوسه مع (نور) قبل تكريمه بالشركة، دراجته النارية، قدمه، العملية، طريقته السخيفة مع (نور)، طريقته المُزينة مع (أميرة)، بطولاته وإنجازاته، ألمه ومرضه، عيد ميلاده، شجاره مع (أميرة) داخل قاعة الرقص، تدوين يومياته، حديثه مع شقيقته، لقائه مع (أميرة) بعد سنوات من البُعد والفراق، عدم اِستجابة (نور) على اِتصاله عندما تألم وحده، عباد الشمس الذي أحضره إلى (أميرة)، كلمة (موافق) التي قالها في الاجتماع بالشركة».

- شاشة (أميرة):

«كتاب رسائلها من (صادق)، يومياتها، طريقتها العنيفة والقبيحة مع (نادر)، طريقتها الوردية مع (صادق)، لقائها مع (صادق) بعد سنوات من البُعد والفراق، عملية (صادق)، احتضان يدها بيده فور اِستيقاظه متألمًا، رقصها داخل قاعة الرقص، شجارها مع (صادق)، عباد الشمس، القهوة، صورتها الممزقة التي ضاعت من

كتاب الرسائل، غضبها، حنانها، طفولتها، شجارها مع (نادر) داخل سيارتها، لحظة لقائها ب (خالد) عندما زارت (ورد) بالمشفى، كلمة (موافقة) التي قالتها في الاجتماع بالشركة».

- شاشة (نادر):

«سخافته، شجاره مع (أميرة)، السجائر، اِغتصاب شقيقته، السفر، النور الأزرق، الإسكندرية، العيش في أحضان (نور)، حفلة الرقص، اِتصاله بوالدته واطمئنانه على شقيقته، مكالماته الهاتفية والسهر ليلًا مع (نور)، الدجاج، ذكرياته، السيارة التي ليست سيارته، نومه أمام منزل (أميرة) ثمَّ الشجار، كلمة (موافق) التي قالها في الاجتماع بالشركة».

لقد.

كانت، تمر.

حياتهم، أمامهم

في أقل من ثوان، وكأنها تُعاد من جديد، ولكن بالتصوير السريع.

* * *

«اركض، اركض بقوة، لا تتوقف عن الركض، اركض حتَّى تشتعل أصابع قدماك، الركض هو الحل، اركض وراء الأشياء، ولا تركض من الأشياء، اركض، اركض بقوة».

ظل (ياقوت) يركض بشدة في كل أنحاء الشركة، يتفقد غرف المكتب واحدة تلو الأخرى باحثًا عن غرفة التحكم، يتحسس

جميع الجدران لعل أحدها تلتف فتدخله إلى تلك الغرفة السرية، ولكن لا جدوى، لا فائدة، لا غرفة سرية، أين هي أذن! هل ألبسوكِ قبعة الإخفاء أم ماذا؟
لقد شعر بأن العالم كله يركض معه في هذه اللحظة، الظلام الذي حل بكل طرقات الشركة، المصابيح البيضاء القليلة، موسيقى الرعب والفزع والتوتر ترتفع في أذنيه وكأنه قد وُضع العديد من المسجلات بها، ما هذا التحول المفاجئ الذي حل بشركته فجأة؟ لقد شعر بأنه يركض داخل إحدى المستشفيات المهجورة بحثًا عن بعض المرضى الضائعين، لم يكنْ يعلم بأنهم داخل المشرحة الآن.
توقفت أقدام الطبيب عن الركض تعبًا وأرقًا بعد أن ركض كل طوابق الشركة في دقائق، ثمَّ اِنحنى بظهره واضعًا كفيه فوق ركبتيه في محاولة لاستعادة أنفاسه، عينه تحدق بالأرض في شعور بالإحباط لا يريد اِستمراره أكثر من ذلك، صدره يتقدم للأمام وللخلف بسبب سرعة أنفاسه التي كانت تركض معه، اِرتفع صوت أنفاسه في كل طوابق الشركة لصمتها التام من كل شيء، وفجأة.
تحولت عيناه الطيبة إلى عين حادة غاضبة، ثمَّ وقف ظهره على قدميه في محاولة قوية للثبات وخلق القوة، أخرج أنفاسه دفعة واحدة بغضب وغيظ.
«وداعًا أيها الملاك بداخلي، ومرحبا بك يا صاحب الأعين الحمراء».
اِرتسمت ملامح الوحشية والغضب على وجهه، ثمَّ صرخ بقوة

كادت أن تحطم كل جدران الشركة وتسقطها فوق رأسها:
- بديييييير، بديييييييير، بديير.

* * *

جلست (ورد) على الأريكة بالصالة، ممسكة بورقة صغيرة كتبها لها (خالد) في بداية تعارفهما، أخذت تنظر لها وتحدق بها بعين لم تتوقف عن البكاء منذ أن عادت من الحانة إلى البيت.
لم تكد عيناها تكمل القراءة بصمت، حتَّى اندفع (خالد) داخل الشقة بوجه متعب وملطخ بالعرق من كثرة الركض.
اِرتفع وجهها نحوه فور دخوله، وبدأت تُجمد قطرات عينها كالصخر أسفل عيناها وفوق خديها.
«لقد شعرت بأنه لم يعدْ يستحق قطرة واحدة من دموعها الثمَّينة، هو أقل بكثير من أن تبكي عينها عليه».
تقدم بخطوات بطيئة نحوها وبوجه مُحرج لا يملك القدرة الكاملة على النظر بوضوح إلى وجهها، إلى أن وصل إليها.
بدأ يهبط بجسده على الأرض ليجلس أسفل قدميها ببؤس وحزن في محاولة لإقناعها بأنه لم يخنها أبدًا لأنه لا يجرأ على ذلك، ثمَّ أمسك يدها قائلًا بانكسارٍ:
- ورد أنا!
وما أن كاد يُكمل جملته، حتَّى أطلقت رصاص كلماتها وهي تقفذ على أقدامها باعدة يدها عنه، قائلة بجمود قلب:

- طَلقني.
«لقد تجمد العالم في عينه، وكأنه قد تحول إلى لوحة أثرية مرسومة، لن ينفك محتواها مهما حدث، فهي في النهاية، مجرد لوحة».
اِنفرد وجهه مدهوشًا وجُمد مكانه على الأرض، بينما ظلت هي تنظر له بنصف عين إلى الأسفل محاولة الحفاظ على ثباتها وقوتها وقتل ضعفها وحبها له.
وقف على أقدامه ببطء ثمَّ اقترب منها في صدمة، قائلًا بصوت خافت:
- قدرتي تقوليها يا ورد؟
لتسرع في ردها القوي دون تفكير:
- طَلقني.
اختفي اِنكساره فجأة وقُتل ضعفه وحرجه، ليقول بانفعال خرج بسرعة:
- هو فيه إيه يا ورد؟ أنتِ خلاص خدتي القرار لوحدك وحكمتي عليا من غير ما تديني أي فرصة أفهمك وأدافع عن نفسي!
انتفض جسدها من غضبه وانكمش وجهها خوفًا، لكنها حاولت الثبات ثانية، لتقول بابتسامة منكسرة:
- طب ما أنت ياما حكمت عليا وشكيت فيا بسبب ماضي قديم؟ وكانت النتيجة إيه، كنت بقتل كرامتي وبسامحك، إيه! عايزني

أسامحك المرة دي كمان بعد ما شوفتك وأنت في حضنها.
اِرتسم الحرج على وجهه بينما انعقد وجهها ببؤس وحزن، ثمَّ أخرجت إنكسارها في وجهه مستكملة بصوت التفت الحبال حول نبرته:
- سيبتني وأنت في عز وجعك وروحت تداوي روحك في حضن واحدة تانية، عمرك ما عيطت وأنت في حضني يا خالد، طول عمرك شايف إن دموعك لو نزلت قدامي، هتحس إن فيه حد داس على كرامتك، انهارده، شوفت دموعك وأنت معاها، استئمنتها عليك أكتر ما كنت بتستئمن نفسك معايا، حسيت فجأة إنك لاقي نفسك معاها، أكتر ما كنت بتلاقي نفسك معايا، ده إذا كنت بتلاقيها أًصلًا، تعرف، أنا لما شوفتكم، مكنتش عايزه أمشي أو أجري وأسيبها تتهني بيك، كنت عايزة أجي وأخرجك من حضنها وأشدك من أيدك وأطلعك بره المكان ده، بعدها كان ممكن أجري وأسيبك، بس محدش يلمسك غيري، بس حتَّى دي مقدرتش أعملها، عارف ليه؟؟
احتضنت دموعها المنكسرة بخدها الناعم، ثمَّ قالت بألم:
- عشان كنت مرعوبة إنك متجيش معايا، وتقولي لأ، أًنا عايزها هي، مش عايزك يا ورد.
امتلئت عيناه بالدموع، ثمَّ رد بانكسار وهو يمد أصابعه نحو يدها:

- وكل ده محصلش يا ورد، وجريت وراكِ أول ما مشيتي وجيتلك.
لترد بانفعال سريع وهي تبتعد عنه للوراء:
- بس حضنتك، نشفت دموعك بإيدها من تحت عينك، حاولت تداوي وجعك وكسرتك، محسستكش إن أنت لوحدك، وإنها جنبك ومش هتسيبك، كل ده مين المفروض يعمله؟ مين الأولى بيه؟ أنا ولا هي؟
ليرد دون تفكير بصوتٍ تألم:
- والله العظيم إن...!
قاطعته بغضب وقوة بعد أن فاض ألمها:
- لأ هي، متقولش أنا، وإلا كان زمان إيدي على شعرك دلوقتي وبطبطب عليك وبخفف عنك
أخذت أنفاسها ثمَّ أوقفت دموعها، قائلة للمرة الثالثة بصوت جامد:
- طلقني يا خالد، أنا مش هقدر أكمل وأنا ماليش أي قيمة وتأثير في حياتك، مش هعرف أنسى شكلك وأنت معاها، مش هعرف أعيش معاك وأنت فرحان بس وحزنك يشيله ناس غيري.
سقطت دمعة من عينيه فجأة، لكنه لم يسمح لها بالظهور أكثر من ثوان فأزالها بسرعة وقوة.
ظل ينظر إلى زوجته بوجه كئيب وبائس، لا يقدر على الدفاع عن نفسه ومحو هذا الشك منها، فهي لن تتراجع حتَّى ولو كتب لها

العديد من السيناريوهات والأسباب المبررة.
ظلت تنظر له بخوف وربكة متمنية بداخلها ألا ينفذ طلبها، لقد كان تتوسل له دون أن تتحدث بألا يستمع لحديثها وينفذه.
لم تكن هي من تتحدث، بل كان داخلها:
لا تنطقها أرجوك، غادر البيت واتركني، ولكن لا تفعلها.
لا تجعلني أفقد الأب والأخ والصديق والزوج في وقت واحد.
قُل أي شيء غير هذه الكلمة، قل أنك لن تتركني أكمل الحياة وحدي.
قل بأنك لن تفعل، وبأنك ستظل متمسك بي مهما حدث.
قل أحبك.
وحينها سيمحي كل شيء من عقلي.
سيتألم قلبي قليلًا.
ولكن فداك كُل شيء، فداك روحي الهائمة بروحك.
أرجوك، لا تنطقها.
تقدم (خالد) بخطوات بطيئة سائرًا في صالة البيت بجسد مُنهك ومتعب، كان الطريق أمامه مموجًا رغم ارتدائه النظارة، ومع ذلك تجاهل تعبه واستكمل خطواته المتعبة.
استمر في سيره متجهًا نحو المطبخ دون أن ينظر إلى (ورد) أو يحدثها، تعرقلت قدماه وكاد أن يسقط لكنه جاهد في التماسك والثبات، جسد (ورد) لم يتوقف عن الانتفاض بسبب حالته التي

أصبح فيها، تود أن تنطلق نحوه وتسنده ثمَّ تجلسه في فراشهما ليستريح، لكن «كرامتها» جُسدت أمام عينها، بل وظلت كانت توسوس لها في أذنيها:

«لا تتحركي، حتَّى وإن قتلوه أمامك، إنه خائن».

انعقد حاجبيها وانكمش وجهها باستعجاب لدخوله المطبخ، ماذا يفعل بالداخل؟ ولماذا تجاهل حديثها معه في هذه اللحظة؟ ماذا يوجد أهم منها بداخل المطبخ؟ بالتأكيد لم تُفتح شهيته الآن وقرر أن يأكل؟ تُرى!!!

ماذا!!!!!

لقد خرج أمامها بعد ثوان، ما هذا الذي تراه؟ يستحيل؟ بالتأكيد أنها تحلم؟ بالتأكيد ستفيق الآن من هذا الكابوس اللعين؟ ولكن ما هذا؟ ما هذا الذي يلمع في عيناها؟

سكين قابع بين أصابعه!

بدأ يتجه نحوها بخطوات بطيئة ومتدحرجة، يميل يمينًا ويسارًا في محاولة لحمل جسده جاهدا، اِتسعت عيناها بشدة وشُل فمها عن النطق والحديث، لم تكن تستطع حتَّى أن تسأله عن هذا الجنون الذي حل به، إلى أن أصبح أمامها.

لم تكن هناك مسافة تفصلهما، حذائه يلمس حذائها بالأسفل وكأنهما يحتضان حضن الوداع، أنفاسه تحرك خصلات شعرها بفزع وخوف، وفجأة.

ارتفعت يده وهي تحمل السكين بالأعلى، لقد كان السكين يلمع في عيناها وكأنها مرآة، لقد أدركت الآن بأنها قد جاءت لحظة الموت، وإذا كانت على يده، فمرحبًا بها، لا أريد مزيدًا من الحياة. أغلقت أبواب عينها باهتزاز ورعشة كبيرة، بينما ظلت عيناه الحادة تحدق بجسدها المرتعش والخائف، قشعريرة جسدها كانت كبيرة حتَّى تمنعها من النظر إلى ما سيفعله بعد قليل.
صوتها بدأ ينمنم بخوف وفزع، السكين بين يديه يرتعش ويفكر في تنفيذ الأمر
وفجأة.
توقف جسدها عن الانتفاض فور سماع صوت باب المنزل يُفتح.
فتحت عيناها ثمَّ ألقت بالنظر حولها.
ما هذا؟ إنها ما زالت حية! ولكن.
لقد اختفى (خالد) من البيت!! وباب المنزل مفتوح!! أين ذهب؟
انطلقت نحو الباب ثمَّ بحثت بعينها بين درجات السلم بالأسفل والأعلى، إلى أن وجدته.
إنه يصعد إلى سطح البيت.
مُمسكا بالسكين.

* * *

اتسعت عيناهم، وجُمدت أجسادهم، وتوقفت حواسهم عن أداء وظيفتها، لم تعد تمتلك أفواههم القدرة على النطق أو الحديث أو

الدفاع عن أنفسهم، ما ظهر أمامهم على الشاشات الصغيرة كان كفيلًا أن يعرقل شيء ما داخل منهم، شيء سقط دون أن يجاهد في الوقوف والمقاومة والاستمرار، لقد صُورت حياتهم، وسُجلت أصواتهم، وتتابعت خطوات سيرهم، كل شيء كانوا يتنفسونه ظهر أمامهم على الشاشات، لقد صعقوا بما هو كاف.

ابتسم (بدير) لحالتهم خلف الزجاج ولنجاحه في تجسيد كل هذه المشاهد أمامهم على الشاشات، ثمَّ استكمل كلماته بقوة:

- طبعًا دلوقتي إنتوا فهمتوا كُل حاجة، ومش محتاجين إني أشرحلكم أي حاجة من اللي إنتوا فيها دلوقتي، فيلم من أحداث واقعية ولأبطال حقيقيين، موافقتكم بوضوح على الاشتراك فيه بدون أي اعتراض بعد ظهور الفيلم، مؤلف مشهور، ومخرج إلى حد ما، مجنون، وطبعًا مفيش حد فيكم هيقدر يثبت إنه أضحك عليه أو إن الشركة اللي إنتوا فيها دي، مكنتش شركة من البداية، لكن الشيء الوحيد اللي تقدروا تعملوه دلوقتي قبل الانتهاء من التصوير، هو إنكم تشكروا شخص، وجوده كان مهم في سير أحداث الفيلم.

أخذ أنفاسه ثمَّ نظر لهم بحدة وبابتسامة، قائلًا بجرأة:

- أحب أعرفكم بالبطل «رقم ٤» الباشمهندس نادر السيد، اللي من غيره، مكنتش أعرف الفيلم ده هيكمل إزاي.

«من قال بأن جميع من حولنا صادقين؟ ألا تعرفون بأن أقنعة

الصدق أصبحت تُباع دون سعر أو مال؟».
همست (نور) باسم (نادر) في صدمة ودهشة، بينما اهتز جسد (أميرة) استعجابا لما فعله ذلك التي كانت تدرك بأنه غبي، لقد صعق الثلاثة داخل خاناتهم.
-عودة بالعقارب إلى الوراء-
* (١) خيانة «نادر».
- ما بعد اصطدام (نادر) ب(نور) في الشركة.

- ألو، أيوه يا ريس.
قالها (نادر) وهو يجلس داخل السيارة متحدثًا بالهاتف أمام الشركة، ليستكمل بثقةٍ:
- أنا جيبتلك رقم نور سعد اللي تخص صادق اللي اِشتغل في الشركة.
ليرد الصوت الغليظ ببرود:
- تمام جدًا، خليه معاك بقي عشان هنحتاجه الفترة اللي جاية، خصوصًا أنت، سلام.
اِنعقد حاجبي (نادر) قليلًا في عدم فهم، ثمَّ أنزل الهاتف من على أذنيه ناظرًا به بعين مرتبكة من اسم المتصل، والذي كان «بدير السيد».
- رسالة من (بدير) إلى هاتف (نادر) بعد شجاره مع (أميرة):

« أنا عارف إنك تعبان، وإن فيه حاجة جواك اتخدشت وأنت مش

عارف تصلحها، بس أنا عشان بعزك هقولك كلمتين لو عايز تعمل بيهم براحتك، ولو مش عايز بردوا براحتك، ارمي اللي يرميك يا نادر، ودوس على اللي يفكر بس إنه يدوس عليك، دوس عليه قبل هو ما يفرمك برجله، أنت محتاج ترتاح يوم وتفك عن نفسك، عشان كدا أنا سيبتلك مفتاح في الدرج اللي في أوضتك لشالية على البحر في إسكندرية، الشالية ده غالي عندي ومبحبش حد غيري يدخله، بس مش خسارة فيك، أه صحيح، ابقى اطمن على نور، هي بردوا شبهك ومحتاجة ترتاح».

- حفلة الرقص بالإسكندرية، الاتصال المفاجئ ب(نادر):

أجاب (نادر) على اتصاله بعد أن ابتعد عن (نور) التي لم تتوقف الرقص، ليخرج الصوت الغليظ غاضبًا:

- جره إيه يا فند ؟ إنت استحليت الموضوع ولا إيه؟ بقى أنا أقولك روح ريحلك يوم تقوم تقعدلي ٣ أيام! إنت عايز توقعلي الفيلم ولا إيه؟ إنت مش عارف إن غيابك إنت والهانم التانية اللي اسمها نور ممكن يبوظ كل الترتيب اللي برسمله، اسمع، بكره الصبح تكون في القاهرة، وتقابلني عشان أفهمك تعمل إيه في اللي جاي، ومتنساش تشيل الكاميرات اللي أنت حطيتها في الأوض اللي في الشالية.

- حاضر حاضر، مع السلامة.

قالها (نادر) لمن كان يُحدثه، ناظرًا أمامه بقلقٍ وغضب وكأنه

تشاجر مع المتصل، ثمَّ عاد إلى (نور) غاضبًا لتقابله بسعادة في منتصف قدومه إليها، مِمَّا جعله يخلق ابتسامة تخفي غضبه، ثمَّ أخذها بين أحضانه قائلًا بابتسامة:

- حبيبتي، إحنا لازم ننزل القاهرة بكرة الصبح.

ارتدى (بدير) وجه البؤس الساخر، قائلًا بحزن مصطنع:

- قد إيه الخيانة دي شيء مُقرف أوي، أنا مش فاهم بجد!! يعني إيه الإنسان يفضل يبني في عِشرة وذكريات ووعود، وإن مهما حصل هيفضل مخلص للي بيحبهم وبيحترمهم، يعني إيه نسمع أصوات بعض وهي حنينة وطيبة ومليانة حب وعِشق، ونكتشف إن نفس الأصوات دي مكنتش معانا أو لينا لوحدنا بالنبرة دي، لأ، دي كانت عاملة عقد جماعي في نفس الوقت مع ناس غيرنا، فجأة بنلاقي إن كل الحاجات الحلوة، بوم، بتتبخر، وتختفي، ومبنبقاش شايفين غير شوية طمع وأنانية، وصوت متوحش غريب كان متربص وره صوت ناعم وطيب، بنتباع بسعر أقل بكتير أوي من السعر اللي هما اشترونا بيه في البداية.

اقترب من المايك ثمَّ قال بهمسٍ:

- متتخيلوش أنا قد إيه بكره البدايات، عشان بتخلينا نشوف المُر نفسه، مسكر وطعمه يجنن.

- أنت كداب.

قالها (نادر) بانفعال وبجسد غاضب وبوجه حاد، ثمَّ استكمل

بعصبية:

- كداب ومجنون كمان، متصدقوهوش، اللي بيكلمكم ده واحد مريض وكان بيتعالج عند الدكتور ياقوت، وكل اللي عمله فينا ده كان بسبب إن فيه ناس كتير أوي خانته زمان، فقرر ينتقم من الناس كلها عشان مجنون، لكن أنا، أنا اضحك عليا، هو وعدني إن لو ساعدته في اللي هو عايزه ده هيخلي أميرة تقرب مني وتوافق تبقي معايا، وأنا صدقته.

إنه يوم الصعقات لا غير ذلك، انتفضت أجساد الثلاثة الأخرين وهم ينظرون إلى (نادر) الغاضب والثائر في شاشاتهم، لتقول (نور) وهي تنظر له بالشاشة أمامها، قائلة بصدمةٍ:

- أميرة!! يعني أنت كنت بتضحك عليا؟ وكل اللي حصل بينا ده كان تمثيل عشان توصلها؟

ليرد (نادر) بارتباك دون أن يفكر، قائلًا وهو يحدق بالشاشة إلى (نور):

- لا يا نور، أنا حبيتك فعلًا، وكنت ناوي أقولك كل حاجة بخصوص الفيلم ده عشان نقف قدامهم وإحنا سوا.

انفرد وجه (أميرة) مدهوشًا لترد باستعجاب وهي تَلقي عينها على (نادر) في الشاشة:

- وإنتوا سوا!! وحبيتها!! طب إزاي كنت معايا طول الفترة اللي فاتت دي؟ كنت بتكدب عليا؟ ولا كنت بتقضي هنا شوية وهناك

شوية وأنت بتخوني!
صُعق (صادق) من حديثها، ثمَّ اندفع مصدومًا، قائلًا بعد أن سقطت عيناه على (أميرة) داخل شاشته:
- خانك!! يعني إيه؟ أنتِ مش قولتيلي إنكم كنتوا أصحاب بس؟ طب ليه رجعتيلي بدام كان فيه غيري في حياتك؟
ابتسمت (نور) باستخفاف ثمَّ قالت بابتسامة حزينة:
- أديك قولتها بنفسك يا صادق، رجعتلك، يعني أنا كنت صح، وإنت خونتني.
قاطعهم صوت (بدير) مرتفعًا، قائلًا بسخرية تامة:
- الله، ده إيه الحلاوة دي؟ والله العظيم شكلكم يجنن من بره، إنتوا بجد، لازم تتفرجوا بنفسكم على المشهد ده.
كانت الجدران الفاصلة بينهم تخلق الغيظ والخنقة داخلهم، يريدون جميعًا أن يصرخوا في وجوه من يرونهم، يريدون أن يناطحونهم انتقامًا، أو عتابًا، ليتهم يستطيعون أن يقيدوا زراعهم بأصابعهم حتَّى ينهرهم لسانهم بكل الكلمات القبيحة على حسب حجم الخدش الذي سببه الأخر للأخر، فكيف يتشاجر الإنسان مع غيره أمام شاشة تلفاز؟ كيف يتشاجر الإنسان مع شاشة تلفاز؟ كيف يتأكد بأن ما يراه هذا ليس فيلما تسجيليًّا متقدمًا؟ أو اِختراعًا حديثًا مبرمجًا على الرد والكلمات وردود الأفعال وإشعال الغضب بهم؟

خرج صوت (نادر) بائسًا وهو يقول إلى (نور):
- صدقيني يا نور، أنا مكدبتش عليكِ، أنا حبيتك فعلًا، وأقسمت من جوايا إني هبدأ حياة جديدة معاكِ وأنسي أي حاجة حصلتلي قبل كدا، أنتِ الحاجة الوحيدة النضيفة اللي جوايا يا نور.
امتلئت حدقات (نور) بالدموع النادمة والمنكسرة، لترد في حزن:
- إزاي !! إزاي وإنت متعاملتش معايا بأي حاجة نضيفة جواك؟ إنت خدت مني كل حاجة في كام يوم يا نادر، اِتعاملت معايا وكإني ورقة بيضة حلفت لتحرقها، وإنك عمرك ما هترتاح أبدًا غير لما تشوفها وهي سودة ومتفحمة.
اقترب (صادق) نحو شاشته، قائلًا بثقة إلى (أميرة):
- بس أنا مخونتكيش يا أميرة، أنا قولتلك الحقيقة، وإن أنا فعلًا كنت بتعامل معاها على إننا أصحاب وبس.
لترد (نور) مسرعة في الرد بغضب:
- طب والرسالة اللي إنت بعتهالي بعد ما طلعت من المستشفى يا صادق «أنا من انهارده حبيبك يا نور» إيه!! حد غيرك اللي بعتها ولا إيه؟
ابتسمت (أميرة) في حزن، ثمَّ قالت بانكسار إلى (صادق):
- ليه؟ ليه يا صادق؟ إنت شايف إني كنت أستاهل كل ده؟ ده أنا يا أخي معرفتش أحب حد غيرك.
ليرد (صادق) بانفعال:

- طب ونادر ده كان إيه؟
ضغطت على شفتيها في غيظ، ثمَّ قالت بعصبية:
- نادر ده..
توقفت عن النطق ثمَّ أكملت بعد أن أخذت أنفاسها بهدوءٍ:
- أنا مخونتكش، ولما رجعتله تاني مكنش في نيتي أي حاجة غير إني مش عايزة أكون لوحدي، عشان أنا مبحبش أبقى لوحدي، وخوفت إنك تسيبني، مكنتش عايزة أخسر كل حاجة، لكن هو عمره ما كان....!!
قاطعها (نادر) باستخفاف:
- بأمارة «وحشتني» اللي أنت قولتهالي أول ما اِتخانقتي معاه صح؟!
انعقد وجه (بدير) ببؤس وحزن ثمَّ بدأ يتذكر ما مر به من قبل. «ضحكات زملائه عليه عند سقوطه، هواتفهم التي أخذت تصوره وهو بين التراب، صدمته عندما أدرك بأن هذه الوقعة كانت مرتبة ولم تأتِ بمحض الصدفة، يوم زفافه وسعادته لأنه سيتزوج من يحب أو من يعشق، انتظاره الطويل لهبوطها من غرفتها بعد أن تتزين «له» أو «لأخيه الوحيد» صدمته عندما صعد إلى غرفتها وسمعهما سويًّا، تأوهاتها القبيحة بالداخل، صوت أخيه التي اِمتلئته الرغبة لا الحب، إلى أن صُعق عندما فتح الباب قليلًا بهدوء، ثمَّ شاهدهما، فركض بقوة وحزن وانكسار بين

كل الجالسون والمقربون له والذي كان من المفروض أنهم هنا ليشاهدونه سعيدًا وفرحًا، وليس ليصوروا بكاءه ويسخرون منه، ويضحكون على خدشه».

لم يعد يسمع صوت شجار الأربعة في أذنيه رغم أنه كان يراهم جيدًا، أجسادهم تتحرك بعنف وانفعال أمام شاشاتهم، لقد شعر بأن هناك من أصبح يتحكم في سمعه وبصره هو الآخر.

عيناه تحدق بشدة، عيناه تتأمل إشتعالهم وكأنهم تحولوا جميعهم إلى أعواد كبريت ستنفجر رؤوسها الحمراء بعد قليل.

ما زال (نادر) يجاهد بقوة في إقناع (نور) بما داخله نحوها.

- هل كان حقًا قد أحبها؟ أم أنه الهول والرهبة من الموقف وما هو فيه الآن؟

دموع (نور) تتساقط بقوة وكأن الشتاء قد بدل وظيفته معها.

- هل تصدقه وتسامحه رغم هذا الانطفاء الذي حل بها بسببه؟ أم تنتقم منه لتنطفئ نيرانها؟

العرق على جبين (صادق) يتكاثر بسبب محاولاته العديدة في الدفاع عن نفسه واتهام (أميرة).

- هل وحدها هي من سارت في طريق الخيانة؟ أم أنه كان أول من تبعها في هذا الطريق؟

ملامح الغضب والحدة قد ظهرت بقوة على وجه (أميرة) التي كانت تلقي نيرانها في وجه (صادق).

- هل يستحق التجاهل واللا مبالاة مثلما تعودت أن تفعل مع الجميع؟ أم تنتظر حتَّى تشاهده غارقًا في بحر دمائه؟

ظلا الأربعة هكذا، يتبادلون الحديث من واحد إلى الأخر بسرعة هزلية ومجنونة، أجسادهم تتحرك يمينًا ويسارًا في غضب وانفعال، تضرب بعض الأيادي بالجدران الفاصلة بقوة وعنف، ينظر الواحد منهم إلى رفيقه المستقبلي مرة ثمَّ إلى حبيبه صاحب الماضي مرة أخرى.

«غضب، وانفعال، ومواجهة، واتهام، وتسآل، وصراخ، وبكاء، وصدمة».

كسر (بدير) حاجز شروده وهو يتأمل المعركة أمامه، ثمَّ قال بصوت خافت وهادئ إلى المخرج المنفذ:

- نزل الشاشات مكانها، وخليهم يشوفوا بعض، بس بعد ما دخلهم المسدسين.

كُل شيء كان يمر بالتصوير البطئ للغاية.

الشاشات الأربعة تهبط للأسفل في كل خانة عودة إلى بيتها الإلكتروني تحت الأرض، الفواصل الثلاثة المتينة ترتفع إلى الأعلى لتعود الغرفة إلى هيئتها الواسعة، وليعود الضياء الأبيض كاملا. ولتعود الأعين، تنظر إلى بعضها بحدة وصدمة.

ضغط المخرج المنفذ على زر أحمر أمامه فتح مربعًا صغير من إحدى المربعات على الأرض بالداخل، ليظهر مسدسين أمام

الأربعة.
كان المسدسان قريبان للغاية من (صادق) و(أميرة).
فاندفع الاثنين نحوهما وأمسك كلا منهما بواحدًا.
لقد نسى كلا منهما عقله ووعيه، ومقيدًا بأصابعه على مقبض المسدس بشدة، ثمَّ أخذا يتذكران شيئًا واحدًا فقط.
انتقام كلا منهما الذي كان ينوي أن يفعله قبل المجيء إلى هذه الشركة ومعرفة كل ما عرفوه.
المسدسان الآن.
في وجه (نادر) و(نور).

* * *

توقف (خالد) في منتصف السطح في الطابق الثالث من عمارة بيته، كانت (ورد) قد وصلت أيضا إلى الأعلى بعد كل درجات الركض خلف زوجها.
اتسعت عيناها فجأة عند صعودها إليه ورؤيته أمامها بهذا الوضع الغريب، حيث كان مُجمدًا مكانه لا يتحرك، معطيًّا ظهره لها ولا يتبين شيئًا منه، لكن صوته المتقطع البطيء أوضح بأنه كان يبكي وبشدة، مُمسكًا بالسكين الحاد وموجهًا به نحو صدره.
«لقد أدرك بأنه لا أحدًا يستحق العيش سوى زوجته، وبأنه لا أحدًا يستحق الموت والفناء سواه هو».
اندفعت (ورد) نحوه بقوة وبسرعة كبيرة، ثمَّ أمسكت بكفيه

لتُسقط السكين القابع بين أصابعه ولكنها فشلت بسبب متانة أصابعه حول المقبض، لذا فقد انطلقت كلماتها بسرعة وتوسل حزين قائلة بعد أن أمحت من ذاكراتها كل ما فعله معها:

- كفاية عشان خاطري يا خالد، بلاش تعمل كدا ونبي، أنا خلاص مسمحاك، بس عشان خاطري متأذيش نفسك.

أخذت تهز وتحرك جسده بقوة حتَّى تفيقه مِمَّا هو فيه، بينما سقطت عيناه بإتساع في وجهها، ثمَّ قال وهو يبكي وكأنه منوم مغناطيسيًّا بنوم الحزن والانكسار:

- بس أنا مش مسامح نفسي، أنا كدبت عليكِ، وخونتك فعلًا.

لترد ببكاء ظل يزداد قائلة بتسامح:

- بردوا مسمحاك، بس وحياتي عندك متحرمنيش منك، أنا ماليش حد غيرك، عشان خاطري يا خالد ورحمة علياء عشان خاط...!!

قاطعها بصرخات منفعلة وغاضبة ثمَّ دفعها بقوة أمامه لتسقط على الأرض باكية، لقد تحول وجهه الهادئ إلى ملامح حادة وغاضبة، ثمَّ قال بغضب يقتله من الداخل:

- ليييييييه؟ أنتِ ليه بتعملي كدا؟ ليه لسه بتديني طيبتك وبتسامحيني بعد كل اللي عملته معاكِ؟ لييييييه؟.

ظل يصرخ في وجهها بجنون، في حين ما استمرت جيوش الدموع في القدوم والاستقرار على وجوههما الاثنين، لترد (ورد) متألمة، قائلة بحزن:

- عشان بحبك، وماليش غيرك، عشان خاطري مترجعنيش يتيمة تاني، متوجعنيش ونبي.
نظر لها بوجه مُنفرد بائس، ثمَّ قال بصوت خافت:
- حاضر، بلاش الطريقة دي، أنا هخليكِ متتوجعيش عليا وتشوفي شكلي وأنا بموت!
ألقى السكين من يده بعيدًا عنهما، بينما انعقد وجه (ورد) بعدم فهم لجملته.
اتجه بسرعة نحوها وهو يحاول حمل جسده من الوقوع، ثمَّ أمسك بزراعيها بقوة وسحبها على الأرض إلى الوراء حتَّى يلتصق ظهرها بالحائط.
« أهدرت كل طاقتنا، هدرًا، لا مكسب أو فائدة».
- أنت هتعمل يا خالد؟ خالد، أنت هتعمل إيه!!
قالتها بخوف وفزع وجسد لم يتوقف عن الارتعاش، في حين ما رد هو بالصمت وبدأ يأتي بسلاسل حديدية متينة يقيضون بها الكلاب الخطرة، ثمَّ.
قَّيضها تمامًا.
التفت مقابض السلاسل حول معصمها بقوة لن تنفك إلا تحت عجلات القطار وإلا لكان من السهل على الكلاب أن يحطموها في ثوان.
ظلت تصرخ في وجهه بقوة وتتوسله له أن يتوقف على شيء لا

تعرفه، ولكنها تريده أن يتوقف فقط، وأن يُنهي هذا اليوم وكأنه لم يكن ولم يحدث.
«خَفُت اللمع بأعيننا، وأنير الدمع متكبرًا».
عاد بظهره إلى الوراء ثمَّ ظل ينظر لها بعد أن قيضها جيدًا، كانت تبكي وتشهق من شدة البكاء، لتقاطع نظره وصمته بكلماتها الحزينة والخائفة:
- أنت هتعمل فيا إيه يا خالد؟ أنا خايفة، وحاسة إني قلبي هيقف، خايفة أوي يا بابا.
انكمش وجهها وانفجر كالبركان، ثمَّ رد بانفعال بعد أن أشعلت فتيلة:
- بس بقى، كفاية، بطلي كلام، أنتِ متعرفيش كلامك ده بيعمل فيا إيه، ومتخافيش، أنا مش هأذيكِ، عشان أنتِ متستحقيش غير كل حاجة حلوة، أنا بس همنعك من إنك تمنعيني، مش عايزك تفضلي ماسكة في وجودي، مش عايز أَضعف بسببك.
«تهشمنا كقطع الزجاج التي لم تكن تتهشم أبدًا، ولو بالرصاص».
سقطت دموعه المنكسرة، ثمَّ استكمل بعد أن تغيرت نبرة صوته إلى القهرة:
- أنا بس عايزك تعرفي، إني محبتش حد قد ما حبيتك، وعُمر جملتي اللي كنت بقولهالك دايمًا من ساعة ما قابلتك كانت في يوم كدب، وهي إني بقيت أعمى بالكل، ومفتح بيكِ أنتِ، ومهما

حصل مني أو عملت أي غلط في حقك، بردوا عُمر قلبي ما عرف يشيل حد غيرك، وإن قد أنا شوفت الدنيا حلوة أوي من ساعة ما دخلتي حياتي، هتوحشيني يا ورد.

«كل الأصابع تُلجت، ولم يبقَ إصبع دافئ يزيل دمعنا».

أدار وجهه عنها مُعطيًا ظهره لها، وسريعًا.

بدأت تصرخ، وتشد زراعيها من السلاسل بتجاهل منها لكل الألم الصادر حول معصمها

بينما تجاهل هو صراخها وبكاءها.

واستمر في السير بخطوات بطيئة وغير مستقيمة.

نحو سور الطابق الثالث.

لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:

هذه رسالة انتحاري.

لم أستطع أن أكتبها لأن الوقت لم يهيئ لي ذلك، لذا فأكتفيت بأن أخبر بها نفسي داخل مني

لن أسامحك أيها العالم الكئيب، فلقد كنت السبب الوحيد بأن أذهب إلى السماء بهذه الطريقة.

بؤسك وحزنك لي، كان كاف لأن يهزمني، وهُزمت.

كان كاف أن يحطم كُل آمالي وأحلامي نحو الحياة، وتحطم كُل شيء.

حاولت، وجاهدت في المحاولة بأن أعيش رغم كل هذا النطاح

من قرون الحياة.
ولكن حتَّى محاولاتي في العيش، لم أحصل بها على الدرجات النهائية الصحيحة.
سامحني يا الله إن كنت أنا قادم إليك بهذه الطريقة.
ولكن عبث هذا العالم.
كان كفيلًا أن يلف حبال المشنقة حول إيماني بك.
صعدت أقدام (خالد) على حافة السور الرفيع، صرخات (ورد) ترتفع وراءه بالخلف، الدموع فوق خديه بدأت في الجفاف عندما أدركت هول وفزع القُرب من الموت، الدموع على وجهها أقامت فراش العزاء مُبكرًا.
والآن.
«مرحبًا بك أيُّها الموت العزيز، مرحبا بك يا رفيقي التي لم أراه مُطلقًا، لقد حان وقت اللقاء»
فتح زراعيه بشدة مُستعدًا لإلقاء جسده بين أحضان الطريق، حاول أن يُثبت أقدامه فوق السور خوفًا من أن يسقط.
«هو لا يريد أن يموت، بل روحه المتألمة هي من تأمل في ذلك».
السيارات أسفله تسير بسرعة كبيرة على عكس عادتها، وكأنه قد تم اكتشاف وقودًا جديد يعادل وقود الطائرات والقطارات معًا، كل الحياة من حوله تسير بسرعة هائلة، رأسه ترتفع إلى الأعلى لتنظر إلى السماء بارتياحية، أو ألم، وفجأة.

- وحياة ابننا اللي جاي يا خالد.

لقد صَعقته جملتها، بل وألصقت حذائيه بالسور وكأنه قد مر نجارًا من فوق قدميه ودَق بعض المسامير فيها.

أدار وجهه بالخلف ناظرًا لها بعين ملئها الدمع وهو يتأمل جملتها التي ظلت تكررها وتعيدها أكثر من مرة.

ابتسم يا «أنت» اقتل خوفك وفزعك، فقد قرر عقله النزول، فالآن قد تذكر بأنه ما زال في الحياه أمل، يعيش داخل رحم زوجته.

وما أن كاد يهبط ويعود إلى أرضية السطح حتَّى ارتفع صوت شاشة تلفاز داخل إحدى المنازل في الطابق المقابل له.

عادت أقدامه للوقوف ثانية، ناظرًا أمامه ومحدقًا بالشاشة في الصالة القريبة من عينه، لقد شاهد وسمع ما لم يكن يريد أن يسمعه، حيث قالت المذيعة بسعادةٍ:

« مفاجأة كُبرى، لقد صرح المخرج (بدير السيد) مؤخرًا بأسماء الأبطال الستة لفيلمه الواقعي الجديد والمُنتظر، والتي كانت: «أميرة إبراهيم» - «نور سعد» - «نادر سلامة» - «صادق علي» - «خالد عبد الله» - «ورد شعبان».

أعتذر لك يا «أنت» إن أخبرتك بأن تبتسم أو تقتل خوفك وفزعك، لا تطمئن.

* * *

فوهة المسدسان ما زالت تنظر إلى كلا من (نادر) و(نور).

الصمت هو المسيطر على الجميع في هذه اللحظة، الحدة والغضب كانت تلمع بأعين (أميرة) و(صادق) في حين ما لمع الخوف والفزع داخل حدقات (نادر) و(نور).
استقل الموت أول طائرة سريعة لحضور هذا الحفل، وها هو الآن يقف بينهم الأربعة.

* * *

لقد أوشكت (ورد) أن تفقد صوتها تمامًا بسبب صرخاتها القوية القادمة من أعماق أعماقها، في حين ما ظل (خالد) مُصدوما فوق السور الرفيع بعد ما شاهده أمامه في شاشة التلفاز، حيث هو وزوجته في فراش واحد!
وفجأة.

* * *

أطلقت النيران.
وسقط (نادر) و(نور) بعد أن كادا يندفعان بهجوم نحو (أميرة) و(صادق).
-ابتسم يا «أنت» فلقد شغل أحدهم، موسيقى حزينة-
«لقد مات كُل شيء، اختفت كُل الذكريات، وغرق الحُب في بحر دمائه، تبخرت الوعود، وسقطت قطرات الإخلاص من هذا التبخر، نتيجة العشق، كانت السقوط والموت».
والآن، صعود روحين إلى السماء.

ما زال المسدسان في نفس الوضعية، مرفوعان وينظران لبعضهما، الفوهة تحدق بالفوهة، الحدة تحدق بالغضب، الانتقام يزيد من سرعة أنفاس الاثنين، الانتقام، يطرق باب القلب بقسوة وفزع.
ظلت أصابع (أميرة) ترتعش في خوف وهي توجه مسدسها نحو وجه (صادق) الذي لم يفكر في إنزال مسدسه الغاضب حتَّى الآن، وثمَّ.
- الدخان بسرعة، شَغل الدخان.
قالها (بدير) إلى المخرج المنفذ بعد أن انتفض جسده وهو يشاهد كل ما يحدث أمامه، ليضغط المُنفذ على زر أمامه بسرعة كبيرة، وثمَّ.
انطلقت مدافع الدخان العديدة داخل الغرفة وفي وجه كلًّا من (صادق) و(أميرة).
لقد أصبحت الرؤية معدومة تمامًا في عينيهما، وبدأ يفقد كلا منهما إتزانه، انفكت أصابعهما من حول مقبض المسدس المعدني إلى أن سقط المسدسان.
ليسقط الاثنين معهما بعد ذلك بسرعة، ولتصبح الأسلحة والأجساد على الأرض.
اثنين فقدوا أرواحهم، واثنين فقدوا وعيهم.

* * *

اهتز جسد (خالد) خلال شروده أمام شاشة التلفاز، حاول جاهدًا

أن يتماسك ويحمل جسده أو يسقط إلى الوراء على ظهره.
ولكنه تعلم الدرس من قبل، يجب عليه أن يقوم بعملية ريجيم هائلة.
ولكن، لم يعد هناك جدوى، ولن يستطيع القيام بالريجيم.
ارتفعت صرخات (ورد) بعنف شديد، جسدها يحارب الأرض بحركات مُنفعلة واهتزاز ومقاومة في معركة كبيرة على اللا شيء، لقد ازداد بكاءها بما هو كاف.
فقد اختفى زوجها من عينها تمامًا.
وها هو الآن يُحلق إلى الأسفل مُتجها إلى السيارات السريعة، الآن، هي لحظة الاحتواء الأخيرة.
الاحتواء بالأرض.
روحًا ثالثة قادمة إليك يا عزيزتي السماء، أرجوكي، اعتني بهم جيدًا.

* * *

«فوضى فوضى فوضى فوضى فوضى، صَمت تام».
تأوهات قلبية متألمة ومنكسرة، عزاء حزين بائس، وموسيقى لم تجد ما تجفف به قطرات عينها.
هدوء.
نعم، لقد هدئ كُل شيء تمامًا، السكون وحده من كان يعبث، تساقطت قطرات الصمت، عُطل مفعول كُل الشجارات، انتهت

صلاحية الحُب، لقد مات الحب، وتوقفت الأنفاس، توقفت أجراس الأنباض ولن تُسمع ثانية، لم يعد هناك أمنيات بالرجاء، أو أمنيات بالموت، لم يعد هناك نفاق أو طمع أو وجوه مزيفة، لم يعد هناك حزن أو بكاء، لم يعد هناك سعادة أو بسمة، لقد ضغط أحدهم علي زر إغلاقنا في جهاز التحكم بنا، وها نحن قد أغلقنا تمامًا، لم يعد هناك بصرًا أو سمع أو أي نُطق بالأحاديث، لقد وَضعت الحياة إصبع واحد فوق شفتيها أفقيًا لتُصمت من ضوضاء كل الأشياء.

لقد بُترت أقدام كل العواصف، ليصبح هدوء ما بعد العاصفة أو ما بعد البتر.

إنها الآن.

لحظة الموت.

* * *

«اتسعت عيناه، واقشعر جسده فجأة، لم يكن هناك عضوًا واحدًا في جسده لم يشعر بالفزع والهول».

انتفض جسد (ياقوت) بقوة بعد سماع صوت طلقات النار خلف ظهره، وما أن كاد ينطلق راكضًا نحو زاوية الصوت.

حتَّى جُمد جسده فجأة فور ظهور (بدير) أمامه.

خرج (بدير) من حائط سري في إحدى جدران الشركة، كان وجهه بائسًا باصطناع، يحمل المسدسان بين أصابعه وينظر لهما ببؤس

وشفقة ساخرة، تقدمت شفتيه السفلى إلى الأمام مثل الأطفال الصغار بسخافة وحزن مُصطنع، إضافة إلى تلك اللعينة رأسه والتي لم تتوقف لحظة واحدة عن الميل يمينًا ويسرًا باستخفاف.
اعتدل (بدير) في وقفته في خط مستقيم وصريح ليواجه (ياقوت) مباشرة دون أن ينظر له، بينما ظل الطبيب يحدق في وجهه وبين أصابعه حيث المسدسان، اتساع عينه ما زال قائمًا، قطرات العرق على جبينه تهبط أرقًا، إضافة إلى فمه المفتوح بدهشة وصدمة.
حاول (ياقوت) أن يخرج من سجن شروده وصدمته، ليقول بصوت هادئ أوشك أن يبكي:
- عَملت فيهم إيه يا بدير؟
ارتفع وجه (بدير) منعقدًا بحزنٍ سخيف، ثمَّ رد بمشاعر ثلجية:
- صدقني مش أنا اللي عملت، هما اللي عملوا يا ياقوت، أنا أقل بكتير من إني أغسل الأرض بدم بني آدمين.
لمعت الدموع في عين الطبيب، ثمَّ قال مدهوشًا بصوت حزين:
- مَوتهم!! طب ليه؟ عملولك إيه عشان تعمل فيهم كل ده؟ ولا حاجة، اخترناهم ما بين أكتر من ستين واحد عشان نفيد غيرهم بيهم، وفضحناهم، تقوم بعد كل ده، تحرمهم يكملوا حياتهم، كان إيه ذنبهم في كل اللي حصلك؟
ابتسم (بدير) مُنكسرًا، ثمَّ قال محاولًا عدم البقاء وقت طويلًا بوجه حزين أو منكسر:

- مفيش حد في الدنيا دي له ذنب في كل اللي حصله يا ياقوت، كلنا هنا في امتحان طويل شوية، مش مطلوب مننا أي حاجة غير أننا نحفظ، نحفظ شوية قوانين نقدر نعدي بيها من الامتحان ده، وعلى حسب مقدار فهم كل واحد وتطبيقه للقوانين دي، على حسب ما هيحل كويس ويوصل لأخر سؤال فى الامتحان.

انعقد وجه (ياقوت) بغضب بعد أن نفذ صبره ثمَّ ألقى مدافع غضبه بانفعال وهو يركض نحو (بدير) قائلًا بعصبية:

- أنت لسه مَصدق الجنون اللي أنت فيه ده؟!

وسريعًا ما رفع (بدير) المسدس نحو (ياقوت) صارخًا بقوة ليوقفه في مكانه قبل أن يقترب منه أكثر:

- ياقوت!.

جُمد (ياقوت) مكانه وتوقفت قدماه عن الركض في ضعف وغضب لعجزه عن تقطيعه إربًا، في حين ما استكمل (بدير) حديثه بجدية:

- بلاش يا ياقوت، بلاش تهور في لحظة زي دي، مش حابب عدد الضحايا يزيدوا ويبقوا أربعة.

ارتفع حاجبي (بدير) سريعًا وكأنه تذكر شيئًا ما، ليستكمل حديثه بكلمات باردة قتلت الطبيب، قائلًا بلا مبالاة:

- أه صحيح، نسيت أقولك إن الأربعة مماتوش كُلهم، اطمن، اللي فضلوا عايشين هما اللي أنت كنت شايفهم يستحقوا يعيشوا، اللي

كنت دايمًا بتقول على حبهم إنه بجد مش زي الاتنين التانيين، مع إنك والله كُنت هتغير كلامك ده لو كنت شوفتهم وهما بيقطعوا في بعض جوه، بس معلش، كُلها كام ساعة ويفوقوا يا دكتور .
لمع الدمع بعين (ياقوت) ثانية، ثمَّ قال بصوت هوائي مُنكسر:
- نور ونادر ماتوا!! بس أنا مكنتش عايز كدا، ومكنتش عايز إننا نوصل للي إحنا فيه ده.
رفع (بدير) أكتافه في عدم قدرة على فعل أي شيء، ثمَّ قال بسخرية:
- وأدينا وصلناله خلاص، وأنا عن نفسي مبحبش خالص أتكلم في شيء عدى، عشان معتش ينفع يتغير يا ياقوت.
حدق المخرج في عين (ياقوت) بحدةٍ، مستكملًا حديثه بخبثٍ:
- بس اللي أنا متأكد إنك هتزعل عليه أوي، هو خالد، وقبل ما تتعب نفسك وتتعصب، أنا مدخلتش في أي حاجة، أنا يادوب بس خليت مراته تشوفه على حقيقته ويبطل يخدعها أكتر من كدا، بس هنعمل إيه بقى في حالات الانتحار اللي بتزيد كل يوم قدامنا من غير ما نعرف نعملها حاجة، هنخليهم يؤمنوا بالعافية يعني!!
ليرد (ياقوت) باندفاع وخوف:
- طب وصادق وأميرة!! هتعمل فيهم إيه لما يفوقوا ويحكوا للناس على اللي حصلهم؟

خرجت ضحكات (بدير) المتقطعة والمجنونة، ليرد بذكاء وثقة:
- ومين قال إنهم هيحكوا للناس يا ياقوت؟ مين قالك أصلًا إني هسيبهم يعيشوا حياتهم عادي كدا يعني.
اقشعر جسد الطبيب في فزع من جنون المتحدث أمامه، ثمَّ قال بارتباك:
- ناوي تعمل فيهم إيه تاني؟ إنت مش قولت إن دي النهاية.
ابتسم (بدير) في سخرية ثمَّ قال بخبث وهو يحدق بعينه بشدة متذكرًا شغف (قوت) في الانتقام من زوجها:
- لا يا ياقوت، مفيش حاجة اسمها نهاية، لسه الحكاية مخلصتش، ومينفعش تخلص بسرعة كدا.
انتقل بحديثه المموج بخفة إلى الحديث عن أبطاله، قائلًا باستمتاع:
- حاول تتخيل معايا اللي هقولهولك دلوقتي، أميرة ونادر هنوديهم البيت عند نادر، هنرميهم على الأرض وجنبهم مسدس صغير عليه بصمات أميرة هانم، ونعمل لنادر عيد ميلاد حلو كدا، يعني، تورتة وشوية شموع وزينة وحاجات من دي، وعلى الأرض جنب نادر هنحط شوية صور ليه هو ونور بأوضاع مختلفة، وجنبهم هنرمي ورقة صغيرة وهنكتب فيها على لسان أميرة.
ظل يفكر قليلًا وهو ينظر إلى سقف الشركة منتظرًا الإلهام، ليستكمل بسرعةٍ:

- لم أكن أتمنى أن يكون عيد ميلاده الأخير بهذه الطريقة، ولكن الموت، سيريحه مني، وسيرحيني منه.
ابتسم (بدير) إلى (ياقوت) في سعادة، ثمَّ استكمل بهزلٍ:
- ونفس الكلام بالظبط مع صادق ونور، هنشيلهم ونرميهم قدام باب البيت عند نور، المسدس اللي عليه بصمات صادق، وهنرمي جنبهم نفس الصور ليها وهي مع نادر، وهنكتب في الورقة المرة دي على لسان صادق.
كرر طقسه الذي فعله منذ قليلًا، ثمَّ قال بعد أن حصل على الإلهام:
- أحبتني أكثر من الازم، فقتلتها، حتَّى لا تُؤذيَ من حُبها لي.
انفرد وجه (بدير) في سعادة من كلماته، ثمَّ نظر إلى (ياقوت) قائلًا بفرحة:
- وبكدا، يستحقوا إنهم يتعاقبوا بدون أي ظلم، ها إيه رأيك يا ياقوت؟ أنفع مؤلف صح؟
مات الحزن والبؤس بوجه (ياقوت) ووقف الغضب والحدة بين ملامحه يتحدثان بقوة، ليرد عليه باشمزاز:
- إنت شيطان، شيطان ومينفعش يعيش وسط البني الأدمين اللي زينا.
ليرد (بدير) بغضب شديد وانفعال سريع:
- ومين قال إنكم بني آدمين؟ مين قال إنكم تستحقوا تعيشوا؟

لأ يا ياقوت، أنا متولدتش كدا، وإلا كنت طلعت من بطني أمي بوش أحمر وقرون سودة وعيون مليانة نار.

أخذ أنفاسه المنكسرة، ثمَّ هرب من حزنه إلى سخريته وسخافته الفلسفية:

- كُلنا شياطين يا ياقوت، أو بمعنى أصح، كُلنا جوانا شياطين، هتطلع هتطلع مهما عِشت حياتك وأنت ملاك، هتظهر أول ما تتخان وتقرر إنك تنتقم من كُل اللي خانوك، وهتظهر أول ما يكسروك فتحلف إنك مش هتمشي من حياتك من غير ما تفرم عضمهم أكتر ما كسروك، هتظهر لما يكدبوا عليك ويخدعوك، فتنصبلهم مليون فخ جوه قلبك علشان ميطلعوش منه غير بالدم، ولما كُل عشمهم اللي طلع بيك سابع سما، يوقعك على رقبتك سابع أرض، فتعشمهم أنت كمان بالكدب، الشياطين اللي جوانا هتظهر، لما يغيرونا، لما يبدلونا بناس غيرنا بسبب اللي بيعلموه معانا، لما يقلعونا لبسنا الطيب ويرمولنا لبس النفاق والكدب والخيانة، وللأسف، هنلبسه، عشان مش هيبقى قدامنا أي شيء تاني نغطي بيه نفسنا غيره، شياطينا هتطلع لما فرحتهم تبقي في إنهم يقلوا من شكلنا قدام أقرب ما لينا، فنفرح لما نقل من شكل كل الناس قدام أقرب ما ليهم، لما يضحكوا على حزننا، فنضحك على حزن غيرنا، لما يرقصوا في عز كسرتنا وزعلنا منهم، فنرقص في عز كسرتهم، لما نفضل مستنين حاجة بسيطة ترضينا منهم

وتحسسنا إننا لسه هنا، عايشين معاهم، ومتجيش أي حاجة غير كل استكتار وحرمان وتكبر، شياطينا هتطلع لما نشوف شياطينهم بعينا، فنقرر نتقابل كُلنا، ونقف قدام بعض ونُبصلنا، وفجأة.
نكتشف إن كُل العالم.
بقى للأسف، شياطين.

* * *

«وفجأة، نكتشف إن كُل العالم بقى للأسف، شياطين».
ظل حديث (بدير) يتردد في أُذن (ياقوت) أثناء قيادته للسيارة، لا يعرف أين يذهب بعد أن ترك (بدير) دون أن يصيبه بخدش صغيرًا واحد، إنه الشعور السخيف بالعجز واللا جدوى
لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:
لقد ماتوا.
الستة أصبحوا ثلاثة، والثلاثة سيكون مصيرهم حافل بالجحيم.
إما السجن لتثنين منهم، وإما القهرة والحسرة للأخرى.
ماذا حدث؟ هل أنا من تسبب في حدوث كُل ذلك؟ هل كُنت مخطئ عندما فكرت في كتابة هذه الأوراق اللعينة، فقط، لأثبت معتقدي؟ لكنني لم أكن أقصد، أقسم بأنني لم أقصد حدوث كُل ذلك، لم تحظَ النوايا بداخلي على كل هذا السوء، لم أكن أريد دماء أو موت.
لم أكن أريد سوى أن أغير العالم فقط.

وهُنا، تَكمن النُكتة.
استمر (ياقوت) في الصعود على درجات سلم إحدى العمارات السكنية، يتأرجح جسده يمينًا ويسارًا في تعب شديد، حاول أن يتماسك إلى أن يصل نحو الشقة التي لم تكن شقته، أنفاسه كادت أن تنقطع، لا من كثرة الدرج بل من كثرة الأرق.
والآن، الضغط على جرس المنزل بعنف بعد الوصول.
ظل يرن، يرن، يرن، يرن، يرن، يرن، إلى أن فُتح له الباب بسرعة.
أعرفك يا «أنت» على صاحبة هذا البيت.
الممثلة البارعة «تَليدة» العريقة الأبية الكريمة.
المُمثلة التي قامت بأداء دور العجوز الفقيرة في الصيدلية، ودور الفتاه الجميلة في الكافيتريا.
والآن.
يسقط (ياقوت) بين أحضانها من شدة تَعبه.
-عودة بالعقارب إلى الوراء-
* (٢) خيانة «تَليدة»:

- داخل إحدى المسارح قبل تصوير الفيلم بأيام، ما بعد انتهاء العرض المسرحي «هاملت» والتي كانت بطلته (تَليدة).

اقترب (بدير) من الممثلة في حذر ليهمس لها، بينما ظل (ياقوت) جالس بمفرده على إحدى مقاعد الصالة منتظرًا عودة (بدير) الذي لم يكن يراه بصحبة الممثلة، ليقول (بدير) بصوت هادئ

وهو يشير على (ياقوت):
- بقولك إيه يا تَليدة، اللي قاعد هناك ده مؤلف الفيلم الجديد اللي كلمتك عنه، وأنا جيبته انهادره عشان يتفرج على العرض بتاعك ويختار كام ممثل دور تاني يساعدونا في الفيلم، زي ما اتفقنا بقى، عايزك تدوبيه على الأخر، لحد ما ييجي اليوم اللي أشوفكم فيه في بيت واحد بعقد سيكرت محترم كدا، إشطا؟
لترد الممثلة بابتسامة حادة وبعين جريئة، قائلة بثقة:
- اطمن ياريس، أنا طول عمري أساسًا نفسي أتجوز دكتور نفسي، عن إذنك بقى أروح أشوف شغلي.
تقدمت (تَليدة) بخطوات ثقيلة نحو (ياقوت) بعد أن نصبت فخًا جيدًا في رأسها سوف تلقيه على الطبيب بعد قليل، لتقول بعد أن وقفت أمامه في إغراء:
- لو سمحت، هو حضرتك الدكتور والكاتب (ياقوت صادق)؟
ارتبك (ياقوت) من جمالها وجرأتها، ثمَّ قال بابتسامة:
- أيوه، مش أنتِ بردوا اللي كُنتي بتعملي دور أوفيليا في العرض؟
إرتسمت ابتسامتها لأنه ما زال يتذكرها، ثمَّ ردت بعين تتأمله بشدة:
- بالظبط كدا، الصراحة لما عرفت إن حضرتك هنا، قولت أجي أعرف رأيك في العرض.
انحنت بظهرها أمامه ثمَّ اقتربت برأسها من وجهه كثيرا حتَّى

أصبح لا مسافة بين أنظارهما، ثمَّ قالت بصوت سارق جذاب وهي تحدق بعينه في عشق:
- والأهم، رأيك فيا.
«أظن بأنك أدركت الآن سبب الانتقام التي تنوي (قوت) فعله مع زوجها، لقد كانت الحكاية كُلها في خيانة وعودة لها، وتكسير حيطان إخلاصه حتَّى أصبحت حطام، الحكاية كُلها كانت تتعلق بالنساء يا -أنت-
وما أدراك عدد البراكين المشتعلة داخل اِمرأة خانها من تُحب، حينها، ستحدث كارثة هائلة، لن تنتهي دون أن تُلقي هذه المرأة خزائن وقودها على العالم أجمع».
استلقى (ياقوت) على أريكة طويلة داخل صالة البيت دون وعي منه لأي شيء يحدث حوله، بينما جلست (تَليدة) أسفل قدميه في حنان وحُب وهي تَعد له بعض كمادات الماء الباردة لتقتل بعض حرارته المرتفعة فوق جبينه.
كان حنانها مُميز، كانت دافئة، أشبه بليالي الشتاء الباردة التي لا تُشعر فيها بالبرد أبدًا، وهكذا كانت تميزها عن الباقي، دافئة حتَّى وإن كانت في رحم البرد.
بدأ الطبيب يسترجع وعيه وقواه وهو يتفوه ببعض الكلمات المُتقطعة بتعب، وبعين لم تستطع أن تفتح أبواب رموشها كاملة من شدة الأرق، ليقول بلا وعي:

- خالد، نور، نادر.
صُعقت الممثلة فجأة وانعقد حاجبيها في حدة وفزع وكأنه كان يسبها، ثمَّ تقدمت بجسدها إلى الأمام قليلًا، لتقترب منه في حنان، قائلة بارتباك قليل:
- اهدي يا حبيبي متخافش، أنا تَليدة، حبيبتك.
خرج صوتها حنونًا عكس كُل مرة، لقد كان صادقًا هذه المرة، ولكن ما أن سمع الطبيب صوتها وبدأ يراها جيدًا، حتَّى انتفض جسده بفزع صاعدًا بظهره للأمام مُمسكا بزراعيه بُعنف وغضب:
- أنا إيه اللي جابني هنا؟ وفين بدير؟
ارتكبت قليلًا من غضبه ثمَّ ردت عليه بإتقان لدورها:
- بدير إيه اللي هيجيبه هنا بس يا حبيبي، ده بيت مراتك، وإنت جيتلي عشان كنت تعبان، وعشان مبتلاقيش حُضن يريحك وأنت في حالتك دي غير حُضني.
بدأت أعصابه في الهدوء تدريجيًّا بعد أن أدرك الحقيقة، ثمَّ اعتدل بوضعيته جالسًا على الأريكة، مُنحنيا الظهر ومُمسكا برأسه متألمًا، ليقول بصوت مُحطم:
- أنا تعبان، تعبان أوي يا تَليدة، أول مرة قلمي يوجعني كدا، حاسس إن مش شايف الدُنيا كويس، محتاج أنام أوي وأفضل مغمض عينيا لحد ما أفوق، وأنسى كُنت كاتب.
انعقد حاجبيها بحزن اتقن إصطناعه، ثمَّ ردت ببؤس وانكسار

ساخر لم يشعر هو به لسوء حالته:
- أنت اللي عملت في نفسك كدا يا ياقوت، فاكر يوميها لما حكيتلي كُل اللي بينك وبين بدير، لما كُنت في حضني وفضلت تحكيلي كل حاجة بعد يومين بس من مقابلتنا، لما طلعلتلي كل أسرارك، وقتها أنت قررت وأمرتني إني أقطع علاقتي باللي اسمه بدير ده عشان ميإذنيش، وأنا عشان كُنت حبيتك خلاص، سمعت كلامك، ورفضت عرضه في الفيلم الجديد بتاعه، الفيلم اللي ضيع ناس كتير ملهاش أي ذنب، وفي نفس الوقت، قبلت إنت إنك تكتب الفيلم! وتفضل معاه في نفس اللعبة دي، وأخرتها إيه؟ خسرت كُل حاجة، طب ليه يا ياقوت!! ليه؟
نظر لها بعين متسع غاضبة فاقت نيران غضبها، ليصرخ في وجهها بسرعة:
- عشان مكنتش هسمح إنك تبقي في لعبة زي دي، أنتِ لأ يا تليدة، افهمي، أنا كُنت خايف عليكِ، كنت خايف تتإذي، أو إني أخسرك ومعتش أشوك تاني، وقتها، مكنتش هلاقي حضن أجري عليه زي ما عملت دلوقتي.
أبعد أنظاره عنها في تعب وانكسار، بينما ابتسمت هي بسخرية وهي تحدق في وجهه بخبث
لم تكن هي من تتحدث، بل كان داخلها:
ليته يدرك الآن بأنه لا يجلس الآن مع إحدى الملائكة الطيبة

النقية.
وبأنني ما إلَّا.
ابنة كُبري لعزازيل أو إبليس.
أخذ أنفاسه بقوة مُحطمة، ثمَّ نظر أمامه في ضعف وعجز، قائلًا بحزن دون أن ينظر لها:
- احضنيني، أنا خايف، خبيني جواكِ ومتبينيش لحد.
ارتفعت ابتسامتها بقوة ثمَّ انتقلت خلف ظهره، واضعة رأسها فوق كتفه، وزراعيها تلتف بتموج من حوله.
لقد كانت تحتضنه بقوة، وكأن احتوائها له كان صادقًا عكس كل الأشياء التي بداخلها، رأسها تتلصق برأسها بقوة لتشعره بحنانها، عيناها أغلقت ولم تعد ترى النور.
لقد كانت تستنشقه بعشق، و كان هو يبكي.
«ربما كانت هذه أقبح لحظة مر بها طوال حياته، وهي بكائه، أمام أحدا استطاع أن يرى قطرات عينه».
مرت ثوان على هذا الاحتواء الدافئ، وفجأة، أسقطت السماء صواعيقها من جديد.
اتسعت عيناه بصدمة أثناء احتوائها له، هو مرة أخرى؟ كيف؟ يستحيل أن يكون ما يراه الآن حقيقيًا، بالتأكيد عيناه تكذب أو تخدعه، إلى أين يذهب إذن ولا يلمح ظل من أمامه الآن يطارده في كل خطوة؟ يستحيل أن تكون كُل الأمور طبيعية في هذا اليوم؟

يستحيل ما يراه الآن؟ بالتأكيد هذا حُلم.
إنه «بدير السيد» من جديد، وراءه في كُل مكان يذهب إليه.
ظهر (بدير) داخل شاشة التلفاز وسط تجمع هائل من الصحفيين والمذيعين داخل إحدى قاعات السينمات الفخمة، لم يكن يستطع أخذ أنفاسه من كثرة الميكروفونات أمام وجهه وفمه.
سألته إحدى المُذيعات بلهفة وشغف:
- لو سمحت يا أستاذ بدير، ممكن تقولنا هل جرايم القتل الاثنين وحالة الانتحار اللي حصلوا لتلاتة من أبطال الفيلم، كانت عن قصد من حضرتك ولا ملهاش أي علاقة بالسيناريو أو إخراجك؟
رد بلا مبالاة وثقة:
- لأ طبعًا مفيش أي حد من صُناع الفيلم يجرأ إنه يفكر في حاجة زي دي، والمؤلف بنفسه شخص محترم وكلنا عارفين أخلاقه كويس، ولما تعرفوه هتتأكدوا من ده، عن إذنكم.
قفذ (ياقوت) على أقدامه بانفعال وغضب دافعًا (تَليدة) للوراء دون وعي منه، ثمَّ اتجه نحو باب الشقة مُقررًا المغادرة.
ليرتفع صوت (تَّليدة) بحزن وخوف رسمتهما جيدًا:
- ياقوت!! ياقوت، رايح فين؟
لتظهر ابتسامتها الخبيثة بسرعة بعد أن أغلق (ياقوت) الباب وراءه.
أمسكت بهاتفها سريعًا، ثمَّ كتبت في خانة البحث بسجل المكالمات

حرف «B».
ليظهر في أولى النتائج سريعًا، اسم مُسجل «Bedir My Husband».
-ابتسامة لك-
وضعت (تَليدة) الهاتف فوق أذنيها بابتسامة هزلية، ثمَّ قالت بصوت حاد:
- أيوه يا حبيبي، الباشا لسه ماشي دلوقتي، استلم أنت بقى، وياريت تخلصنا من اللعبة دي عشان طولت أوي.

* * *

«صعقة ثقيلة إلى حد ما، فتحملها».
- هنخلص يا حبيبتي اطمني، كُل حاجة هتنتهي انهارده، وواحد يناير هيبقى يوم تاريخي نحتفل بيه كل سنة بذكرى حقيقة العالم.
قالها (بدير) في هاتفه ردًا على كلمات (تَليدة) بسعادة واستمتاع.
«اصمت، اسمع، انصت، لا تتكلم».
أتريد أن تعرف أين يتواجد (بدير) الآن يا «أنت»؟
حسنًا، لك صعقة جديدة.
جلس (بدير) على إحدى المقاعد الخشبية فوق سطح إحدى المباني الضخمة التي احتوت على شقة طبيبنا العزيز (ياقوت صادق).
-ابتسامة لك-

امتلئ السطح بالكاميرات العديدة إضافة إلى شاشة مراقبة كبيرة، كانت جلسته قلقة ومُرتبكة، ملئها التوتر والخوف القليل مِمَّا هو قادم، كان يبدو وكأنه ينتظر قدوم أحدهم ولقائه بشغف كبير، إلا أن أتى هذا المُنتظر.

رفع (بدير) رأسه مُبتسمًا عند قدوم المخرج المنفذ.

ليقول المُنفذ في ابتسامة فور مجيئه:

- كُله تمام يا ريس، مفيش شارع في مصر دلوقتي مبقاش فيه شاشة عرض، كدا كُل الناس هتقدر تشوف الفيلم بعد أسبوع من عرضه، وحياة الستة، هتبقى حديث كل الناس الفترة اللي الجاية.

انفرد وجه (بدير) في سعادة مُدهشة، ليرد بصوت هادئ سعيد:

- الله عليك يا أكرم بيه.

أعرفك بالمُخرج المُنفذ المجهول يا «أنت».

(أكرم) سكرتير الطبيب (ياقوت).

-عودة بالعقارب إلى الوراء-

* (٣) خيانة «أكرم»:

- اتصال تيلفوني من (بدير) إلى (أكرم) قبل لقائه المُفاجئ مع (ياقوت) داخل مكتبه.

خرج صوت (بدير) حذرًا بإتقان:

- اسمعني يا أكرم، عايزك تروح لياقوت البيت دلوقتي، حالًا، من غير ما تكلمه أو تستأذنه، عايزك تفاجئه، وتحاول على قد

ما تقدر تفكر في أي موضوع مهم تتكلم معاه فيه، أي موضوع مهما كان، مشكلة شغلاك ومش عارف تلاقيلها حل، حاجة مش فاهمها ومحتاج إنه يفهمالك، ويا ريت تحاول إنها تكون لها أي علاقة بموضوع الفيلم بتاعنا، المهم تتكلم معاه أكتر وقت مُمكن، انهارده، قوت هتخلص عليه، وهتحطله السم في القهوة، ياقوت مبيعرفش يشرب القهوة في فناجين فاتحة، عشان كدا قوت هتقدم فنجانين مختلفين، واحد فاتح والتاني غامق، أوعى تتلغبط وتشرب الغامق مهما حصل، ولو حسيت فجأة إنها اتلغبطت وبان عليها ارتباكها لما تشوفها فحطت السم في الفاتح، حاول تهرب من القهوة بأي شكل، مش عايزين نصلي عليك الجنازة مكانه، فهمت؟

ليرد (أكرم) في ثقة دون تردد:

- اطمن يا ريس، تقدر تدعيله أنت دلوقتي.

مرت دقائق على جلوس (بدير) و(أكرم) فوق سطح البيت في انتظار شديد لقدوم أحدهم

ما زال الحفل النهائي يحتاج إلى العديد من الأشخاص، ما زالت النهاية تحتاج إلى المفاجآت الصادمة.

والآن، قدوم أحدهم.

ظهرت على الأرض ظلال اثنين أخرين من صُناع الفيلم المجهولين، لقد انتفض وجه (بدير) عندما رآهم، لقد أدرك بأنهما من

ينتظرهم، إلا أن تأكد من ذلك عندما أصبحا الاثنين أمام عينه. يبتسمان بحدة وخُبث.

لمعت عين (بدير) فور رؤيتهم، ثمَّ قال وهو يميل رأسه بابتسامة هزلية:

- أهلا بالثنائي المجنون اللي بحبه.

معرفة جديدة أمام عينك يا «أنت».

أعرفك.

الطبيب الشاب (طارق) المتدرب الجديد والمُتخصص بحالة الثانتوفوبيا في غرفة رقم «٧» إضافة إلى ذلك، رفيقه العزيز «مريض الثانتوفوبيا» نفسه.

اثنين من أحد أدوار الفيلم الثانوية، المهنة: مُمثل بارع.

-عودة بالعقارب إلى الوراء-

* (٤، ٥) خيانة «الطبيب الشاب والمريض»:

- لحظة فتح الطبيب لغرفة المريض بعد لقائه مع (ياقوت):

الإبرة تداعب الباب، عين الطبيب تنتقل بخوف وقلق، لتهدأ بعد ذلك وتشعر بالاطمئنان بعد أن تم فتح الباب، ابتلع ماء فمه بعد أن كاد يجف، لا يوجد وقت حتَّى يأخذ أنفاسه، الباب وما وراءه أهم، بدأ يفتح الباب ببطء، الغرفة تظهر، اللون الأبيض بالجدران، ها هو الفراش، ها هو القمر خلف الستائر، وها هو يقف أمام الستار مُبتسمًا للطبيب الشاب، الطبيب الشاب ينظر له بخوفٍ

وكأنه يعرفه جيدًا، المريض يبتسم وينظر له دون حركة، وفجأة، تحرك المريض نحو الطبيب، أو المُمثل نحو المُمثل، وما أن أصبح المريض خارج الغرفة، حتَّى ألقى كلماته قائلًا للطبيب المُزيف:

- يعني يوم ما تخلوني أطلع مشهد حلو زي ده؟ تدخلوه عليا وهو معاه مُسدس؟ طب افرض كان نَقرني برصاصة دلوقتي، ساعتها كنتوا هتقولوا كان بيدافع عن نفسه من شخص مريض عقليًّا، كدا وكدا.

ابتسم (طارق) لحديثه الساخر، ثمَّ رد بابتسامة وبلسان مُتكلم مات ثقله الذي كان فيه في البداية:

- المفروض تحمد ربنا إنك طلعت مشهد زي ده في فيلم زي ده، غيرك لسه كومبارس كلمتين يا أستاذ، وبعدين افهم، المشهد ده لو اتشال مش هيأثر بأي حاجة في أحداث الفيلم، لأنه معمول مخصوص، عشان مخرجي ومخرجك، بيترعب من حاجة اسمها الموت، مُدرك إن كُل الناس بدون استثناء ممكن تسببله أي أذي يموته، يعني من الأخر، هو اللي مريض ثانتوفوبيا، خايف يموت قبل ما يشوف العالم ده كُله والع وقبل ما العالم نفسه يولع فيه زي ما هو مُدرك ومُتخيل، فهمت؟

«ستراقب مهما حاولت الهرب، ستراقب أينما اختبئت، سيرونك في كل مكانك، إن نجحت في الاختباء لن تنجح ظلالك، وستكشف عن مخبئك، سيجدونك حتَّى وإن ألقيت جسدك في بئر عميق أو

بين تراب الأرض، سيخرجونك حتَّى وإن كنت مُلقى بين النيران،
ليس لينقذونك، بل ليحرقونك هم وليس النيران نفسها، لا مهرب
، لا مفر، لا أمل، لا جدوى من الاختباء يا «أنت» أنت مُراقب لا
محالة».

ما زال الانتظار قائمًا، ما زالت الربكة والقلق تجلس فوق السطح
الطبيب بين الأربعة، (أكرم) و(الطبيب المُزيف) و(المريض
المُزيف) في سعادة وفرحة لأن النهاية قد أوشكت، وستحدث بعد
ثوان، وسيظهرون جميعًا في شاشات التلفاز وفي جميع السينمات،
ولكن (بدير) لم يكن سعيدًا.

كان شاردا، يدخن سجائره وهو يحدق أمامه إلى السماء، لقد كان
يبدو وكأنه يرى ذكراه المحُطمة في عمق السماء وجوفها، ذكراه
التي حولته من شخص كان يصحو بابتسامة كل يوم إلى شخص
عاش بقية عمره يصحو مُفكرا في شخص جديد يريد الانتقام منه.
لقد كان يحدق بالسماء بشدة وخوف، وكأنه كان يراه شيئًا مُرعبًا
أمامه، ماذا!!! يستحيل.

إنها حبيبته السابقة.

وأخيه، رفقائه في المدرسة

والمدعوُن جميعًا في حفل زفافه.

لم يكن هو من يتحدث، بل كان داخله:

ماذا تريدون مني؟ لما أنتم هُنا الآن؟ لما أنتم ورائي في كل مكان؟

لما؟ لماذا تطاردني أطيافكم الملعونة المُتسخة بوحل الخيانة والكذب؟
لما أنتم كل هواجسي وتخيلاتي؟ ألا يوجد شيء غيركم! لا أي شيء!
كيف؟
كيف يكون العالم أنتم؟ وكيف أنتم كل هذا العالم؟ كيف أنتم وأنتم القُبح؟
ماذا تريدون أكثر مما أردتم وفعلتم بي؟
أتريدون قلبي؟ أنتم بلهاء.
هو لا يصلح لكم، لا تصلح القلوب المُنفطرة لأناس لا يعرفون كيف يواسون من يبكوا؟
قلبي دُهس، ومن كثرة دهس أقدامكم فوق قلبي، أصبحت مُلصقًا بالأرض، وكأنني تعودت على الدهس والإهانة.
هيا، اذهبوا من هنا، اذهبوا من أمامي عيني، غادروا من أمامي، لا أريد أحدًا، لا أريد أي إنسان، لأنه لم يعد هناك إنسان، لا أريد أحدا، لا أريد.
وما أن كادت تسقط قطرات عينه، حتَّى قطع شرود قدوم مُنتظرا جديد.
رحب جيدًا يا «أنت».
رحب بجهاز كشف الكذب، إنه والد النسور والصقور والبوم.
«حسين القاضي» اللواء العسكري.

«لا تشك في أحدهم، ولكن لا تثق أيضًا».
-عودة بالعقارب إلى الوراء-
* (٦) خيانة «اللواء حسين»:

• خروج (بدير) من باب سري خفي في منتصف المكتبة الكبيرة بمكتب اللواء، ذلك بعد مغادرة (ياقوت) مكتب اللواء بعد لقائه الذي أخبره فيه حقيقة الفيلم.

ابتسم (بدير) إلى حسين وهو يسير في طرقة المكتب بجنون، ليقول (حسين) بابتسامة حادة خبيثة:
- قولتلك قبل كدا، مش أنت لوحدك اللي بتعرف تلعب؟
خرجت ضحكة مُختلة من (بدير) ثمَّ رد بتموج مثل سير الثعبان:
- يا باشا أنت الراس الكبيرة، أنا مش عارف من غيرك، كان الفيلم ده هيطلع للنور إزاي!
ابتسم اللواء في سعادة، ليقول ببعض من التكبر السخيف وكأنه أفتك بخنادق الأعداء بطلقة واحدة:
- متقولش كدا يا بدير، أي حاجة ليها علاقة بمصلحة البلد والناس، لازم أساعد فيها.
ابتسما الاثنين، وجلست السعادة فوق وجوههم.
- ها، لسه حد ناقص يا بدير؟ عايزين نخلص كُل حاجة أول ما ياقوت يوصل.
قالها (حسين) بعد أن جلس وسط الجميع فوق السطح، ليرد

(بدير) بابتسامة لم يفهمونها كُلهم:
- لسه يا باشا، فاضل شخصية مهمة مينفعش نتفرج على المشهد الأخير غير وهي معانا
ليرد (حسين) بحدة وابتسامة:
- مفاجآتك مطمنش يا بدير؟ إنت مش سهل.
انفرد وجه (بدير) في سعادة ليقول بثقة:
- مفيش حد فينا سهل يا باشا، إحنا اللي عملناه ميعملوش غير شوية.
تقدم برأسه في جنون ثمَّ قال بهيستريا:
- مُختلين عقليًّا
ارتفع صوت حذاء ما فوق درجات السلم، ليتلفت (بدير) فجأة وهو يقول بسعادة وفرح:
- أهو وصل أهو.
ظهر المُنتظر الأخير أمام (بدير) ثن وقف أمامه وهو يبتسم وينظر له بسعادة.
ظل ينظران إلى بعضهما بشدة وكأنها لم يرون بعضهما منذ وقت طويل.
كان رجلا ثلاثيني، في منتصف الثلاثينات تحديدًا، ثيابه كانت كلاسيكية قديمة إلى حد ما، أوضح ذلك بأنه أحد الذين لم يسير في طريق الموضة والحديث من السنوات الأخير.

عيناه لم تكن حادة، ولم تكن طيبة في نفس الوقت، كانت مخيفة إلى حد ما، ما أن تنظر لها، حتَّى يركض الاطمئنان من قلبك بأقدام ضوئية هائلة، كان رجلًا، لم يبشر بخير تمامًا.
ألقى أولى كلماته بميل رأسٍ، حركة يحبها في (بدير) فأحب أن يقابله بها، ثمَّ قال بحدة وبصوت هادئ:
- والله وليك وحشة يا بدير، وَلعت في العالم ولا لسه؟
ابتسم (بدير) بشدة، ابتسامته أوضحت مدى حب ذلك الشخص داخل المخرج، ليرد عليه بصوت هوائي سعيد:
- اطمن يا صديقي، هنولعه سوا كمان شوية.
عدل (بدير) من وضعيته ناظر إلى الجميع أمامه، ومتأملًا استعجابهم ودهشتهم وعدم فهمهم، ليقول بسعادة وبصوت فرح:
- أعرفكم يا جماعة، اللي واقف قدامكم ده، رفيق الكفاح، وتوأمي في العقل والتفكير، أعرفكم بالمؤلف السفاح اللي ساعدني في كتابة وخلق أفكار باقي مشاهد الفيلم، المؤلف عزت عبد الحميد.
ليرد (أكرم) بذهول تام:
- اللي مات!
خرجت ضحكات (بدير) قائلًا بجنون:
- الكُتاب المجانين مبيموتش بسهولة يا أكرم، لأنهم بيبقوا حريصين جدًا، مش كدا ولا إيه يا سينارسيت؟

-عودة بالعقارب إلى الوراء-

* (٧) خيانة «المؤلف عزت عبد الحميد»:

- لقاء ثنائي بين (بدير السيد) و(عزت عبد الحميد) داخل منزله الذي أصبح كومة تراب، وحسب أجره في الفيلم، فهو يسكن الآن في قصر إن وقعت عيناك عليه، فستتأكد بأنه قد عاد زمن الملوك والأمراء لا شك.

اقترب (بدير) برأسه متحدثًا إلى (عزت) في اهتمام:

- أنا عارف إن كان نفسك تشوف اسمك على بوستر الفيلم ده بالذات، بس معلش يا عزت كُله لمصلحتنا، والشهرة كدا كدا جاية هتروح لمين غيرنا يعني.

ابتسم (عزت) بلا مبالاة ثمَّ قال:

- ولا يهمك يا بدير، كدا كدا الناس هتعرف إن قلمي اتحط في أفكار الفيلم لما يشوفوا الإهداء اللي أنت هتعملوهلي، بس قولي، هي الناس كدا مش هتعرف إننا كنا بنلعب على الأبطال دول وعلى ياقوت نفسه؟ هتقولهم إيه على حكاية موتي دي!

عاد (بدير) بظهره مُبتسمًا، ثمَّ أخذ أنفاسه ليرد في ذكاء:

- هو مش بيقولوا إن المعرفة القليلة شيء خطير؟ الناس كُلها بقى مُدركة ده، كُلهم خوافين يا عزت، اللي بيضحك عليه مبيفكرش غير في إنه إزاي اضحك عليه، بيتجاهل تمامًا لكل اللي حصل معاه وبينساه عشان عارف إن لو حاول يقلب في المستخبي ويكشف

الحقيقة هيتأذى، اللي بيضحك عليه، بيفكر بس في إنه إزاي كان غبي أوي كدا، وحُمار، وعمتا، الناس مش هتلاقي وقت تفكر في حقيقة موتك من صدمتها في اللي هتشوفه، صدمة الفيلم أقوى بكتير من صدمة موتك.

خرج الاقتناع سريعًا من أعين (عزت) بينا مال (بدير) برقبته في سخرية وهو يقول بهزل مُخرجًا مسدسه أمام عين (عزت):

- طب مش يلا عشان تموت ولا إيه؟

-ابتسامة لك-

قلت لك يا «أنت» إنها صعقة ثقيلة ويجب عليك أن تتحملها.

جلس الأربعة علي مقاعدهم حول شاشة المراقبة الكبيرة في انتظار لمشاهدة المشهد الأخير، بينما ظل (بدير) يسير في طرقة السطح بارتباك وتوتر، حيث كانت أذنيه تحتضن بالهاتف في انتظار رد لمن يتصل به، ولكن لا جدوى.

ظل يستمع إلى صوت جرس الهاتف حتَّى النهاية بلا رد، زاد ارتكباه وغضبه ثك كرر الاتصال بمن ينتظر أن يسمع صوته، وفجأة!

ظهر أمامه من كان يتصل به .

كانت «تَليدة».

ظلت تأخذ أنفاسها بقوة، صدرها يتقدم إلى الأمام والخلف في محاولة للهدوء، ليقترب (بدير) منها قائلًا بقلق:

- إيه يا تَليدة!! برن عليكِ من ساعتها مبترديش ليه؟ قلقتيني.
لترد عليه في تعب وكأنها ما زالت تركض:
- غصب عني، أول ما وصلت قدام العمارة، لاقيت ياقوت وصل ورايا في نفس الوقت.
اتسعت عين (بدير) في خوف ثمَّ قال بارتباك:
شافك؟!
لترد بسرعة لتطمئنه:
- لا اطمن، أنا طلعت جري عشان ميشوفنيش، وهو أساسًا تعبان وبيحاول يسند نفسه.
ابتسما الاثنين في سعادة وحدة، ثمَّ اتجهت (تًليدة) للجلوس بين الجميع أمام شاشة المراقبة.
ظل (بدير) واقفًا أمامهم ولم يجلس ليقول في حدة محاولًا أن يقتل قلقه وارتباكه:
- يلا، أنا هبدأ دلوقتي.
نظر الجميع له نظرات تشابهت، كانت جميعها تتنوع ما بين الحدة والاهتمام والهزل والانتظار.
أعطى (بدير) ظهره لهم، ثمَّ أخرج هاتفه.
وبدأ يكتب في سجل البحث الخاص بالمكالمات.
K
O

O

T

وضع الهاتف فوق أذنيه، ثمَّ خلق ابتسامته سريعًا، قائلًا بصوتٍ حنون مُصطنع:

- أيوه يا حبيبتي، وحشتيني.

* * *

وقف (ياقوت) أمام باب شقته مُتعبًا، حاول أن يُلقى حزنه وضعفه في سلة القمامة أسفل أقدامه، جاهد بأن يتمسك ويظل ثابتًا، فهو يكره السقوط، ويكره أكثر أن يحمله أحدًا غيره لأنه قد سقط، لقد عاد إلى بيته بعد أن أدرك بأنه المكان الوحيد الذي لن يجد (بدير) بداخله، لا كاميرات صغيرة لا تُرى، لا أجهزة تصنت بكل أثاث البيت، لا مراقبة نهائيًّا.

وضع المُفتاح في بيته بمنتصف الباب، ثمَّ دخل إلي منزله، حيث حبيبته المُخلصة «قوت».

«بعض الصدمات أحيانًا ، تُنسينا كُل ما نشعر به، حتَّى وإن كان مرض خبيث لا شفاء منه».

* * *

- The laughs are high .. The smell of the food is

- Wonderful

- الضحكات تعلو.. ورائحة الطعام رائعة -

* * *

بدأ يسير في طرقة منزله الطويلة التي تؤدي إلى ما تسمى بالصالة، يسير بعينيه بين
جدران شقته، يتأمل أثاثها وما بها من أشياء تتحدث بطريقتها الخاصة، باحثًا عنها.
لكنها لم تكن هناك كعادتها تجلس أمام التلفاز لتشاهد تلك الأشياء التي يعادل عدد حلقاتها أكثر من ثلاثة أشهر، أي عمرٍ طويل أمام التلفاز، شيء سخيف حقًا.
قطع بحثه صوت ضحكاتها العالية مِمَّا جعله يثبت مكانه دون أن يهتز، لقد صعق رغم إنه لم يكن هناك برقًا داخل شقته، الصوت يعلو شيئًا فشيئًا، الضحكات تتوالى، ولكن ما صدمه حقًا هو موقع قدوم صوتها، فقد كان قادم من هناك في تلك الغرفة -غرفة طهي الطعام- ألم يجدا مكانًا آخر غير ذلك ليفعلان به هذا الشيء، المطبخ!!
بدأ يتجه ناحية تلك الغرفة بعين قلقة محاولًا أن يكسر تجمده بأن يهتز قليلًا، خطواته البطيئة لم تكن تدرك سوى الحرص والحذر حتَّى يستطع إدراك الحقيقة، الطرقة الطويلة مجددًا، يتمنى لأول مرةٍ أن تطول أكثر بكثيرٍ مِمَّا هي عليه، فهو لا يريد الوصول، لا يريد أن يرى ما هناك ويخدع بها بعد كل هذا الكم من الإخلاص له.

«لقد زاد مُعدل الشك داخل منه بقوة، لقد أصبح يرى العالم كُله خائنًا».
رائحة الطعام الرائعة تزعجه في هذا الوقت، معالم عقله تتشاجر على أن تجعله يدرك ما سيراه الآن، لا يفهم شيئًا، يتمنى فقط بأن لا يسمع صوتًا آخر بجانبها، يتمنى أن تكون قد جُنت على أن يصدُق ما خُلق في عقله الآن، الضحكات تعلو، الصوت يتحدث ويصدمه مجمدًا جسده مرة أخرى:
- يا حبيبي صدقني، أنت عارف كويس إنه بيتأخر في الشغل، أو تلاقيه عن تَليدة هانم بيريح معاها شوية، تعالي بقي يا بدير، أنا موحشتكش ولا إيه!!
لقد تحقق ما تمناه منذ قليل ولم يسمع صوتاً آخر غيرها، فأنت لا تسمع من يتحدث داخل الهاتف.
تحركت قدماه راكضةً إلى غرفة نومه، السرعة التي يسير بها تجعلك تُدهش من تجمده.
الذي كان عليه، انعقاد حاجبيه واتساع عينه يعلنان عن حدة وغضب لم يظهران من قبل
« هكذا تكون الحقيقة، تُشعرك بالحقيقة».
الآن أصبح في غرفة نومه، الغرفة التي أصبح يكره أن يكون فيها، فهي غرفة «تلاقي الأجساد» لا غير ذلك.
اتجه (ياقوت) نحو حافظة الملابس ملقيًا كل ما بها، كل شيء

أصبح على الأرض، كل شيء سيصبح على الأرض بعد قليل، فقد سمعت صوته، الآن أدركت بأنه قد أتى.

- اقفل دلوقتي بسرعة، هكلمك بعدين.

لقد وجد ما كان يبحث عنه، إنه «صانع الموت»، قام بشحنه كاملًا بالرصاصات الصغيرة التي تنهي أرواحًا عاشت طويلًا، لقد أصبح السلاح مستعدًا لصنع الدماء.

اتجهت (قوت) بسرعة في جزء من غرفة الطعام وأحضرت ما يجعل الشيء الكامل قطعًا صغيرة، لم تكن تتوقع أن تستخدم السكين في شيء غير الطعام، كالطعنات وسيل الدماء مثلًا.

عودة ثانيةً للطرقة الطويلة، الأصابع تحتضن بالمسدس احتضانا أوشك أن يشعل مقبضه، رائحة الطعام لم تكن تناسب هذا الوضع بداخله، رائحة الطعام رائعة بما يكفي لجعلك تجلس لتأكل وتشاهد هذا الحفل، نصل السكين حزينا على اتساخه الأحمر الذي سيسقط فيه بعد لحظات، الآن قد اقتربت أيضًا من الطرقة الطويلة، السكين يعلن استعداده بالطعن، دخان الفوهة الخفيف سيتصاعد بعد قليل، ثوانٍ قليلة ويتقابل النصفين، ثوانٍ ويحتضن الهيكل المعدني للمسدس بحواف السكين الحادة.

«الموت هو الحقيقة الحقيقية الوحيدة في هذا العالم».

والآن.

يتقابلان.

-فليبدأ الحفل-

«أقسم بأنني أحببتك، بل وأحبكي حُبي نفسه، أكثر مما أحببتك أنا، انسِ ما فعلتيه معي، انس شجاراتنا، انس وجهات نظرنا التي جاهد كل من فينا في إثباتها وصحتها وحدها، انسِ أحزاننا وبكائنا، لا تفكري لحظة بأنك لم تُسعديني يومًا، امحي كل شيء سيئ منك ومن قلبك وعقلك، انس حتَّى بأنك خونتي قلبي وبأنني خونت قلبك، فكري فقط بأنك حملت أطنانًا من السعادة فوق عاتقك ثمَّ ألقيتي بها داخل قلبي، كانت ثقيلة إلى حدا ما يا عزيزتي، ولكنها في النهاية كانت سعاة منك

أفتقدك

وافتقدتك كثيرًا

ألن تعودي؟ أم أن حُبك لي، قد دُفن معك حينما رحلتي!».

لقد جُمد الاثنين مكانهما بعد الاصطدام الشديد، بل وتحولوا إلى تماثيلًا أثرية لا تتحرك خطوة واحدة، المسافة بين وجوههما لم تكن موجودة، عيناهم كانت قريبة جدًا من بعضها، كانوا ينظران إلى بعضهما نظرات أخيرة، نظرات تودع دون تلوح.

لقد كان يُحدق في عينها بصدمة لما فعلته به بسكينها.

احتضنت سكين (قوت) بكتف (ياقوت) عن طريق طعنة قاسية ملئها الانتقام، ظل واقفًا على أقدامه مُتسع العينين ومتألمًا، الفزع مما يحدث حوله هو القائم داخل عينه في هذه اللحظة، فمه

المفتوح أوضح الصدمة التي حلت بقلبه، لقد بدأ يشعر بأرق وتعب وألم العالم كله من خلال طعنتها، لقد كانت طعنة مُختلفة، طعنة كانت أقسى بكثير من كُل الطعنات التي أخذها من العالم، كانت طعنة حقيقية.
لم تمر ثوان قليلة على ثباتهما.
حتَّى سقطت (قوت) أمامه مُلقاه على الأرض.
ثلاثة رصاصات كانت كافية منه لأن تُسقطها أرضًا، ثلاثة رصاصات صعدت بروحها إلى السماء، الآن قد انطفى كل شيء في عينها، الآن قد مات حبها معها، ومع انتقامها.
سقط (ياقوت) على ركبتيه مُمسكًا كتفه في ألم، ثمَّ بدأ يزحف على الأرض بأقدامه مُتجها بالقرب نحو (قوت).
وما أن وصل إليها، حتَّى مد زراعها على الأرض ليلقي بجسده بين أحضانها، لقد نام كالجنين داخل منها، قطرات عينه بدأت في السقوط رغمًا عنه ودون أن يشعر، لقد تجاهل ألم طعنتها، وبدأ يحدثها وهو يقترب برأسه من رقبتها، قائلًا بحزن تام وهو يتنفس رائحتها التي ستصعد معها إلى السماء بعد قليل:
- قوت، قوت، أول مرة أنام في حضنك من غير ما تقفلي عليا بإيدك! قوت.
«سأظل دائمًا كما أنا ولن أتركك، لن يحبك أحد مثلما أحببتك أنا، ليت السماء لها أعين حتَّى ترانا هكذا، ستبتسم كثيرًا عندما ترى

عشقنا».
حاول جاهدًا في ألا يفقد وعيه، مُتسمرا في الحديث بانكسار:
- متسبنيش يا قوت، متسبنيش عشان خاطري، متخليش العالم كله يبقي وحش من غير حاجة واحدة حلوة يا ياقوت، متخلنيش أحس إني خلاص بقيت وحيد، أنا مبحبش الوحدة يا قوت، قومي بقي وخليكي شا...!!
وما أن كاد يُكمل حديثه حتَّى قطع أنظاره فتح باب شقته ببطء.
ألقى أنظاره المموجة والمتحركة، محاولا أن يرى من تجرأ ودخل إلى شقته هكذا
من هؤلاء كُلهم؟!
ولكن سريعًا ما أدركهم بعد أن استرجع نظره المُتعب.
إنها «الشرطة».
ولكن كيف؟ من أخبرها بما حدث بهذه السرعة؟ هذه أول مرة أرى فيها شرطة تأتي بهذه السرعة الهائلة إلى موقع الجريمة! هل كانت تنتظر خلف الباب أم ماذا؟
اتجه اثنين من رجال الأمن نحو (ياقوت) بدأ كل منهما يحمله من بين أحضانها، ليصعقهم هو بغضبه وجنونه، قائلًا بانفعال بعد أن أبعدهم ليعود إلى (قوت) مُمسكا بجسدها بقوة:
- لأ، محدش هيطلعني من هنا أبدًا، هتقدروا تطلعوني من أي مكان إلا حضنها، قومي يا قوت، قومي دافعي عني وخليهم

يسيبوني في حضنك، خليهم يسجنوني بس وأنا في حضنك يا قوت، قووووت.
تجمع المزيد من رجال الأمن حوله ليخرجونه منها بالقوة، إنه وقت تقييد كفيه بالسلاسل المعدنية، قطراته تسقط بقوة، جسده يتحرك ويقاوم تقييدهم بكل ما لديه من طاقة، لقد كان الحزن يزداد داخل منه كُلما أبعدوه عنها خطوة، ظل يصرخ بجنون باسمها، ظل يصرخ وهم يسيرون به إلى الوراء، خطوة تبعد، ثمَّ خطوة، ثمَّ خطوة، وخطوة وخطوة.
إلا أن وصل نحو باب شقته، لقد بعدت المسافة كثيرا بينهما، الآن سينقلونه من شقته إلى شقة جديدة مُربعة، يُطلق عليها تحديدا «زنزانة».
وما أن كادوا يخرجونه من منزله حتَّى ارتفعت رأسه فجأة أعلى سقف المنزل، عيناه تُحدق بالسقف بقوة، عينه تنتقل بين كُل جدران شقته في دهشة.
لقد جُمد مكانه صعقًا؟ ما هذا؟
إنها، كاميرات مراقبة .
«وهنا، تَكمن النكتة».
ظل يصرخ بقوة قائلًا: «لا» بهزل وهيستيريا، صرخاته أوشكت أن تحطم حباله الصوتية داخل رئتيه، رجال الأمن في مقاومة كبيرة لإخراجه وتقييده بكل ما لديهم من قوة.

لقد نجحوا، وأخرجوه من عالمه.
وما أن خرج من باب شقته.
حتَّى جُمد مكانه ثانية، صعقة جديدة!
لا، ما هذا المُزاح؟ ما هذا الذي يراه!!
«ما هذا الواحد من يناير الذي لن ينساه أبدًا؟».
اتسعت عيناه بقوة، وانفتح فمه مدهوشا وهو ينظر إليهم.
إليهم كُلهم.
كانوا جميعهم قد تجمعوا حول بعضهم في نقطة واحدة، لقد كانوا.
(الطبيب الشاب المُزيف) - (المريض المُزيف) - (السكرتير أكرم) - (اللواء حسين) - (المُمثلة تَليدة) - (المؤلف عزت عبد الحميد) و..
(بدير السيد).
صرخاته ما زالت ترتفع بقوة في وجوههم، لقد كانوا ينظرون إليه بابتسامة مجنونة وبوجه شامت وفرح، أوشك عقله أن يُقطع ثيابه ليرتدي ثوب الجنون والهيستيريا، كلمة «لا» لم تتوقف عن الخروج من فمه في صرخة وانفعال وعدم تصديق لما حدث اليوم.
ما زال لسانه يردد اسم «قوت» بانكسار وحزن.
رجال الأمن في مقاومة جديدة للسير به، حيث السجن.
ظل يصرخ، ويبكي، يصرخ ويبكي، يصرخ ويبكي.

وكأن هناك من بدأ في طهي قلبه استعدادًا للطعام.

* * *

لم أكن أنا من يتحدث، بل كان داخلي:
سخيفًا أنت أيها العالم، سخيفًا، وقاسي، ومؤلم.
لماذا القسوة أيها العالم؟
لماذا الكره والحقد ونظرات أشخاصًا لا يقبلون بوجودنا معهم؟
وكأن العالم قد خلق لهم دوننا!
لماذا أجبرتني على رؤية كل هذا بك؟ لماذا الخيانة؟
الشفقة تؤذيني فلماذا عاشوا حياتهم يشفقون؟
أخبرك بأن الجميع لم يفعلوا سوى ما كان يؤذيني، وليته هذا ما أبكاني.
أبكاني أنهم كانوا يعرفون أنه يؤذيني وفعلوه.
فعلوه ليسعدوا بحزني.
لماذا القسوة أيها العالم؟ لماذا أنياب الذئاب وليس أسنان الأرانب، لماذا القطط السوداء المخيفة وليست ذات الفرو الأبيض الدافئ؟
أين الدفء أيها العالم؟ أين الدفء!
لماذا تموج الثعابين؟ وليس قفذ القرود الضحك؟ لماذا نظرات التماسيح وليست أعين العصافير الزرقاء الحالمة؟ لماذا الذُبل بالورود وليس التفتح والرحيق؟ ولماذا القُبح، ولما القبح من الأساس! لماذا الطعنات والضربات ثمَّ السقوط والفرحة فينا

ساقطين، لماذا؟
أجبني أم أنك عالماً بليدًا وفاشل ولا تمتلك أي أجابة، أجبني أيها الوغد اللعين.
أَخبرني أبي ذات مرة بأن الحياة لغز عصيب؟ يمكن للجميع أن يحله كيفما يراه؟ ولكن لا يكون الحل دائمًا صحيحًا، هكذا أنا كنت معك أيها العالم السخيف، حُللتك بعدد كل المرات التي نجح الجميع فيها بحلك؟
ولكنك لم ترَ مرة حلا صحيح مني.
لماذا يفعلون كُل ذلك؟
لماذا الناس يتربصون خلف قلوبنا فيصطادونها وتموت؟ ولماذ الموت إذا لم يكن من خالقنا؟
لماذا منكم!
لماذا أيها السخفاء البلهاء؟
لماذا دوما، تحملون قناصة أسهم خشبية رفيعة؟ تسحبونها ببطء، ثمَّ تغلقون إحدى أعينكم مُحدقين لترون الفريسة جيدًا، تحدقون بها بنصف عين، وثمَّ ، تنطلق السهام متطايرة بالأعلى، المشكلة أنكم كنتم ترون الفريسة جيدًا، وهي قلبونا.
فلماذا تكون السِهام هي المكافأة، لماذا لا تكون ورودًا؟
أم أنكم جميعًا، لا تعرفون الورود، لا تعرفون الورود والأزهار والأشجار وزقزة العصافير وهي تخبرك «كل صباح.

«صباح الخير يا هذا».
أم أنكم من الأساس لا تعرفون الصباح!
كيف الرفق من الحيوان والطير؟ وكيف القسوة من إنسان مثلي؟
أنا أبكي أيها العال ؟ أبكي وبشدة، ألا ترى قطرات عيني؟ أم أنك لا تعلم أي شيء عن تخفيف الآلام وعلاجها؟
لماذا يا عالم، لماذا تراني وقحًا هكذا، طفلًا شقيًّا سرق لعبتك التي هي من البداية لعبتي؟ جائعًا، أو طامعًا، وأخذ زوجتك منك ومن أخوتك لكي أتهنى بهم وحدي، لماذا لا تشعر بي؟
أخبرني، هيا، متى سأظل أسير فوق زجاج الكلمات القبيحة منهم؟ أقسم بأنه ليس لسانًا بشري يتكلم، إنه نصل سكين حاد.
لماذا قلبي بين أنيابك، وأسفل أحذيتك؟
أترى بأن قلبي لا يستحق سكنًا أفضل من هذا؟ أهكذا تقوم بوظيفتك جيدًا نحو ساكنك؟ أم أنك تريد أن تطردني منك؟
هل أنت مُحرج! ولكن كيف الحرج وأنت تفعل بي كل هذا؟
لماذا النطاح واللكم والركل؟
لماذا الركض خلف المصير مُبكرًا؟
ولماذا نركض دومًا خلف أشياء تركض منا؟
لماذا قرونك التي بدلتها مع الثيران لتحتضن بضلوعي؟
لماذا.
تجاهد.

في بتر قلبي أيها العالم؟

لماذا كل هذه القسوة؟

هل أنا.

أنا !

أستحق كُل ذلك؟

*   *   *

بعد

مرور

عشر سنوات

«لا مكان للعُقلاء بيننا، هُنا يعيش مجموعة من المجانين فقط».

(PSYCHIATRY)

-ACUTE WARD-

(الصحة النفسية)

-قسم الحالات الحادة-

* * *

(غرفة ١٧)

(ورد شعبان)

لم تنسَ يومًا حديثًا بينه منذ أن عرفته، فهي تتذكر ملامحه العابثة التي جعلتها تعشقه، عيناه الضاحكاتان دائمًا رغم وجود ذلك البئر الممتلئ بالدموع داخل أعماق قرنيته، غضبه الخارج عن إرادته، طفولته المختبئة خلف ظهر نضجه الكهل، حديثه لها دائمًا بأن تظل طفلة كما هي، فهو لا يريدها راشدة أو ناضجة، لأنه يتأكد تمامًا أن حُزن الإنسان يبدأ حينما يولد نضجه، ورغم عيشه ناضجًا طوال حياته إلَّا أنه ظل يتمنى أن يفقد عقله ولو

لوقت قصير حتَّى يستطيع فقط أن يخلق ابتسامتها.
لكنها قررت أن تنهي كل ذلك متحدثة إلى تلك الأوراق التي أخفتها عن أولئك الذين يتابعونها هنا، تقرأ ما بها ثمَّ تضع معظمها بجانبها بقوة وتحدث معظمها الآخر بفقدان عقلٍ تام:
- أنا عايز أجيبلك الورد اللي في العالم كله تحت رجلك، مش عشان أهديهولك، لأ، عشان أثبتلك بس إنك أجمل وردة في العالم ده.
وضعت كُل تلك الأوراق القديمة أمامها على الأرض بعد أن أدركت جيدًا إنها لم تكن لتكون في مكانٍ سوى هنا على الأرض وفي هذه الغرفة، ثمَّ أكملت حديثها بجنون وبكاء متدرج بسبب ما قرأته في تلك الورقة تحديدًا:
- كدب، كدب، كدددب، كل حاجة كانت كدب، كلامه كان كدب، بس هو أكيد كان غصب عنه، أيوه هو كان بيحبني، لأ، مش غصب عنه، أيوه، هو كدب عليا، وعوده كانت أكبر كدبة في حياتي، حتَّى الورق ده، عمره ما كان حقيقة ولا بجد، كله كدب، كدببببب.
الذكريات الآن تتطاير قطعًا صغيرة بعد أن ظلت في أحضانها كل يوم، الأعوام الكثيرة تمحي في لحظات، أصبح تقطيع الأوراق سهلًا بعد أن كانت تخشي أن تفقد واحدة منه، إلى أن أتى من قرر أن يزيل وجودد هذه الأوراق وأثرها تمامًا، من هذا الكون الصغير.
اِندفع باب الغرفة البيضاء بقوة فور سماع صوت صراخها، معلنًا

دخول الطبيب برفقة اثنين من ممرضاته والتي اتجهت كل منهما بسرعة نحو صاحبة الذكريات الممزقة -الكاذبة- حاولت أحداهما أن تمسك بها استعدادًا للحقن وأخذت الأخرى تجمع ببقايا الأوراق وتعرضها على الطبيب لتخرج من عينيه نظرة حادة إلى الممرضة جعلت عينها تحتضن ببياض هذه الأرض التي تراها -أنت- الآن، لقد أدركت كل شيء من نظرته، أخبرتها عينه دون أن يتحرك فمه عن كيفية دخول هذه الأوراق -الأشياء عمتًا- إلى هنا.

اتجه بسرعة نحو من تسكن هذه الغرفة بعد أن أعطته الممرضة ما سيمر بجسدها بعد قليل، الأخرى تحاول تثبيتها، فجسدها لم يكف عن الحركة منذ أن رأت ما سيتعمق بها الآن، قدميها تمحو كل ما هو متسخ في الأرض، لون وجهها الذي يشبه لون تلك الغرفة يتحول إلى ما يخرج منك حينما يأذيك نصل سكين ما.

الآن قد جاء موعد الحقن.

- ابعدوا عني، صدقوني كل ده كدب، هو نفسه كدب، أنا مش مجنونة صدقوني، أنا مش مجنونة عشان تعملوا فيا كدا، إنتوا كمان كدابين، ابعدوا عني، أنا عايزة حبيبي، حبيبي مبيكدبش عليا، ابعدوااا عنيييي.

* * *

(غرفة رقم ٧٧)
(أميرة إبراهيم)

- بجد!! مفاجأة إيه!! أوعى تقول إنك مش هتقولي دلوقتي ، والله أعيط!!

قالتها ذات الرداء الأبيض الخاص بمرضي هذا المشفى، ليرد مبتسمًا وهو يتأمل وجهها في هدوء:

- لأ متخافيش، هقولك دلوقت.

انطلقت سعادتها راكضة كطفلة صغيرة تركض نحو دميتها لتحملها وتلقيها بين أحضانها، لترد بعين لامعة:

- طب يلا بقى قول بسرعة:

قالتها وكأنها قد نست كم يكون عُمرها، فهي دائمًا تعشق كونها طفلة لا تكبر منذ انتقالها من عالم الرحم إلى عالم الأرض، ترعبها تجاعيد الشيخوخة الكثيرة، وكيف يتحول الإنسان إلى شخصاً آخر بمرور عمره، لا تتصور نفسها صاحبة العصا الخشبية التي يمتلكها كبار السن في هذه المرحلة من العمر، الفزع بالنسبة لها يتمثل

في ظهور بعض الخصلات البيضاء بين شعرها، لذا فتجدها دائمًا تحتضن بدميتها التي تراها -أنت- معها الآن، ورغم كل ذلك، لم تستطع أن تحيا طفلة في حياتها يومًا واحدة، بل كانت بمثابة رجلًا مع الجميع، ذلك فقط لأن قبح الجميع لم يضع لها اختيار أخر، فلو كانت أخرجت هذه الطفلة من خلف قضبانها، لقتلت برائتها في ثوان.
- ماشي يا ستي، بصراحة كدا أنا قررت أغير اسمك، هسميكِ اسم جديد، وهبطل أندهلك باسمك القديم ده.
عقدت حاجبيها لما سمعته منه الآن، لتبدأ حينها في السير بطريق الحزن «القفش»:
- هتسميني اِسم جديد!! وكمان هتبطل تندهلي باسمي القديم؟ ليه هو أنا اسمي وحش، بطلت تحبه يعني!!
اقترب منها محدقًا في عينها، ثمَّ قال مؤكدًا:
- اللي يقول على اسمك وحش ده يبقي مبيفهمش، ده غير إني بحبه جدًا وأنتِ عارفه، بيحسسني إنك ملكة في نفسك كدا، بس بكل بساطة أنا أناني فيكِ أوي، وعايز أندهلك باسم محدش يقوله غيري، هي دي الفكرة.
تغيرت ملامح وجهها وكأنها لم تسمع ما يزعجها في حديثه منذ قليل لتكمل بكل سعادة بعد ارتفاع صوت التصفيق بأصابعها:
- الله، حلو أوي ده، يعني مفيش حد هيندهلي بالاسم اللي

أنت سميتهولي واللي إنت هتندهلي بيه دلوقتي غيرك أنت، وإن اسمي القديم مش وحش زي ما نت قولت، قصدي زي ما أنا فكرت يعني، صح؟؟
ليرد على حديثها شاردًا في عيناها الواسعاتين التي يعشقها:
- صح يا ست البنات.
استمرت في حديثها الذي زاد عليه بعض الخجل والتوتر من كلماته:
- طب يلا، قولي بقى إيه هو الاسم الجديد؟
أخذ أنفاسه بارتياحية، ثمَّ قال بثقة في الاسم الذي اختاره لها:
- جميلة، أنا مش شايف إن اسمك ممكن يكون حاجة غير ده، خصوصًا إن جمالك.
وما أن كاد يكمل حديثه حتَّى بدأ صوت الباب يعلن عن قدوم أحدهم إلى الداخل، مِمَّا جعل صاحبة - ٧٧ - تنتفض من مكانها وكأنه الخوف هو الذي سيفتح باب غرفتها ويدخلها وليس إنسانًا مثلها، مكملة حديثها مع –اللا شيء- حيث هي وحدها في غرفتها، لا يوجد أحدًا، سواها:
- امشي أنت دلوقتي، وبعدين نكمل كلامنا، يلا بسرعة أنا مش عايزة حد يشوفك في الدنيا دي، أي حد مهما كان، يلا بسرعة، هتوحشني.
قالتها وهي تحدق إلى الهواء وكأن أحدًا ما جسد أمامها، ثمَّ

جلست على سريرها بوضعيتها المعتادة دائمًا، تستند بظهرها على وجه الفراش المعدني مع انثناء ركبتيها مثلما يفعل بعض الأطفال الذين لا يستطيعون الاستزباع، حاضنةً دميتها التي لا تفرقها أبدًا، ثمَّ يفتح الباب.
دخلت الممرضة بوجه ظهرت عليه علامات الاستغراب، وبعين متسعة تبحث عن شيئًا ما في أرجاء الغرفة، ثمَّ قالت صارخة:
- أنتِ قولتي إيه!! سمعتك بتكلمي حد وبتقوليلي هتوحشني، هو كان فيه حد معاكِ هنا؟!
وبسرعة أقدام سارق محترف ألقت بردها عليها هاربةً بوجهها منها:
- حد!! لأ طبعًا، حد مين!! هو أنتوا بتسمحوا لحد يدخل هنا أصلًا، ده حتَّى البيبان، بتئسروها، مش بس بتقفلوها.
وسريعًا ما أنهت حديثها بتلك الجملة التي قالتها وهي تنظر من بعيد إلى شرفتها وكأنها تطمئن على من قفذ من ذلك الشباك هاربًا، لم تكن تدرك جيدًا إنه كان محصنًا بالقضبان الحديدية التي لا يستطيع اجتيازها سوى بعض الحشرات الطائرة، لتستكمل حديثها بشرود:
- أظن إنك جاية عشان الحقنة، مش كدا؟
لترد الممرضة وهي تضغط على شفتيها مع الاستمتاع بتناول العلكة داخل فمها:

- أه يا ختي كدا.

استمرت ذات الرداء الأبيض في تأمل شباك غرفتها وهي تفكر في من كان يجلس معها –اللا شيء- لترد على الممرضة بعد أن رفعت ذراع ثوبها الأبيض إلى الأعلى:

- وأنا جاهزة.

جميلة جاهزة في أي وقت ومش هتتأخر.

مش هتتأخر أبدًا.

* * *

(غرفة رقم ٧٠)
(صادق عليّ)

- مش مصدقاني!! هكدب عليكِ يعني ولا إيه؟
قالها بشغفٍ وهو يحاول إثبات صدق حديثه، لترد في محاولة لتزيد من غيظه:
- مقولتش كدا، بس بردوا مش مصدقاك، أنا مش عارفة أصلًا أنت إزاي بتكدب واسمك مش وش كدب خالص.
ارتفع صوته قليلًا ونفذ صبره، ليكمل بغضبٍ:
- طب أعمل إيه يعني عشان اثبتلك إني حلمت بيكِ فعلًا؟
ردت وكأنها عادت عشر سنوات إلي الوراء لتصبح طفلة، لقد شعرت بأنها من الممكن أن تفوز عليه كلما زادت من غيظه فيخبرها كيف رأها في منامه:
- تحكيلي الحلم فورًا.
نظر لعينها في تكبر مصطنع ثمَّ قال ليغيظها هو الآن:
- سامحيني معلش، بس مينفعش أحكيهولك خالص.

ردت بهمسة حزن:
- ليه مينفعش؟
استمر في طريقته التي كانت تزيد من غضبها ليقول بابتسامة سخيفة وكأنه يلهو مع طفل ما:
- عشان مش عايزك تتغري في نفسك.
انعقد حاجبيها وازدادت حدة وجهها، ثمَّ ردت بغضب:
- هتغر في نفسي إزاي يعني؟!
استكمل ببرود وهو يغير وضعياته من لحظة لأخرى في سعادة ولهو:
- يعني هتثقي في نفسك، وأنا مش عايزك تثقي في نفسك، عارفة ليه!
لتقول وهي تضربه بقبضة امتلئ الرفق بها:
- ليه يا رذل؟؟
صمتت قليلًا وهو يسافر في عيناها شاردًا، ثمَّ قال بصوت تغيرت نبرته إلى الجدية:
- عشان بحبك، بحبك أوي.
قطع حديثه دخول ممرضته الخاصة باندفاع، قائلة وكأنها ارتدت ثوب أمه التي سوف تعاقبه لأنه يتحدث بالهاتف إلى فتاة ما بالليل:
- أنت بتكلم مين!

قالتها وهي تبحث بعينها في أنحاء الغرفة البيضاء وكأنها تبحث عن فأر هاربٍ من قطٍ جائع لا تريده أن يأكله، بل تريد أن تقتله هي وتشبع غريزة القتل بداخلها، ليرد هو بيقين شديد لما يقول:
- إيه ده!! أنتِ إزاي مش شايفاها، طب إزاي بس أنتِ ممرضة وأنتِ أصلًا نظرك ضعيف وعايزة تكشفي، ما هي قاعدة قدامك أهي.
تعجبت من ابتسامته الحقيقية وطريقة حديثه الجادة والواثقة ثمَّ نظرت بسرعة إلى تلك الزاوية التي تقابل اتجاه إصبعه الذي أشار به على من يتحدث عنها ولكنها لم تجد سوى سريره أمامها، مِمَّا جعلها تشعر بأنه قد ضعُف بصرها بالفعل كما أخبرها.
- ها؟ شوفتيها! شوفتي لسه زي ما هي إزاي، أجمل حاجة جت الدنيا دي، هي دُنيتي، طول عمرها جميلة، وعمري ما ندمت إني قولت عليها جميلة أبدًا.
بدأت بسرعةٍ كبيرة في تجاهل هذا الحديث الذي من الممكن أن يجعلها تسكن غرفة بجواره في هذا المبني الكئيب، ثمَّ أخذت تضع الإبرة في مكانها الصحيح من هذه الحقنة اليومية التي يأخذها هو كل يوم في ذلك الوقت، متجهة نحوه في أبعد زاوية في الغرفة لتحقنه أسفل كتفه بقليل أثناء جلوسه على أرض تلك الغرفة، لقد تعود على هذه الوضيعة على الأرض منذ أن ألقوه هنا، لم يذق فراشه بقدر ما تذوق سقيع الأرض، لذا فتجده دائمًا

لا يتحرك من مكانه هذا، بالإضافة إنه لم يسمح لنفسه مرة أن يتوقف عن الإشارة إلى من تحدث عنها منذ لحظات، لكن الجميع لا يراه دائمًا يشير إلى شيء سوى سريره فقط، بينما كان يراها هو جيدًا، تلك التي كانت تلون حياته دائمًا بدون توقف.

تلك التي، كانت.

دُنياه.

دُنياه المرسومة.

* * *

(غرفة رقم ٧)

(ياقوت صادق)

وُضع على باب الغرفة من الخارج ورقة مربعة بيضاء كُتب عليها.

«لا يُسمح بالدخول إلى تلك الغرفة إلا للطبيب المعالج ورئيس المرضين المتخصص

بمتابعة الحالة..

مُنعت الزيارة نهائيًّا».

Access to this room is permitted only to the»

treating physician and the head of the specialized

..nurses to follow up the case

The visit was permanently banned «.

* * *

لن أقول وداعًا يا «أنت» لا تقلق، سأقول مرحبًا.

فلا تعتقد بأنك لن تراني بعد الآن مُجددًا، أنت وأهم لا شك، فبعد اليوم سأكون كطيفك الخفي، سأكون كظلالك على الأرض، سأكون دومًا داخل أحلامك، بل سأكون أنا أحلامك نفسها، أو كابوسك، حسب ما رأيتني «أنت» طوال صفحات هذه الرواية.

أعتقد بأنك الآن تراني بوضوح للمرة الأولى، تعرف هيئتي، وتدرك جيدًا كيف تبدو ملامح وجهي حينما أغضب، تعرف كيف يصير وجهي حينما أفرح أو يُسعدني أحدهم، تعرف متى أكون مجنونًا ومتى أكون مُختلًا، فأنا لا أكون عاقلًا أبدًا.
«أنت» الآن، لا تحتاج إلى وصف مُوضح إلى شخصيتي يا «أنت». فكما أدركت اسمي منذ قليل فوق باب غُرفتي، أنا الطبيب النفسي «ياقوت صادق».
الطبيب المُتخصص بحالة المرضى الأكثر خطورة، أما الآن فأنا «صاحب الحالة الأخطر» في المشفى الذي كُنت أملكه، نُكتة سخيفة لا تستدعي الضحك، وأظن أن هذا ليس بالصدمة والدهشة لك بعد أن رأيت ما حل بي منذ عشر سنوات في ذلك الواحد من يناير، والآن وقبل أن ألقى عليك حديثي الأخير، أود أن تعرف حالتي الذي أنا فيها في هذا الوقت الآن.
أنا داخل غُرفتي البيضاء كالمعتاد، أجلس على الأرض برفقة أوراقي وقلمي العزيز، وبرفقة ذلك الجرح في زراعي الأيسر التي أدركت «أنت» من تسبب فيه لي، كانت جلستي أمام ستائري البيضاء حيث ضياء القمر خلف ظهري، وفي هذه الثانية تحديدًا، بدأت في ارتداء ثيابي، نعم يا «أنت» لا تستعجب، فما طلبته مني الممرضة الفاضلة مقابل هروبي من المشفى استدعاني أن أزيل ملابس كُلها، ماذا يا «أنت» ؟ أرى أن عينك قد لمعت وتريد أن

تعرف ماذا طلبت مني الفاضلة أيها الشقي؟ ستموت فضوليا يا «أنت».
حسنًا، سأقتل فضولك.
أخبرتني الممرضة بكل جرأة ووضوح بأنها «تكراش عليا» وبأنها تحب الرجل الستيني أكثر من حُبها لصوابع المحشي الملفوفة بأوراق الكوسة، خاصة وبأنها لا تشعر مع زوجها الفاضل العزيز بالسعادة الكافية، أو بالمتعة الكافية، فأحبت أن تشعر بها معي، غريزتها أقرت بذلك.
هل أرفض وأقول لا؟ بالطبع لا.
وعلى الرغم من الترهلات الكثيرة والجسد الذي لا يجذب ذبابة أو خرتيتا وبأنها ليست جميلة بدرجة كافية ليجمعني بها فراش واحد خاصة إذا كان في هذا المشفى وفي هذه الغرفة وفي هذا الفراش الأبيض، فلقد استمتعت وأدركت حينها صحة مقولة فنان زوجتي المُفضل «فان جوح» حينما قال: للأشياء القبيحة خصوصية فنية قد لا تجدها في الأشياء الجميلة، أو ببساطة كما تقول جدتي الشقية: مش كُل البطيخ أقرع.
الآن ألقيت ملابسي البيضاء فوق جسدي بعد هذا الهراء الذي فعلته مقابل مفتاح، ولكنه في النهاية مُفتاح حريتي، أمسكت بقلمي وبدأت أكتب كُل تفصيلة تحدث داخل غُرفتي.
الممرضة تقف أمام السرير وكأنها تتزين لحفل زفافها، ترتدي ثيابها

البيضاء القصيرة التي تُخفي جمالها الداخلي بقبحها الخارجي، الآن أصبحت فاضلة بحق، ولكن ماذا مجددًا؟
لقد اِبتسمت لي بقوة، بل وغمزت أيضًا!
تجاهلتها وأسقطت عيني ورأسي بين أوراقي، لمحت أقدامها بنصف عين وهي تسير نحوي ببطء وتموج واستمتاع، لقد اقتربت مني، انحت بظهرها نحوي ثمَّ ألقت فمها بالقرب من أذني وهمست لي بكهربائها العالية:
- أنا هطلع أشغل الأمن اللي بره، مفيش قدامك أكتر من خمس دقايق تجهز فيهم نفسك، بعدها الباب الإلكتروني هيتقفل ومش هتعرف تخرج، وياريت ده يحصل عشان تفضل قدامي هنا، هتوحشني.
ماذا؟ لقد أوفت بوعدها وأعطتني المُفتاح!! أشكرك يا زوجها العزيز لأنك لم تستطع أن تُسعدها.
ليس ذلك فقط، لقد أعطتني ثلاثة مفاتيح أخرى، كُتب على كل واحد منها.
«١٧» ، «٧٧»، «٧٧».
إنها غُرف أبطالي!! حسنًا، رحب بخروج الجنون إليك أيها العالم القبيح.
ولكن لما أنا مدهوشًا بالمفاتيح هكذا؟ لما كُل هذه الصدمة؟ ماذا!! الخمس دقائق، يجب أن أسرع في إنهاء روايتي، وإلقاء حديثي

لك.
لن أطول عليك يا «أنت» فالوقت لم يقف في صفي اليوم.
تنهيدة سريعة طويلة:
أمسكت قلمي المُخلص الوحيد في هذا العالم، وبدأت أجعله يبكي حبرًا على الأوراق في اليوم الأخير من كتابة الرواية.
كتبت:
كُلهم +
الحرف الأول من اِسم «خالد» +
الحرف الثاني من اسم «صادق» +
الحرف الأول من اسم «أميرة» +
الحرف الأول من اسم «نادر « +
الحرف الأول من اسم « ورد» +
الحرف الأول من اسم نور =
«كُلهم خائنون».
-اِبتسامة لك-
الآن أدركت الحقيقة يا «أنت» ماذا؟
لما تنظر إليّ هكذا؟ هل أنت مُستعجب لأنني أعمم العالم كُله؟ هل أنت مصدومًا لأنني وضعت كلمة «كُل» قبل كلمة ما!
لا يا «أنت» إنها الحقيقة، صدقني.
أنا لست مُعقدًا يا «أنت» أنا فقط أؤمن بالحقيقة جيدًا، العالم

خائن جدًا صدقني.
كم من وعود خانها عدم الوفاء، وكم من عهود تطايرت في الهواء، كم من بداية ملئها الانبهار وقُتل انبهارها بالانطفاء، كم من كلمات خدشت من أرواحنا حتَّى تمزقت، كل هذه الأشياء خيانة، كل ما رأيته في هذه الأوراق كان خيانة كبرى، ليس هذا فقط، بل وما زال هناك الكثير ومختبئ.
الكثير، الكثير جدًا يا «أنت».
صدقني يا «أنت» أنا لست حزينا، ولكنه البؤس والحزن هما من جعلاني أرى العالم بهذه الصورة القبيحة.
كل القلوب كُسرت، وتحطمت الأنباض، لم يعد هناك مأوى، أو ملجأ يُخبئنا، كل الأصابع ثُلجت، ولم يبقَ إصبع دافئ يزيل دمعنا، بقيت أجسادنا حية، وتفتت أرواحنا قطعًا، تهشمنا كقطع الزجاج التي لم تكن تتهشم أبدًا ولو بالرصاص، قُطعت مشاعرنا إربًا، رغم أنها كانت صخورًا تُقطع الإرب إربًا، إهدرت كل طاقتنا، هدرًا، لا مكسب أو فائدة، بُتر كل من الأبيض والأصفر والأزرق فينا، ورسموا فقط كل من كان قاتمًا، خَفُت اللمع بأعيننا، وأنير الدمع متكبرًا، شامخًا برأسه في السماء، وواضعًا قدما فوق قدمًا، مصابيح قلوبنا، انقطعت كهربائها، بل وقررت الكهرباء نفسها بأن ترسل لقلوبنا نوعًا جديدًا ومتقدمًا من الكهرباء الحديثة، كانت كهرباء العتمة والظلام، ورغم كل هذا الانطفاء، بقينا، وتعود كُل ما

فينا، على استقبال خدش جديد كل صباح، وفي الليل، عند النوم تحديدًا، تنظر وسادتنا لنا، وتخبرنا بكل بؤس وانكسار، بكل حزن وانقهار.
هل مزيدًا، من بكاء جديد؟
كُلهم خئنون يا «أنت» جميعهم خائنون بلا استنثناء.
جميعهم بداخلهم «أميرة» و«نور» و«ورد» و«صادق» و«نادر» و«خالد».
سيخرجون في الوقت المناسب، سيخرج انتقامهم إذا فكر أحدًا في أن يخيب ظنونهم وآمالهم، ستشتعل نيرانهم إذا فكر العالم في أن يحرقهم، حتَّى «أنت».
بداخلك «بدير السيد» و«ياقوت صادق».
بداخلك كُل هؤلاء، وستخرجهم في الوقت المُناسب.
سيخرج إخلاصك لمن تُحب كثيرًا، سيخرج جنونك إذا وقعت في عشق أحدهم، لن تقدر حتَّى على أن تتمالك وتنقذ نفسك، لأن نفسك قد غرقت في بحر من أحببت وعشقت، سترفع رأسك متكبرًا إذا أحبك أحدهم ولم تحبه، وستجاهد بقوة بأن تعيده لك إذا بعد وغادرك بسبب ما كنت تفعله معه.
أتعرف يا «أنت».
دائمًا ما كنت أحلم بعالم، أقسم بأنه كان أشبه بقوس قزح، أو ازهار عباد الشمس، أو أزهار الياسمين، أو حتَّى لعبة المرح

«ماريو» نموت ثمَّ نحيا من جديد في صراع مع الأزهار ذات الأنياب المتوحشة الحادة أو السلاحف التي تندفع بيوتها نحونا راكضة، أو تلك الكائنات التي كُنا نقتلها فقط، بالقفذ فوق ظهورها، لقد حلمت بعالم كارتونيًّا، عالمًا حالمًا، عالم يحكمه الحُب، وينوبه العدل بعد وفاته، وتنوبهما الحكمة بعد تحلل أجسادهما، وينوبهم جميعهم بعد الفناء، السلام والرحمة، كنت أحلم بأناس يرحمون، أناس يتغذون على الرفق والعطاء، لا العُنف والحقد، حلمت بأناس، تسير أصابع قلوبهم بين خصلات شعرنا حتَّى نستطيع النوم بأوضاع الأجنة، حلمت بعالم يظل فيه الناس أجنة، مهما شاب أو كبر أو شاخ الناس جميعًا، حلمت بعالم لا يخدش فيه الناس بعضهم بالكلمات، لا يطعن الأخر الأخر بالكلمات، لا يُبكي الإنسان إنسانًا مثله بالكلمات، حلمت بكلمات من شخص، تُغرق شخصا أخر في بحر السعادة والهناء والكلمات.
ولكن إلى متى سأظل أحلم فقط، دون أن أرى ولو مرة واحدة، ما أحلم به يلمع في عيني؟
ولكن لا، يجب أن نثور، يجب أن نُحطم القيود والسلاسل، يجب أن نخلق الحرية.
نعم، كفى بؤسًا يا «أنت» كفى حزنا وبكاء وألمًا يملئ قلوبنا، يجب أن نحيا، يجب أن نعيش، يجب أن نسعد كما يسعدون.
إنه عُمرًا واحد وحياة واحدة، تخيل بأنك مُت واستيقظت في

السماء ثمَّ ندمت لأنك لم تعش حياتك جيدًا، لم تُرضَ من خلقك مثلما أرضاك وخلقك، لذا فانطلق لتعيشها الآن، انطلق بإيمانك وروحك، إنها البداية يا «أنت» ليست النهاية لأنه لا يوجد نهاية من الأساس أبدًا، يجب أن تتحرك بسرعة بعد أن أدركت حقيقة العالم، كفاك ثباتا واستسلام وبؤس، يجب أن ترسم عالم لك وحدك، صدقني يا «أنت» أنا لا ألقى الكلمات فقط، أنا أتحدث لك بقلبي.

هيا اذهب واشتري الكثير من أوراق الرسم البيضاء، اشتري واحدة وأخرى وأخرى، اجمع العديد من الألوان، وابدأ في الرسم، الرسم وحده هو من سيجعلك تحكم العالم، ارسم عالم أزرق، بحرًا أزرق وسماء زرقاء ومقاعد زرقاء وثياب زرقاء، ارسم عالم أبيض، لا تضع أي لونا قاتمًا، ارسم عالمًا يحلم، عالمًا يضحك ويبتسم من داخل قلبه، ارسم طموحك وأحلامك وأقسم لك بأنك سوف تحققها ولكن ارسمها فقط، لا تظل هكذا واقفًا مكانك فوق نقطة ثابتة ساكنة، يجب أن تدعو الحكمة والعقل للجلوس داخل عقلك، يجب أن تنتهز الفرصة، اذهب إلى السماء واجلس أمامها، تحدث لها بكل شيء، إلقي لها كل ما بداخلك من حزن وانكسار وسوف تداويك لا محالة، ستلقي لك كل حكمها الكثيرة، ستخبرك بأنه: من الذي يسبقك إذا كنت تجري وحدك؟ ستحثك على البصيرة، لا البصر، وبأنك لا تحتاج إلى نظارة طبية حتَّى ترى الحقيقة،

فالحقيقة كالنور لا تُخفى، أنت فقط تحتاج إلى أن تنظر جيدًا أكثر مِمَّا كنت تنظر، ستخبرك السماء بأنك لست هنا لكي تشقي، أنت هنا لكي تجتاز لتسعد وبأن ما يكتسب بسهولة يضيع بسهولة، ستتعلم جيدًا بألا تشك في الجميع لأن الجميع ليس سيئون، وبأن التعميم هو ذنب ثقيل الوزن، ولكن الجميع أيضًا لا يستحقون الثقة الكاملة، فعندما يشيخ الثعلب تنتف وبره الغربان، ستتعلم ألا تقسو على ألمك، ألا تنهره أو تسبه بأسوء الكلمات، وأنك يجب أن تقتنع أنه من يتألم أكثر يتعلم ويعرف أكثر، لا تكن ضعيفًا في حُبك، اعشق إلى حد الجنون، لا تضع أي اعتبارات لأي عوائق، لا تعطي للموانع أكثر من قيمتها، الموانع في النهاية جماد لا يتحرك أما أنت كائن يركض ويعبث ويدمر، دمر كل العوائق التي تعيق حُبك، فلم يخلق القيد ليمنع الحب، إنما خلق الحب ليكسر القيد، عندما يأتي الوقت الذي ترى فيه بأنك أصبحت تفوز وتحصل وتكسب وتنتصر، اذهب للمرآة سريعًا، وابحث، ابحث جاهدصا حتَّى تجيب على السؤال: هل حصلت على كل شيء وخسرت نفسك؟ أم أنك حصلت على كل شيء وبقيت كما أنت؟

حاول أن تعش تعيسًا أطول وقت ممكن.

ولكن لا تحزن، فالذين لا يعرفون التعاسة لن يدركوا قيمة السعادة أبدًا.

يجب أن تستطيع الإجابة عليالسؤال الأهم والأعظم بالنسبة لك.
ماذا ستفعل إذا قابلت نفسك أثناء سيرك بالطريق؟
هل ستنهرها بأسوء الكلمات وتقتلها!
أم ستحتضنها اشتياقًا وتذهب بها إلى نور العالم الذي رسمته في أوراقك؟
لقد.
مرت.
خمس.
دقائق.
سأفتقدك كثيرا يا «أنت».
سأشتاق لك كثير، وأعتذر لك إن كنت سخيفًا معك إلى حد ما، ولكن أقسم لك بأنني لم أكن هكذا يومًا واحدًا.
ولكن كما أخبرتك من قبل.
«ليس هناك طريقة أنجح من أن تكون سخيفًا لكي تخفي حزنك عن العالم».
وداعًا، أيها الأوراق.
ومرحبًا أيتها الحرية المُفتقدة.
وقفت أمام باب الغرفة المعدنية رقم «٧» بسرعة هائلة حاملًا قلمي وأوراقي أسفل زراعي، ثمَّ وضعت المُفتاح في بيته الصغير، ما هذا الشعور بالسعادة المُفطرة؟ لقد فُتح الباب!

وما أن كدت أفتح الباب وأخرج، حتَّى حدث ما لن يستطع تفسيره عقول الكُتاب والعلماء والباحثين والأطباء كُلهم.
أقسم لك بأنني لم أصعق مثلما صعقت في هذه اللحظة.
«لقد شعرت بأنني توسلت للسماء أن تُمطر ذهبًا، فأمطرت أحذية ذهبية لتسقط فوق وجهي».
لقد ظهرت على الأرض ظلال ضخمة أخفت كل ضياء القمر داخل غرفتي، إنه شخصًا ما يقف أمام الستائر خلف ظهري.
كيف؟ كيف صعد إلى شرفة غُرفتي في الطابق الأخير من المشفى؟
كيف وهو بهذا الحجم الضخم البدين؟ ماذا؟ لا!!! غير معقول!!
لقد ارتفع صوت تعمير المسدس!!
هل يعشقني الموت إلى هذه الدرجة حتَّى يأخذني من حريتي؟
حسنًا.
وكما أخبرني أحد المختلون عقليًّا:
«إن جائتك لحظة موتك، فهيئ نفسك لها جيدًا، مُت رافعًا رأسك، ولا تمت كالفئران».
التفت بجسدي بسرعة مُعطيًا وجهي لمن يقف أمامي.
لم أكن أراه جيدًا بسبب كثرة الضياء من خلفه.
لكنه كان ضخمًا ومخيفًا.
حاولت أن أفتح عيني وأنظر له جيدًا حتَّى أراه، بدأت أحدق فيه بتأمل.

إلَّا أن استطعت إدراكه ومعرفته جيدًا.

ومع أول ثانية مرت بعد إدراكِ له، خرج صوتي لأول مرة منذ أن جئت للمشفى منذ عشر سنوات، فقد قُولت كمن صعقوه بكهرباء العالم أجمع:

- خالد!!!!!!!!

أعرفك يا «أنت».

إنه الصحفي «خالد عبد الله».

-لأقابلك في بداية جديدة يا «أنت»-

داخل أوراق الجزء الثاني.

-اِبتسامة لك-

To Be Continued In Part2

.. Smile To You

تَمت بحمدِ الله

٢٠ / ٧ / ٢٠١٩

إبراهيم ناصف

(إهداء خاص)

إلى أربع مجموعات لا خامس لهم

الأولى:

(أبطال الرواية الحقيقيون)

(خالد عبد الله)، (ورد شعبان)، (صادق علي)

(نور سعد)، (نادر سلامة)،

(أميرة إبراهيم)

«أقسم بأنني لم أتعلم في حياتي مثلما تعلمت منكم أيها الستة،

لقد كتبتم حياتي من جديد، مثلما كتبتكم أنا هُنا.

أرجو أن تتقبلوا جميعًا اِعتذاري بأنني لم أضع أسمائكم

الحقيقية، ولكن.

السبب بسيط وهو:

-ولا يسمعن سري وسرك ثالث، ألَا كل سر جاوز الاثنين شاع-

وأسمائكم وحياتكم، ضمن أهم مُمتلكاتي

ولا أريدها أن تضيع أو تُخدش

لنا لقاء في أحضان السماء».

* * *

الثانية:

(عالم الكُتاب)

«الكتابة ليست أن تجعل القارئ يشعر بالاستمتاع فقط، وإلَّا من الأفضل له أن يشاهد فيلمًا كارتونيًّا أو فيلمًا كوميدي مُضحك وهو يأكل حبات البوب كورن، الكتابة هي حالة شعورية «بحت» يجب أن ينجح الكاتب في خلقِها داخل القارئ، وكأن ما سيقرأه قد حدث له منذ أعوام مضت وفجأة وجده يُسرد أمامه على الورق في هيئة كلمات وحروف، الكتابة هي أن تُسلم مُسمى الكاتب إلى القارئ بحيث يشعر بأنه هو من كتب ما يقرأه وليس الكاتب الأصلي الذي هو «أنت» الكتابة هي الحل الوحيد لأن يجد القارئ نفسه التائهة بين الأحرف».

* * *

الثالثة:

(الموسيقى)

«بدونك، لما كان هناك إبراهيم ناصف الكاتب، أشكرك إلى حد السماء».

* * *

الرابعة:

(كُلهم)

(البشر كُلهم)

قال «نجيب محفوظ»:

«يتساءلون عن سر اِزدهار المسرح أتدري ما هو سر ذلك؟ السر أننا صرنا جميعا ممثلين».

لذا.

كفانا تمثيلًا.

ولنحيا بوجوهٍ حقيقية، لنحيا بوجوهنا نحن.

لا مانع ألَّا نشبه جميعًا بعضنا

الاختلاف مُبهر.

ولكن...

لا مانع أيضًا أن نتقبل اِختلافنا

فهكذا..

نخلق عالم وردي.

-اِبتسامة لك-



01020439639